المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها
" ٥ "

الأمومة ومكانتها في الإسلام
في ضوء الكتاب والسنة

إعداد
مها عبدالله عمر الأبرش

الجزء الثاني

١٤١٧هـ/١٩٩٦م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



سلسلة إرسائل العلمية الموصى بطبعها
" ٥ "

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة

إعداد
مها عبدالله عمر الإبرش

الجزء الثاني

١٤١٧هـ/١٩٩٦م

ح جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ .
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .
الابرش ، مها عبد الله
الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة . ـ مكة المكرمة .
١٠١٩ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك ٥ ـ ١٢٢ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠
١ ـ الأمهات ٢ ـ المرأة في الإسلام ٣ ـ التربية الإسلامية أ ـ العنوان
ديوي١ ,٢١٩ ١٦ / ٣٤٧٧
رقم الإيداع : ١٦ / ٣٤٧٧
ردمك ٥ ـ ١٢٢ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

هذا العمل هو رسالة ماجستير في « الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة » من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ كلية الدعوة وأصول الدين . قسم : الكتاب والسنة .

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق

الباب الرابع

العوامل المؤثرة في وظيفة الأمومة

وظيفة الأمومة مهمة وخطيرة ، في بناء الأمة ونجاحها ونصرتها وعزتها ، والمجتمع الذي لاتعمل الأمومة فيه على الصورة الصحيحة والمطلوبة ، مجتمع آيل إلى الموت والفناء ٠

لكن الأمومة ليست بمعزل عن الحياة ومؤثراتها ، فثمة عوامل كثيرة ، تؤثر في وظيفة الأمومة ، وقد تكون عوامل بناء تساعد الأمومة على النجاح بإخراج الأفراد الصالحين المصلحين في الأمة ، أو تكون معاول هدم لما بنته الأمومة حتى ولو كانت في أعلى مستويات نجاحها ٠ فتعمل تلك على تخريب وإفساد ، ما عمرته الأمومة وحققته من خير، وقد يكون ذلك التأثير على الأمومة نفسها، فيعوق قدراتها، ويقتل استعداداتها ومكتسبهاتها؛ فيظهر عندئذٍ جيل غير صالح بله أن يكون مصلاحاً .

ومن العوامل المؤثرة في وظيفة الأمومة ما يلي :

- **صورة المرأة في القيم والثقافة السائدة (١)**٠

١- صورة المرأة في القيم الإسلامية [قوية + فاضلة] ٠

٢- صورة المرأة في القيم القبلية [ضعيفة + فاضلة] ٠

٣- صورة المرأة في القيم الغربية المعاصرة [قوية + غيرفاضلة]٠

٤- صورة المرأة العربية والإسلامية المعاصرة ٠

- إما (قوية + غير فاضلة) تقليداً للغرب ٠

- وإما (فاضلة + ضعيفة) تقليداً لقيم العصبية ٠

- **مدى التجانس بين الوالدين :**

١ - مدى التجانس العقائدي ٠

٢- مدى التجانس النفسي والعقلي ٠

٣- مدى التجانس الثقافي والاجتماعي ٠

- **أثر البيئة العامة وأثر الوارثة .**

---

(١) عنوان هذا الفصل « صورة المرأة في القيم والثقافة السائدة» مع تصنيفاته الأربعة للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، مؤسسات التربية الإسلامية، مخطوط .

الفصل الأول

صورة المرأة في القيم والثقافة السائدة

إن للأمومة دورها العظيم في بناء الأجيال ، وإخراج الأمة الخيرة ، التي تعمل على الحكم بالعدل ، والخلافة في الأرض وفق ما أنزل الله سبحانه وتعالى ·

وقد يكون للأمومة عكس هذا الأثر ، فتتسبب في دمار الأمة وخرابها ، بقتل الأجيال بشتى الوسائل ·

ويحدد ذلك شخصية المرأة تربية وتنشئة، ويحدده سلوكها ، وتفكيرها ونمط حياتها ·

إن الأسرة التي توجد فيها المرأة الصالحة ولاسيما الأم ، أسرة تملك كنز الدنيا ، والأسرة التي تشكلها امرأة مستهترة غير فاضلة ، أسرة مصيرها الويل والخسران في الدنيا ولآخرة ·

وما يقال في حدود الأسرة ، يقال في عالم الأمة الواسع ، لأن بناء المجتمع من لبنات هذه الأسر ·

فعلى صعيد الدعوة ، وحمل الرسالة ، ونشر الفكر، ونهضة الأمم يلاحظ أن للمرأة دورها الحاسم في نشوء تلك الحضارات ·

فحيث أنشئت أمة خيرة ، ساهمت في إنشائها المرأة من مكان بعيد أو قريب، خفي أو ظاهر أو العكس·

والقرآن الكريم لم يهمل هذه القضية ، بل ضرب لنا أمثلة وأعطانا نماذج عن ذلك تنبيهاً وعبرة ·

قال الله عز وجل في كتابه العزيز ··

﴿إن الله اصطفى ءادم ونوحاً وءال إبرٰهيم وءال عمرٰن على العٰلمين، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ (سورة آل عمران - آية ٣٣-٣٤) ·

فقد اصطفى الله عز وجل آدم عليه السلام ، ومن ذرية آدم عليه السلام كان اصطفاء نوح عليه السلام حيث دعا عليه السلام قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ومع ذلك لم يؤمن معه إلا نفر قليل ، ويشاء الله عز وجل أن تكون زوجة نوح عليه السلام امرأة كافرة ، لم تسانده ولم تساعده في دعوته ، بل خذلته ، وأثرت في ابنها ، الذي هلك مع من هلك ·

ووقف نوح عليه السلام وحيداً لاسند له من البشر ولا معين ولا ناصر له من ذويه ، وقف يدعو الله سبحانه وتعالى ، حتى أتته المعجزة بغرق كل من حوله ولم ينج معه إلا القليل ، فلم تنشأ تلك الأمة المسلمة التي كان يرنو نوح عليه السلام إليها ·

ولو لم يكن للزوجة أو الأم في الأسرة والأم في الدعوة ، هذه الأهمية لما سجلها القرآن الكريم لتتلى وتسمع ولتتدبر حتى قيام الساعة ··

قال الله تعالى :

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صٰلحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الدٰخلين﴾ (سورة التحريم - آية ١٠) ، لقد خانت هاتان زوجيهما فلم تؤمنا بدعوتهما عليهما السلام.

وينادى نوح عليه السلام ابنه ، ابن تلك المرأة الكافرة وهو في السفينة يريده أن ينجو ··· ﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يٰبني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ (سورة هود - آية ٤٢) وتوجه نوح عليه السلام بالنداء إلى الله سبحانه وتعالى بنجاة ابنه ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحٰكمين، قال يٰنوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صٰلح﴾ (سورة هود - آية ٤٥-٤٦)، فهلك وغرق مع الهالكين

المغرقين، فلم تقم تلك الحضارة وتلك الأمة الصالحة التي سعى إليها نوح عليه السلام ولم يؤمن معه إلا نفر قليل ·

وكذلك لوط عليه السلام ، تعايشه امرأة غير صالحة ، خانته أيضاً في الدعوة إلى الله سبحانه ، فلم تكن له نصيراً ومعيناً، ووقف عليه السلام وحيداً يدعو إلى الله عز وجل ، دون ظهير من البشر ، فماذا كان المصير ؟

لم يستجب له قومه ، ولم يؤازروه ، حتى أتته المعجزة من رب العالمين بهلاك قومه ·

فما قامت لهم دولة ، ولا أخرجت أمة كما هو مطلوب من الدعوات والرسالات · قال الله عز وجل في امرأة لوط عليه السلام حين أمره الله عز وجل أن يخرج بمن آمن معه من القرية قبل نزول العذاب بهم ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ (سورة هود - آية ٨١) ·

واصطفاء الله سبحانه وتعالى كان لنوح عليه السلام وحده دون أسرته كما نص القرآن الكريم على ذلك ، ومن هذا الاصطفاء كانت دعوة نوح في النفر القليل الذين نجوا معه عليه السلام - في السفينة - ثم كانت الأمة المؤمنة ·

ويصطفي الله عز وجل (آل إبراهيم) من هؤلاء المؤمنين ·

إنه اصطفاء واختيار للأسرة كلها وللبيت كله ، فكانت دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام ، حين هيأ الله سبحانه وتعالى له زوجتين صالحتين هما أم إسماعيل هاجر عليها السلام ، وأم إسحاق سارة عليها السلام ، فكانتا أمهات للمؤمنين في الدعوة والإصلاح ·

وهنالك في بيت الله الحرام تنشىء هاجر عليها السلام أساس

الأمة المسلمة والمجتمع المسلم وحدها ، معتمدة على رب العالمين، لازاد ولا عتاد ، ولا قوة إلا الإيمان بالله سبحانه وتعالى ·

وتقيم هاجر عليها السلام ، أساس الدعوة الحنيفية السمحة دعوة إبراهيم عليه السلام ، ثم يؤمر إسماعيل عليه السلام بتبديل الزوجة الشاكية بزوجة مؤمنة صابرة ، لأن الأولى لاتصلح للدعوة وحمل الرسالة فيستجيب الابن لأمر الأب عليهما الصلاة والسلام ليكون من ثم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ·

وفي بيت المقدس ، تقوم دعوة أخرى ترأسها سارة وابنها عليهما السلام ·

وفي هذين المكانين العظيمين الطاهرين ، تبعث الدعوات الصالحات وتقوم الحضارة الربانية التي دمرت طواغيت الأرض ·

وتستمر الدعوات ، ليظهر موسى عليه السلام في بني إسرائيل ، ويعطينا القرآن الكريم المثل والعبرة في دور المرأة الصالحة في بناء الأمم وعزتها ،

فتقف أم موسى ، تتحدىٰ فرعون وطغيانه ورجاله ، بالإيمان الكبير والتوكل والإخلاص لله سبحانه وتعالى ، لتلقي بابنها الرضيع في النهر مستجيبة لأمر الله عز وجل ·

وتساعد الأخت في عودة موسى عليه السلام إلى هذه الأم المفجوعة ، وتقوم امرأة فرعون عليها السلام ، بإقناع فرعون لاحتضان هذا الصغير وتربيته، فيستجيب دون عناء ·

وهكذا تحوك الرواية حتى تصل إلى نجاحها نساء هيأهن الله عز وجل ، ليسهمن في هلاك من نصب نفسه رباً فهابه الناس جميعاً ، فأهلكهم الله عز وجل في ذلك اليم الذي نجى سبحانه وتعالى فيه موسى عليه السلام؛ وكان موسى عليه السلام قد اقترن بزوجة مؤمنة قد هيأها الله عزوجل لموسى عليه السلام .. تلك

الزوجه الصالحة التقية الحيية العفيفة الفاضلة ، إنها ابنة شعيب عليه السلام ، حين شاركته الحياة على ضنكها وصعوبتها ، ورضيت به زوجاً لأمانته وعفته ، وما سمعته من صلاحه حين قص عليه السلام القصص على والدها ، ويقضي موسى عليه السلام الأجل في استئجار والد زوجه له في الخدمة على نكاحه لهذه الفتاة الصالحة ، ولاعجب!

فامرأة مثلها تستحق أغلى ما في الأرض !

قدر موسى عليه السلام هذه الزوجة ، وعرف أنها المعين له من الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة التي احلولك ليلها واشتدت أزمتها ، فقبلها زوجة شاكراً الله سبحانه وتعالى على ما هيأ له من هذا الإحسان والخير ، حتى إذا انتهى أجل العقد الذي بينه وبين والد الزوجة ، سار بأهله ، ليتابع مسيرة الحياة ، فقد أحس في داخله أن هناك أمراً ما ، قد أعده القدر الإلهي له ..

ثم كان النداء من الله عز وجل ، بالإنذار إلى فرعون وتحطيم طغيانه .. وكانت نهاية فرعون على يد موسى عليه السلام، فرعون أكبر طواغيت الأرض ، والذي ما شهدت البشرية مثله .

إنها العناية الإلهية التي هيأت لموسى عليه السلام هذه العصبة المؤمنة من النساء حتى يصل إلى تحقيق ما أراده رب العالمين ، إنها حكمة وأي حكمة ! وإنها لعظة وعبرة لأولي النهى من القادة !!

وقامت دولة بني إسرائيل وملكت الدنيا .

حتى إذا ابتعدت هذه الأمة من بني إسرائيل عن المسار الصحيح للدعوات، يهيئ الله سبحانه وتعالى القيام لدعوة أخرى ، تتحدى طغيان بني إسرائيل المادي وتجابههم وتقف في وجههم لتمنع

الانحراف ، وتعود بالأمة إلى الصراط المستقيم، إلى الحياة الربانية التي يرضاها الله عز وجل لعباده ·

ومن يؤسس هذه الدعوة ومن يسهم فيها ··!؟

وكان أيضاً الابتداء بالنساء الصالحات ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وءال إبراهيم وءال عمران على العالمين﴾ (آل عمران - آية ٣٣) ·

لقد اصطفى الله عز وجل آل عمران ليشمل ذلك الاصطفاء أم مريم، ومريم وابنهما عليهم السلام ·

أم مريم العابدة الصالحة ، التي نذرت ما في بطنها خالصاً لعبادة الله عز وجل، ومريم التي اصطفاها الله عز وجل ونزهها وطهرها على جميع النساء في الكون كله لعبادتها وصلاحها وتقواها، فكان منها عيسى عليه السلام ، الذي زلزل أمة بني إسرائيل حين ضلت وكفرت بأنعم الله سبحانه، ليعيد عليه السلام لبيت المقدس طهارته ، وقدسيته ، وحرمته وهكذا تنشىء مريم عليها السلام الدعوة الروحانية في بيت المقدس ، ثالث الحرمين وأولى القبلتين ·

ثم كانت دعوة محمد ﷺ ، الذي تنقل في الأصلاب الطاهرة حتى وصل إلى آمنة السيدة الشريفة الطاهرة العاقلة ليولد محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك المجتمع الذي أسسته أمنا هاجر عليها السلام ·

ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد التي كان تسمى في قومها بالطاهرة رضي الله عنها ، تلك الزوجة الفاضلة ، وأم الدعوة الإسلامية، التي أعطت محمداً صلى الله عليه وسلم كل ما تملك من مال وعقل وروح ، فكانت المعين بعد الله عز وجل والسند والظهير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فقد رأت برجاحة عقلها أن لهذا الإنسان لشأناً !

فلم تتريث أن أرسلت إليه من يخطبها إليه ·

ولتضع في خدمته ﷺ كل ما أعطيت من أسباب القوة والخير ، ولم تبخل عليه صلى الله عليه وسلم بشيء من المال أو غيره ·

وتحملت رضي الله عنها أعباء الإعداد للوحي والرسالة ، في عزلة الزوج وبعده وانقطاعه للعبادة ، وجندت نفسها لتزويد هذا العابد الناسك صلى الله عليه وسلم ، بكل ما يحتاج إليه ، واستعدت نفسياً وروحياً ، في كل لحظة ، لتستمع إلى زوجها فيما يلقيه إليها فقد تتحقق تلك البشارات والإرهاصات التي سمعت عنها، والتي رأتها في شخصه ﷺ ·

لقد عايشته صلى الله عليه وسلم - وشاركته ، حياته صلى الله عليه وسلم لحظة بلحظة ، حتى إذا جاءه جبريل عليه السلام بالوحي وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه ، تقف تلك الزوجة العظيمة ، لتهدئ من روع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول ·· لا والله لايخزيك الله أبداً ·· إنك لتصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق ، فوالله لايخزيك الله أبداً ، فيطمئن صلى الله عليه وسلم ويهدأ روعه ·

ولم تكتف رضي الله عنها بذلك ، بل راحت تسعى جاهدة لتغرس الاطمئنان في قلب زوجها صلى الله عليه وسلم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، فتذهب به إلى ابن عمها الراهب لتستشيره في الذي رآه صلى الله عليه وسلم ·

فأي امرأة خديجة رضي الله عنها وأرضاها ! وأي ثقة منك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم - أوليتها لتلك المرأة رضي الله عنها ·

وكانت خديجة رضي الله عنها.. أم المؤمنين الأولى للناس

أجمعين، بل هي أيضاً المستجيبة الأولى لأمر الله سبحانه وتعالى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي رضي الله عنها أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وتشتد الدعوة ، بأمر الله عز وجل ، ليهيأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ينصره ويعينه ، من الرجال والنساء والصبيان ، وتتصدر نساؤه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن ذلك ، فيقفن في حصن الدعوة للتعليم والتبليغ والمساندة والمساعدة وتتزعمهن من ثم عائشة رضي الله عنها ، ويخاطبهن القرآن الكريم : ﴿وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجٰهلية الأولى وأقمن الصلوٰة وءاتين الزكٰوة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ (سورة الاحزاب - آية ٣٣) ·

وهكذا شأن الدعوات كلها ، لابد لها من المرأة الطاهرة الصالحة القوية الفاضلة، وتحتل الأم والزوجة في ذلك الدرجة الأولى..

وبغير هذا لم يكتب للدعوات الصالحة أن تنتصر وأن تقوى وتقيم حكم الله سبحانه في أرضه ·

وإذا كان هذا شأن الأسرة الكبيرة ممثلة في الأمة ، فمن باب أولى أن يكون كذلك حال الأسر الفردية المكونة لهذه الأمة وهذا المجتمع ·

فالأسرة التي توجد فيها المرأة الفاضلة العاقلة المؤمنة القوية، ولاسيما الأم أسرة تؤتي ثمارها بإذن ربها خيرة صالحة ·

والله عز وجل ضرب لنا مثلاً في الصلاح بالمرأة المؤمنة وفي الكفر بالمرأة الكافرة قال الله عز وجل ··

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صٰلحين فخانتاهما فلم

يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ (سورة التحريم - آية ١٠) ٠

﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظلمين، ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القنتين﴾ (سورة التحريم-آية١١-١٢)٠

إن شخصية المرأة تؤثر في طفلها ، بل ومن حولها من الرجال، ولذا فإن الإسلام قد سعى إلى تعليم المرأة وإعدادها شخصية إسلامية قوية لتعد للإسلام الأجيال ، والتي تكون تبعاً لشخصيتها، فإن صلحت صلحوا وإن فسدت فسدوا، وميزان ذلك هو القيم التي تحملها هذه المرأة وتتبناها ، بوعي أو بدون وعي ، فتنطبع بها ، لتكون بصمات في أولادها ٠

فما هي القيم ؟! وأين نحن من قيم الإسلام

القيم «محكات ومقاييس يحكم بها على القرى والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها ، أو من حيث سوؤها وعدم قيمتها وكراهيتها أو في منزلة معينة ما بين هذين الحدين»(١) ٠

وللقيم أثرها الكبير في الشخصية الإنسانية ، وهي التي تحكم حياته كلها بما في ذلك العلم الذي يتعلمه ويمارسه ٠

وإن تقدم أي مجتمع يعتمد على القيم التي يختارها أكثر من اعتماده على زيادة تقدم التكنولوجيا ، والقيم تؤثر في أدق

---

(١) د٠ ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص ٢٩٩

وظائف الإنسان ابتداء من استعمالات التكنولوجيا حتى متطلبات الأداء الوظيفي والمشاركة الاجتماعية(١) .

وإن حاجة الإنسان المعاصر إلىٰ تبني القيم هي أشد من الأمس وذلك للاتساع العمراني والمدني وظهور القوميات ، الذي أفرز الشعور بالاغتراب عند الناس وكذلك ذهاب الحواجز والحدود بين الثقافات بما تنقله وسائل الإعلام والاتصال على تنوعها سلباً وإيجاباً ، فالعالم كله ينتقل إلى المنازل والبيوت من كل مكان وزمان.

ومن هنا كان لابد من أصول إسلامية تتمسك بها المرأة المسلمة المعاصرة فلا تتخبط خبط عشواء وفقا لما يرد إليها من الغرب والشرق ممزوجين بتراث الماضي ، وتكنولوجية الحاضر ، يقول الدكتور ماجد الكيلاني في ذلك « والمجتمعات التي تتحمل فيها نظم التربية ومؤسسات التوجيه مسؤولياتها إزاء الزلازل الجارية في ميدان القيم تواكب مجرى الحضارة المستقبلية، وسوف تسهم في تحسين كيان الإنسان ونقله من التخلف إلى الرقي ، أما المجتمعات التي تترك للاضطراب القائم في ميدان القيم «ليسخرها دون أن تسخره» وليتحكم باتجاهاتها دون أن تتحكم به، أو تكتفي بالسلبية ..، فسوف ينتهي بها الاضطراب إلى أحد مصيرين : إما الارتداد الى عهد الكهوف وحياة الغابة ، وإما أن تذوب في بوتقة التفاعل الجاري بين القيم العالمية المختلفة»(٢) .ـ

فما موقع المرأة المسلمة وما مكانها بين قيم الماضي والحاضر ، وبين قيم الشرق والغرب وبين الإسلام والكفر ؟

١- صورة المرأة في القيم الإسلامية :

قال الله تعالىٰ ﴿ينساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتـــن

---

(١) انظر : المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

فلاتخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفـــا ، وقرن في بيـوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلوٰة وءاتين الزكوة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً، إن المسلمين والمسلمٰت والمؤمنين والمؤمنٰت والقنتين والقنتٰت والصٰدقين والصٰدقٰت والصٰبرين والصبٰرات والخٰشعين والخٰشعـت والمتصـدقين والمتصـدقٰت والصٰئمين والصٰئمٰت والحٰفظين فروجهم والحٰفظٰت والذٰكرين الله كثيرا والذٰكرٰت أعـد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً، ومـا كان لمؤمـن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلٰلاً مبيناً﴾ (سورة الأحزاب - آية ٣٢- ٣٦).

لقد ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً ونموذجاً للمرأة المسلمة في حياتها الواقعية الدنيوية ، وفق معايير الإيمان بالله سبحانه وبرسوله، وهن أمهات المؤمنين زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، كماجاء في سبب نزول هذه الآيات الكريمات من أن أم سلمة رضي الله عنها قالت : يارسول الله أيذكر الرجال في كل شيء ولا نذكر؟ فأنزل الله سبحانه (إن المسلمين والمسلمات ..) الآية(١) وهذا يدل على أن الآيات الكريمـــات التي سبقـــت هذه الآيه الكريمـة والتي كان الخطاب فيها «يانساء النبي» ليست خاصة بزوجاته صلى الله عليه وسلم، وإنما عامة لجميع النساء المسلمات . وزوجات الرسول صلى الله عيه وسلم هن أمهات لجميع المؤمنين حتى قيام الساعة، فما يتوالد من النساء هن بنات لهن، وبيت النبوة هو البيت المسلم

(١) الطبري ، جامع البيان ، م ١٢ ، ج ٢٢ ، ص ١٠ .

الذي يكون الطليعة والنموذج، لكل بيت على وجه الأرض في هذا الكون حتى يوم البعث . ، فالأمة المسلمة هي مثال لجميع الأمم وهي تتمثل في بيت النبوة بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته أمهات المؤمنين؛ يقول ابن القيم رحمه الله مصوراً حال الإنسان حين يهذبه الإسلام فهو «كالحامل القرب ينتظر ولادة الروح والقلب صباحاً ومساءً فإن لم تولد روحه وقلبه ويخرج من مشيمة نفسه ويتخلص من ظلمات طبعه وهواه وإرادته فهو كالجنين في بطن أمه الذي لم ير الدنيا وما فيها ، فهكذا هذا الذي بعد في مشيمة النفس. والظلمات الثلاثة هي : ظلمة النفس وظلمة الطبع وظلمة الهوى، فلابد من الولادة مرتين كما قال المسيح للحواريين إنكم لن تلجوا ملكوت السماء حتى تولدوا مرتين ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم أباً للمؤمنين كما في قراءة أبي رضي الله عنه ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ (سورة الأحزاب آية ٦)، «وهو أب لهم»(١) .

فإنه أخرج أرواحهم وقلوبهم من ظلمات الجهل والضلال والغي الى نور العلم والإيمان وفضاء المعرفة والتوحيد ، فشاهدت حقائق أخر وأموراً لم يكن لها بها شعور قبله»(٢) ، قال تعالى : ﴿الر كتب أنزلنه إليك لتخرج الناس من الظلمٰت إلى النور بإذن ربهم﴾ (سورة إبراهيم آيه -١) .

وقال سبحانه : ﴿هو الذي بعث في الأميّن رسولاً منهم يتلوا عليهم آيٰته ويزكيهم ويعلمهم الكتٰب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلٰل مبين﴾ (سورة الجمعة آية -٢) .

وهكذا تضمنت سورة الأحزاب من مبدئها إلى منتهاها

---

(١) انظر تخريجه ص ٣٢٧ من هذا البحث .

(٢) ابن القيم ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عمر بن محمود أبو عمر ، الطبعة الأولى (الدمام - دار ابن القيم ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)ص ٣٧ .

النموذج المثالي للبيت المسلم والأسرة المسلمة · فالنبي صلى الله عليه وسلم ولي المسلمين جميعا وزوجاته صلى الله عليه وسلم أمهاتهم · وما دام النبي صلى الله عليه وسلم أباً لكل المؤمنين وكذلك زوجاته رضي الله عنهن أمهات للمؤمنين فلابد أن يتبع المؤمنون هذا البيت ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ فعندما تطيع المرأة أمر ربها بما أمرها سبحانه وتعالى في هذه السورة فسوف تكون مثالا للمرأة المؤمنة القوية في شخصيتها الفاضلة في روحها وأخلاقها وطهرها · وليس ثمة بعد لقائل أن يقول إن هذه الآيات خاصة بنساء الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول ··﴾ الآية · فهي وإن كانت خاصة في الخطاب لكنها عامة في الحكم ، وإن الله سبحانه أمر المؤمنين بما أمر سبحانه به المرسلين ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الأخر وذكر الله كثيراً﴾ وللنساء في زوجاته ﷺ وحياتهن وسيرتهن الأسوة الحسنة ، فكيف أراد الله سبحانه للمرأة المسلمة أن تكون ؟ وكيف كانت مؤمنة خير القرون ؟!·

لقد بدأ الله سبحانه الأمر بالتزام التقوى والصلاح والعفة قبل الأمر بالالتزام بالطاعات ، وذلك لأهمية الأخلاق الفاضلة في حياة المرأة ، فهي مربية الأجيال وهي الأم والقدوة · ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض﴾ ·

﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلوٰة وءاتين الزكوٰة وأطعن الله ورسوله﴾ أي ابتعدن عن مظاهر الفتنة والإغراء وتجنبنها ، وأدين ما عليكن من الفرائض والتكاليف الإيمانية من صلاة وصيام وزكاة وطاعة لله سبحانه وللرسول صلى الله عليه وسلم وبذلك تحصل لكن التزكية وطهارة النفوس ، ومن

ثم فلا فرق عند ذلك في الجزاء بينكن وبين الرجال .

قال الله تعالى ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ (سورة النساء آية - ١) وقال تعالى : ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثىٰ بعضكم من بعض﴾ (سورة آل عمران- آية ١٩٥) ، فلكل من الرجل والمرأة ثوابه الذى ينتظره في الآخرة، والجنة التي ينال أعلى منازلها الشهداء، تنالها المرأة الصابرة الصالحة التي أدت حق بيتها بما فيه من مسؤوليات بإخلاص وإيمان . ومن هنا فالمرأة المسلمة الصالحة القانتة قوية في إيمانها، قوية في استجابتها لأمر ربها ، قوية بمنحة السماء التي كرمتها فجعلتها موطن الرحمة ومنشأ الإنسانية ، وحارسة القيم الخلقية .

لقد كرم الله سبحانه المرأة ورفع من شأنها فجعلها راعية بيت ومسؤولة عن رعيتها وعما استؤمنت عليه ، لذا كان الأمر بقرارها في بيتها لتؤدي واجبها على خير وجه ، وتبقى الفضلى الطاهرة من كل دنس وخدش ، تزكية وتطهيراً لقلبها ونفسها وروحها ، وتفرغاً لأداء مهمتها في إعداد الإنسان للإنسانية الذي يعمل على إعمار الكون وإشاعة العدل . إن هذه المرأة هي التي تستطيع أن تخرج لنا الأجيال الصالحة التي تحقق الخلافة وتقيم الحكم بما أنزل الله ، دون خوف أو قهر أو ذل، لأنهم إنتاج الطاهرات العفيفات المؤمنات القويات الفاضلات، وقد كانت أمهات المؤمنين النموذج الأمثل الذي يحتذى به قوة وفضيلة ، وقد أعطتنا عائشة بنة أم رومان رضي الله عنهما أكبر مثل وأعظمه في نضج المرأة وقوتها وفضيلتها ، حتى إن أكابر الصحابة رضى الله عنهم كانوا يسألونها عن الفتيا، وكذلك سيرة الصحابيات رضوان الله عليهن مليئة بما يدل على فضلهن ، واعتزازهن بأنفسهن ، وشعورهن بالمسؤولية الملقاة على عاتقهن .

فمنذ فجر الدعوة حين أتى جبريل عليه السلام إلى رسول

الله ﷺ بالوحي وقفت خديجة رضي الله عنها تسانده بكل ما تستطيع ، ولتكون رضي الله عنها أول من آمن برسول الله ﷺ من العرب والعجم والإنس والجن.

ثم بدأت الدعوة تنتشر ويشاء الله سبحانه أن تكون أول من أسلم من بلاد فارس امرأة أيضاً اسمها أمة الفارسية* رضي الله عنها وهي التي دلت سلمان الفارسي* رضي الله عنه على رسول الله حين سألها عنه(١) .

وخاضت المرأة المسلمة خطورة الدعوة في مراحلها الأولى فهذه فاطمة* بنت الخطاب تقف متحدية عمر الذي تخافه مكة بأكملها، وعندما يسألها عن إسلامها تجيبه بعزة وإباء : (قد كان ذلك على رغم أنفك) فيلطمها عمر فيدميها، يقول عمر رضي الله عنه فاستحييت حين رأيت الدم(٢) .

وتلك أم شريك* رضي الله عنها كانت تدخل على نساء

---

* قال سلمان الفارسي رضي الله عنه لما قدمت المدينة رأيت أصبهانية كانت أسلمت قبل فسألتها عن رسول الله فهي التي دلتني عليه (الإصابة ٤/٢٣٩)

* سلمان الخير الفارسي، أبو عبدالله بعد الإسلام، أصله من فارس وكان عالماً زاهداً أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وأول مشاهده غزوة الخندق وهو الذى أشار للرسول بحفر الخندق وشهد بقية المشاهد بعدها، توفي سنة ثلاثة وثلاثين للهجرة وقيل اثنتين وثلاثين وله من العمر ثلاثمائة سنة (الإصابة ٢/٦٢ ؛ الاستيعاب ٢/٥٦، سير ١/٥٠٥ ؛ أسد الغابة ٢/٤١٧)

(١) انظر : ابن حجر، الإصابة ٤/٢٣٩ .

* فاطمة بنت الخطاب بن نفيل القرشية العدوية أخت عمر بن الخطاب أسلمت قديماً مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وتكنى بأم جميل، وخبرها في إسلام عمر بن الخطاب خبر عجيب (الإصابة ٤/٣٨١ ؛ الاستيعاب ٤/٣٨٢)

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

* أم شريك القرشية العامرية من بني عامر بن لؤي .. كانت ممن وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا لها لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم، وكانت سبباً في إسلام أولئك النفر الذين أرادوا إعادتها إلى قومها .

(الإصابة ٤/٤٦٦؛ الاستيعاب ٤/٤٦٤) .

قريش فتدعوهن إلى الإسلام(١) ولقد هاجرت وتعذبت وأوذيت في سبيل الله

أما سعدى رضي الله عنها* فقد كانت سبب إسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه* .

حيث إنها استطاعت ببيانها وفصاحتها أن تؤثر في عثمان رضي الله عنه فيسلم(٢) .

وهل تدرون أن التي أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قريشا تريد قتله الليلة هي امرأة؟! آمنت به وصدقته، وهي رقيقة* بنت عم العباس رضي الله عنها وهي السدة مخرمة بن نوفل* ، وكانت شديدة على ولدها لكونه لم يسلم حتى

---

(١) ابن عبد البر (الاستيعاب) - جـ٤ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٧ .

(*) سعدى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية خالة عثمان بن عفان أمير المؤمنين وكانت سبباً في دخوله الإسلام رضي الله عنهما جميعاً (الإصابة ٣٢٨/٤) .

(*) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو عبدالله وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب، وكان يلقب بذي النورين لأنه تزوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم: رقية؛ ثم أم كلثوم وقد أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وتخلف عن بدر لتمريض زوجه رقيه رضي الله عنها، وقد بشره رسول الله صلى عليه وسلم بالجنة، وقام بتجهيز جيش العسرة وقتل سنة ٣٥هـ. وله مناقب كثيرة رضي الله عنه وأرضاه . (الإصابة ٦٢/٤؛ الاستيعاب ٦٩/٣) ابن سعد ٢٥٣/٣ .

(٢) الإصابة : جـ٤ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

* رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد المطلب الهاشمية بنت عم العباس، وإخوته من بني عبد المطلب، وأمها هالة بنت كلدة بن عبد الدار، وقد أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت، وهي التي حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن قريشاً قد أجمعت تريد شأنك الليلة. قال المسور فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فراشه وبات عليه علي رضي الله عنه . (الإصابه ٣٠٣/٤ ؛ الاستيعاب ٣١١/٤)

(*) مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي أبوصفوان، وأبو المسور، وأمه رقيقة بنت أبي صيفي، كان يؤخذ عنه النسب، وكان عالماً بأنصاب الحرم، وكان من المؤلفة قلوبهم وكان كبير بني زهرة وهو والد الصحابي المسوربن مخرمة، توفي سنة أربع وخمسين وله من العمر مئة وخمسة عشر عاماً.

(الإصابة ٣٩٠/٣ ؛ الاستيعاب ٤١٥/٣ ؛ سير ٥٤٢/٢ ؛ أسد الغابة ٥١٢/٥).

أسلم رضي الله عنه(١) رغم أنها كانت مسنة رضي الله عنها .

وهذه سبيعة الأسلمية* ، تسلم بعد صلح الحديبية ، ولم تهب قريشا، حيث أسلمت إثر العقد وطي الكتاب، فلم تخف ، وكانت السبب في نزول سورة الممتحنة(٢) .

وهكذا ..فإن المرأة المسلمة الصحابية قد شاركت في كل ميادين الدعوة، مشاركة واقعية فعالة على قدر الحاجة والواجب ، محتفظة بطهرها ونقائها ، مطيعة لربها سبحانه ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فساهمت في تشكيل أحداث الدعوة وضربت للمسلمين حتى قيام الساعة أروع الأمثلة في قوة الشخصية في شتى ميادين الحياة. فتقف النساء مبايعات لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة مستقلة عن الرجال ، وذلك دلالة على استقلاليتهن في المسؤولية ، ومن ثم ترسم المرأة المسلمة معالم المجتمع المسلم من خلال تلك المواقف التي تجلى فيها صدق الإيمان في قوة المسلمة ونضجها ووعيها واستقامتها .

فهذه أسماء بنت عميس رضي الله عنها تقف مدافعة عن مواقفها الإيمانية مخافة أن يسبقها أحد في الثواب، أمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روى الإمام البخاري أن أسماء رضي الله عنهما، دخلت على حفصة رضي الله عنهما - وكانت قد هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر - فدخل عمر رضي الله عنه وأسماء عندها ... (فقال : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول

---

(١) المرجع السابق ج٤ ، ص ٣٠٣ .

* سبيعة بنت الحارث الأسلمية وكانت امرأة سعد بن خولة فتوفي عنها بمكة وولدت بعد وفاته بليال فانقضت عدتها بوضع حملها . (الإصابة ٤/٣٢٤ ؛ الاستيعاب ٤/٣٢٩)

(٢) الإصابة ج٤ ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ، أسباب النزول للنيسابوري ، ص٤٨٩ ؛ تفسير القرطبي ، ج١٨ ، ٦١ .

الله صلى الله عليه وسلم منكم فغضبت ، وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار أو أرض البعداء البغضاء بالحبشة ، وذلك في الله ، وفي رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأيم الله لاأطعم طعاما ولاأشرب شراباً حتى أذكر ماقلته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن كنا نؤذى ونخاف ، وسأذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، وأسأله والله لاأكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت يانبي الله إن عمر قال كذا وكذا ، قال فما قلت له ؟ قالت قلت له كذا وكذا ، قال ﷺ : «ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان» ، قالت ولقد رأيت أبا موسى* وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ(١) .

إنها رضي الله عنها ، تقف مجادلة عمر رضي الله عنه، فتحلل الأمور وتقيس النتائج وأسبابها ومسبباتها وماترتب عليها ، وتذهب وتنقل الأحداث بصدق رضي الله عنها ثم يوافقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكون البشرى لجميع من هاجر إلى الحبشة ، وأي احترام وتقدير للمرأة أكثر من هذا.

بل إن الإسلام قد سمح للمرأة أن تجير من تشاء، تقول أم هانيء رضي الله عنها*ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

* عبد الله بن قيس بن سليم بن وائل أبو موسى الأشعري هاجر إلى المدينة ودخلها مع جعفر بن أبي طالب، ولي البصرة في زمن عمر ضي الله عنه ثم ولي الكوفة في زمن عثمان رضي الله عنه وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي مزماراً من مزامير داود لحسن صوته بالقرآن، وكان أحد الحكمين بمعركة صفين وتوفي رضي الله عنه سنة ٤٢هـ .(الإصابة ٢/٣٥٩ ؛ الاستيعاب ٣/٣١٧)

(١) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٥ ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، ص ٩٤، ح(٤٢٣٠-٤٢٣١) ؛ مسلم ، الصحيح ، ج ٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب ، ص ١٩٤٦ ، ح (٢٥٠٩-٢٥٠٣) .

* أم هاني بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية ابنة عم النبي ﷺ وقيل اسمها فاختة وقيل فاطمة وقيل هند زوجها هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي، أسلمت يوم فتح مكة وخطبها النبي ﷺ وماتت في خلافة معاوية (الإصابة ٤/٥٠٣ ؛ تهذيب ١٢/٤٨١ ؛ الاستيعاب ٤/٥٠٣) .

وسلم عام الفتح ، فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره ·· فقلت يارسول الله : زعم ابن أمي على أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلان ···· فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قد أجرنا من أجرت ياأم هانئ»(١) وينضم صوت رسول الله ﷺ إلى صوت أم هانئ رضي الله عنها، ليقرها على ما فعلت · فهل ثمة قوة وتشريف أعظم من هذا ومن أجارت ؟ إنها قد أجارت رجلين ! أي تعظيم وأي تكريم للمرأة أكثر من هذا؟!

وتستأذن أم حكيم* رضي الله عنها رسول ﷺ لتتبع زوجها عكرمة بن أبي جهل* الذي فر من مكة يوم فتحها، فيأذن لها صلى الله عليه وسلم فتسافر إلى اليمن وتبحث عنه حتى تأتي به إلى رسول الله ﷺ مسلماً(٢) ·

أما رجاحة العقل ، وقوة الجنان ، فثمة كثيرات منهن رضي الله عنهن قد اشتهرن بذلك وكان لهن الدور الذي لاينكر في تشكيل الأحداث ، فتلك أم سلمة رضي الله عنها تتزعمهن حين استطاعت أن تنقذ المسلمين من موقف العصيان لله ورسوله ، فقد دخل عليها رسول ﷺ خائفاً على أمته من

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٤ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب أمان النساء وجوارهن ص ٧٩ ، ح (٣١٧١) ·

* أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومية زوج عكرمة بن أبي جهل، حضرت أحداً وهي كافرة، ثم أسلمت يوم الفتح، واستأمنت النبي ﷺ لزوجها عكرمة، وكان عكرمة قد فر إلى اليمن، وخرجت في طلبه، فردته حتى أسلم، ثم خرجت معه إلى غزوة أجنادين فاستشهد، فيها فتزوجها خالد بن سعيد بن العاص، وخرجت معه إلى معركة مرج الصفر، واستشهد فيها وقتلت أم حكيم يؤمئذ سبعة من الروم بعمود فسطاطها· (الإصابة ٤٠ / ٤٤٣ ؛ الاستيعاب ٤/٤٤٣) ·

(*) عكرمة بن أبي جهل عمروبن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، كان كأبيه من أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم عام الفتح واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات هوازن وخرج الى قتال أهل الردة، توفي في معركة اليرموك رضي الله عنه · (الاصابة ٢/٤٩٦ ؛ الاستيعاب ٣/١٤٨) ·

(٢) الإصابة ، ابن حجر ، ج٤ ، ص ٢٤٣-٢٤٤ ·

عذاب الله سبحانه ، حين خالفوا أمره ﷺ ، ذلك إنه عندما فرغ رسول الله ﷺ من كتابة الكتاب في صلح الحديبية، كما في مسند الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«يا أيها الناس انحروا واحلقوا» قال فما قام أحد ، قال ثم عاد بمثلها فما قام رجل حتى عاد بمثلها فما قام رجل فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة فقال يا أم سلمة ماشأن الناس قالت يارسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم إنساناً واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك فخرج رسول الله ﷺ لايكلم أحداً حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فقام الناس ينحرون ويحلقون قال حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق فنزلت سورة الفتح(١)·

وهل هناك فطنة وعقل وجنان أكثر مما فطنت له أم أيمن رضي الله عنها حين أتى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يزورانها· فعن أنس رضي الله عنه قال «قال أبو بكر رضي الله عنه ، بعد وفاة رسول الله لعمر رضي الله عنه : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها· كما كان رسول الله ﷺ يزورها · فلما انتهينا إليها بكت· فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها»(٢) لقد وعت أم أيمن رضي الله عنها ، معنى نزول الوحي من السماء ، فآلمها انقطاعه ، وافتقدت هدايته، وعرفت بعقل المؤمنة الناضجة أن هذا الوحي خير للمجتمع المسلم، وكأنها استشفت ببصيرتها ما سيؤول إليه حال الأمـــــة

(١) مسند الإمام أحمد / ج٤ ، ص ٣٢٦ ·
(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٤، كتاب فضائل الصحابة ، وباب من فضائل أم أيمن ص ١٩٠٧ ح (٢٤٥٤)·

الإسلامية من الفتن بانقطاع الوحي ، الذي توقف عن مواكبة الأحداث وتفسيرها والحكم عليها ، فكيف لاتبكي وتبكي وتستبكي غيرها -رضي الله عنها- ·

وفي موقف الحجيج ، يتساءل الصحابة أصائم أم مفطر رسول ﷺ فتسرع أم الفضل لتريح العقول التواقة إلى معرفة حكم صيام يوم عرفة للحاج، مقدمة قدح اللبن إلى رسول الله ﷺ فيشربه ﷺ (١) ·

وقد استطاعت المرأة المسلمة في عصر الرسول ﷺ وما بعده أن تعبر عن رأيها وذاتها ووجودها بكل حرية وعزة وشجاعة في كل الأمور، وفي الزواج خاصة بكل أدب وحياء وقوة رأي، فهذه خنساء بنت خدام رضي الله عنها* تقول : (إن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحه)(٢) ·

وهل أكرم من امرأة سمع الله سبحانه وتعالى شكواها ووافق خبر السماء حدسها حين ظاهر منها زوجها ، وشعرت بالحرج في قرارة نفسها ، فسعت الى النبي ﷺ تستفتيه ·· فتنزل قول الله تعالى ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ (سورة المجادلة آية-١) وقد علق الشيخ محمود شلتوت على قصة خولة بنت ثعلبة قائلاً : «وانظر بعد ذلك كيف رفع الله شأن المرأة وكيف احترم

---

(١) انظر : الحديث وتخريجة ، ص من هذا البحث ·

(*) خنساء بنت خدام بن خالد الأنصارية من بني عمرو بن عوف وهي من الأوس أنكحها أبوها وهي كارهة فرد رسول الله ﷺ نكاحها واختلفت الأحاديث في حالها في ذلك الوقت والأغلب أنها كانت ثيباً، وتزوجت أبالبابة بن عبد المنذر وولدت له السائب ·

(الإصابة ٤/٢٨٦ ؛ الاستيعاب ٤/٢٩٥) ·

(٢) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب النكاح ، باب إذا زوج ابنته وهي كارهة، ص ١٦٤ ، ح ٥١٣٨ ·

رأيها وجعلها مجادلة ومحاورة للرسول ﷺ ، وجمعها وإياه في خطاب واحد ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ وكيف قر رأيها وجعله تشريعاً عاماً خالداً ، لتعلم أن آيات الظهار وأحكامه في الشريعة الإسلامية ، وفي القرآن الكريم، وأن سورة المجادلة لم تكن إلا أثراً من أثار الفكر النسائي وصفحة إلهية خالدة نلمح فيها على مر الدهور صورة احترام الإسلام لرأي المرأة ، وأن الإسلام لايرى المرأة مجرد زهرة ، ينعم الرجل بشم رائحتها وإنما هي مخلوق عاقل مفكر له رأي ، وللرأي قيمته ووزنه»(١) .

وهكذا شاركت المرأة في أحداث الدعوة الاسلامية ، وفي تنفيذ الأحكام الشرعية ، فكان كثير منها نتيجة إعمال فكرها وعقلها ، ووضوح رأيها، يقول الدكتور ماجد الكيلاني في ذلك : (ونحن نلمح في طريقة نزول الوحي ما يشجع على ظاهرة التعبير عن الرأي الرفيع فحينما تساءلت .... (إحدى الصحابيات رضي الله عنهن) فقالت يانبي الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لايذكرن ؟ فأنزل الله تعالى ﴿إن المسلمين والمسلمات...عظيماً﴾ (سورة الأحزاب آية-٣٥) ومع اعتقادنا الراسخ بكمال العلم الإلهي ، إلا أننا نرى في مناسبة الآية واستجابة الوحي لطلب الصحابيات رضي الله عنهن، تشكيلاً للأحداث لتتدرب الأمة المسلمة وتتشجع على التعبير عن الرأي ، ولو كان الذي يعبر عن رأيه امرأة ولو كان الموضوع الذي يدور حوله التساؤل هو أسلوب الوحي !! فإذا كان الأمر كذلك فليس هناك من بني البشر من هو فوق التساؤل والنقد الإيجابيين ، وعلى هذه السنة

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٢٢٧ .

سارت الحياة في المجتمع النبوي والعهد الراشدي»(١) .

وتتالت أفواج النسوة من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، ليقدمن النماذج الفذة في القوة والصدق في قول الحق والتعبير عن الرأي، قالت عائشة رضي الله عنها «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»(٢).

لقد استطاعت المرأة المسلمة النموذج أن تعرف موقعها من الدعوة، فتقف شامخة مرفوعة الرأس ، قوية بإكرام الإسلام لها ، عزيزة بطهرها وحيائها وعفتها ، مميزة بين الخير والشر، بين تسامي السماء ودنس الأرض ، فترفعت عن الدنايا وحاولت الرفرفة في ملكوت السماء ، وعاشت وفق منهج رباني حكيم فسعدت وأسعدت من حولها ، تلك هي المؤمنة الأولى ...!!

ولقد أتت تعرض نفسها على النبي ﷺ بصدق وفضيلة وإيمان ، وحق وصراحة في أدب وحياء .

ولقد وقفت الصحابيات المهاجرات في المدينة مستنكرات لما كان من أزواجهن وتأثرهم بأهل المدينة في إتيان نسائهم فنزل قول الله تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ (سورة البقرة - آية - ٢٢٣) .

وهل ثمة موقف أعف وأطهر وأصدق من سؤال أم سليم عن غسل المرأة إذا احتلمت(٣) ، ثم هل ثمة أصدق مع النفس من

---

(١) د : ماجد الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية ، الطبعة الثانية (المدينة المنورة: دار التراث ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، بتصرف .

(٢) البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج١ ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ، ص ٤٧ .

(٣) انظر: البخاري ، المرجع السابق ، ح (١٣٠) ؛ مسلم ، الصحيح ، ج١ ، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها ، ص ٢٥١ ، ح(٣١٣) .

استفتاء إحداهن رضي الله عنهن رسول الله ﷺ في مرض زوجها وقد كان عنيناً(١) إنها مواقف صدق الإيمان مع الله سبحانه ومع النفس ، فحولت النفوس إلى عالم روحاني شع بالخير أينما توجه ويتسامى ويتصاعد نحو عالم الملكوت، إنه الصدق مع الله سبحانه ومع رسوله ﷺ، وفي الصدق اعتزاز بالحق الذى هو قوام الوجود ، وترفع عن الضعف ، فقد عرفت المؤمنة النموذج أن خالقها يعلم سرها وجهرها ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ولذا حرصت على أن تكون شخصيتها ناصعة كالثلج ، صافية كالمرآة ، فها هي امرأة ثابت بن قيس* رضي الله عنها وعنه تأتي إلى رسول الله ﷺ فتقول يارسول الله : «إني لا أعتب على ثابت في دين ولا خلق، ولكني لاأطيقه ، قال ﷺ أتردين عليه حديقته ؟ قالت نعـــم»(٢) .

ولكن الأعجب من ذلك أن نجد الجارية الصغيرة من الصحابيات ، وهي تمثل هذه المعاني في حياتها ، كأم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما بنت فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ ، وذلك إنه حين خطبها عمر إلى علي رضي الله عنهم فذكر له صغرها ، فعاوده، فقال له علي رضي الله عنه: أبعث اليك بها فإن رضيت فهي امرأتك ، فأرسل بها إليه ، فكشف عن ساقها، فقالت مه«ولولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينيك))(٣).

إنه تعبير يحمـــل بيـــن ثنايـــاه كـــل معانـي الإيمـان والفضيلـة ولم

---

(١) انظر : البخاري ، الصحيح ، م٤ ، ج٧ ، كتاب اللباس ، باب الثياب الخضر، ص ٥٥ ، ح(٥٨٢٥)

* ثابت بن قيس بن شماس بن زهيد بن مالك بن امرئ القيس بن ملك بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكنى أبا عبد الرحمن، وقيل أبا محمد شهد المشاهد كلها، وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وتوفي رضي الله عنه يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة (الإصابة ١/١٩٥؛ الاستيعاب ١٩٢).

(٢) انظر تخريجه ص من هذا البحث .

(٣) انظر ابن حجر ، الإصابة ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ .

يقتصر الحال عندها على هذا فها هي رضي الله عنها تعبر عما في نفسها بعد وفاة عمر رضي الله عنه ، إذ يدخل أبوها رضي الله عنه فيقول أي بنيه إن الله قد جعل أمرك بيدك فإن أحببت أن تجعليه بيدي ، قالت يا أبت إني امرأة أرغب فيما ترغب فيه النساء ، وأحب أن أصيب من الدنيا ، فقال هذا من عمل هذين (أخويها) ثم قام يقول : والله لاأكلم واحدا منهما أو تفعلين ، فأخذا شأنها وسألاها ، ففعلت فتزوجها عوف بن جعفر، ثم أخوه، ثم أخوه رضي الله عنهم فكانت تقول : إني لأستحي من أسماء بنت عميس مات ولداها عندي فأتخوف على الثالث ، فهلكت عنده رضي الله عنهم(١) .

وفي حادثة الإفك تبرز قيم التقوى عند الصحابيات رضوان الله عليهن ، فيقفن ضد الإشاعات ، وضد ترويج الفاحشة في المجتمع ، فهن ، المؤمنات الصادقات ، المترفعات عن اللغو ، بل رحن رضي الله عنهن يدافعن عن بيت النبوة مخافة سقوط الدعوة الناشئة ، ووقفن ذائدات عن حصن رسول الله ﷺ ما استطعن إلى ذلك سبيلاً ، بما يعلمنه عن الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما .

ولم يقتصر نشاط المرأة المسلمة على النواحي الاجتماعية ، بل تجاوز ذلك إلى أهم وأخطر ميادين الرجال ، فوصلت المرأة الصحابية إلى ميدان الجهاد ، وخاضت المعارك ، وحملت السيف وقاتلت الكفار ، وقتلتهم .

وتتقدمهن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما - فتعايش أحداث الدعوة منذ البدء ، وتكون أول مجندة لخدمة رسول الله ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها ، وتظهر

(١) انظر : ابن حجر، الإصابة، ج٤، ص ٤٩٢ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص ٤٩٠ - ٤٩١ ؛ الدولابي ، أبا بشر محمد بن أحمد بن حماد ، الذرية الطاهرة، الطبعة الأولى: (الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص ١١٧ .

جهود أسماء الدعوية في سبيل الله عز وجل إيماناً ، ويقيناً ، وشجاعة ، وقوة ، وفضيلة ، ولاسيما في أحداث الهجرة .

وتحمل أسماء الزاد ، مساهمة في مسير الدعوة ونجاح الهجرة ، وتحصل رضي الله عنها على أول وسام لأول ضابط استخبارات في الدولة الإسلامية الأولى ، وتنال -رضي الله عنها- أشرف وأسمى وأعظم حزام ! إنه حزام ذات النطاقين حتى قيام الساعة الحزام الذي حمل الزاد إلى رسول الله ﷺ .

ذلك بما شاركت في هجرة رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، في نقل الطعام، وتزويد القائد ﷺ بأخبار القوم، وتهيئة الجو المناسب لنجاح الهجرة النبوية الشريفة . فكانت أسماء بحق المرأة المسلمة النموذج في كل أحوالها وصورها وميادينها - رضي الله عنها- .

وكذلك فقد غزت النساء مع الرسول في المعارك ففي أحد : يقول أنس رضي الله عنه : «ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما تنقزان القرب وقال غيره : تنقلان القرب - على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم»(١) وعن أنس أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خنجراً . فكان معها فرآها أبو طلحة فقال : يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر !، فقال لها رسول الله ﷺ «ما هذا الخنجر ؟» قالت : اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه . فجعل رسول الله ﷺ يضحك . قالت : يارسول الله اقتل من بعدنا من الطلقات انهزموا بك . فقال رسول الله ﷺ يا أم سليم

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزو النساء ، ص ٢٩٢ ح (٢٨٨٠) .

«إن الله قد كفى وأحسن»(١) فلم تكتف رضي الله عنها بالمشاركة في المعركة ، بل أبدت رأيها في تقرير مصير المغلوبين في المعركة ، وفي نتائجها ·

وعلى هذا المنوال والنسق كانت حياة الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ، إنهن نماذج التقوى وإنهن مشاعل الهدى، وإنهن الأمهات اللاتي يقتدى بهن، اللاتي خرجن خالد بن الوليد، وأنس ابن مالك، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وأسامة بن زيد ومعاذاً، ومعوذاً بني عفراء، وعائشة بنت الصديق رضي الله عنهما، وزينب بنت أم سلمة، وزينب* وأم كلثوم أختها، وغيرهم كثير -رضي الله عنهم-، أولئك الذين تحقق عز الإسلام على كواهلهم فاكتسح الأرض مطهراً ، وهدم ملك كسرى وقيصر ليعم العدل والخير في الدنيا ، إن هؤلاء الصحابيات كن النور الذي أضاء أرجاء المعمورة.

ولكن ·· هل يمكن للمجتمع المسلم أن يكون على مستوى واحد من هذا على أرض الواقع ؟ إن مفهوم لاإله إلا الله الذي شكل هؤلاء فأخذن المستوى الأعلى منه يمكن أن يقسم إلى ثلاثة مستويات لأن الإيمان كما دلت النصوص الثابتة يزيد وينقص تبعاً لذلك، ولقد حدد الرسول ﷺ ذلك في محاورته ﷺ مع جبريل عليه السلام، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر لسفر ولا يعرفـــه

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة النساء مع الرجال ، ص ١٤٤٢ ، ح (١٨٠٩) ·

* زينب بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية سبطة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمها فاطمة الزهراء تزوجت ابن عمها عبدالله بن جعفر فولدت له أولاداً وكانت مع أخيها لما قتل فحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد بن معاوية · وكلامها ليزيد مشهور يدل على عقل وقوة جنان (الإصابة ٤/٣٢١) ·

منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد! أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا» قال: صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال: فأخبرني عن الإيمان قال «أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدرخيره وشره» قال: صدقت ، قال: فأخبرنى عن الإحسان ، قال «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك · قال: فأخبرني عن الساعة قال «ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال «أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» ، قال ثم انطلق ، فلبثت مليا ثم قال لي «ياعمر أتدري ! من السائل؟» قلت الله ورسوله أعلم· قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(١). فالحديث النبوي قد قسم القيم التي يتوزع خلالها أفراد الأمة المسلمة، وهذا مصداق قول الله تعالى ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمٰن في قلوبكم﴾(سورة الحجرات - آية ١٤) ·

فهناك استسلام ظاهري للإسلام ، وليس هو الإيمان ، وهناك إيمان مع استسلام وانقياد ، وهذا في الوسط أما النموذج القائد الفذ فهو مستوى الإحسان وأصحابه هم المحسنون الذين يريدون إعمار الكون ونشر الخير في أرجائه حتى يعم الإنسانية جميعها·

والنساء المسلمات في مجتمعنا لابد أن يكون منهن طليعة تعايش واقع الصحابيات رضي الله عنهن النموذج الفذ منهن رضي الله عنهن لإيجاد القادة الذين يتسلمون أمور الأمة بأسرها، جاء في

---

(١) مسلم،الصحيح ،ج١، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ص٣٦، ح(٨)

كتاب «فلسفة التربية الإسلامية» تصنيف لهذه النماذج في مجتمع النبوة كما يلي : «ويقدم مجتمع الإسلام الذي بدأ بالنبوة واستمر خلال العهد الراشدي النموذج الواقعي ، الذي جسد مستويات قيم التقوى الثلاثة فقد احتل طليعة المهاجرين والأنصار المستوى الأعلى وأحسنوا اتقاء الانحراف عن هذه القيم في جميع ميادين النشاط وأحسنوا كذلك لمن عاصرهم من أجيال البشرية حيث أوصلوا الى هذه الأجيال رسالة الإسلام مضحين في سبيل ذلك بأموالهم وأنفسهم» (١) ٠

وهذا ما ربت عليه الأم المسلمة الأولى أولادها فكان الجيل الفريد الفذ الذى ولدته وأرضعته أمهات بلغن درجة الإحسان في الدين ففدين الدعوة بأنفسهن ، وأبنائهن وأزواجهن وأموالهن وكل مايملكن ٠

يقول الأستاذ محمد قطب في كيفية ظهور هذا الجيل «ولكن الذى تم من أول لحظة هو ذلك الحب العميق لله ورسوله والالتقاء على حب الله ورسوله ، والاستعداد العميق للتلقي من الله ورسوله ونبذ التلقي من أي مصدر آخر في الوجود٠٠»(٢) إنه الأصالة في مصدر التلقي وتجنب ما سواه ، إنها القاعدة والمنهج السليم والصحيح في الحياة بالاستقامة على الأخذ من الوحي : الكتاب والسنة ٠

ثم يقول فضيلته : «وتلك كانت القاعدة الضرورية التي تنشأ عليها التربية الإسلامية فتؤتي ثمارها المرجوة ٠٠ ومنذ اللحظة الأولى تكونت هذه القاعدة في نفوس المؤمنين فأهلتهم أن يتلقوا من أعظم مرب في التاريخ ، وأهلتهم أن يستوعبوا هذه التربية بكاملها، خطوة بعد خطوة ، وتوجيهاً بعد توجيه ، حتى استقامت نفوسهم على أفقها الأعلى ، وكانت منهم تلك النماذج من البطولة

(١) د٠ ماجد عرسان الكيلاني ، ص ٣١٢ ، بتصرف ٠
(٢) منهج التربية الإسلامية ، ج٢ ، ص٥٠

في كل جانب من جوانب الحياة وهذا الحشد من الأبطال ، الذي لم يحتشد بهذه الوفرة في تاريخ أمة على مدى التاريخ»(١) .

والمسلمون اليوم إن أرادوا عزة الإسلام ، فلابد لهم من العودة في معاملة النساء وتربيتهن إلى المعين الأول للنهل منه ماء فراتاً عذباً لا تشوبه شائبة لاغربية ولا شرقية .

وإذا ربينا المرأة الداعية المحسنة ، فستخرج للأمة أفراداً محسنين يصلحون للقيادة ، أما إن بقي المسلمون في أسفل سلم قيم التقوى فستبقى نتيجته الحال التي نرزح فيها الآن من الذل والهوان، فليس الدين شعائر ونسكاً تؤدى . بل لابد من أن يتوافر في مجموع الأمة مؤمنون يؤثرون الآخرين على أنفسهم ، ثم إذا وجد المسلمون فلا ضير في ذلك، على أن يحكم المجتمع القادة المحسنون الذين تربوا في الدرجات العليا على الإحسان في حجور أمهات محسنات أعددن لهذه المهمة وهذا ما سطره العهد الإسلامي الأول. فقد : «احتل عامة المهاجرين والأنصار مستوى قيم الإيمان .. فأمنهم الناس أجمعون على دمائهم وأموالهم وأعراضهم في شؤون الحرب والسلم سواء ، أما العناصر البشرية التي استسلمت للأعراف الإسلامية بعد فتح مكة ، وانتصار أمة الرسالة ، فقد سلم المسلمون من ألسنتهم وأيديهم مادامت القيادة في أيدي ممثلي قيم الإحسان والإيمان وحينما اختفت هذه القيادة لم يحسن ممثلو قيم الإسلام اتقاء آثار العصبية القبلية في ميادين الإدارة والثقافة والاجتماع ، فلما حانت الفرصة على إثرخلافة عثمان رضي الله عنه لم يسلم المسلمون من ألسنتهم وأيديهم»(٢).

قال الله عز وجل ﴿لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقتلوا وكلاً وعد الله الحسنى﴾(سورة الحديد-آية ١٠) .

---

(١) محمد قطب ، المرجع السابق .

(١) د. ماجد الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ص ٣١٢ .

والنتيجة ·· إن المرأة في شخصيتها تحدد سمات المجتمع الذي توجد فيه ، فهي الأم والمربية ، وعلى كاهلها تقع مسؤوليات جسام ، في إعداد الجيل وتخريج الأمة المسلمة ، وعلى النساء المسلمات الداعيات مسؤوليات مضاعفة، لأنهن مطالبات بإيجاد القادة من الرجال الذين يحكمون العالم كله بما أنزل الله عز وجل·

وإذا لم توجد الأمة المسلمة المؤمنة، بقادتها المحسنين المصلحين، فسوف تفسد الأرض ويهلك ما فيها من حرث ونسل ، ثم تكون العاقبة خزياً في الدنيا وعذاباً مقيماً أشد في الآخرة ·

٢- صورة المرأة في القيم القبلية :

لقد عاشت المرأة ولم تزل ترزح تحت نير القيم القبلية العصبية، التي اعتبرتها مخلوقة لمتعة الرجل وخدمته، وتأمين حاجاته، ولم تنل المرأة حقها وإنسانيتها إلا في ظل حاكمية الله سبحانه، وما عدا ذلك، فقد عاشت مخلوقة محتقرة ضعيفة، مهيضة الجناح في جميع المجتمعات، وعلى مر العصور، وتتالي الأزمان ، حتى الوقت الحاضر ·

فهي عند الأمم القديمة لم يعترف بإنسانيتها ، بل هي كسقط المتاع مسلوبة الحرية والإرادة ·

فعند اليونان ، كانت تباع وتشترى كأي شيء وأي متاع ، فلم تتعلم ولم تتثقف ولم تسهم في أي مجال من مجالات الحياة العامة ، لكنها كانت إلى حد ما محصنة ، عفيفة ، وكان الحجاب شائعاً في البيوتات العالية ، وإن كانت فيما بعد قد انحدرت وسقطت ، واختلطت بالرجال ، مما أدى إلى زوال قوة اليونان(١) ·

وعند الرومان ·· كانت المرأة ، ناقصة الأهلية للحياة

---

(١) انظر : غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، بيروت ، ص ٤٩٠ ؛ د· مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ص١٣ ، نقلاً عن د· محمود سلام زناتي ، المرأة عند اليونان ·

الإنسانية الكريمة ، فكانت تباع وتشترى كما يشاء رب الأسرة ، بل كانت تحبس في أعماق البيوت ، حتى وصل بهم الأمر إلى أن نادى مفكروهم بأنه يجب أن يحبس اسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها(١) ٠

وفي الهند ، كانت أسوأ حالاً من المرأة في الأمم الأخرى ، لقد نص تشريع (مانو)في الهند على أن المرأة طوال حياتها ينبغي أن تكون تحت إشراف الرجل ، فأبوها أولاً وزوجها ثانياً ، وابنها ثالثاً(٢) ٠

فالمرأة في الهند مصدر العار والشقاء لأنها سبب الوجود الدنيوي في نظرهم(٣).

ويسأل بوذا أحد تلاميذه ، عما ينبغي أن يفعله إزاء النساء، فيجيبه كن على حذر تام منهن ، تردد كثيراً قبل أن يسمح لهن بالانضمام إلى الطائفة الدينية»(٤)٠

إنها يجب أن تبقى بعيدة عن التعاليم الدينية لأنه ليس لها الأهلية لذلك ٠

وفي بلاد ما بين النهرين ، كانت المرأة في أسوأ حال ، فقد كان من حق الرجل أن يفعل بالمرأة مايشاء ، ولاسيما الزوج فمن حقه في بعض الظروف أن يقتل زوجته أويبيعها أمة وفاء لما عليه من الديون وكان الحكم الأخلاقي على الرجل يختلف عن الحكم الأخلاقي على المرأة ، فزنى رجل يعد نزوة يمكن الصفح عنها ، أما

---

(١) انظر: ول ديورانت ، قصة الحضارة ، م١ ، ج٢ ، ص ١١٤ - ١٧)
(٢) ول ديورلات ، قصة الحضارة ، ج٣ ، ص ١٧٨ ٠
(٤) المرجع السابق ، ص ١٨٧ ٠
(٥) المرجع السابق ، ص ٧٧ ٠

زنى الزوجة فإن عقابه الإعدام ، وكان للأب أن يتبرأ من أبنائه متى يشاء(١) .

وعند اليهود اعتبرت المرأة لعنة ، لأنها في اعتقادهم سبب غواية آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض ، وكانت تباع أحياناً من قبل الأب ، وللأب الحق المطلق في أن يزوجها بمن يشاء(٢) .

وعند المسيحيين كانت أسوأ حالاً وأقل حظاً ، فهي الشر المحض الذى لابد منه ، وهي سبب كل بلية وكل شر ، وهي الشيطان بعينه ، وهي مخلوقة من أجل الرجل(٣) .

جاء في الإصحاح الثاني في إحدى رسائل بولس : (لست آذن للمرأة أن تتعلم ، ولاتتنسك على الرجل ، بل تكون في سكون ، لأن آدم جبل أولاً ثم حواء ، وآدم لم يغو ولكن المرأة أغويت ، فحصلت في التعدي ، ولكنها ستخلص بولادة الأولاد)(٤) .

فهي سبب الخطايا ، ولذا عليها أن تكفر عن ذلك بولادة الأولاد !

وعند الفرس ... كانت النظرة إلى المرأة ، على أنها لافائدة منها ، لأنها تنشأ لغير أهلها ، أي لزوجها والذكور في نظرهم ذوو فائدة اقتصادية كبيرة للأسرة، أما الفتاة ، فهي تربى لغير بيت أهلها ، والمستفيد منها غير أهلها لذا فقد كان من أقوال الفرس : إن الرجال لايدعون الله أن يرزقهم بنات ، وهن لسن من النعم التي أنعم بها على بني الإنسان(٥) .

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة م١ ، ج٢ ، ص٣٢-٣٣ .
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .
(٣) انظر الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، الإصحاح الحادي عشر ، ص ٢٨٠ وما بعدها .
(٤) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، ص ٣٣٩ .
(٥) انظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، م١ ، ج٢ ، ص ٤٤٢ .

أما عند العرب .. فقد جمعت المرأة عندهم ، كل صور الشر والبؤس والعار، ولذا بلغ بهم الأمر أن وأدوا البنات وهن أحياء في التراب ، فندد القرآن الكريم بفعلتهم الشنيعة هذه ﴿وإذا المؤدة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ (سورة التكوير-آية ٩) .

﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألاساء ما يحكمون﴾ (سورة النحل - آية ٥٨ - ٥٩) .

وذلك مخافة العار والسبي والفقر ، فالرجل عليه عبء نفقتها وصيانتها والمدافعة عنها ، لذا فالوأد خير وسيلة للخلاص من هذا الهم .

والمرأة في نظر الجاهلي ، غنيمة مطلوبة ، سواء في قومها ، أو في السبي ، فليس منها إلا الخدمة والاستمتاع ، أو العار .

وهي لاشأن لها ولاحق ولا حرية ولا رأي ، وكانت تورث ولاترث ، شأنها كأي متاع أو حاجة قال الله عز وجل ﴿يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ماءاتيتموهن إلا أن يأتين بفحشة مبينة﴾ (سورة النساء- آية ١٩) .

إن القرآن الكريم حرم ماكان عليه حال العرب من إرث المرأة كالمتاع حين وفاة زوجها وذلك من قبل أبنائه وذويه وأقربائه ، وكان للزوج أن يطلقها ويردها متى يشاء وكيفما شاء ، وله أن يعضلها عن الزواج طيلة عمرها .

وليس لها أن تتعلم ، بل هي مخلوقة أقل من الرجل بكثير، ولوليها أن يمنعها من الزواج ، وأن يعضلها كما يشاء وهو إن شاء زوجها بمن يريد دون علم منها ودون إذن ، إلى غير ذلك من العادات التي كانت تكبل المرأة وتقيدها فتجعلها أشبه بالجمادات

والآلات أو الدمى .

وهكذا كانت المرأة في المجتمعات القبلية وفي العصبيات والشرائع الوضعية والمحرفة، وما أشبه حالها اليوم بحالها في المجتمع القبلي ، وكان لهذا الوضع أثره الذي لاينكر في المجتمع، حيث انعكس ذلك على المجتمع العام فيه لأن -المرأة شاء الرجل أم أبى- هي الأم وهي المربية ، وهي كما تكون يكون الرجل ، فإن ضعفت ، ضعف، وإن عفت عف، وإن سقطت سقط، وإن فضلت وقويت، صار هو فاضلاً قوياً.

٢- صورة المرأة في القيم الغربية المعاصرة

كانت المرأة في المجتمع الغربي إلى عهد ليس ببعيد ، تعيش داخل بيتها ، بين أسرتها ، محتشمة ، محجبة حين تخرج من بيتها ، وكان يعولها الرجل على الغالب .

وإن كانت في ذلك الوقت مهانة ضعيفة ، مظلومة ، لم تنل شيئاً من حقها في الحياة ، إلا أنها كانت عفيفة مصونة إلى حد ما .

إلى أن حل العصر الحديث ، وحدثت الكارثة في حياة المرأة الغربية ، لينتشر وباؤها ويصل إلى جميع النساء إلا من رحمه الله سبحانه وتعالى منهن ، فتنبهن لمقاومة هذا الداء .

والكارثة ممثلة في المساواة التي طالبت بها المرأة الغربية ، ومن ثم حصلت وهماً عليها ، مقابل الخسارة الكبيرة التي تسعى الآن لاستردادها ، ولكن بلا جدوى.

لقد طالبت أن تكون نداً للرجل في كل شيء من أمور الحياة، وأن تعيش حياتها، مثله وعلى نمط عيشته، تخلع الحجاب، وتخلع معه الحياء، تخرج من البيت تفعل ما تشاء، تتزوج كيف تشاء، تعمل وتكسب المال كما تريد وبأي كيفية.

إنها تريد أن تعيش الحياة بلا قيم ، بلا ضوابط ، بلاهدى ، وحققت ذلك ، وخسرت بالمقابل كل شيء ، خسرت معنى الحياة ، ومعنى أن تعيش في الحياة ، لأنها تنكرت لدورها في المجتمع ، وخالفت السنن الكونية الربانية في الخلق، وكل مخالفة لفطرة الله سبحانه التي فطر الناس عليها ، لابد أن يدفع المخالف جزاءها مرتين ، مرة من ذاته ، ومرة من مجتمعه ، بفقدان السعادة والطمأنينة والهدوء النفسي ، والاستقرار ، وذلك كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيٰمة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمىٰ وقد كنت بصيراً ، قال كذٰلك أتتك ءايٰتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (سورة طه - آية ١٢٣ - ١٢٦) .

إن المساواة بين الرجل والمرأة ، هي أساس المجتمع الغربي -في ظاهره فقط- وامتدت هذه المساواة لتتجاوز الحقوق البشرية والإنسانية ، لتصل إلى وظيفة المرأة وعملها ودورها في الحياة .

مما أدى إلى انحراف المرأة عن واجبها الفطري ، وانغماسها في الأعمال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية حتى بلغ بها الأمر أن تعمل أي عمل كان وكيفما كان؛ في دوائر الحكومة ، في الشركات ، في المخازن الكبرى ، بائعة أو محاسبة ، في بيع الجرائد ، في تنظيف الشوارع ، في حراسة الأبنية ليلاً ، في حمل الأثقال ، في صناعة الصلب والحديد ، في حمل الصناديق الثقيلة ، في المعامل ، في كل مايشتغل فيه الرجل ويقوم به من أعمال(١)

واستغنت المرأة عن الرجل ، لأنها استقلت اقتصادياً ، وقد تبدل الحال ، فبعد أن كان الرجل هو الذي يكسب ويعيل المرأة في حين كانت هي مسؤولة عن تدبير شؤون البيت ، تبدل الحال ، بأن يكسب الرجل والمرأة كلاهما والبيت تفوض شـــؤونه إلى الفنـــادق

(١) انظر : د. مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، الطبعة السادسة ، (دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤) ص ١٧٤ .

والشركات ، ولم يعد ثمة ما يرغم الزوجين على الحياة الزوجية ، وصار لكل منها شأنه الخاص ، ليمارس حياته وشهواته ومتعه ، كما يحلو له(١) .

يقول الأستاذ محمد قطب في ذلك :

«والمرأة قد استقلت اقتصادياً بحكم سلسلة من الظروف الاقتصادية المتوالية .. فلم يعد الرجل هو الذي يعولها ، ومن ثم لم يعد الرجل هو المسيطر أو على الأقل لم تعد سيطرته مطلقة ، فلم يعد في وسعه تدريجياً أن يفرض العفه على المرأة أي يفرض عليها أن تكون له وحده ، فصار من حقها تدريجياً ألا تكون عفيفة ، لأنها تستطيع حين يرفضها الرجل إذا رفضها ! لعدم عفتها ، أن تعول نفسها بنفسها .. ولأنها استقلت اقتصادياً اضطر الرجل أن يحترمها وينزل لها عن سلطانه ، ويعطيها حق الإباحية الجنسية..ثم انتهى الأمر أن يحبذ هو تلك الإباحية بحكم «التطور»(٢) .

وخرجت المرأة لتختلط بالرجال ، ولتظهر بأبهى زينة ، وأجذبها للجنس الآخر وتجاوز ذلك التبرج الحدود كلها واحداً بعد واحد ، ليصل إلى العري المشين(٣) والسقوط في الهاوية .

بل ليصل بهم الأمر ، كما يعتقد الأمريكيون إلى أن بقاء البنت عذراء قد يسبب لها الإصابة بمرض السرطان فيتخلصون من ذلك بسرعة(٤) .

وهكذا تحررت المرأة الغربية من كل معنى للفضيلة أو العفة أو الحياء ، وغدت سلعة معروضة في الشوارع والطرقات والمصانع

---

(١) انظر : المودودي ، الحجاب ، ص ٣٢ - ٣٣ .
(٢) التطور والثبات في حياة البشرية ، ص ٧٨ .
(٣) انظر : المودودي ، الحجاب ، ص ٣٥ .
(٤) د. سفر الحوالي .. ، العلمانية ، رسالة ماجستير ، (مكة المكرمة : جامعة أم القرى، ص ٣٦٥ ، نقلاً عن مجلة الدعوة المصرية ، العدد ٢٦ .

والمكاتب بلاثمن ، بل قد تدفع هي الثمن ....

ولم يعد الرجل بحاجة لأن يتزوج أو ينشىء أسرة ، ويتحمل تكاليفها ومسؤوليتها ، فالدافع الجنسي الذي يقهره على تحمل ذلك يمكن إشباعه بأسهل الطرق وأيسرها ، فلم كل هذا العناء !؟

وضاعت المرأة ، وأضاعت الرجل ، وفسدت الأرض وهلك الحرث والنسل .

وبذلك تحطمت في المجتمع الغربي كل القيم الدينية والخلقية والعصبية ، نتيجة خروج المرأة من بيتها بحكم التطور المادي الصناعي الذي أصاب المجتمع ، والذي دبر له اليهود وخططوا له ليل نهار حتى استطاعوا بمكرهم وخبثهم ، وغباء الأمميين(غير اليهود) وانصرافهم لمتعهم ، أن يصلوا إلى ما يريدون عن طريق المرأة بنشر الفساد والانحلال الخلقي والاجتماعي، وذلك بتوهين عرى الأسرة، ومن ثم سد الحاجة إلى الزواج بالبغاء، وعرض المرأة عارية أو شبهه في كل مكان ، واستعباد الناس بالحاجة إلى المال لتأمين سبل الحياة .

وعن ذلك يتحدث الأستاذ محمد قطب في كتابه «مذاهب فكرية معاصرة» مشيراً فضيلته، إلى تأدية اليهود لدورهم ونجاحهم في توهين عرى الدين والأخلاق والتقاليد ، واعتبار الأخذ بها من السخف للإنسان المتحضر أن يتمسك به في عصر العلم ، لأنها قيود تعوق الانطلاق ، وصناعة بشرية بحتة من حق البشرية أن تراجعها وتعدلها أو تلغيها أو تعمل بعكسها(١) .

لقد نادى علماء اليهود بذلك في بروتوكولاتهم ، وقراراتهم التي اتخذوها في دراستهم لواقع الأمميين ، ولو لم يجد هـــؤلاء

---

(١) انظر: الطبعة السادسة ، (القاهرة ، بيروت : دار الشروق ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ص ١١٩

المنادون بذلك من المنظرين لليهود في مخططاتهم أرضية صلبة في الواقع لما استطاعوا أن ينجزوا قراراً واحداً مما وضعوا ·

لكنهم وجدوا واقعاً مناسباً وعصابات من أصحاب رؤوس الأموال وغيرهم ممن ساندهم في تحقيق ذلك ···

جاء في كتاب «مذاهب فكرية معاصرة» مايلي :

«لئن كان العلماء قد قاموا بهذا الدور فقد كانت عصابات أخرى تقوم في ذات الوقت بعملية لاتقل خطورة - بل قد تكون أشد خطورة هي إقامة مجتمع في عالم الواقع ، منسلخ من الدين والأخلاق والتقاليد ، قائم على غير أساس منها ، وهكذا تجتمع النظريات ، والواقع على أهداف محددة يساند بعضها بعضاً ويساعد بعضها بعضاً فالنظريات تمهد للواقع وتسنده والواقع يشهد للنظريات ويوكدها ، ! وبين ذراعي الكماشة يقع «الأمميون» في أوربا أولاً ، وفي الأرض كلها بعد ذلك ، تعصرهم عصراً ، وتمسخهم مسخاً» !(١)·

فماذا فعل اليهود لإفساد المرأة ؟ وهذا ملخص لذلك من كتابات الأستاذ محمد قطب :

لقد وضع اليهود نظرياتهم ومخططاتهم لإخراج المرأة من بيتها، وزجها في أي مكان للحصول على المال ، لتحقيق لقمة العيش، وسد العوز ، الذي خلقه المجتمع الجديد ، المجتمع الصناعي، الذي أدى إلى هجرة الفلاحين إلى المدينة ، ومن ثم اضطرار المرأة إلى البحث عن العمل حتى لاتموت جوعاً ، لأن العائل لم يعد باستطاعته سد عوز الأسرة، وغالباً لم يعد بإمكانه إعالة هذه الأسرة، نتيجة استغلال رب العمل له ·

---

(١) المرجع السابق ·

ورويداً رويداً وحين اشتغلت المرأة في كل مكان - تحررت من سيطرة الرجل ، وطالبت بالمساواة معه في كل شيء ٠

وعند ذلك رفع الرجل في وجه المرأة شعارات الدين والأخلاق والتقاليد ؟ الذي لايؤمن به حقيقة ، لكنه مجرد سلاح شهره في طريقها حتى لاتنافسه في ميادين الحياة ٠

وعند ذلك ماذا فعل اليهود !

لقد أشاروا على المرأة أن تتحرر من قيود الدين والأخلاق والتقاليد لتصل إلى حقوقها ، فينبغي عليها أن تنسلخ من هذه القيود لتنال حقوقها ، وترتاح من سيطرة الرجل واحتقار المجتمع لها، وإذا تحررت المرأة من هذه الاعتقادات الخاطئة ربت أولادها على ذلك التحرر والانحلال وعند ذلك يتحقق الفساد في المجتمع الذي أراده اليهود ودبروه ثم وصلوا إليه ، لأنهم علموا يقيناً أن الفساد لايؤتي ثماره إلا بإفساد المرأة لأنها الأم ومربية الأجيال ، ومهما أفسدوا الرجل ، فلن يستطيعوا أن يصلوا إلى غاياتهم المنشودة إلا بإفساد المرأة لأنها المربية للرجل والبنت سواء ٠(١)

لقد أحرج اليهود صدر المرأة «ضد الدين والأخلاق والتقاليد لتنسلخ هي منها أولاً ثم لاتربي أبناءها عليها فيما بعد ، لأن ذلك هو الضمان الوحيد لإفساد المجتمع فساداً لارجعة فيه !

لقد جرب المخططون من قبل محاولة إفساد المجتمع عن طريق إفساد الرجل وحده فلم تنجح التجربة بالصورة المطلوبة ٠٠ إن الشاب مهما فسد في فترة شبابه فإنه يعود الى مالقنته له أمه في طفولته من مبادئ الدين والأخلاق والتقاليد ، حتى إذا أخذ يؤسس أسرة أسسها على تلك القيم ، التي تلقاها من قبل ولم تفلح الفترة التي تفلت فيها في شبابه في تحويله إلى المسار الجديد ، وعندئـــذ

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ١٤٧-١٤٨ ٠

أدركوا أنه لابد من إفساد الأم ذاتها لكي لاتلقن أطفالها تلك (المبادئ) التي تعرقل خطوات الشياطين ·· وساروا بها تلك المسيرة الطويلة في طريق الفساد»(١)

ولقد وقف في طريق ذلك بعض العقبات فما العمل لإزالة هذه العوائق ؟!

«ولكن الحواجز أو بقايا الحواجز ماتزال تمنعها أو تبطئ خطواتها على الطريق فلتكن المعركة إذن حامية بين المرأة وبين الدين والأخلاق والتقاليد ، لكي تحطمها بنفسها ، ولكي تكون في مناعة كاملة منها حين تصبح أماً ذات أطفال فلا تبذر في نفوسهم تلك البذور السامة التي يكرهها شعب الله المختار ، أشد مايكره من شيء على الإطلاق» !(٢) ·

فخرجت المرأة للعمل ، وخرجت لتتعلم ، وخرجت لتختلط بالرجال ولتصبح نداً للرجل في كل شيء ، ونالت حريتها في كل شيء ·

ولكن بعد كفاح طويل ، مع الرجل ومع المجتمع ، وضد القيم كلها الدين والأخلاق والتقاليد ، والتي وقف الرجل فيها بوجه المرأة يحاربها بهذه القيم ، وهنا اشتد موقف المرأة عداء ضد كل هذه القيم بما فيها الدين ، وجند الشياطين من اليهود وغيرهم المرأة لمحاربة الدين ، ونجحت في ذلك ، وتحقق للشياطين مايريدون من إبعاد المرأة (الأم) عن الدين وضمنوا تنشئة الأجيال بعيداً عن حماه(٣) ·

ولقد أغرى حزب الشيطان المرأة بالمطالبة بحقها الطبيعي - كما زعموا في الحياة ، وذلك بالخوض في جميع مجالاتها ، فهي

---

(١) ، (٢) ، (٣) المرجع السابق ·بتصرف.

قد تعلمت وعليها أن تعمل خارج بيتها ، فما نفع العلم الذي تعلمته إذا علقته في جدران المطبخ ٠

«وأغريت المرأة بكل وسائل الإغراء لكي تهجر بيتها وتخرج إلى المجتمع !

قيل لها إن حبسها على وظيفة الزوجية والأمومة ورعاية النشء هو امتهان لها وإهدار لكرامتها وتعطيل لطاقتها ، وهو في الوقت نفسه تعطيل للمجتمع عن التقدم ، فما يستطيع المجتمع أن يتقدم ، ونصفه حبيس وراء الجدران ، وقيل لها إن الرجل هو الذي حبسها على هذه الوظائف أنانية منه ، لتقوم على خدمته ، ولينفرد هو بأمور المجتمع ! وإنها منذ اللحظة ينبغي أن تثور على هذا الوضع المهين ، وتوقف الرجل عند حده ، وتفرض عليه احترامها ، وتفرض عليه المشاركة في أمور المجتمع ٠٠ وإن الوسيلة لهذا كله هو أن تعمل ، وإنها حين تعمل تصبح مثله تماماً في كل شيء ، فيتنازل عن أنانيته ، وغطرسته ويحترمها»!(١) ٠

وبذلك استقلت المرأة اقتصادياً وتمردت على قوامة الرجل ، كما تمردت على الدين والأخلاق والتقاليد ، وانفلتت - كما أريد لها - بلا ضوابط ولا قيود(٢) ،

وهب اليهود مسرعين إلى انتهاز الفرصة ٠٠ فنشطت بيوت الأزياء، وبيوت الزينة ،

ومن ثم خرجت المرأة فتنة هائجة في الطريق ، بما أظهرت من زينتها ، وكشفت من فتنتها وصادقت الرجال والشباب ، وتحطمت الأسرة ، وانتفى الزواج ٠

---

(١) المرجع السابق بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ١٥١ - ١٥٢، بتصرف .

لقد حلت الصداقة محل الزواج ، وعندئذ فليتم فيها كل ما يتم في الزواج ولكن دون رباط مقدس ولا أسرة ولا أولاد(١) ٠

لقد حسب الرجل الحسبة فوجدها رابحة ، وأربح ما فيها سهولة الحصول على المرأة في المكتب والمصنع والنادي والشارع وفي كل مكان ٠٠ ولذا فقد تنازل عن حقوقه ، وخفت صوت المعارضة عنده ضد منافسة المرأة له في مجال عمله ، وراح يتحمس لمشاركة المرأة له في جميع الأعمال ، وأقحمت المرأة عند ذلك نفسها في كل ميدان كان الرجل يستأثر به من قبل ، حتى ميدان الفساد الخلقي فقد تبلد حس الرجل ، وفقد عرضه ، ولم يعد يهتم بالأمر(٢) ٠

«بل إنه في سبيل لذاته الحيوانية الهابطة قد رحب كثيراً بهذا التطور الذى يسر له تحقيق رغباته ، دون تحمل أي مسؤولية على الإطلاق ٠٠ لامسؤولية مخالفة قواعد الأخلاق ومجافاة التقاليد ٠٠ فقد ذهبت الأخلاق والتقاليد ، ولا مسؤولية تحمل أعباء أسرة في مقابل الإشباع الجنسي ، فالإشباع قد أصبح بهذا التطور متاحاً بغير مقابل ، ولا المسؤولية ، «الجنائية» «فالصداقة» تمنع الجزاء!

وأما هي فما الذي يمنعها ؟ الحياء ؟! وماذا كان يفعل الشياطين طوال كل هذه السنوات إلا قتل هذا «العدو» الفطري وإنشاء فتاة (جديدة) (متطورة) قليلة الحياء ؟! ٠

من أجل ذلك «طفح» الجنس ٠٠ في الشارع والغابة والنادي والملعب والمرقص والقصة والمسرح (والسينما فيما بعد) وفي المجلة والصحيفة اليومية فضلاً عن المجلة المخصصة للصور العارية والإثارة الجنسية ، ووصل إلى درجة التهتك والحيوانية التي يتعفف عنها

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ١٥١ - ١٥٢ ٠

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ١٥٩-١٦٠ ٠

بعض أنواع الحيوان»(١) ٠

وهكذا تحطمت كل القيم في المجتمع الغربي ، وراحت المرأة تغدو وتروح وتعيش كما يحلو لها وفق شهواتها وشيطانها وغطرستها.

وتعالت على الرجل ، فقد غدت نداً له في كل شيء ، فلمَ يكون قيماً عليها ولمَ يكون صاحب الطاعة وولي الأمر ؟؟

إنها قبلت الرجل زميلاً وصديقاً ٠٠٠٠ لكنها رفضته قيماً في البيت ، وفي شؤون الحياة ، وفي المجتمع(٢) ٠

فغاب سلطان الرجل عن البيت وعن الأسرة ، فإما أن تسيطر المرأة وتكون صاحبة القرار الأول والأخير وإما منافسة دائمة بينها وبين الزوج كل منهما يريد أن يبرهن أنه صاحب الشأن في الأسرة وفي البيت ومن ثم كان لامناص من فساد البيت والأسرة وفساد والأطفال نتيجة هذا التنازع على القوامة(٣) ٠

وهكذا انحلت كل الروابط في المجتمع نتيجة فقدان المرأة ، لطبيعتها الفطرية ، وانحرافها عن الخط السوي في الحياة ، فقوضت أركان الأسرة ، ودمر النشء ودمرت المرأة ، وتسكع الرجل هنا وهناك ، ثم انتهوا جميعاً إلى شتى ضروب الانحراف والهلاك ٠

وزاد الأمر سوءاً ، حين رفض الأب أن يعول ابنته التي بلغت سبعة عشر عاماً ، وعليها أن تعول نفسها ٠٠ بحكم القانون ٠٠ ، وأن تفتش عن عمل تعيش منه وتدخر ما تقدمه بائنة (دوطة) لزوجها المرتقب ، فإذا تزوجت وجب عليها أن تسهم مع

---

(١) انظر المرجع السابق ، ص ١٦٠- ١٦١ ٠
(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٠ بتصرف.
(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٣ بتصرف.

زوجها في نفقات البيت والأولاد ، فإذا شاخت ، وكبرت سنها ، وهي لاتزال قادرة على الكسب ، وجب عليها أيضاً أن تعمل لتأمين قوتها ، ولو كان لها العدد من الأبناء الأغنياء ، وتظهر آثار هذا الواقع عياناً للمسافر إلى الغرب ، وكذلك في كتابات مفكريهم ، وأخيراً في صرخات المرأة واستغاثتها(١) تحلم بالعودة إلى العهد القديم ·

وقد امتد أثر سقوط المرأة الغربية على العالم كله ، فقد استخدمت في جميع المجالات ، من أماكن البغاء ، ونشر الفاحشة ، والفنون الشيطانية ، إلى أعلى المستويات في الجيش والسياسة والحكم ·

وعبر وسائل الإعلام من صحف وإذاعة وتلفاز ، انتشرت الفاحشة والمجون والفساد ممثلاً بصورة المرأة الغربية التي لم تعد تملك أي رادع من خلق أو دين يوقظ فيهاالحياء الذي مات إلى غير رجعة ·

وراحت جميع نساء العالم يقلدنها في سلوكها ، في الحياة الخاصة والعامة ، في العمل في التربية ، في الأسرة في كل شيء وانتقلت العدوى ، وسارت جميع النساء ، يتبعن هذه الغربية لأنها غدت النموذج القوي الجذاب ، ولم يقتصر الأمر على النساء فقط، بل أثرت المرأة الغربية في الرجال ، بنظرتهم للمرأة وتقديرهم لها ·

فلم تعد المرأة الفاضلة الحيية العفيفة القارة في بيتها هي المرغوبة أو المثال الذي يرنو إليه الرجل ، بل تلك المتخلعة المستهترة التي تبدو وكأنها دمية للهو ، فهي المرأة المحظية عنده ، أياً كانت أخلاقها ودينها ·

والأمر الأشد من ذلك أن جعلت المرأة الغربية وسيلة

(١) انظر : د. مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقة والقانون ، ص ١٧١ ·

لتحقيق أطماع الدول الكبرى ، في العالم كله ، لأنه لم يعد للقيم الخلقية والمعايير الإنسانية أي وجود في حياتهم ، لذا فإنه لامانع من أن تعمل المرأة ، ولو بذلت أغلى ما عندها ·· شرفها وعفتها لخدمة الدولة ولاسيما الصهيونية·

يقول الدكتور علي جريشة : «والحقيقة أن الماسونية تعرف قيمة المرأة ، لاكزوجة وأم وأخت وربة بيت لأن هذا لم يخطر لها عل بال ، وإنما لتحقيق الكثير من أهدافها الهدامة فهي عند الماسونية سلاح قوي يقنع الرجال ، ويلوي أعناقهم ، ويلغي عقولهم»(١) ·

ففي خلال الحرب العالمية الثانية انضمت للقوات البريطانية خمسة آلاف امرأة يهودية كان لهن دور فعال في اغتصاب اليهود لفلسطين عام ١٩٤٨م ، كن قد هيئن سراً لهذا الغرض(٢) ·

ثم أصحبت الخدمة العسكرية إلزامية للمرأة اليهودية بعد الاحتلال ·

ولاسيما في المخابرات ، حيث أقامت إسرائيل إدارة خاصة للنساء اليهوديات للتجسس في جميع الأوساط في العالم أطلق عليها (أرنبغت) بالعبرية أي الأرانب ، حتى إنها استطاعت أن تزرع ميكرفونات في المركز الرئيسي لهيئة الرقابة الدولية ، فكانت كل المعلومات في متناول المخابرات الإسرائيلية دقيقة بدقيقة ·

وقد استدعى ذلك أن أبيح للمرأة اليهودية أن تفعل كل شيء في سبيل تحقيق أهداف أمتها ، فإن تطلب الأمر فلا مانع من تقديم كل شيئ ، وتغيير اسمها وعقيدتها إذا كان عملها يحتم ذلك

---

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ٢٣٨ ·

(٢) انظر الزبير فضل بضوي ، يانساء الدعاة لستن ككل النساء (مكتبة الخدمات الحديثة)، ص ١٧ ، نقلاً عن دور المرأة الإسرائيلية في علميات الاغتيال، علي الدجاني.

عليها ، تحت فتوى علماء اليهود باسم (العباءة والخنجر) وكم من خنجر غرس في أجساد الأمة الإسلامية ، وكم أرنب يهودي لعب بعقول وقلوب قادة ورؤوس تحسب على الأمة الإسلامية(١) ٠

وهكذا وصلت سموم الأفعى الغربية ، إلى جميع الأسر في العالم ودخلت كل بيت ، ولم يعدم أثرها على وجه ما ٠

لقد غدت تلك المرأة الأفعى سماً يتجرعه الجميع في جميع أنحاء الكرة الأرضية ، فنوناً وأشكالاً ٠

إنها تنتقل عبر العالم في الفيديو والتلفاز والمجلة والصحيفة والشريط والكتاب وأخيراً باسم الإنسانية والسلام مبشرة ومنصرة أو في جيوش هيئة الأمم المتحدة لحماية الإنسان ، ولتفعل هناك فعلتها في الغزو والتدمير والتخريب ٠

وهكذا غدت قدوة سوء للنساء والرجال عامة ، نعوذ بالله عز وجل من شر هذه الأفاعي في الأمة والأجيال ٠

٤- صورة المرأة في المجتمعات العربية والاسلامية المعاصرة ٠

إن المرأة العربية والإسلامية المعاصرة على الغالب ، ليست بأفضل من المرأة في جاهليتها الأولى إن لم تكن أسوأ منها - فقد عرف العربي القديم حرمة النساء ، وأدرك أثرهن فاختار العفيفة المصونة العاقلة حتى ينجب الولد ، واختار المرضع الطيبة السيرة والسمعة ، لعلمه بخطورة دور المرأة الأم في الذرية ٠

أما المرأة المعاصرة فلم يعد ثمة ما تقاس به من تلك الصفات ، وإنما تغيرت في زمانها القيم والمقاييس والمواصفات ، مما ساعد على أن تقع المرأة تحت مؤثرين أفرزا للمجتمع نموذجين سائدين من

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ١٨-٢٠ ٠

النساء ، فهن بين عادات وتقاليد موروثة ، أو بين تقليد واتباع للغرب ٠

والمرأة المعاصرة المستغربة والمتعصبة الجاهلة بدينها، كلاهما على طرفي خط الانحراف عن وسطية الإسلام ، قال الله عز وجل ﴿وكذلك جعلنٰكم أمة وسطاً﴾ (سورة البقرة آية- ١٤٣)٠

أي أمة تعرف مالها وما عليها ، تعرف حقها ، وتعي واجبها ، مؤدية حق الله سبحانه وتعالى ، وحق العباد ، مدركة دورها ومدى مسؤوليتها في الحياة ، وكذلك حال الأفراد في الأمة، والمطلوب من كل مؤمن أن يعيش في وسطية الإسلام باتباع منهج الله سبحانه وتعالى وصراطه المستقيم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم ٠

والمرأة المسلمة اليوم ٠٠ بعيدة كل البعد عن وسطية الإسلام، بعيدة عن منهج الله سبحانه ، فهي هاجرة لكتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ حين تكون سلبية في الحياة وفي المجتمع ، وهي هاجرة لكتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ حين تنطلق في الحياة وفي المجتمع على هواها ، دون رادع من دين أو خلق أو قيم ٠

وسوف تخص المرأة المقلدة للغربية في هذا المبحث بالصدارة والتقديم ، وذلك لأنها غدت النمط السائد كما تحمل إرهاصات الواقع بإعلامه وتربيته ، وإن استمر الأمر على هذا الحال ، فسيغدو المجتمع غربيا في مظاهره كلها ٠

والمرأة هي المؤثر الأول في ذلك كله ، لأنها مربية الأجيال !

ومما يؤسف له أن المرأة المعاصرة غدت مقلدة للغربية في كل أنماط سلوكها ، بل وصيفة لها ، ولمن! لنساء اليهود والنصارى وصدق رسول الله ﷺ وتحققت نبوءته في قوله ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر

ضب لاتبعتموهم قلنا يارسول الله ، اليهود والنصارى؟ قال فمن؟)(١) قال الإمام النووي : «السنن بفتح السين والنون وهو الطريق ، والمراد بالشبر والذراع وحجر الضب التمثيل بشدة الموافقة، والمراد في المعاصي ، والمخالفات لافي الكفر ، وهذه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ ، فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم»(٢) ٠

وهذا هو الحال الآن ، فقد وقفنا في مؤخرة القافلة ننتظر من يسير أمامنا حتى نتبعه، بدل أن يكون الإسلام هو الحاكم والمهيمن في الأرض ، أما في عزة الإسلام ، فما كان اليهود والنصارى ليغلبوا المسلمين في نمط حياتهم كلها ، حتى في أدق الصناعات والأعمال ، يقول المفكر ابن خلدون في فصل من مقدمته بعنوان «المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره ونحلته وسائر أحواله وعوائده» : «ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله ، وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم ، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها ، فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير ، كما هو في الأندلس لهذا العهد ، مع أمم السلاجقة (الإسبان) فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشارتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء فالأمر لله»(٣) ٠

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٤، ج٨ ، كتاب الاعتصام ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لتتبعن من كان٠٠» ، ص١٩١ ، ح(٧٣٢٠) ؛ مسلم الصحيح ، ج٤، كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، ص٢٠٥٤ ، ح(٢٦٦٩)٠

(٢) شرح صحيح مسلم ، ج١ ، ص ٢٢٠ ٠

(٣) مقدمة ابن خلدون ، الفصل الثالث والعشرون ، ص١٤٧ ٠

وهل وضع المسلمين بأفضل من حال مسلمي إسبانيا ، إن التقليد باد بكل صوره ، وخاصة على صعيد النساء ، فكيف كان هذا التقليد للمرأة الغربية وما سببه؟!.

إنه الداء نفسه ، إنها التقاليد الجاهلية التي ارتدت إليها الأمة الأسلامية بعد حقبة من البعثة النبوية في عصور الانحطاط والضعف ، عندما دب الوهن بالقلوب وانتشر الفساد الذي ملأ حياة الأمراء والأثرياء من الأمة المسلمة ، واستغل أعداء الإسلام ذلك وراحوا ينشرون أفكارهم في مصر ، سورية ، العراق ، لبنان ، الهند ، الصومال ، تركيا ، فارس ، صومطرة ، جاوة ، حتى الجزيرة العربية ، وعقدوا لذلك المؤتمرات ومما قالوا في أحدى جمعياتهم في شأن المرأة : إن في الاسلام عيباً فاحشاً وهو حطه من شأن المرأة ثم ذكروا نبذة لتأكيد ما ادعوا وكذبوا من ذلك أن امرأتين فارسيتين سميتا ابنتيهما الأولى غير مطلوبة والثانية كفى بنات(١) - ولايستغرب هذا فهو موجود في واقعنا- وقد وجد المبشرون الفرصة المناسبة والميدان الفسيح لأفكارهم فعقدوا المؤتمرات الخاصة بالنساء المبشرات ، كما جاء في كتاب «الغارة على العالم الإسلامي» في أحد هذه المؤتمرات : (كان لهذا الموضوع اهتمام كبير من أعضاء المؤتمر لأنه خاص بنصف مسلمي العالم فقالت - المس لون - إن لنساء المبشرات أن يستعن في الهند بالمدارس والعيادات وزيارة قرى الفلاحين ، لينشرن النصرانية بين طبقات الناس، وخطبت - المس هلداي - في حث المبشرين على الرفق بالمرأة المسلمة، وتناوبت السيدات المبشرات الخطابة في أخبار نجاحهن في المناطق التي انتدبن للتبشير فيها)(٢) .

---

(١) انظر : ا .ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، لخصها ونقلها الى العربية محب الدين الخطيب ، مساعد اليافي (بيروت : مكتبة أسامة بن زيد) ، ص ٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

وهكذا انتشرت المدارس التبشرية في جميع أرجاء العالم الإسلامي وكذلك الجمعيات والإرساليات باسم الإخاء والتعاون والمحبة ، لمساعدة المسلمين صحياً وثقافياً واقتصادياً ، وركزوا خلال ذلك على دور المرأة حيث رأوها نصف المجتمع كما في العبارة السابقة (بنصف مسلمي العالم) ، مستغلين ضعف العقيدة عند المسلمين وبعدهم عن الله سبحانه وتعالى ، فوصلوا إلى المرأة ومن ثم ربوا الأمهات ، اللاتي خرجن الأجيال الثائرة على الإسلام ، أو الأجيال التي يعني الاسلام عندها السلبية والهروب من الحياة الدنيا .

يقول الأستاذ محمد قطب في ذلك : «فكما كانت تجربة اليهود الأولى في أوربا كذلك كانت تجربة الصليبيين في مصر وغيرها من العالم الإسلامي إنه مهما حاولوا إفساد المجتمع عن طريق إفساد الرجل وحده فإنه في النهاية لايفسد، ولايفسد بالدرجة التي يرغبونها ، ولا بالسرعة التي يرغبونها ، ذلك إنه طالما كانت هناك أم متدينة ولو كانت جاهلة بالقراءة والكتابة والعلوم فإنها تبذر في أبنائها بذور العقيدة وهم بعد أطفال ، فمهما فسدوا في شبابهم فإنهم يعودون الى ما لقنته إياه أمهاتهم في طفولتهم ، فلا يحدث الفساد المطلوب ، وإنه لابد من فساد الأم لضمان إفساد المجتمع ، ولابد من إفسادها وهي فتاة قبل أن تصبح أماً ، حتى إذا أصبحت أماً لم يكن لديها العقيدة التي تبذرها في قلوب أبنائها ، ولا الأخلاق الدينية التي تطبع بها سلوكهم وهم في سن التكوين ..... فلابد إذن من تحريرها وتعليمها لكي يصل إليها كيد الشيطان»(١) .

وكان ذلك لهم حين غفل المسلمون عن تعليم المرأة المسلمة،

---

(١) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، الطبعة الثانية ، (جدة : مؤسسة المدينة للصحافة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ص٢٤٩ .

مستشهدين بأحاديث موضوعة(١) في أن تعليم البنت يفسدها ويعلمها الغزل وغيره ، وهكذا وبعد سنين انطلقت دعوات التحرر تنادي : حرروا المرأة من ظلمها، من حجابها، من بيتها من جهلها، ثم زجوا بها في كل مكان خارج البيت الى جانب الرجل ، وسار العالم الإسلامي على نفس الخطوات التي ذكرت في تحرير المرأة الغربية ومطالبتها بالمساواة مع الرجل ، وبعد سنوات ، وجد المدافعون عن النساء، وانطلقت المظاهرات منهن يطالبن بالحقوق الضائعة ، ثم تشكلت الأحزاب النسائية لتتبنى قضية المرأة في كل بلد من العالم الإسلامي تلك الأحزاب التي تسعى إلى تجريد المرأة من العقيدة والأخلاق ، بمجاراتها لأختها الغربية ٠

يقول الأستاذ محمد قطب : «حين قامت الحركة النسوية في أوربا كان للمرأة قضية ٠٠٠٠ فقد كان محورها الأول هو قضية المساواة مع الرجل في الأجر ، ترجع اليه كلما طالبت أو طولب لها بحق جديد حتى أصبحت القضية هناك في النهاية هي قضية المساواة التامة مع الرجل في كل شيء ومن بين كل شيء حق الفساد الذي كان الرجل قد وصل أو وصل إليه ، فصار حق الفساد داخلاً بدوره في قضية المرأة تحت عنوان حق المرأة في اختيار شريك حياتها في مبدأ الأمر ، تحت عنوان حق المرأة في إبداء عواطفها ، وأخيرا تحت عنوان حق المرأة في أن تهب نفسها لمن تشاء أما في مصر وفي العالم الإسلامي فلم تكن قضية المرأة قضية خاصة وإنما كانت القضية الحقيقية هي انحراف هذا المجتمع عن حقيقة الإسلام مما سميناه التخلف العقيدي ، وما نتج عن هذا التخلف العقيدي من تخلف في جميع مجالات الحياة»(٢) ٠ ولكن دعاة الشيطان جعلوا للمرأة المسلمة قضية فبثوا في نفسها أن سبب التخلف الذي هي فيه حجابها وبيتها ، وخنوعها للرجل ، وما عليها إلا أن

---

(١) انظر: الشوكاني ، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص ١٢٦-١٢٧٠

(٢) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ بتصرف ٠

تحطم هذه القيود وتخرج من السجن لتتنفس نسيم الحرية وتشعر بوجودها ، وكان لهم ما أرادوا ، وقد عرض الأستاذ محمد قطب لخطوات تحرير المرأة المصرية، حتى تخرج جيل من الثائرين المتحررين من الإسلام وأهله ، والحاقدين على هذا الدين ، أمثال إحسان عبد القدوس الذي تزعم الأدب الإباحي مشكلاً هو وأمه روز اليوسف، مسرحاً أدبياً لنشر الفساد والفجور في مصر ، في المسرح والقصة والصحافة· ومن أمثاله الإباحي أنيس منصور وغيرهم(١).

ولكن ومن الإنصاف أن يرد سؤال ؟ ما الذي مكن هؤلاء من المرأة ؟ وكيف وصلوا إليها وهي في بيتها؟

ولو لم تكن راضية عن ذلك ما أخرجوها من دينها ؟، ولما ثارت على واقعها ؟ ·

والجواب الذي ينبغي أن يعترف به كل مسلم ·· الرجل خاصة إن ذلك كان نتيجة الجهل والظلم الذي رزحت تحته النساء لسنوات طويلة ، والأستاذ الخولي يصف ذلك قائلاً : (إن المرأة قد عانت من الجهل في الجيل الماضي والأجيال السابقة ولا تزال بقاياه ماثلة أمامنا الآن إذ لم يكن من الإلمام بعلوم الحياة والدين ، وألوان الثقافة والأدب والفن ماينير ذهنها ، ويصقل ذوقها ، ويصلها بآفاق الحياة ويعرفها بقيمتها وحقها ورسالتها داخل البيت وخارجه ، فأورثها هذا الجهل ضيق المجال الحيوي والأفق الذهني ، وضمور الشخصية حتى لم يكن لها قدر في نفسها غالباً إلا أنها كائن للحمل والولادة وعمل البيت ، في أسلوب آلي محجوب عن الاستنارة التي تنظم ذلك وتبين أهدافه السامية التي ينطوي عليها أو تستتر خلفه»(٢) لقد غدت المرأة بالنسبة للرجل وكأنها رقيـــق

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ ·

(٢) الإسلام والمرأة المعاصرة ، ص ٢٢٢

لاحرية لها ولا إرادة، هي تبع له في كل أمر وقول ورأي، وبذلك ماتت الغالبية من النساء المسلمات، ودفن في البيوت بكفن الجهل والخرافة والظلم ، فإن من تسلب حريته وإرادته هو أشبه بالرقيق ، (والرق أشبه بالموت لذا كانت كفارة القتل عتق رقبة)(١) ويقول الشاعر :

لئن وأدوا البنات فقد قبرنا * جميع نسائنا قبل الممات(٢)

وقال في قصيدة أخرى :

إذا النخلة العيطاء أصبح طلعهـا * ضعيفاً فليس اللوم عندي على الطلع

ولكن على الجذع الذي هو نابـت * بمنبت سوء فالنقيصة في الجـذع(٣)

يقول الأستاذ محمد قطب ؛ «استفاد أعداء الإسلام فائدة عظمى من الوضع الجاهلي الذي كان يسود المجتمع الإسلامي تجاه المرأة وتعليمها فأثاروها قضية ، ودقوا دقاً عنيفاً على الأوضاع الظالمة لينفذوا منها إلى ما يريدون

.... كان المسلمون على خطأ بين وظلم بين للمرأة حين منعوا تعليمها كما أمرهم رسول الله ﷺ أن يعلموها ، وحين أهانوها وحقروها في ذات الأمر الذي كرمها الله به ورفعها وهو الأمومة وتنشئة الأجيال» (٤) فقد غدت المرأة المسلمة ضعيفة، ووجدت نفسها آلة تفريخ لاتحس ولا تشعر، ولا ترى وعند ذلك نفذ الأعداء من خلالها لضرب الإسلام في معقله ، ولو أن هذه المرأة عرفت ربها

---

(١) د. محمد محمد أبو شهبة ، قرارات من صحيح الإمام البخاري مع شرحها، إذاعة القرآن الكريم بمكة المكرمة .

(٢) معروف الرصافي ، ديوان الرصافي ، (بيروت : دار مكتبة الحياة) ج١ ، ص٣٢٤

(٣) المرجع السابق ج١ ، ص٣٤٥ .

(٤) واقعنا المعاصر ، ص٢٦١ .

ووعيت مسؤوليتها وعرفت الأمانة التي حملتها كما حملها آدم عليه السلام لما أصابها ما أصابها ، ولكنها كبلت بنير الجهل والبعد عن الله سبحانه فماذا حصل عندئذ ؟! لقد استجابت البعض منهن ممن عندهن بعض ترياق الحرية فكن الطليعة في تحرير المرأة واسترجاع حقوقها ورفع الظلم عنها وكان ذلك بخوض حرب شعواء ضد الرجال ومنافستهم في كل مجال ·

إن الموروثات الثقافية التي انحدرت الى المرأة والرجل على حد سواء شوهت شخصيتها الإسلامية ، فصار كل منهما في حكمه على المرأة في جميع حياتها بعيداً عن روح الإسلام ، يضاف إلى ذلك سبب آخر في بعد المرأة المعاصرة عن روح الإسلام ومنهجه وواقعه، وهو حياة اللهو والترف التي ابتليت بها الأمة المسلمة في حقبة من الزمن ·

فحين كثر الجواري والإماء في الدولة الإسلامية وانتشرت معهن حركة المجون واللهو والترف والخمر والملذات ، أثر ذلك على المرأة المسلمة فانسحبت من المشاركة في حياة المجتمع ، برغبة منها أو بضغط من الرجل ، خشية من الفساد ، ومخافة الاختلاط بهؤلاء الجواري اللاهيات ·

فقد راجت تجارة الجواري ولاسيما في العصر العباسي وغدت مهنة يمارسها من دخل الإسلام بالاسم - كاسحاق إبراهيم الموصلي - الذي كان يختار الحسان منهن فيعلمهن ويعدهن للمنادمة والغناء والموسيقى ، ثم يبيعهن إلى الخليفة أو الوزراء والأمراء ·

وانتهى الأمر بهؤلاء الجواري إلى أن أصبح الكثيرات منهن يتدخلن في شؤون الدولة المسلمة ، بل إنهن يسيرن الحكم فيها ·

فبعد أن كانت الواحدة منهن متعة لهو وطرب ومنادمة ، أضحت هي صاحبة الشأن في تسيير أمور الحكم ·

ومما ذكر في وصف هؤلاء الجواري وحالهن - كمثال - أنه جيء إلى بغداد في العهد العباسي بألف جارية تركية بيد كل واحدة كأس من ذهب محتوياً على الياسمين، وملؤه المسك والكافور والعنبر وأصناف العطر وطرائف البلاد، ومائة جارية هندية في غاية الجمال يرتدين من الملابس الثمينة ، ويحملن الثياب الرقيقة في أسفاط أحلى من القصب(١) ٠

والذي يتعجب منه : أن الخلفاء العباسين الستة والثلاثين كانوا من أولاد الجواري إلا ثلاثة منهم(٢) ٠

ولا يخفى على ذي بصيرة ما كان عليه حال الأمة في المجتمع العباسي بعد فترة وجيزة من تسلم العباسيين للحكم ٠

وقد رافق هذا حركة الترجمة والجهل بالدين ، وظهور الوضاعين في الحديث ، فوضع بعضها في شؤون المرأة والتي كان لها أثرها في انحسار وظيفة المرأة عن الحياة ، واعتبارها آلة للنسل٠٠ وساعد على ذلك الجهل المطبق الذي آلت إليه المرأة والذي كان يتزايد مع السنين، وانفراد الرجال في تسيير دفة الحياة ٠٠٠ يقول الأستاذ محمد قطب : «لقد تدفقت الجواري على العالم الإسلامي بحكم الحروب القائمة بينه وبين أعدائه ، وأصبحت تجارة رائجة في الأسواق ٠ ومع سلامة الأصل في وجودهن، فإن روح الترف التي سادت المجتمع ، جعلت وجودهن ، يضيف إلى الترف ترفاً، والى الفساد، فساداً وأصبحت فتنتهن كفتنة المال ٠٠٠وأخطر ما كان من

---

(١) انظر: د٠ إبراهيم سليمان، ، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي ٠٠٠٠ ، الطبعة الأولى ، الكويت ، مؤسسة المحيط الإعلامية ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، نقلاً عن تاريخ البيهقي، ترجمه إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت، (القاهرة : ١٩٥٦)، ص٤٤٢ ٠

(٢) انظر : ابن العمراني ، محمد بن علي ، الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق د٠ قاسم السامرائي ، (لايدن : ١٩٧٣م) ؛ ابن حزم ، أبا محمد ، محمد بن أحمد الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، (القاهرة : دار المعارف) ، ص ٢٠-٣٠- ٠

أمرهن على أي حال ، هو الدور الخبيث الذي لعبنه في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء ، فضلا عن روح اللهو التي سادت القصور من وجودهن ، وشغلت أصحابها عن جديات الأمور ومعاليها ، فقد كان بينهن يهوديات ونصرانيات ، ينطوين على حقد خبيث على الإسلام ، وينطلقن من هذا الحقد - وهن في داخل القصور- إلى إثارة الفتن والمؤامرات والدسائس التي تشغل الحكام بمشكلاتهم الخاصة عن سياسة الرعية ومسؤوليات الحكم الكبرى»(١) وانعكس هذا الوضع على المجتمع بأسره فوقعت الحرائر من النساء في براثن الظلم والجهل والارتداد إلى الجاهلية. وذلك خوفاً من الاختلاط بالجواري ، أو لعدم صلاحيتهن لأداء دور الجواري؟!.

ثم توارث المسلمون هذه الأوضاع الفاسدة مما نتج عنه الشعور بالظلم، وكانت النساء ممن نالهن هذا الظلم والقهر، فمات عند معظمهن العقل والإرادة، وانسحبن من مسؤوليات الحياة عاجزات عن تحملها، وماتت فيهن روح المبادرة والمشاركة والإبداع والإعمار ، وصرن أشبه بالدمىٰ ، أو الخشب المسندة بلا رأي ولا عزيمة ، وتسربت إلى النفوس المسلمة الأمراض والأوبئة الاجتماعية التي فتكت بهن عبر السنين إلى أن انطلقت صيحات الإنقاذ من حاملي لواء التحرير الكاذب فبدأ البعض منهن يلتقط أنفاسه ، بينما تمسكت أخريات بالمظاهر السطحية من الإسلام بعيدات عن لبه ومضمونه، وراحت هذه الفئة تنحدر إلى قيم العصبية القبلية دون أن تجعل الإسلام هو معيار الحياة ، فأسرفت وظلمت وطغت وتمادت وبعدت عن الله كما يشاهد الآن في المناسبات الاجتماعية ... ، وبقيت مع ذلك تحمل الإسلام على عاتقها وتدافع عنه أما تلك الفئة منهن التي تمردت على من حولها فقد خرجت

---

(١) واقعنا المعاصر ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

من بيتها سافرة لتنطلق، فإذا هي تهبط في الدرك مضيعة للدين والأخلاق والفضيلة ، والمتتبع اليوم لواقع المرأة المسلمة ، يرى النموذجين يسيران معا نموذج المرأة المتفرنجة التي لاتعي من الدين شيئا إلاما تنتجه باريس ولندن ونجوم هوليود، والنموذج الثاني الذي يمثل الضعف والانسحاب والانهزامية وكأن الإسلام قال لها كوني إمعة؟!.

أما النموذج الأول فقد ثبت كذبه وفشله حيث شعرت المرأة الغربية أنها خسرت المعركة مع الرجل ، وأن الأولى لها أن تعود من حيث بدأت ، فكان أن تعالت الصيحات من النساء أنفسهن ، يردن البيت والحياة المنزلية بدل ماهن فيه من الشقاء ، حيث علمتهن التجربة أن المرأة أنثى ولا يمكن لها أن تخرج عن هذا المعنى إلا بأن تدفع الثمن مرتين ، مرة حين تخلت عن أنوثتها، وأخرى حين عادت تتعبد الرجل وتتملقه كي يلازمها ، في حين أن الرجل لم يعد يهمه شأنها لأن المرأة الغربية فقدت أصالتها ، واسترجلت، وحسبت أن كرامتها وعزتها في هذا التشبه بالرجال ، ولم تعلم أن كرامتها في تأدية وظيفتها الطبيعية في الحياة من تربية وإعداد للأسر والبيوت ، وقد بدأت بعضهن يبحثن عن الملاذ الذي ينقذهن فدخلن في الإسلام.

يقول الأستاذ المودودي : «هذا الإصلاح الخلقي والقانوني هو الذي نالت المرأة بفضله في المجتمع الإسلامي مكانة سامية يخلو من نظيرها كل مجتمع آخر في هذا العالم ، فالمرأة المسلمة ميسور لها أن تسمو في النواحي المادية والعقلية والروحية إلى أعلى مدارج العز والرقي ، التي يستطيع أن يبلغها الرجل في الدين والدنيا ، وليس كونها امرأة ليحول بينها وبين تبوئها أي مرتبة من مراتب الشرف وإن الدنيا تتخلف وراء الإسلام في هذا الأمر حتى في هذا القرن العشرين» (١) .

(١) الحجاب ص ٢٧١ .

إن هذا القرن لم يستطع أن يقدم للمرأة شيئاً مما أعطاه الإسلام ، وإن كان مجتمع القوانين الوضعية قد منحها الحرية ، فقد سلبها الكرامة والعزة والشرف والأصالة الفطرية ، فارتدت مهانة كسيرة ضائعة ذليلة، تجر أثواب الخيبة والحسرة والندم على ما فرطت من أنوثتها ، وعلمت بعد حين، أن عزها وشرفها وكرامتها في أنوثتها التي سلبتها الثورة الصناعية الحديثة، وقد علق على ذلك الأستاذ المودودي قائلاً : «لم يرتق الفكر الإنساني بعد إلى ما ارتقى اليه الإسلام فكل ماقد أعطاه الغرب للمرأة لم يعطه إياها من حيث هي امرأة بل كل ذلك بعد أن جردها من الطبع الأنثوي ، وصيرها رجلاً أو شبه رجل ، أما المرأة بذاتها فلاتزال في عينه خلقاً مهيناً في الحقيقة شأنها في عصور الجاهلية الأولى ، فليس لربة البيت وزوجة الرجل وأم الأولاد، وبكلمة أخرى ليس للمرأة الباقية على طبيعتها أو حقيقتها من عز أو شرف عنده حتى في هذا الزمان»

«وإنما الشرف والكرامة لذلك الرجل المؤنث الذي يكون في بنية جسدها امرأة وفي وظيفة عقله وفكره رجلاً ، ويعمل للتمدن والاجتماع عمل الرجال ، فبديهي أنه ليس ذلك منهم تكريماً للأنوثة بل هو تكريم للرجولة ، ومن البرهان الواضح على شعور المرأة النفسي في الغرب بنقصها وتخلفها، أنها تلبس لباس الرجل بكل فخر على حين لايخطر ببال أحد من الرجال أن يخرج من بيته في لباس المرأة،ومن السبة والعار عند ملايين النساء أن تكون إحداهن زوجة،بينما لايخجل رجل من كونه زوجاً، وأن النساء يعززن بممارسة أعمال الرجال ولايعتز أحد من الرجال بأعمال نسوية خالصة كتدبير المنزل وتربية الأطفال، لذلك من الحق الذي لايمكن أن يرد أويكابر فيه أن الغرب لم يكرم المرأة من حيث تعني امرأة، وليس غير الاسلام هو الذي قد أكرمها وعظم شأنها واضعاً إياها موضعها الفطري، ورفع بذلك مكان الأنوثة بالمعنى الصحيح»(١) .

---

(١) المرجع السابق .

إن الدين الإسلامي الحنيف قد أعاد للمرأة كرامتها وعزها وحريتها التي سلبت على مر السنين ، فقد أحدث الإسلام كما يقول المودودي رحمه الله (انقلاباً في حياة المسلمين في شتى النواحي وكان أهمها ، الانقلاب الفكري ، الذي غير في عقلية الصنفين الرجل والمرأة ثم هو بعث في الذهن الإنساني تصور عز المرأة وكرامتها وحقوقها ، إن كل مانسمع به اليوم من كلمات : حقوق وتعليم الإناث ونهضة النساء، هو دوي لصدى الإسلام الانقلابي الذي صرح به النبي ﷺ ، والذي بدل من مجرى الفكر الإنساني للأبد، فهذا النبي هو الذي علم الدنيا أن المرأة إنسان كالرجل ، ﴿خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾(سورة النساء آية-١) .

وأنه لافرق بين المرأة والرجل عند الله تعالى ﴿للرجال نصيب مما اكتسبواوللنساء نصيب مما اكتسبن﴾(سورة النساء- آيه ٣٢) وإن درجات الارتقاء التي يستطيع أن ينالها الرجل بالإيمان والعمل الصالح ، هي ميسورة للمرأة أيضاً وإذا كان الرجل يستطيع أن يرتقي إلى مقام إبراهيم بن أدهم ، فلاشيء يمنع المرأة أيضاً من أن تبلغ في الكمال الروحي مبلغ الرابعة البصرية ، ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾(سورة آل عمران آية ١٩٥) ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا﴾ (سورة النساء - آية١٢٤)(١) ثم يتابع الأستاذ المودودي رحمه الله ببراعة العالم والمفكر ، في ذكر ما جاء به محمد ﷺ من الخير والكرامة للمرأة فقال « ثم إن محمداً ﷺ هو الذي نبه الرجل وفي الوقت نفسه أشعر المرأة بأن للمرأة على الرجل مثل ماللرجل على المرأة ، ﴿ولهن مثل الذي عليهن﴾

---

(١) المودودي الحجاب ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(سورة البقرة آية ٢٢٨) وهو الذي أنهض المرأة من قرار الذلة والعار ورفعها الى مقام العز ، وهو الذي آذن الوالد بأن وجود الابنة في بيتك ليس بعار أو مخزاة لك ، بل أنت اذا ربيتها وعرفت لها حقها ، استحققت الجنة ، فقال ﷺ «من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو»(١) وضم أصابعه ، و (من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن ، كن له ستراً من النار)(٢) .

وكذلك هو الذي علم الزوج أن الزوجة الصالحة أكبر نعم الله عليك في هذه الدنيا ، وليس من متاع الدنيا .

ثم هو الذي وصى الابن بأن أحق الناس بإكرامه وتعظيمه وحسن معاملته بعد الله والرسول هو أمه ، (سأل رجل : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال «أمك» قال ثم من ؟ قال: «أمك» قال : ثم من ؟ قال : «أمك» قال : ثم من ؟ قال: «ثم أبوك»(٣) »(٤) .

لم يقف الإسلام عند هذا بل أكد على أنه ينبغي أن تبقى المرأة أنثى في إحساسها ووجودها وشعورها وهذا مانبه إليه الأستاذ المودودي رحمه الله : «هذا النبي هو الذي بين للإنسان أن شدة العواطف ورقة الإحساس والنزوع إلى التطرف كل ذلك من فطرة المرأة التي قد فطرها الله عليه ، وليس ذلك بعار للأنوثة ، بل هو ميزتها وجمالها وكل مايمكن أن تصيبه منها من نفع، فليست بمصيبه إلابأن تدعها على فطرتها ، وإذا حاولت أن تجعلها صلبة مستقيمة ، كالرجل كسرتها «إن المرأة كالضلع إن ذهبت تقيمها

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٤ ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الإحسان إلى البنات ، ص٢٠٢٧ ح(٢٦٣١) .

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٤ ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الإحسان إلى البنات ، ص٢٠٢٧ ، ح(٢٦٢٩) ؛ البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج٢ ، كتاب الزكاة ، باب اتقوا النار ولويشق تمره ، ص١٤٠ ، ح(١٤١٨) .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٠٠ من هذا البحث .

(٤) انظر : المودودي، الحجاب، ص ٢٦٧- ٣٦٩ .

كسرتها ، وإن تركتها ، استمتعت بها، وفيها عوج»(١) .

«وكذلك فإن محمداً ﷺ هو المصلح الأول - وفي الحقيقة المصلح الآخر - الذي بدل من عقلية الرجل ، بل من عقلية المرأة نفسها بالنسبة للمرأة ، وبعث فيهم مكان عقلية الجاهلية ، عقلية معتدلة صحيحة ، لاتصدر عن العواطف بل تقوم على العقل المحض ، ثم إنه ﷺ لم يكتف بالإصلاح الداخلي بل مهد الأسباب للمحافظة على حقوق المرأة ومنع عدوان الرجال عليها بقوة القانون ، وأحدث فيهن من الوعي مايعرفن به حقوقهن الشرعية ويستعن بالقانون على الحفاظ عليها ، وفي ذات النبي ﷺ كانت النساء قد وجدت لأنفسهن نصيرا مشفعا وملجأ ، كن يشكين إليه أدنى اعتداء الرجال عليهن بلا حرج ، وكان أزواجهن يحذرون أن يبدر منهم إليهن مايشكينه إلى الرسول ﷺ وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا نتقى الكلام والانبساط إلى نسائنا على عهد النبي ﷺ ، هيبة أن ينزل فينا شيء، فلما توفي النبي ﷺ تكلمنا وانبسطنا»(٢)(٣) .

وبعد : ماالذي تغير بعد حقبة من البعثة ، وماذا حدث حتى تغير وضع المرأة المسلمة كليا ، فأطبق عليها الظلم ، من كل جهة ، وصوب ، من الرجال المحيطين بها ، والدكتور عمر سليمان الأشقر يتساءل عن السبب فيقول : (يحق لنا أن نتساءل عن السبب الذي من أجله تأخرت المرأة المسلمة ، وعن سبب الظلم الواقع عليها في ديار المسلمين ؟

السبب في ذلك أن كثيراً من الأوضاع في ديار المسلمين بعيدة عن الاسلام في شؤون السياسة والاقتصاد والتعليم والاجتماع»(٤) ،

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٨٩ من هذا البحث .

(٢) البخاري ، الصحيح ، م٣،ج٦،كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء ، ص١٧٨ ، ح(٥١٨٥)

(٣) الحجاب ص ٢٦٩ - ٢٧١ بتصرف .

(٤) د. عمر سليمان الأشقر ، المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم ، الطبعة الثالثة ، (الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ص ٣٨ .

ثم يتابع قائلاً (إننا لانتغاضى عن الاخطاء ولانسوغها ، ونفلسفها، هناك ظلم حاق بالمرأة وأوضاع فاسدة تحيط بها ، هناك من العلماء والعوام في ديارنا من يرى أن المرأة لايجوز أن تتعلم ولايجوز أن تخرج من بيت والدها إلا إلى زوجها ، والخرجة الأخرى لاتكون إلا إلى القبر ، هناك من يرى أن المرأة ليست جديرة بالتقدير والاحترام ، هناك من يكلف المرأة فوق طاقتها ، ولايرحم ضعفها ، هناك الآباء القساة ، والأزواج الجهلة الذين يضربون بناتهم وزوجاتهم ضرب غرائب الإبل، نحن ندرك ذلك ولانتعامى عنه ولكن لانريد علاج الخطأ بخطأ آخر ·· ورحم الله الإمام مالكاً حيث يقول : (لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)(١) ·

وقد تأول أولئك الرجال الذين ارتدوا الى الجاهلية في معاملتهم للنساء حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن»(٢) ورسول الله قد ﷺ علل الحالة التي يكون فيها هذين الأمرين فقال ﷺ حين سألته امرأة فقالت : (يارسول بالله مانقصان العقل والدين ؟ قال ﷺ : أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي ماتصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين)(٣) ·

فقد حدد رسول الله ﷺ كيف يكون نقصان العقل والدين، ومع ذلك فقد اتخذه بعضهم سبباً للحط من شأن المرأة وقيمتها ، وسوغوا لأنفسهم الأخذ من الجاهلية التي نهى عنها الرسول ﷺ ، بل إن من كانت فيه يخرج من الإسلام قال ﷺ: (ليس منا

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩ ·

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج١ ، كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات ، ص٨٦، ح(٧٩) ، البخاري ، الصحيح ، م١ ، ح١ ، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم ، ص ٩٠ ، ح (٣٠٤) ·

(٣) مسلم ، المرجع السابق ؛ البخاري ، المرجع السابق ·

من ...ودعا بدعوى الجاهلية)(١) بل عادوا يعيرون المرأة بأنوثتها، ويتمنون ألا تولد لهم بنات ، ويمنعونها من التعليم ومن التعبير عن الرأي ، والخروج من البيت. وطمس حقها في الحياة بالصورة التي تريدها ، وغدت مسلوبة الإرادة ، مسلوبة التفكير ، حتى إنها حقرت نفسها بنفسها ، مما أكده فيها الرجل من تعامله معها ونظرته إليها ، متعصبا متأثرا بما مضى من الثقافات القديمة من اليهود والنصارى والهندوس وأقرب مثل الى ذلك أن المرأة إذا تأيمت ليس لها أن تتزوج وهذا لايزال سائداً ومنتشراً بين مسلمي اليوم ، وقد أخذوه عن النصارى والهندوس وغيرهم .

وهذه الأوضاع كانت بمثابة فقدان المناعة في الجسم، حين سهل غزو المرأة في عقر بيتها، ومن ثم خروجها من الفضيلة والقيم، نتيجة للتسلط والدكتاتورية التي اصطبغت بها حياتها، وإن كان لها يد في ذلك حين ربت المرأة ابنها على هذه العادات والقيم الجاهلية، يقول الأستاذ محمد قطب : «وفي هذه البيئة تعمل الأم بغير وعي منها - على إفساد مشاعر الرجل نحو المرأة وصبغها بالدكتاتورية والتحكم المستبد . وذلك أن الأم التي تدلل طفلها ولاتوقفه عند حد معقول ، تعوده أن تكون كلمته هي الأمر المطاع سواء كان على خطأ أو صواب ، وتعوده كذلك ألا يضبط شهواته ونزعاته ، فإذا أوامره التي يريد أن يفرضها على الآخرين هي وحي هذه الشهوات والنزعات ، فإذا وقف المجتمع الخارجي بما فيه من اضطراب وكبت وحرمان دون تحقيق الكيان السوي ، بله المنحرف ، عاد الرجل يصب سوءاته كلها على من دونه من رجال ونساء وأطفال»(٢) .

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج٢ ، كتاب الجنائز ، باب ليس منا من شق الجيوب ، ص١٠٢، ح(١٢٩٤) ؛ مسلم ، الصحيح ، ج١ كتاب الإيمان ، باب تحريم ضرب الخدود ص ٩٩ ، ح (١٠٣) .

(٢) شبهات حول الاسلام ص ١٤٤ .

يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله في ذكر أسباب التخلف هذا «فاختيار الطريقة الغربية في المدنية والاجتماع والتعصب القومي المتناهي في الأدب واللغة والسياسة والتفريق بين الدين والدولة عقب إلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ... وجعله تابعاً ومحكوماً للدولة ، وتغيير القوانين القرآنية الصريحة في مسائل الوراثة والنكاح والطلاق ، وتسيير طبقة الإناث على درب الحرية الذي سارت عليه نساء الغرب بعد الحرب العالمية ، على رغم تعاليم الإسلام كل أولئك نتائج طبيعية لجمود العلماء والجهال ، وضلال الصوفية والمتبعين للأهواء وأنانية السلاطين المستغلين لمنصب الخلافة ، وجهل الزعماء الثوريين بعلم القرآن والسنة»(١) .

وتثير قضية المرأة المسلمة علماء الأمة ، فالواقع الحالي يبعث على التساؤل وعلى المقارنة بين الماضي الزاهر العامر ، وبين حاضر الخزي والذل والهزيمة والعار الذي يرزح تحته العالم الإسلامي بأسره، ولاسيما في قضايا المرأة ، التي رفضت الدين كلية إلا من رحم الله سبحانه - والسبب هو التطرف والتعصب الذي أفرط فيه الرجل بلا وازع ديني ، حتى وصل الحال إلى هذا يقول الأستاذ محمد الغزالي - رحمه الله - : «إن للمرأة أن تخرج للصلوات الجامعة خمس مرات في اليوم ولها أن تخرج إلى حوائجها إلى الأسواق والمحال التجارية ولها أن تخرج مع الجيش اذا كانت لديها مهارة عسكرية أو طبية أو هندسية ... والعصر الذي نقتبس منه هو عصر النبوة فهو خير القرون يقيناً ، أما عصور الأغراض أو الجهالة فلايقاس عليها ولايتأسى بها .

---

(١) نحن والحضارة الغربية ، ص ١١٨ ، ١١٩

وقد حكم المجتمع الإسلامي من قرون الحديث الموضوع(١) أما السنن المتواترة والصحيحة والحسنة فقد تم تجميدها بطريقة غريبة ، وبذلك أخذ المسلمون يتدحرجون إلى العالم الثالث ، ويتزاحمون في ذيل القافلة البشرية لفقدان التربية الصحيحة ولاتربية مع جهالة المرأة ، وعزلها عن العلم والعبادة ودعوات الخير وشؤون المسلمين»(٢) ولابد من العودة إلى الاسلام الصحيح ، وقد أجاد الأستاذ محمد قطب ، في حديثه عن رفع الظلم عن المرأة وذلك من خلال تربية الأفراد على المعاني والقيم الاسلامية الصافية لتسمو أرواحهم ونفوسهم فلا يظلَمون ولايظلِمون غيرهم(٣) ، لأن الظلم ينتج ظلمات كثيرة، والظلم الواقع على الرجل والمرأة كليهما هو الذي نتجت عنه هذه الأوضاع الفاسدة التي نعيشها الآن ، وقد فصل الدكتور ماجد الكيلاني - في تحديد مايفرزه الظلم من سلوك ظالم فقال فضيلته: : «وأخطر مضاعفات الظلم ثلاثة أمور : الأول : أنه يتسبب في موت العقل والإرادة عند الأفراد والأمم فتفقد الرأي والعزيمة وتقع فريسة العجز عن تحمل المسؤولية ، وتقتل فيها روح المبادرة والإقدام ، وتعجز عن حمل الرسالات ومجابهة التحديات»(٤) ٠

وما أشبه نفسية المرأة المسلمة اليوم بهذه الصفات ، إنها ضعيفة لارأي لها في شؤون الحياة ، ولاإرادة ولاعزيمة ، بل انحصر اهتمامها في حدود متعتي الجنس والجسد ، دون وعي وإدراك للغاية والهدف الذي وجدت من أجله ٠

---

(١) تنظر : كتب الموضوعات في الحديث «الشوكاني» ؛ «ابن الجوزي» ؛ «الملا علي القاري» وما ورد فيها حول النساء ٠

(٢) انظر : الحق المر ، (القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي) ، ص ٦٠-٦١ ٠

(٣) انظر: شبهات حول الإسلام ص ١٤١-١٤٩ ٠

(٤) فلسفة التربية الاسلامية ، ص١٤٦ ٠

والمظهر الثاني أنه يتسبب في مرض انتفاخ الشخصية وتقلصها الذي يسميه القرآن بالطغيان ، ولهذا المرض مضاعفاته العقلية ، فهو يفرز أفكار التطرف والجمود، وليست أفكار التطرف اليساري والماركسي إلا رد فعل للظلم الذي زخرت به المجتمعات التي شهدت ولادة هذه الاتجاهات(١) .

وهذا ماوصلت إليه المرأة المسلمة حين اقتدت بالمرأة الغربية، فانطلقت داعيات ودعاة التحرر تجلجل في كل مكان من البلاد الإسلامية بدعوى تحرير المرأة ورفع الظلم عنها وذلك بدفن فضيلتها وكرامتها وشرفها بأن تختلط بالرجل وتشابههم وتماشيهم في كل أمر، ثم يتابع الدكتور في وصف مايفرزه هذا المظهر من انتفاخ الشخصية وتقلصها حين تتجاوز الحد فيقول :

«أما مضاعفات الظلم النفسية فهو يتسبب في عدم النضج الانفعالي ويفرز أنماطاً بشرية مصابة بعدم التوازن النفسي وتعالج قضاياها بالحمية وردود الفعل العاطفية ، وتقع فريسة الإحباط والتردد واليأس»(٢) .

وهذا ما يلاحظ في أنماط السلوك في البلاد الإسلامية عامة، سواء في ذلك الرجال والنساء ، أما ماينجم عن انتفاخ الشخصية من المضاعفات الاجتماعية «فهو يفرز أنماطاً من البشر إذا كانوا في موقع القيادة تفرعنوا وانتفخوا وتعاظموا ، وإذا كانوا في موقع التبعية تصاغروا وتقلصوا ورضوا بالصغار والهوان»(٣) ، وهذا هو حال الرجل المسلم على الغالب فهو مظلوم على صعيد مجتمعه في العمل ولذا يجد التنفيس له عن هذا الظلم في حدود الأسرة وخاصة الزوجة .

---

(١) المرجع السابق بتصرف .
(٢) المرجع السابق ص١٤٧ .
(٣) المرجع السابق .

يقول الأستاذ محمد قطب في وصف حال الرجل :«الرجل يعامل امرأته بالعسف والاضطهاد لأنه يريد أن يحقق كيانه المسلوب في الخارج كيانه الذي يهينه الخفير والعمدة وصاحب الأرض · أو يهينه عسكري البوليس ، «والأفندي»، وصاحب المصنع، أويهينه الرئيس في المصلحة · كيانه الذي يهدده الذل والحاجة ، والأوضاع الظالمة ، التي لايملك مواجهتها ولا التغلب عليها فيسقط عضبه المكظوم على زوجته وأولاده ومن يلوذ به من الأهلين·

وهذا الفقر الكافر الذي يشمل المجتمع ، والذي يشغل جهد الرجل ، ويستنفذ طاقته النفسية والعصبية فلايعود في نفسه تلك السعة التي تنشأ فيها عواطف المحبة والمعاملة الكريمة للآخرين، ولافي أعصابه تلك الطاقة التي تحتمل أخطاء الناس التافهة وتصبر عليها أو تصفح عنها»(١) ·

أما المظهر الثالث للظلم فقد نتج عنه الفتك في مجتمع المرأة المسلمة حيث تسللت إليها أوبئة العصر الماسونية والغربية والفتن من كل حدب وصوب، فلم تجد الحصانة والمناعة التي تحميها ضد هذه الرياح الملوثة ، يقول الدكتور ماجد الكيلاني في ذلك:

«إنه (الظلم) يتسبب في مرض «فقدان المناعة الاجتماعية» ، أوما يمكن أن نسميه بـ «الإيدز الاجتماعي»· حيث يستطيع أي متطفل أن يفتك بالأمة ويغتصب حرياتها ويهدر كرامتها ويتلاعب بمقدراتها»(٢) ·

إن المرأة المسلمة غدت كالدمية التي تتحكم بها إسرائيل عن بعد من خلال الفيديو والتلفاز ومجلات الأزياء والزينة ، فقضت على عقلها ووقتها وحالها ، وأفسدت من حولها رجالاً وأطفالاً ، وقد جاء في البروتوكول الثاني لحكماء صهيون (دعوهم يتمتعوا

(١) شبهات حول الاسلام ص١٤٢-١٤٣ ·

(٢) فلسفة التربية، ص١٤٧ ·

ويفرحوا بأنفسهم ، حتى يلاقوا يومهم، أو دعوهم يعيشوا في أحلامهم بملذات وملاه جديدة ، أو يعيشوا في ذكرياتهم للأحلام الماضية»(١) وفي البروتوكول السادس قالوا : «ولكي نخرب صناعة الأمميين، ونساعد المضاربات ، سنشجع حب الترف المطلق الذي نشرناه من قبل ، وسنزيد الأجور التي لن تساعد العمال .. وسنستعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاء أممي (غير يهودي) من الأرض»(٢) .

والرسول ﷺ قد قرن بين النساء وظهور الفتن فقال ﷺ في ليلة أفاق ﷺ مذعوراً (سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن أيقظوا صواحب الحجر ، فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)(٣) .

إن المرأة التي يربى عقلها ، وقدراتها الإرادية ، فتعرف نفسها وتعي دورها وتعلم رسالتها في الحياة ، والأمانة التي حملتها، والعهد الذي أخذ من ذرية آدم عليه السلام ، وتعرف استقلاليتها في الحياة والممات والحساب ، وتربى على قيم الإسلام وحب الله سبحانه وحب رسوله ﷺ ، وتعطى لها العزة والكرامة من أهلها وممن حولها سوف تستطيع بإذن الله أن تقف في وجه هذه الفتن ، وتصمد بل تستطيع مكافحتها وطردها من المجتمع ، حين توضع موضع الثقة وتحمل المسؤولية من قبل الرجل ، أما عندما تجد نفسها مستعبدة من قبل الرجل فسوف تبالغ في مظاهر الفتنة لتحقق كيانها ووجودها المسلوب ، فتعيش تحت وطأة إيدز الترف والزينة والأزياء ، لتنقل العدوى إلى من حولها ،أو تفلس من يعولها ، أو تفني مامعها من مال فيما لاطائل منه ، ولانهاية له إلا النار .

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٦٦ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٨

(٣) البخاري، الصحيح م١ ،ج١، كتاب العلم، باب العلم والعظة بالليل، ص ٤٢، ح(١١٥).

هذا حال المرأة المسلمة في الغالب - إلا ماندر - فإلى متى هذا الضياع ؟ إنه من الحق على الرجل أن يحترم المرأة المسلمة ، وأن يعترف أن النساء شقائق الرجال ، وأن الحياة لاتسير في طريق النجاح إلا بوجود الصنفين الرجال والنساء، كل في موقعه في البناء والخلافة والإعمار الذي أراده الله سبحانه ، وليعترف أنه ابن المرأة وزوجها ، وأخوها ، وأبوها · وليعترف أنها هي المربية للرجال جميعاً وللنساء ، عند ذلك سوف يرتد إليه الصواب ، ويعود الى العدل الذي أراده الله سبحانه ﴿كونوا قوامين بالقسط شهدآء لله﴾ (سورة النساء - آية ١٣٥) ·

وكلمة ·· تقال للمرأة كوني في موقعك الذي وجدت من أجله ، أماً وزوجة وأختاً وابنة ، ولكل واحدة من هؤلاء أثرها في الرجل بحسب قرابته ، فارفعي عنك الظلم بنور العلم والإيمان ، بالتقوى والصلاح ، بالقدوة الفاضلة، بالصحابية والتابعية ومن امتثلت بهن ، كوني قوية بالإيمان والقرآن والسنة ، وعند ذلك تحققين الخير لنفسك ولمن حولك ، والمؤمن مأمور بدفع الظلم عنه مااستطاع حتى لايقع في الفتنة والمعاصي ، قال تعالى ﴿لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾(سورة النساء - آية ١٤٨) ، وفي الحديث القدسي : (إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلاتظالموا»(١) *

إن الظلم الذي تعيش فيه المرأة أنتج أجيالاً لاتعرف الصمود والإباء والقوة والتضحية والمثابرة وحياة الجد ، فقد ورثت الأجيال الضعف واكتسبته في التربية فآل حال المسلمين إلى ماهم فيه ، أمـا

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٤ ، كتاب البر والصلة والأداب ، باب تحريم الظلم ، ص١٩٩٤، ح(٢٥٧٧) ·

* آثر البحث في هذا المبحث أن تكون كاتبة هذه الأحرف بعيدة عن الخوض فيه إلا ما ندر ؛ فنقلت أقوال علماء الأمة في الواقع الراهن ·

حين كانت الأمهات قويات بالإيمان فاضلات بالإسلام ، فقد أنجبن القادة والعلماء الذين فتحوا العالم وسيطروا على الدنيا ، وحكموا الأرض ، وأقاموا الخلافة التي أرادها رب العباد متمثلاً ذلك في قول ربعي بن عامر رضي الله عنه لملك كسرى : إننا أتينا لنخرج العباد من ظلم العباد الى رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ومن خزى الدنيا إلى نعيم الدنيا والآخرة. فمتى يكون في الأمة أمثال أولئك الذين أقاموا حكم الله سبحانه في الأرض في نفوسهم وفي أسرهم، وفي المجتمع، فدان لهم الشرق والغرب معاً .

وأخيراً .. فإنه ينبغي التأكيد على تربية الفتاة على الإيمان والإسلام ، بدرجة آكد من الفتى وذلك لما لها من تأثير في المجتمع، وقد نبه القرآن الكريم في قوله تعالى الى ذلك ﴿يأيها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنٰت مهٰجرٰت فامتحنوهن - الله أعلم بإيمٰنهن فإن علمتموهن مؤمنٰت﴾ (سورة الممتحنة - آية١) ، ولم يرد الامتحان في الايمان بهذه الصيغة إلا للنساء ، وقد يكون في هذا تنبيه من الله سبحانه إلى أن النساء هن أحوج من الرجال الى التربية ، لما في طبعهن من الميل والحيلة ، والحيلة سلاح ذو حدين فإذا ما استخدمت في الخير أتت بالثمار المفيدة ، وقد قص القرآن الكريم قصة أخت موسى حين استطاعت أن تغري بآل فرعون ، وتأتي بأم موسى لترضعه عليه السلام ، ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ (سورة القصص - آية - ١٢) .

والأعجب من هذا أن تكون نهاية فرعون الذي قال لقومه ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ (سورة النازعات - آية٢٤)، بتدبير من الله سبحانه على يد ثلاث نسوة، كل واحدة منهن كانت تعمل وتخطط في مكان بعيد عن الأخرى، وبكلمة من آسيا يستجيب فرعون وينسى ما قال له الكهنة والسحرة وينسى مجازر القتل التي عقدها

للفتيان، ويتبنى موسى ويربيه في قصره﴿قرت عين لي ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أونتخذه ولدا﴾(سورة القصص-آية٩).

وتلك ملكة سبأ خالفت قومها وشعبها وأنقذتهم من الضلال وآمنت ٠

والمرأة في طبيعتها التي جبلت عليها لضعفها وسرعة تقلبها، وغزارة عاطفتها تميل إلى الحيلة أكثر من المواجهة ٠

وقد نسب الكيد إلى النساء في سورة يوسف عليه السلام ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ (آية - ٢٨٠)٠

والكيد من البشر هو الاحتيال(١) ٠

فالأنثى على الغالب تستعمل الحيلة لتصل إلى ماتريد ، وقد ورثت المرأة ذلك من حواء ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها»(٢)٠

قال الحافظ ابن حجر في معنى هذا الحديث :

«ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق ، فلاتكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول ، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا ، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة ٠٠٠(ولم تنصح آدم عليه السلام بعدم الأكل منها) عد ذلك خيانه له ، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها»(٣) ثم وجه رحمه اللـــه ،

---

(١) السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، دار الفكر العربي ، ج٢، ص١٨٤ ٠

(٢) البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٤، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ص١٢٤ ، ح (٣٣٣٠) ؛ مسلم، الصحيح ، ج٢، كتاب الرضاع ، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر ، ص١٠٩٢، ح(١٤٧٠) ٠

(٣) فتح الباري ، ج٦ ، ص٣٦٨ ٠

النصيحة إلى النساء فقال (وينبغي لهن ألا يتمكن بهذا الاسترسال في هذا النوع بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن)(١) ·

قال الأستاذ أحمد الشاكر -رحمه الله- معقباً على ماقاله الحافظ ابن حجر في هذا الحديث وأزيد على قول الحافظ:«إنه لم يكن هناك رجال غير آدم حتى تكون الخيانة بارتكاب الفواحش»(٢) · فالمقصود بالخيانة عدم النصيحة وليست هي الخيانة الزوجية ·

وحين مرض رسول الله ﷺ قال ﷺ لحفصة وعائشة رضي الله عنهما، (إنكن لأنتن صواحب يوسف · مروا أبا بكر أن يصلي بالناس)(٣)

وذلك كما روت عائشة رضي الله عنها فقالت : (لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فقال «مروا أبا بكر فليصل» قالت فقلت : يارسول الله إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقم مقامك لايسمع الناس فلو أمرت عمر ! قال «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت فقلت لحفصة : قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لايسمع الناس ، فلو أمرت عمر! فقالت له فقال رسول الله «لأنتن صواحب يوسف · مروا أبا بكر فليصلّ بالناس»(٤)

قال الحافظ ابن حجر : والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف مافي الباطن ، والخطاب بلفظ الجمع ، والمراد به واحد وهي عائشة رضي الله عنها فقط(٥) ·

---

(١) المرجع السابق ·
(٢) مسند الإمام أحمد، شرح وفهرسة أحمد محمد شاكر، ج١٥ هامش ص١٨٢·
(٣) البخاري الصحيح ، م١ ، ج١ ، كتاب الأذان ، باب الرجل يأتم بالإمام ، ص ، ١٩٦ح (٧١٣) ؛ مسلم الصحيح ، ج١، كتاب الصلاة ، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ···، ص٣١٣، ح(٤١٨)
(٤) المرجع السابق ، واللفظ لمسلم ·
(٥) انظر : فتح الباري ، ج٢، ص١٥٣ ·

وقد فسرت عائشة رضي الله عنها قصدها من مراجعة رسول الله ﷺ في هذا فقالت رضي الله عنها «وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، وإلا أني كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبى بكر»(١) .

ومما روي في حيلة المرأة في الخير ما قالته أسماء رضي الله عنها .. «جاءني رجل فقال يا أم عبدالله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك قالت : .. إني إن رخصت لك أبى ذلك الزبير ، فتعال فاطلب إلي والزبير شاهد فجاء فقال : يا أم عبدالله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك ، فقالت : مالك بالمدينة إلا داري؟ فقال لها الزبير مالك أن تمنعي رجلاً فقيراً يبيع ؟ فكان يبيع إلى أن كسب»(٢) .

لقد عرفت أسماء رضي الله عنها طبيعة زوجها وما كان عليه من شدة الغيرة ، وعز عليها أن تمنع الخير عن هذا الفقير المسكين ، فحبكت القصة ، ونجحت حيلتها، فأرضت ربها سبحانه وتعالى ، ومن ثم لم تغضب زوجها رضي الله عنه .

وهكذا المرأة ، فإن أحسنت تربيتها ، أتت بكل مصلح ومثمر ومفيد .

وإن أسيئت تربيتها كانت خراباً ، وفساداً ، ومقتاً أينما حلت. وضرب القرآن الكريم ، أمثلة على شر المرأة وكيدها ومكرها في السوء ، وقوتها في خلق الشرور والآثام والمفاسد في امرأة

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج١، كتاب الصلاة ، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ص٣١٣، ح(٤١٨) .

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٤ ، كتاب السلام ، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق ، ص ١٧١٧ ، ح (٢١٨٢) .

نوح - عليه السلام - وامرأة لوط - عليه السلام- ، وامرأة العزيز في مصر في قصة يوسف عليه السلام ·

وقد قصد القرآن الكريم التنبيه إلى أهمية المرأة في الحياة والمجتمع ، وإلى أثرها واستقلالية سخصيتها وتفكيرها ، مما ينبغي الوقوف عنده للعبرة والاستفادة من الجهود النسوية بحسن تربيتهن وإعدادهن ذخراً للأمة ، لاألغاماً وقنابل، وعزاً وشرفاً لا ذلاً واستهتاراً ، وقوة وحصانة إذا دعا الداعي لذلك ·

وذلك لتربية الأحيال القوية الصامدة وأبطال الساحات في كل ميدان ، ليتحقق عز الإسلام وسلطانه في كل مكان في الأرض ·

الفصل الثاني
مدى التجانس بين الوالدين

إن الله سبحانه وتعالى خلق البشر مختلفين في الأشكال والطباع ، والعقول. والمبصر في النفس الإنسانية يجدها تميل إلى مايشاكلها ، وتنفر عما يضادها ، ولايلتقي معها في النفس أو العقل أو السلوك ·

ولما كان التوافق بين الزوجين مطلوباً وضرورياً من أجل تحصيل السكن والاستقرار ، لاسيما مع وجود الذرية بينهما ، كان لابد للزوجين من أن يحسنا الاختيار قبل الزواج ، وذلك بالسؤال والتحري عن حال كل واحد منهما ، من خلال الوسط والبيئة ومن خلال الأشخاص المحيطين بكل منهما ·

لأنه كلما كان الانسجام بين الزوجين حاصلاً ، كان الود والتفاهم والأمن مالئاً لجو الأسرة التي يكونانها ، وبذلك تسعد النفوس ، وتتربى الذرية في خير محضن يقول الإمام ابن القيم في ذلك :

(قد استقرت حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره على وقوع التناسب والتآلف بين الأشباه وانجذاب الشيء إلى موافقه ومجانسه بالطبع، وهروبه من مخالفه ونفرته عنه بالطبع، فسر التمازج والاتصال في العالم العلوي والسفلي ، إنما هو التناسب والتشاكل والتوافق ، وسر التباين والانفضال ، إنما هو بعدم التشاكل والتناسب ، وعلى ذلك قام الخلق والأمر فالمثل إلى مثله مائل ، وإليه صائر ، والضد عن ضده هارب وعنه نافر ، قال الله تعالى ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف - آية ١٨٩) ، فجعل سبحانه علة سكون الرجل إلى امرأته، كونها من جنسه وجوهره، وليست بحسن الصورة ، ولا الموافقة في القصد والإرادة ولا في الخلق ، والهدي. وقد ثبت في

الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف(١)»(٢) .

وعلى ذلك التوافق والتجانس ، يكون أيضاً القرب من الله عز وجل ، أو العكس ، فالنفوس المؤمنة تطمئن إلى بعضها ، والمتغايرة في ذلك تنفر ، فلاتجد الانسجام والهدوء بينها ، سواء كان بين الزوجين أو بين غيرهما .

ولذا كان التوافق بين الزوجين ، هو توافق وتآلف في الدنيا والآخرة ، فلايمكن للنفس المطمئنة إلى جنب الله عز وجل أن تسكن إلى النفس الأمارة بالسوء أو العاصية ، أو الكافرة .

قال الله عز وجل :

﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الأخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ءابناءهم أو إخوٰنهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمٰن ﴾ (سورة المجادلة - آيتة-٢٢) .

وعلى ذلك فالدين الإسلامي ، يجعل المتحابين في الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة ، لما بينهم في الأصل من التجانس والتوافق والمماثلة يقول الإمام ابن القيم : «فقد استقرت شريعته سبحانه أن حكم الشيء وحكم مثله، فلاتفرق شريعته بين متماثلين أبداً ، ولاتجمع بين متضادين ، ومن ظن خلاف ذلك فإما لقلة علمه بالشريعة ، وإما لتقصيره في معرفة التماثل والاختلاف وإما لنسبته الى شريعته مالم ينزل به سلطاناً، بل يكون من آراء الرجال.

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٢، ج٤ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب الأرواح جنود مجندة ، ص١٢٦، ح (٣٣٣٦) ؛ مسلم ، الصحيح ، ج٤، كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة ، ص ٢٠٣١، ج (٢٦٣٨) .

(٢) انظر : زاد المعاد ج٤ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ .

فبحكمته وعدله ظهر خلقه وشرعه ، وبالعدل والميزان قام الخلق والشرع وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين، وهذا كما أنه ثابت في الدنيا ، فهو كذلك يوم القيامة ، قال تعالى ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون، من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات آية ٢٢)، وقال تعالى ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ (سورة التكوير - آية ٧) أي قرن كل صاحب عمل بشكله ونظيره ، فقرن بين المتحابين في الله في الجنة ، وقرن بين المتحابين في طاعة الشيطان في الجحيم ، فالمرء مع من أحب شاء أو أبى»(١) ٠

ومن هنا فإن قضية التجانس والتوافق بين الزوجين ، قضية خطيرة ومهمة ، لها أبعادها في الحياة الدنيا والآخرة ، ولايتوقف أثرها ، عند الزوجين أنفسهما ، بل تمتد لتشكل سلوك الأولاد ونشأتهما واتجاههما ، وذلك بحسب ما يكون نوع ذلك التوافق بين الزوجين ، فإن كانا مؤمنين ، كانت الذرية على الغالب مؤمنة ، وإن كانا غير متوافقين نفسياً وروحياً،كان النشء مضطرباً في انفعالاته ومشاعره وسلوكه٠

وإن كانا غير متوافقين اجتماعياً وثقافياً أنتجا أولاداً لايعرفون الانتماء مما يشكل العقد النفسية ، ويمهد لظهور أنماط من السلوك المنحرف ٠

أما إذا كان الزواج ناجحاً ، وقائماً على أساس من التجانس الديني والنفسي والاجتماعي ، فإنه يعطي الأمة نشأً صالحاً خيراً متوازناً ، هذا النشء الصالح المصلح ، الذي يحقق السعادة له ولمجتمعه ، ويفوز بالجنان عند الرحمن سبحانه ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦٩-٢٧٠ ٠

ولابد للزواج حتى يكون ناجحاً مثمراً طيباً من توفر الأسباب اللازمة لذلك حتى ، تستطيع الأمومة من خلالها أن تؤدي وظيفتها على خير وجه ، ومن أهمها ..

١- مدى التجانس العقائدي

لقد أشارت آيات القرآن الكريم في سور عديدة إلى أثر المنبت الطيب والصالح في نشأة الأولاد الصالحين كما سبق ذكره، فالسنة النبوية تحض على المنبت الطاهر المتدين الملتزم بأوامر الله عز وجل، في كلا الزوجين لاسيما الأم ، لما لها من الأثر الأكبر في الذرية طبيعياً وتربوياً .

وقد قال ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»(١) .

ومن هنا فإن الإسلام ، اهتم اهتماماً كبيراً بأمر الدين في الاقتران بين الزوجين ، ووضع حدوداً لذلك حرم تجاوزها وتخطيها ، ومن تعداها فإن عليه لعنة الله عز وجل وغضبه، ومصيره النار يوم القيامة فقد حرم الإسلام التزاوج بين الإسلام والكفر وبين الإسلام والشرك، للمسلمة والمسلم ، وإن كان الأمر بالنسبة للمسلمة أشد .

فالزواج أقوى رابطة وأخطر علاقة بين اثنين في الإنسانية ، لذا كان لابد من توحد العقيدة بين الزوجين يقول الأستاذ سيد قطب في ذلك:

«النكاح - وهو الزواج - أعمق وأقوى وأدوم رابطة تصل بين اثنين من بني الإنسان ، وتشمل أوسع الاستجابات التي يتبادلها فردان ، فلابد إذن من توحد القلوب ، والتقائها في عقدة

(١) سبق تخريجه ص ٥٤ من هذا البحث .

لاتحل · ولكي تتوحد القلوب يجب أن يتوحد ما تنعقد عليه ، وما تتجه إليه ، والعقيدة الدينية هي أعمق وأشمل ما يعمر النفوس ، ويؤثر فيها ، ويكيف مشاعرها ، ويحدد تأثراتها واستجاباتها ، ويعين طريقها في الحياة كلها وإن كان الكثيرون يخدعهم أحياناً كمون العقيدة أو ركودها ، فيتوهمون أنها شعور عارض يمكن الاستغناء عنه ببعض الفلسفات ····· وهذا وهم وقلة خبرة بحقيقة النفس الإنسانية»(١)

وقد رغب الإسلام في الزواج من المرأة الصالحة ، واعتبرت الكنز الذي لايعدله كنوز الأرض ، لأنها تحفظ زوجها وأسرتها كما أمر الله عز وجل ، وتكون العون والظهير إلى الفوز في الآخرة ·

لقد حرم الإسلام الزواج بين المسلم والكافرة ، وبين المسلم والمشركة وبين المسلمة والكافر وبين المسلمة والمشرك ·

قال الله عز وجل في سورة البقرة :

﴿ولا تنكحوا المشركٰت حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه﴾ (آية ٢٢١) ·

وقال الله عز وجل في تحريم النكاح بين المسلمة والكافر ·

﴿يٰأيها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنٰت مهٰجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمٰنهن فإن علمتموهن مؤمنٰت فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ (سورة الممتحنة - آية ١٠)·

فالمسلمة لايحل لها الزواج من الكافر أو المشرك ، وكذلك لايحل للكافر أو المشرك الزواج من المسلمة ·

---

(١) في ظلال القرآن، ج١ ، ص ٢٣٩ ·

والكفر والشرك يطلق على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فلا يجوز للمرأة المسلمة الزواج من اليهودي أو المسيحي بنص الآيات السابقة ﴿لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ ·

قال الله عز وجل

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتٰب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة، رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة﴾ (سورة البينة - آية ١-٢)·

فقول سبحانه وتعالى ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ نص عام في كل أنواع الكفر سواء كان في أهل الكتاب أو في غيرهم.

وكل من كفر بمحمد بن عبدالله ﷺ ولم يؤمن بنبوته ولم يصدقه ، ولم يسلم فهو كافر لايجوز للمرأة المسلمة الاقتران به بأي حال بلا استثناء ، والحكم عام لاتخصيص له بحال ولا بزمان ولابمكان حتى قيام الساعة ·

وأية زيجة تعقد بين مسلمة وغير مسلم ، ولوكان كتابياً هي زنى وليست زواجاً ، لأن الأصل الذى قامت عليه حرام ، وهذا الزواج حرام ، ولايحل لها الاقتران من الكافر حتى يؤمن ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ ·

ولقد أدركت المؤمنة الأولى أن الاقتران مع زوج كافر لايمكن أن يثمر خيراً أو يرضي الله عز وجل ، قبل أن تنزل الآيات لتحريم النكاح بين المسلمين والمشركين ·

فهذه أم حبيبة - رضي الله عنها - هاجرت هي وزوجها إلى أرض الحبشة ، فتنصر هناك زوجها وارتد عن الإسلام ، وثبتت هي على إسلامها ، وفرق بينهما الإسلام فعوضها الله عز وجل عن ذلك برسول الله ﷺ ، حيث أرسل ﷺ وخطبها من النجاشي وعقد

عليها في الحبشة ، ثم تزوجها ﷺ في المدينة(١) ٠

وفي زينب رضي الله عنها بنت المصطفى ﷺ خير أسوة حين أسلمت وهاجرت مع أبيها ﷺ فأبى زوجها وابن خالتها أبو العاص أن يسلم ، وبقي في مكة، وفرق الإسلام بينها وبين زوجها مدة خمس سنوات ، حتى إذا أسر أبو العاص في العام السادس من الهجرة أجارته رضي الله عنها ، ويأمرها الرسول ﷺ ألا تمكنه من نفسها لأنه لايحل لها ، حتى إذا كان العام السابع من الهجرة عاد أبو العاص رضي الله عنه مسلماً فرد الرسول ﷺ زينب رضي الله عنها إليه(٢) ٠

وأم سليم - رضي الله عنها - أسلمت مع السابقين إلى الإسلام ، فغضب زوجها ، وتركها وخرج إلى الشام ، فمات بها ، ثم تقدم إليها أبو طلحة قبل أن يسلم ، فأبت الزواج منه حتى أسلم وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وكان صداقها منه إسلامه رضي الله عنهما(٣) ٠

وكذلك أم حكيم رضي الله عنها فقد أسلمت يوم الفتح وأبى زوجها عكرمة أن يسلم وفر إلى اليمن وأهدر النبي ﷺ دمه فتبعته أم حكيم رضي الله عنها بإذن من النبي ﷺ ، فحضر معها الى مكة المكرمة وأسلم رضي الله عنه واستشهد في غزو الروم(٤) ٠

وهكذا استجابت المرأة المسلمة الأولى لأمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ، فحفظها الله عز وجل ، وتحقق وعده سبحانه لها في الدنيا ، والآخرة خير وأبقى ٠

---

(١) انظر : ابن حجر ، الإصابة ، ج٤، ص٣٠٥ ؛ ابن عبد البر الاستيعاب ، ج٤، ص٣٠٣ ٠
(٢) انظر : ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص ٣١٢ ٠
(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٦١ ٠
(٤) انظر المرجع السابق ، ص ٤٤٣ ٠

والنتيجة إن الزواج للمرأة المسلمة ما كان ولايكون إلا من المسلم فقط منذ بدء الدعوة ومجيء الرسالة المحمدية ، وتتابعت الأحكام على هذا الحال لم تتغير حتى وفاته ﷺ ، والحكم باق حتى يوم القيامة بلا استثناء إطلاقاً ·

فالزواج للمسلمة لايحل إلا من المسلم لاغير ، المسلم الذي يقيم الدين بالصلاة والفرائض وينتهي عن الكبائر والفواحش ولاسيما الزنى ·

أما بالنسبة للرجل المسلم وزواجه من الكافرات ، فقد أخذ عدة صور حتى استقر على الحال التي هي حكم قائم حتى قيام الساعة ·

ففي بداية الدعوة والرسالة وحين كان المسلمون قلة ضعفاء ، لم يأمرهم الإسلام بطلاق الكافرات ، لكنه منع من إحداث زواج جديد منهن كما في قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة التي نزلت في بداية العهد المدني ﴿ولاتنحكوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ وقوله تعالى ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ ·

فكان الأمر للنساء المسلمات والرجال المسلمين على حد سواء.

ثم نزل قوله تعالى في سورة الممتحنة في الحديبية في العام السادس من الهجرة ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾

وقوله تعالى في نفس السورة ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ (سورة الممتحنه - آية ١٠) ·

أمر الله عز وجل الرجال المسلمين بتطليق النساء الكافرات وردهن إلى مكة المكرمة، وإعطائهن مالهن من حقوق·····

٢- مدى التجانس النفسي والعقلي :

قال الله عز وجل في سورة الذاريات ﴿وفي الأرض ءايٰت للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (آية ٢٠-٢١).

فالنفس آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، ينبغي دراستها والوقوف عندها وتنظير العلوم والقواعد والنظم في شتى مجالات الحياة على أساس من علم النفس ، الذي دعا إليه القرآن الكريم لتدبره ودراسته والاستباط منه لما يصلح الحياة ، ويسمو بها نحو الأفضل والأمثل .

فللنفس علومها الخفية والظاهرة ، ولايستطيع إنسان أن ينكر الإيقاعات والإيحاءات النفسية التي تكون بين بني البشر ، والنصوص في الكتاب والسنة تعطينا أصولاً في علم النفس .

فحين هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكان معهم من المهاجرات امرأة تضحك الناس ، فنزلت في المدينة على امرأة مثلها تضحك الناس ، وعندما علم رسول الله ﷺ بذلك(١) قال ﷺ : «الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

وعلى ذلك .. فالتجاذب بين الناس يكون أساسه التوافق في الطباع ، والخصال الخلقية التي جبل الإنسان عليها، فلا بد من أمر يجمع بين متآلفين أويفرق بين متناكرين ومختلفين ، هذا الأمر قد يكون نفسياً روحياً أو عقلياً ، لكنه على كل حال هو أمر جبلي في أصل الخلقة كما قال رسول الله ﷺ «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف مها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف»(٢) .

---

(١) انظر : سبب ورود الحديث في زاد المعاد لابن القيم ، ج٤ ، ص ٢٦٩ .

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٤ ، كتاب البر والصلة ، باب الأرواح جنود مجندة ، ص ٣١، ح(٢٦٣٨) .

قال الإمام النووي في معنى الحديث الشريف «الأرواح جنود مجندة (قال العلماء معناه جموع مجتمعة أو أنواع مختلفة ، وأما تعارفها فهو لأمر جبلها الله عليه ، وقيل إنها موافقة صفاتها التى جعلها الله عليها ، وتناسبها في شيمها، وقيل لأنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها ، فمن وافق بشيمه ألفه ، ومن باعده نافره ، وقال الخطابي* وغيره تآلفها هو ماخلقها الله عليه من السعادة أو الشقاوة في المبتدأ ، وكانت الأرواح قسمين متقابلين، فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا اختلفت بحسب ما خلقت عليه ، فيميل الأخيار إلى الأخيار ، والأشرار إلى الأشرار والله أعلم»(١).

قال الإمام الخطابي في الأعلام مفصلاً في معنى الحديث الشريف ·

«هذا يتأول على وجهين :

أحدهما : أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد ، فإن الخير من الناس يحن إلى شكله والشرير يميل إلى نظيره ومثله ، فالأرواح إنما تتعارف لغرائب طباعها التي جبلت عليها من الخير والشر ، فإذا اتفقت الأشكال تعارفت ، وتآلفت ، وإذا اختلفت تنافرت وتناكرت ، ولذلك صار الإنسان يعرف بقرينه ، ويعتبر حاله بأليفه وصحيبه ·

والوجه الآخر : أنه إخبار عن بدء الخلق في حال الغيب على ماروي في الأخبار أن الله خلق الأرواح قبل الأجسام فكانت تلتقي

---

* الخطابي : أبو سليمان حمد وقيل أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ولد في مدينة بست من بلاد الأفغان اليوم، سنة تسع عشرة وثلاث مائة من الهجرة ، درس الفقه ، وسمع الحديث بمكة المكرمة وغيرها ، وهو من الأئمة الحفاظ الثقات ، له مصنفات في شرح كتب الحديث ، وفي علم الحديث ، ومصنفات في شتى العلوم · توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة من الهجرة (البداية والنهاية ١١/٢٣٦ ؛ سير ١٧/٢٣ ؛ طبقات الشافعية ٣/٢٨٢) ·

(١) شرح صحيح مسلم ، م ٨ ، ج١٦ ، ص ١٨٥ ·

فتشام ، فصار كل منها إنما يعرف وينكر على ما سبق له من العهد المتقدم والله أعلم»(١) .

وقد راعى الإسلام الحنيف هذا الجانب في النفس البشرية ، فأمر الرسول ﷺ الخاطب بالنظر إلى المرأة التي يرغب بالزواج منها ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : خطب رجل امرأة من الأنصار ، فقال له رسول الله ﷺ : «هل نظرت إليها» ، قال : لا ، «فأمره أن ينظر إليها»(٢) .

وأمره ﷺ هذا بالنظر إلى المخطوبة قبل الزواج لحصول الألفة بينهما فقد قال ﷺ لمن يريد أن يتزوج «اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»(٣)

ومعنى قوله ﷺ «فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» : أي يكون بينكما المحبة والاتفاق ، يقال أدم الله بينهما يأدم أدماً بالسكون ، أي ألف ووفق(٤) .

والأحرى في النكاح توفر التوافق والألفة بين الزوجين ، وذلك ليتم مقصود الزواج بالسكن النفسي والقرار الروحي ، قال الله

---

(١) أبو سليمان أحمد بن محمد ، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ، تحقيق ودراسة محمد بن سعيد آل سعود الطبعة الأولى (مكة المكرمة - معهد إحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) ، ج٣ ، ص ١٥٣٠ - ١٥٣١ .

(٢) النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، السنن ، وبحاشيته شرح جلال الدين السيوطي المسمى زهر الربى على المجتبى ، وبحاشيته تعليق السندي ، (بيروت ؛ دار القلم) م٣، ج٦ ، كتاب النكاح ، باب إباحة النظر قبل التزويج، ص٦٩ .

(٣) ابن ماجه، السنن ، ج١ ، كتاب النكاح باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها ص٥٩٩، ح(١٨٦٥) ؛ الترمذي ، السنن ، ج٣، كتاب النكاح ، باب ماجاء في النظر إلى المخطوبة ، ص ٣٨٨، ح (١٠٨٧) ، قال البوصيري هذا إسناد صحيح رجاله ثقات (الزوائد ج٢، ص٧٥) .

(٤) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج١، (أدم) ، ص٣٢ ؛ السيوطي ، شرح سنن النسائي ، م ٣ ، ج ٦ ، ص ٧٠ .

عز وجل: ﴿ومن ءايٰته أن خلق لكم من أنفسكم أزوٰجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذٰلك لأيٰت لقوم يتفكرون﴾ (سورة الروم - آية ٢١) ٠

إن للسكن النفسي والروحي بين الزوجين أثره الكبير في قيام المجتمع القوي ، وذلك لما يحققه من الاتزان للأسرة والأفراد ، بالطمأنينة والهدوء الذي يشيعه ذلك السكن في الأسرة فينعكس أثره على الزوجين بالتفاهم والوئام ، مما يقدم للمجتمع جيلاً هادئاً مطمئناً متزناً ، يستطيع أن يعايش الحياة ، ويتغلب على مكابدتها وكدحها ٠

وقد نوه البهي الخولي رحمه الله إلى ضرورة توافر السكن النفسي والروحي في الأسرة فقال :

«إن حكمة الله سمت بالزواج الإنساني عن أن يكون مجرد اقتران رجل بامرأة فجعلته إلى ذلك زواج إنسانية بإنسانية ليثمر لنا من عالم القدس ثمراً معنوياً ليس من طبيعة هذه الأرض ، هو المودة والرحمة ٠٠٠٠ فتقدير الإسلام للأسرة أنها «جهاز» ذو فاعلية في تطوير معنى الحياة ٠٠٠٠٠ ومنح ظلمتها وماديتها عناصر من أفق المعنويات تجعلها جديرة بنظر الله سبحانه»(١) ٠

إن على الزوجين أن ينظر كل منهما في صاحبه ما وراء الظواهر والأشكال ليتغلغل ذلك إلى إنسانية كل منهما ، فيسعد كل منهما بما يملكانه من جوهر معنوي يفوق كل فتنة ٠٠

إن على كليها أن يعتقد «أن أجمل ما في الإنسان إنسانيته التي تتضمن جوهر عقائده ومثله وقيمه النفسية ، فكل منهما على هذا يتضمن ألواناً في جمال النفس تسمو بالخاطر ، وتسعد العيش، وتنفذ إلى الضمير ، فيزول إلى جانبها أثر كل جمال حسن ٠٠٠ وإن

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة ، ص ١٤٩-١٥٠ ٠

على كل منهما أن يتعرف ما في صاحبه من لوائح هذا الجمال فإنه حقيق أن يطالع منه كل آن ما تتفتح به سريرته نوراً وتقديراً ومسرة»(١) ·

ولعل أفضل وأعظم وأول نموذج لزوجين توفرت فيه هذه الصفة على أكمل وجه وأحسنه ، هو ما كان في زواج رسول اللهﷺ من خديجة رضي الله عنها ، فقد كان كل منهماً سكناً لصاحبه ومعيناً وظهيراً ، ذلك الزواج المثالي الذي تحققت فيه جميع الشروط والظروف ليثمر للبشرية حتى قيام الساعة بيت الدعوة الإسلامية الأول الذي تخرجت منه الجموع المؤمنة والتي استطاعت أن تقيم حكم الله عز وجل في أرضه ، وأن تدمر وتقضي على أعظم قوتين في التاريخ البشري ·

يقول البهي الخولي - رحمه الله - في ذلك ··«ولعل أفضل نموذج جمع (العناصر جميعها) هو ما كان بين رسول الله ﷺ وزوجته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، فقد كان زواجهما زواج عقل كبير إلى عقل كبير ، وخصائص نفسية رفيعة إلى خصائص نفسية رفيعة ، وكان إحساس كل منهما بجمال جوهر صاحبه بالغاً ذروة الإعجاب والسرور ، فلم يكن لجمال الحسن ولالفارق السن أثر في توثيق العلاقة بينهما ، فقد كان مايطلبه كل منهما في صاحبه من جمال النفس هو الرابطة الوثقى التي تزيد على الأيام تقديراً حتى جاءت الرسالة فتمت بها نعمة الحياة الزوجية أتم ما تكون النعمة ··· فإذا التمست السكن فالتمسه يوم عاد إليها ترجف بوادره ، وقد فجأه الوحي ، يقول : ياخديجة ، مالي لقد خفت على نفسي ·· فتقول : كلا ··· والله لايخزيك الله أبداً· وإنك لتصل الرحم ، وتقري الضيف وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق»(٢) ·

---

(١)،(٢) البهي الخولي ، المرجع السابق ·

«وفيما كان يجد لديها من موافقة على الحق ، وتأييد للرسالة ، وحسبنا أن عام وفاتها بالنسبة له كان عام حزن ، بل كان قد عرف هذا العام في تاريخ الرسالة «بعام الحزن» إذ كانت هي وزيره وظهيره في كل مايلم به ، فلما توفيت افتقد السكن الذى كان يأوي إليه في قربها ·

وإذا التمست المودة فستجدها في تلك الزوجية ، قبل الرسالة وبعدها أحفل ما تكون بمثلهما وآياتهما ، وحسبنا أنه ﷺ ظل يذكرها في حنان وتقدير عظيم طول حياته ، حتى كانت بعض زوجاته تغار من تلك المتوفاة التي لايكف الزوج العظيم عن الثناء عليها والوفاء لذكراها»(١) ·

والنتيجة ·· إن الاتفاق والانسجام بين الزوجين ينتج أسرة قوية صامدة في وجه أعتى الأعاصير ·

وإذا لم يتوفر في الأسرة عنصرا المودة والرحمة وما ينتج عن ذلك من سكينة وهدوء وطمأنينة لكلا الزوجين وللذرية ، فإنه قد يؤدي أحياناً إلى فراقهما ، كما في قصة زوجة ثابت بن قيس رضي الله عنهما ، حين جاءت رسول ﷺ تريد فراق زوجها ، فقالت : (يا رسول الله ما أنقم على ثابت في دين ولاخلق إلا أني أخاف الكفر ، فقال رسول الله ﷺ: «فتردين عليه حديقته ؟» (قالت: نعم. فردت عليه، وأمره ففارقها»(٢) ·

وفي رواية أخرى قالت رضي الله عنها : (إنى لاأعتب على ثابت في دين ولا خلق ولكني لا أطيقه)(٣) ·

---

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة ، ص ١٥٠-١٥١ ·

(٢) البخاري، الصحيح، م٣ ، ج٦، كتاب الطلاق ، باب الخلع ·· ، ص٢٠٩، ح(٥٢٧٦) ·

(٣) المرجع السابق ، ح (٥٢٧٥) ·

وفي رواية قالت رضي الله عنها (ولكني أكره الكفر في الإسلام)(١) ·

وقيل في معنى قولها إني أخاف الكفر في الإسلام :(أخاف على نفسي في الإسلام ما ينافي حكمه من نشوز وفرك وغيره فأطلقت ما ينافي مقتضى الإسلام الكفر ويحتمل أن يكون في كلامها إضمار أي أكره لوازم الكفر من المعاداة والشقاق والخصومة)(٢) ·

وقال الحافظ ابن حجر في ذلك : (أي أكره إن أقمت عنده أن أقع فيما يقتضي الكفر ·····

وكأنها أشارت إلى أنها قد تحملها شدة كراهتها له على إظهار الكفر لينفسخ نكاحها منه ، وهي كانت تعرف أن ذلك حرام، ولكن خشيت أن تحملها شدة البغض على الوقوع فيه ، ويحتمل أن تريد بالكفر كفران العشير، إذ هوتقصير المرأة في حق الزوج)(٣) ·

واستجاب رسول الله ﷺ لطلب زوجة ثابت رضي الله عنهما وأمره بفراقها ففعل وطلقها تطليقة ·

وفي ذلك دلالة على أن للنفس دورها في تحقيق التوافق بين الزوجين وإقامة حدود الله سبحانه وتعالى، لاسيما من جانب المرأة والرسول ﷺ لم يسأل عن سبب فراقها لزوجها ، ولم يستفسر ﷺ من ثابت - رضي الله عنه ·

كيف لايكون منه ﷺ ذلك وقد أتت المرأة من الكلام الذي لايمكن معه أن تقوم هذه الزوجية ، بما أوصلتها كراهة الـــزوج إلى

---

(١) المرجع السابق ، ح (٢٥٧٣) ·
(٢) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج٩، ص ٤٠٠ ·
(٣) المرجع السابق

مخافة إظهار الكفر ، أو كفران حق العشير ، ثم إن الكراهة من قبل المرأة لاعلاج لها إلا أن تزول تلك من نفسها أو أن تفارق ذلك الزوج ·

أما حين يكره الزوج فقد جعل الله عز وجل له مخرجاً مع الإمساك بتلك الزوجة دون ضرر أو أذى بل مع حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف ·

ومن ذلك أيضاً ما كان من بريرة رضي الله عنها* في فراق زوجها مغيث رضي الله عنه* حين أعتقت فخيرها(١) رسول الله ﷺ في زوجها ، ففارقته ·

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه : (أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ لعباس : «ياعباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً» ، فقال النبي ﷺ :«لوراجعتيه» قالت: يارسول الله تأمرني ؟ قال : «إنماأنا أشفع» قالت : لاحاجة لي فيه(٢))·

وقالت رضي الله عنها في رواية أخرى : (لو أعطيت كذا وكذا ماكنت معه)(٣) ·

---

* بريرة : مولاة عائشة رضي الله عنهما ، كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها ثم باعوها من عائشة رضي الله عنها واختلف في زوجها هل كان عبداً أم حراً والأكثر أنه عبد ، وكان فيها ثلاث سنن· (الإصابة ٤/٢٥١؛ الاستيعاب ٤/٢٤٩ ؛ سير ٢/٢٩٧؛ ط ابن سعد ٨/٢٥٦؛ أسد الغابة ٧/٣٩ ؛ تهذيب ١٢/٤٠٣) ·

* مغيث : وهو مولى أبى أحمد بن جحش الأسدي ، قد أعتقت بريرة عنده، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختارت فراقه وكان يحبها(الاستيعاب : ٣/٤٥٣ الإصابة ٣/٤٥١)·

(١) انظر : البخاري ، الصحيح ، م٣، ج٦، كتاب الطلاق ، باب لايكون بيع الأمة طلاقاً ، ص٢١٠، ح(٥٢٧٩) ·

(٢) المرجع السابق ، باب شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة ، ح(٥٢٨٣) ·

(٣) البخاري ، الصحيح ، م٤ ، ج٨ ، كتاب الفرائض ، باب ميراث السائبة، ص١٢، ح(٦٧٥٤) ·

وفي قصة بريرة - رضي الله عنها- هذه ، وموقف رسول الله ﷺ من هذه الحادثة مايدل على ضرورة الانسجام النفسي والاجتماعي بين الزوجين ، لأنه ﷺ لم يأمر بريرة - رضى الله عنها بالبقاء مع زوجها ، بل شفع ﷺ إشفاقاً على مغيث الذي راح يتبعها في سكك المدينة لعلها ترق لحاله ، وإشفاقاً على الولد الذي بينهما حين قال لها ﷺ (إنه أبو ولدك)(١) .

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث الشريف.....

إن الحب والبغض بين الزوجين لالوم فيه على واحد منهما لأنه بغير اختيار ، وإنه لاعار على الرجل في إظهار حبه لزوجته ، وإن المرأة إذا أبغضت زوجها لايحق لوليها إكراهها على عشرته ، وإذا أحبته لم يكن لوليها التفريق بينهما(٢) .

وهنا لابد من وقفة .. فالمرأة التي تصبر على زوجها بأي حال من البعد بينهما مع حفظها لحدود الله سبحانه وتعالى في زوجها ونفسها ودينها وفاءً لعهد الزوجية ، وإمساكاً بالأسرة ، وأداء للواجب ، لاشك أنها تجد سعادة ومتعة في راحة الضمير وطمأنينة النفس في الدنيا ، وأجراً وثواباً بغير حساب في العقبى ، كما وعد الله سبحانه وتعالى عباده الصابرين .

وبذلك فقد حرص الإسلام على أن يوجد بين الزوجين من الروابط النفسية والوجدانية ، مما يحملهما على دوام العشرة والألفة بينها .

والزوجة مأمورة بتوفير سبل السكن النفسي للزوج ، ليجد زاوية راحة وهناءة يلجأ إليها بعد الكد والعناء ، ففي الصحيح من حديث عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - أن الرسول ﷺ قال

---

(١) ابن ماجه ، السنن ، ج١ ، كتاب الطلاق ، باب خيار الأمة إذا أعتقت ، ص٦٧١، ح(٢٠٧٥) ، وقال الشيخ الألباني صحيح (صحيح ابن ماجه ١/٣٥٤-٣٥٥).

(٢) انظر : فتح الباري ، ج٩ ، ص٤١٥ .

«إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس»(١) .

وقد فسر العلماء الشؤم في المرأة بسوء خلقها(٢) ، وبالفتنة التي يمكن أن تحصل منها(٣) .

وحين يبتلى الرجل بزوجة يكرهها أو ينفر منها لأمر ما فإنه مأمور بالإحسان إليها والإمساك بها ، عسى أن يبدله الله سبحانه وتعالى خيراً لصبره على هذه الزوجة مع الكراهية ... قال الله عز وجل ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ (النساء-آية- ١٩) .

وذلك حفاظاً على البيوت والأسر من الخراب والدمار .

والأمر في الآية الكريمة موجه إلى الرجل بحسن الصحبة ، وكذلك في الحديث الشريف في قوله ﷺ «لايفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» أو قال «غيره»(٤) .

وكذلك في استنكار أمير المؤمنين عمر رضي الله للرجل الذى أتاه يريد طلاق زوجه ، لأنه لايحبها فقال عمر - رضي الله عنه - (أين الرعاية وأين التذمم وهل تبنى البيوت إلا على الحب) .

والإسلام دعا الزوجة أيضاً إلى التنازل عن بعض حقها حرصاً على صحبة زوجها وحفاظاً على الأسرة ، إذا لمست من زوجها بوادر النفرة أو الكراهية وهي ترغب في الإقامة معه، وتكره أن يفارقها قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٣، ج٦ ، كتاب النكاح ، باب مايتقى من شؤم المرأة، ص ١٥١، ح(٥٠٩٤) .
(٢) انظر : ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ج٢، ص٢٥٦ .
(٣) انظر : ابن حجر ، ج٩ ، ص١٣٨ .
(٤) مسلم، الصحيح، ج٢، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، ص ١٠٩١، ح(١٤٦٩).

إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ (سورة النساء - آية ١٢٨) وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت في هذه الآية نزلت في المرأة تكون عند الرجل فلعله أن لايستكثر منها ، وتكون لها صحبة ويكون لها ولد فتكره أن يفارقها فتقول له أنت في حل من شأني»(١) لقد دأب الإسلام على لم شمل البيوت حفاظاً على الأمومة والبنوة.

قال الإمام أبو جعفر - رحمه الله -

«يعنى بذلك جل ثناؤه ﴿وإن امرأة خافت من بعلها﴾ .. علمت من زوجها ﴿نشوزاً﴾ يعنى استعلاء بنفسه عنها إلى غيرها ، أثرة عليها ، وارتفاعاً بها عنها ، إما لبغضة ، وإما لكراهية منه بعض أشياء بها ، إما دمامتها ، وإما سنها وكبرها ، أو غير ذلك من أمورها ﴿أو إعراضاً﴾ يعنى : انصرافاً عنها بوجهه أو ببعض منافعه ، التي كانت لها منه ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً﴾ يقول فلاحرج عليهما ، يعني : على المرأة الخائفة نشوز بعلها أو إعراضه عنها، أن يصلحا بينهما صلحا ، وهو أن تترك له يومها ، أو تضع عنه بعض الواجب لها من حق عليه ، تستعطفه بذلك ، وتستديم المقام في حباله ، والتمسك بالعقد الذى بينها وبينه من النكاح ... ﴿والصلح خير﴾ يعني : والصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة ، وتماسكا بعقد النكاح، خير من طلب الفرقة والطلاق»(٢) ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ .

---

(١) سبق تخريجه ص ١٦١ من هذا البحث .

(٢) ابن جرير الطبري ، جامع البيان ، م٤، ج٥، ص٣٠٥-٣٠٦ .

قال أبو جعفر رحمه الله ·· «أحضرت أنفس النساء الشح بأنصبائهن من أزواجهن في الأيام والنفقة ، والشح : الإفراط في الحرص على الشيء ، وهو في هذا الموضع : إفراط حرص المرأة على نصيبها في أيامها من زوجها ونفقتها ·

فتأويل الكلام : وأحضرت أنفس النساء أهواءهن من فرط الحرص على حقوقهن من أزواجهن والشح بذلك على ضرائرهن»(١).

﴿وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ يعني وإن تحسنوا أيها الرجال في أفعالكم إلى نسائكم اذا كرهتم منهن دمامة أو خلقاً أو بعض ماتكرهون منهن بالصبر عليهن وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف وتتقوا الله فيهن بترك الجور منكم عليهن فيما يجب لمن كرهتموه منهن عليكم من القسمة له والنفقة والعشرة بالمعروف ·· فإن الله كان بما تعملون في أمور نسائكم أيها الرجال من الإحسان إليهن ·· خبيراً يعني عالماً خابراً لايخفى عليه منه شيء حتى يوفيكم جزاء ذلك المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته(٢) ·

ولم يكتف القرآن الكريم باستجاشة حساسية التقوى والإحسان في نفس الرجل نحو زوجه ، بل أمره الله عز وجل بالعدل ، ومراعاة خاطر تلك الزوجة قال الله عز وجل ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذورها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ (سورة النساء- آية ١٢٩) ·

إن الله عز وجل يأمر الرجل بالعدل بين أزواجه فيما استطاع فيه العدل ، من القسمة والنفقة ، وترك الجور بإيثار إحداهن على الأخرى ، فيما فرض عليه العدل بينهن ، فالله عز وجل قد صفح

(١) المرجع السابق ، ص ٣١٢ ·
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٣١٢-٣١٣ ·

عنهم وتجاوز عز وجل عما لايطيق العدل فيه بينهن مما في القلوب من المحبة والهوى(١) ، أو ما كانت قد أسقطته الزوجة من حق من حقوقها في حالة نشوز الزوج ٠

ومهما يكن من أمر ٠٠ فإن أمر الصلح بين الزوجين لاستمرار عقد النكاح بينهما وقيام الأسرة ، لايفهم منه أنه حق للرجل ينبغي أن يفرض على الزوجة متى شاء فيخيرها كما يحلوله، بل الأمر منضبط بأمور عارضة قد تحصل للزوجة من مرض أو عدم جاذبية أو كبر سن ، أو إعراض عن الزوج ، فللزوج عند ذلك أن يخيرها بين التنازل عن شيء من حقوقها أو الفراق ، فإن اصطلحا على أمر ، كان لها- إن لم تطق ذلك الحال - أن تنقض هذا الاتفاق لتطالب بحقها المسلوب مرة أخرى ، فيعدل الزوج أو يفارق(٢) ٠

ويبقى الأمر على كل حال راجعاً لما تطيقه الزوجة وتقدر عليه، وما فيه مصلحتها وتحقيق كرامتها ٠

وقد أجاد الشهيد سيد قطب في معالجة هذه القضية ٠٠ فقال في تفسير الآيات (١٢٨-١٣٠) من سورة النساء:

« إن القرآن الكريم ينظم هنا حالة النشوز والإعراض حين يخشى وقوعها من ناحية الزوج ، فتهدد أمن المرأة وكرامتها ، وأمن الأسرة كلها كذلك ، إن القلوب تتقلب ، وإن المشاعر تتغير والإسلام منهج حياة يعالج كل جزئية فيها ، ويتعرض لكل ما يعرض لها ٠

فإذ خشيت المرأة أن تصبح مجفوة ، وأن تؤدي هذه الجفوة إلى الطلاق ، أو إلى الإعراض الذي يتركها كالمعلقة ، لاهي زوجـــة

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٣١٦-٣١٧ ٠

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ ٠

ولاهي مطلقة ، فليس هنالك حرج عليها ولا على زوجها ، أن تتنازل له عن شيء من فرائضها المالية أو فرائضها الحيوية ، كأن تترك له جزءاً أو كلاً من نفقتها الواجبة عليه ، أو أن تترك له قسمتها وليلتها ، إن كانت له زوجة أخرى يؤثرها ، وكانت هي قد فقدت حيويتها للعشرة الزوجية أو جاذبيتها ·· هذا كله إن رأت هي بكامل اختيارها وتقديرها لجميع ظروفها - أن ذلك خير لها وأكرم من طلاقها » ·

﴿والصلح خير﴾

«فينسم على القلوب التي دبت فيها الجفوة والجفاف نسمة من الندى والإيناس ، والرغبة في إبقاء الصلة الزوجية ، والرابطة العائلية»

﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾

«(أي إن الشح حاضر دائماً في الأنفس ، وهو دائماً قائم فيها، الشح بأنواعه الشح بالمال ، والشح بالمشاعر ، وقد تترسب في حياة الزوجين - أو تعرض - أسباب تستثير هذا الشح في نفس الزوج تجاه زوجته فيكون تنازلها له عن شيء من مؤخر صداقها أو من نفقتها ، إرضاء لهذا الشح بالمال ، تستبقي معه عقدة النكاح!)» «والأمر على كل حال متروك في هذا للزوجة وتقديرها لما تراه مصلحة ·· لايلزمها لمنهج الرباني بشيء ولكنه فقط يجيز لها التصرف ويمنحها حرية النظر والتدبر في أمرها وفق ما تراه ·

﴿وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعلمون خبيراً﴾، فالإحسان والتقوى هما مناط الأمر في النهاية ، ولن يضيع منهما شيء على صاحبه ، فإن الله خبير بما تعمله كل نفس، خبير ببواعثه وكوامنه ·· والهتاف للنفس المؤمنة بالإحسان والتقوى ، والنداء لها باسم الله الخبير بما تعمل ، هتاف مؤثر ، ونداء مستجاب ·· بل هو وحده الهتاف المؤثر والنداء المستجاب»

﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولوحرصتم﴾

والإسلام «يصارح الناس بأنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء - لأن الأمر خارج عن إرادتهم - ·· ولكن هنالك ما هو داخل في إرادتهم ، هنالك العدل في المعاملة والعدل في القسمة ، العدل في النفقة ، العدل في الحقوق الزوجية كلها ، حتى الابتسامة في الوجه ، والكلمة الطيبة باللسان ·· وهذا ما هم مطالبون به ، هذا هو الخطام الذى يقود ذلك الميل لينظمه لا ليقتله»

«كان نبي الإسلام - ﷺ - هو الصورة الكاملة للإنسانية حين تبلغ أوجها في الكمال ، فتنمو فيها جميع الخصائص والطاقات نمواً متوازناً متكاملاً في حدود فطرة الإنسان ·

وكان هذا الرسول ﷺ وهو يقسم بين نسائه فيما يملك ، ويعدل في هذه القسمة ، لاينكر أنه يؤثر بعضهن على بعض ، وأن هذا خارج عما يملك»(١) ·

فعن عائشة-رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فيعدل ثم يقول ، «اللهم ! هذا فعلي فيما أملك ، فلاتلمني فيما تملك ولا أملك»(٢) ·

وهكذا راعى الإسلام الجانب النفسي في الزواج ورأب صدعه بشتى الطرق والوسائل استدامه لعقد النكاح وميثاقه ، وحفاظاً على الأسر ، لبنات المجتمع ، وعلى الأجيال الناشئة ذخر الأمة ·

وما يقال عن التجانس النفسي في الاتفاق بين الزوجين يقال عن التجانس العقلي بينهما ·

---

(١) مقتطفات من في ظلال القرآن ، ج٢، ص٧٦٨ - ٧٧٠ ، بتصرف ·

(٢) ابن ماجه ، السنن ج١ ، كتاب النكاح ، باب القسمة بين النساء ، ص ٦٣٣، ح (١٩٧١) ·

فقد راعى الإسلام هذا ، حتى تقام الأسر على أساس قوي متين ، وحين خطب أبو بكر - رضي الله عنه - ثم عمر - رضي الله عنه - فاطمة - رضي الله عنها-رفض الرسول ﷺ ذلك لأنها صغيرة وزوجها علياً- رضي الله عنه-(١)*.

فالموافقة في السن محسوبة في الإسلام ، لكونها أقرب إلى الألفة والمودة وحسن الصحبة ، وقد يترك ذلك لسبب أعلى منه كما كان من زواج رسول الله ﷺ لعائشة - رضى الله عنها-(٢) .

وكذلك في توجيه رسول الله ﷺ لجابر رضي الله عنه في نكاح البكر لأنه كان شاباً ، وهذا أقرب وأحسن للموافقة ودوام الزوجية .

ولكن حين أعلم جابر - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ بالسبب، أثني عليه ﷺ خيراً وحسن ﷺ فعله لزواجه من امرأة ثيب ، لتقوم برعاية أخواته اللاتي لم يكن لهن غيره(٣) .

فقد كره جابر رضي الله عنه أن يجيء لأخواته بجارية صغيرة مثلهن، وآثر الكبيرة الثيب لتصلح من حالهن رضي الله عنهن .

إن التوافق النفسي والعقلي بين الزوجين مدعاة إلى نعيم الزوجية ، وذلك لما يثمره من تفاهم وتعارف وتواد ، لكنه لايعدو أن يكون سبباً كمالياً للزواج وليس أساسا ، فإذا عدم ، بين الزوجين ، فإنه لايعني انفصام عرى الأسرة ، بل يسعى كل منهما

---

(١) انظر :النسائي، السنن،م٣، ج٦،كتاب النكاح، باب تزويج المرأة مثلها في السن، ص٦٢.قلت : الحديث صحيح .

* ذكر الدكتور محمد علي البار بأن الرسول صلى الله عليه وسلم رفض ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أمره أن يزوجها علياً كرم الله وجهه .

(٢) انظر : السندي ، وتعليقه على سنن النسائي حاشية المرجع السابق من سنن النسائي.

(٣) انظر الحديث وتخريجه ص ٢٩٠ من هذا البحث .

لالتماس الجوانب المرضية في صاحبه وغض الطرف عن المنفرات ، أداء للحقوق التي أمر الله عز وجل بها ٠

إن ما سبق ذكره في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ليدل دلالة واضحة على أن التوافق النفسي والعقلي بين الزوجين ليس هو عماد الأسرة ، الذي إن انتفى وجوده يتحتم على ذلك انهيار البيت على من فيه ٠

بل الذي يفهم منها أنه أمر تكميلي لقيام الأسرة على خير صورة ووجه ، والأفضل والأسعد للزوجين أن يتوفر فيما بينهما هذا التوافق الروحي والنفسي والعقلي ليثمر الألفة والمحبة والتفاهم (وجعل بينهما مودة ورحمة) فإذا عدم الحب بينهما لايعني ذلك أن الحل هو الفراق والطلاق ! لكن الحل هو أن يحسن كل منهما صحبة الآخر قدر ما يستطيع من حسن العشرة ، وذلك برحمة كل منهما لصاحبه ، والرحمة توجد بينهما، ولايشترط لوجودها توفر المحبة، ويبقى الزوج في نظر الإسلام هو المسؤول الأول عن سلامة الأسرة نفسياً وعقلياً واجتماعياً ، وذلك بما يشيعه في الأسرة من الحب والود والرعاية والاهتمام وأداء المسؤولية ، ولايعدم الرجل الناجح أن يحيط زوجه برعايته ورحمته مع الكراهية ، ليستميل قلبها إليه وليحتويها بكل كيانها ، ولاسيما وأن للزوج أن يتزوج ويجمع أربع نساء عنده في وقت واحد ، وبذلك يستطيع أن يعوض ما افتقده في تلك الزوجة ٠

ومن هنا كان واجباً لازماً عليه أن يرعاها نفسياً وروحياً بالصحبة الطيبة وبالتي هي أحسن دون أن يعلمها أنه لايحبها ، لاسيما وأن الإسلام أباح الكذب بين الزوجين في أمور العاطفة والميل حفظاً للأسر ، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فما هو مكروه اليوم إلى النفس قد يصبح محبباً مقرباً غداً ، فقد يقدر الله عز وجل من هذه الزوجة أو في

هذه الزوجة ما هو خير وبركة لكل منهما فيتبدل الحال إلى المودة والألفة ٠

إلا إذا استحالت الحياة بينهما وتحولت إلى جحيم لايطاق فعند ذلك لا جناح على الزوجين في الفراق إذا لم يستطع أحدهما أداء حق صاحبه ، وقد رخص الله عز وجل في ذلك بالطلاق قال الله تعالى : ﴿ولايحل لكم أن تأخذوا مما ءاتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظلمون﴾(سورة البقرة - آية ٢٢٩) ٠

فقيام الزوجية ودوامها على صورة جيدة لايعيقه عدم حصول التوافق النفسي والعقلي بين الزوجين وحين يؤدي كل واحد منهما ما لصاحبه من حق وما عليه من واجب ، استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى ولاسيما من جانب الزوج ، فإن أمور البيت تسير على خير مايرام ، لأن شعور الإنسان بالمسؤولية وأداءه لها يجعله ينعم بالسكن والهدوء والراحة النفسية إلى جانب ذلك الزوج الذى لاتميل إليه النفس ، فقيام البيت ودوام الأسرة وسعادة الأطفال في ظلها كل ذلك كفيل بأن يشيع جواً روحياً يفرض الاستقرار والطمأنينة حين تكون النفوس سليمة طيبة خيرة ، عامرة بحب الواجب وأداء الأمانة ، وقد أجاد الشهيد سيد قطب ، البحث في هذه المسألة فقال :

«جعل (الإسلام) العشرة بالمعروف فريضة على الرجل - حتى في حالة كراهية الزوج لزوجته - مالم تصبح العشرة متعذرة - ونسم في هذه الحالة نسمة الرجاء في غيب الله وفي علم الله ٠ كي لايطاوع المرء انفعاله الأول ، فيبت وشيجة الزوجية العزيزة فما يدريه أن هنالك خيراً فيما يكره ، هو لايدريه ، خيراً مخبوءاً كامناً ، لعله إن كظم انفعاله واستبقى زوجه سيلاقيه ٠

﴿ يأيها الذين ءامنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما ءاتيتموهن إلا أن يأتين بفحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ ، (سورة النساء - آيــة ١٩) .

«وهذه اللمسة الأخيرة في الآية تعلق النفس بالله ، وتهدئ من فورة الغضب ، وتفثأ من حدة الكره حتى يعاود الإنسان نفسه في هدوء ، وحتى لاتكون العلاقة الروحية ريشة في مهب الرياح فهي مربوطة العرى بالعروة الوثقى ، العروة الدائمة العروة التي تربط بين قلب المؤمن وربه ، وهي أوثق العرى وأبقاها والإسلام الذي ينظر إلى البيت بوصفه سكناً وأمناً وسلاماً ، وينظر إلى العلاقة بين الزوجين بوصفها مودة ورحمة وأنساً ، ويقيم هذه الآصرة على الاختيار المطلق، كي تقوم على التجاوب والتعاطف والتحاب .. هو الإسلام ذاته الذي يقول للأزواج : ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ ..

كي يستأني بعقدة الزوجية فلاتفصم لأول خاطر ، وكي يستمسك بعقدة الزوجية فلا تنفك لأول نزوة ، وكي يحفظ لهذه المؤسسة الإنسانية الكبرى جديتها فلا يجعلها عرضة لنزوة العاطفة المتقلبة ، وحماقة الميل الطائر هنا وهناك».

«وما أتفه الكلام الرخيص الذي ينعق به المتحذلقون باسم (الحب) وهم يعنون به نزوة العاطفة المتقلبة ، ويبيحون باسمة الانفصال بين الزوجين وتحطيم المؤسسة الزوجية بل خيانة الزوجة لزوجها ! ... وخيانة الزوج لزوجته !...»

«وما يهجس في هذه النفوس التافهة الصغيرة معنى أكبر من نزوة العاطفة الصغيرة المتقلبة ، ونزوة الميل الحيواني المسعور ، ومن المؤكد أنه لايخطر لهم أن في الحياة من المروءة والنبل والتجمل

والاحتمال ، ما هو أكبر وأعظم من هذا الذي يتشدقون به في تصور هابط هزيل ·· ومن المؤكد طبعاً أنه لايخطر لهم خاطر ·· الله ·· فهم بعيدون عنه في جاهليتهم المزوقة ! فما تستشعر قلوبهم ما يقوله الله للمؤمنين : ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ ·

إن العقيدة الإيمانية هي وحدها التي ترفع النفوس ، وترفع الاهتمامات ، وترفع الحياة الإنسانية عن نزوة البهيمة ، وطمع التاجر ، وتفاهة الفارغ !»

«فإذا تبين بعد الصبر والتجمل والمحاولة والرجاء ، أن الحياة غير مستطاعة، وأنه لابد من الانفصال ، واستبدال زوج مكان زوج ، فعندئذ تنطلق المرأة بما أخذت من صداق وما ورثت من مال ، لايجوز استرداد شيء منه ، ولو كان قنطاراً من ذهب»(١) ·

ولذا فقد رعى الإسلام البيوت ومنع النساء المتزوجات من أن يمتد إليهن عابث فحرمهن على الرجال قال الله تعالى ﴿حرمت عليكم ···· والمحصنات من النساء﴾ سورة النساء - آية ٢٣- ٢٤) ·

فالزوجة ملك لزوجها في كل كيانها ومشاعرها وأحاسيسها ووجدانها ونظرها ، ما دام حبل الزوجية قائماً ، حتى إذا طلقت منه بقيت على هذا الحال حتى تنقضي عدتها ،،، لتفكر بعدها إن شاءت بالزواج مرة أخرى من زوج غيره ·

رعاية لحدود الله سبحانه وحفظاً للحرمات والأسر ·

﴿والمحصنات من النساء··﴾

«تتعلق بالمحرمات لأنهن في عصمة رجال آخرين ومحصنات بالزواج منهم :فهن محرمات على غير أزواجهن ، لايحل نكاحهن

---

(١) مقتطفات من في ظلال القرآن ، ج١ ، ص ٦٠٥-٦٠٧ ·

... وذلك تحقيقاً للقاعدة الأولى في نظام المجتمع الإسلامي ، من قيامه على قاعدة الأسرة ، وجعلها وحدة المجتمع ، وصيانة هذا الأسرة من كل شائبة ، ومن كل اختلاط في الأنساب ينشأ في (شيوعية) الاتصال الجنسي ، أو ينشأ من انتشار الفاحشة ، وتلوث المجتمع بها» .

«لم تعد اللذة الجنسية هي المقوم الأول في حياة الجنسين في عالم الإنسان ؛ إنما هي وسيلة ركبتها الفطرة فيهما ليتم الالتقاء بينهما ويطول بعد الاتصال الجنسي للقيام بواجب المشاركة في اطراد نمو النوع ، ولم يعد الهوى الشخصي هو الحكم في بقاء الارتباط بين الذكر والأنثى ، وإنما الحكم هو (الواجب) .. واجب النسل الضعيف الذى يجيء ثمرة للالتقاء بينهما ، وواجب المجتمع الإنساني الذي يحتم عليهما تربية هذا النسل إلى الحد الذي يصبح معه قادراً على النهوض بالتبعة الإنسانية وتحقيق غاية الوجود الإنساني» .

«وأي تهوين من شأن روابط الأسرة ، وأي توهين للأساس الذي تقوم عليه وهو «الواجب» لإحلال «الهوى» المتقلب ، و«النزوة» العارضة ، و«الشهوة» الجامحة محله ، هي محاولة آثمة، لا لأنها تشيع الفوضى والفاحشة والانحلال في المجتمع الإنساني فحسب، بل كذلك لأنها تحطم هذا المجتمع ؛ وتهدم الأساس الذي يقوم عليه، ومن هنا ندرك مدى الجريمة التي تزاولها الاقلام والأجهزة الدنسة، المسخرة لتوهين روابط الأسرة ، والتصغير من شأن الرباط الزوجي، وتشويهه وتحقيره ، للإعلاء من شأن الارتباطات القائمة على مجرد الهوى المتقلب ، والعاطفة الهائجة ، والنزوة الجامحة ، وتمجيد هذه الارتباطات ، بقدر الحط من الرباط الزوجي» .

«كما ندرك مدى الحكمة والعمق في قول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لرجل أراد أن يطلق زوجته ، معللاً ذلك بأنه لم يعد يحبها :(ويحك ! ألم تبن البيوت إلا على الحب ، فأين

الرعاية؟ وأين التذمم؟)) مستمداً قولته هذه من توجيه الله سبحانه وتربية القرآن الكريم لتلك الصفوة المختارة من عباده ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ ..

وذلك للإمساك بالبيوت - ما أمكن - ومقاومة نزوات القلوب ، وعلاجها حتى تفيء ، وعدم بت هذه الصلة إلا حين تفلس المجادلات كلها ، رعاية للجيل الناشيء في هذه البيوت ، وصيانة لها من هزات العاطفة المتقلبة ، والنزوة الجامحة والهوى الذاهب مع الريح »

« وفي ظل هذه النظرة السامية العميقة ، تتبدى التفاهة والسطحية فيما ينعق به اليوم أولئك المائعون ، وهم يمجدون كل ارتباط إلا الارتباط الذي يحكم الواجب ، والذي يرعى أمانة الجنس البشري كله ، وهي تنشئة أجيال تنهض بمقتضيات الحياة الإنسانية المترقية ، وتحكيم مصلحة هذه الأجيال ، لا مصلحة العواطف الوقتيه الزائلة » .

« إن جهوداً منظمة موجهة تبذل لإنشاء موازين وقيم وتصورات للمجتمع غير تلك التي يريدها الله ، لإقامة أسس للحياة والارتباطات غير تلك التي أقامها الله.

ولتوجيه الناس والحياة وجهة غير التي قررها الله والموجهون لهذه الجهود يحسبون أنهم ينتهون إلى تحطيم قواعد المجتمع الإسلامي ، وتدمير حياة المسلمين في الأوطان الإسلامية ، حتى لاتبقى أمامهم حواجز تصد أطماعهم القديمة في هذه الأوطان ، بعد أن تنهار عقائدها وتنهار أخلاقها ، وتنهار مجتمعاتها .. ولكن الكارثة أبعد من هذا مدى .. إنها تحطيم قواعد المجتمع الإنساني كله ، لا المجتمع الإسلامي وحده ، تحطيم قواعد الفطرة التي تقوم عيها حياة الإنسان ، وحرمان المجتمع البشري من العناصر التي تحمل

أمانته الكبرى ، أمانة الحياة الإنسانية المترقية ، وذلك بحرمانه من الأطفال المؤهلين في جو الأسرة الهادئ المطمئن الآمن من عواصف الشهوات الجامحة ، والنزوات المتقلبة ، والهوى الذاهب مع الريح للنهوض بأمانة الجنس البشري كله ، وهي شيء آخر غير مجرد التناسل الحيواني ! وغير مجرد الالتقاء الشهواني على أساس «العواطف» وحدها ، وتنحية «الواجب» المطمئن الثابت الهادئ !».

«وهكذا تحق اللعنة على الجنس البشري كله ، إذ يحطم نفسه بنفسه ، ويدمر الجيل الحاضر منه الأجيال القادمة ، لتحقيق لذاته هو ، وشهواته هو ، وعلى الأجيال القادمة اللعنة ، وتحق كلمة الله على الخارجين على كلمته وحظرته وتوجيهه ويذوق الجنس البشري كله وبال أمره ، إلا أن يرحمه الله بالعصبة المؤمنة التي تقر كلمة الله منهجة في الأرض ، وتأخذ بيد الناس إليها ، وتعصمهم من الشر الماحق الذي يهيئونه لأنفسهم بأيديهم وهم يحسبون أنهم فقط إنما يحطمون الأوطان الإسلامية ، لتنهار حواجزها بتلك الجهود الموجهة الخبيثة ! التي تتولاها أقلام وأجهزة من داخل هذه الأوطان ذاتها» (١) ·

٣- مدى التجانس الثقافي والاجتماعي :

إن المستوى الاجتماعي الذي ينتمي إليه كل من الزوجين له دوره في نجاح الزواج ، ولكن يبقى الأصل في ديمومة الزوجية هو أداء الواجب مادام ذلك مستطاعاً، أما بقية الأمور فثانوية بعد قيام الزوجية ·

لذا فإنه من الأفضل في الزواج عند الاختيار لكلا الزوجين أن يكونا متقاربين اجتماعياًوثقافياً، في السلوك والفكر وأسلوب الحياة وذلك لضمان نجاح هذا الزواج·

---

(١) مقتطفات من في ظلال القرآن ج٢، ص ٦٢٠-٦٢٢ ·

وقد أشار الشيخ الطنطاوي - حفظه الله - إلى هذه القضية بين الزوجين فقال·· (إن الشباب مختلفون غنى وفقراً ، وثقافة وجهلاً ، وتقى وتساهلاً ، وجداً وهزلاً ، وفي كل صنف من هؤلاء مثيله من البنات ولو أن كل شاب يريد الزواج خطب من تماثله في تفكيره ووضعه الاجتماعي ونظره إلى الحياة لما كان عشر هذا الاختلاف الزوجي الذي نراه الآن ولا يحتاج ذلك إلا إلى جماعة من المصلحين يدعون إلى الزواج ، ويرغبون فيه ، ثم يدلون كل خاطب على الأسرة التي تناسبه ، ولو وجد في كل حي من أحياء البلد نفر من هؤلاء المصلحين ، لحل بعض هذه المشكلة»(١)

إن الزواج الذي يقوم على أساس من الدين والخلق والتناسب الاجتماعي والثقافي هو زواج ناجح بإذن الله ، يثمر خيراً على الدوام سواء في المجتمع أو في الذرية التي تكون منهما، لأنه كلما قربت المسافة بين الزوجين، وقلت الفروق الثقافية والاجتماعية ، ندر الاختلاف بينهما ، إن لم يعدم ·

وقد نص القرآن الكريم على مراعاة هذا الجانب ، في حديثه عن الزواج من الإماء، قال الله عز وجل ··

﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنٰت فمن ماملكت أيمٰنكم من فتيٰتكم المؤمنٰت والله أعلم بإيمٰنكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وءاتوهن أجورهن بالمعروف محصنٰت غير مسفحٰت ولا متخذٰت أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفحشة فعليهن نصف ماعلىٰ المحصنات من العذاب ذٰلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم ﴾ ، (سورة النساء - آية ٢٥) ·

---

(٢) مع الناس ، ص ٨٦ ·

فالله عز وجل يأمر المسلم بالصبر عن زواج الإماء إذا لم يتيسر له زواج الحرائر ، إلا إذا خشي العنت على نفسه والمشقة من عدم الزواج ، فإنه يرخص له بنكاح الإماء ، لكن الصبر بعدم الزواج أفضل من نكاحهن ·

يقول الأستاذ سيد قطب في معنى الآية الكريمة :(وهو هنا يهيب بالصبر على نكاح الحرائر ، فهن أولى أن تصان نفوسهن بالزواج وأن تقوم عليهن البيوت ، وأن ينجبن كرام الأبناء ، وأن يحسن الاشراف على الجيل الناشيء ، وأن يحفظن فراش الأزواج··· فأما إذا خشي العنت عنت المشقة وعنت الصبر وعنت العفة التي لاتقاوم ، فهناك الرخصة والمحاولة لرفع مستوى الإماء بذلك التكريم الذي يضفيه عليهن فهن فتياتكم وهم أهلهن والجميع بعضهم من بعض يربطهم الإيمان ، والله أعلم بالإيمان · ولهن مهورهن فريضة وهو نكاح لامخادنة ولاسفاح وهن مسؤولات وإن وقعن في الخطيئة ولكن مع الرفق والتخفيف ومراعاة الظروف ، إنه ميدان تنظيم الأسرة وتطهير المجتمع وتحديد الصورة النظيفة الوحيدة التي يحب الله أن يلتقي عليها الرجال والنساء ، وتحريم ماعداها من الصور وتبشيعها وتقبيحها في القلوب والعيون»(١) ·

وفي ذلك حكمة أخرى وهي الذرية المرتقبة ، فإن كانت من الإماء ، فإن الجيل سيكون رقيقاً مثلهن ، والإسلام حرص على سد أبواب الرق ، وفتح أبواب الحرية على مصراعيها ·

صحيح بأنه لاطبقية في الإسلام ، لكن الناس درجات ، والله سبحانه وتعالى جعلهم في الخلق هكذا ، والنظر إلى هذا في الزواج أمر مساعد على نجاحه ، وعلى تشكيل أسرة جيدة ، وإذا لم يتوافر

---

(١) في ظلال القرآن ، ج٢ ، ص ٦٣٠ بتصرف.

هذا الشرط فلا ضير في ذلك ، فقد زوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش - رضي الله عنها - ، ابنة عمته من مولاه زيد بن حارثة* رضي الله عنه ، وزوج رسول الله ﷺ فاطمة* بنت قيس رضي الله عنها، الفهرية القرشية من أسامة بن زيد(١) - رضي الله عنهما- فسعدت به وغير هؤلاء -رضي الله عنهم- كثير ممن تزوجوا في مستويات اجتماعية مختلفة دون مراعاة لهذا الجانب لأن الأصل الذي كان يعتبره السلف الصالح - رضي الله عنهم - هو الدين وحسن الخلق في الدرجة الأولى ، وماسواه نفل، فإن وجد حسن وإن لا فلا غضاضة في هذا الزواج.

ومن جهة أخرى فإن الدين اعتبر الحالة الاجتماعية في الزواج، فجعل للأمة المزوجة من العبد - عند عتقها - أن تخير في البقاء مع زوجها العبد أو فراقه ، ولها ماشاءت ، كما كان من أمر بريرة رضي الله عنها عندما خيرها رسول الله ﷺ حين أعتقت ، ففارقت مغيثاً ، رغم شفاعة(٢) رسول الله ﷺ في ذلك .

---

* زيد بن حارثة بن شراحيل أبو أسامة الكلبي سيد الموالي وأسبقهم إلى الإسلام وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يسم الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد بن حارثة، وأمه هي سعدى بنت ثعلبة من بني معن بن طيء، قال ابن عمر ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد ﷺ حتى نزلت «أدعوهم لآبائهم» ، زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاته أم أيمن فولدت له أسامة، وزوجه بعدها بنت عمته زينب بنت جحش، ثم لما طلقها زوجه أم كلثوم بنت عقبة فولدت له زيداً ورقية قال عنه صلى الله عليه وسلم : «وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في غزوة مؤتة واستشهد فيها سنة ٨ وعمره ٥٥سنة .(الإصابة ١/٥٦٣ سير ١/٢٢٠؛ ط ابن سعد ٣/٢٧ ؛ الاستيعاب ١/٥٦٤ ؛ تهذيب ٣/٤٠١ ؛ أسد الغابه ٢/٢٨١) .

* فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس ، وكانت أسن منه من المهاجرات الأول ، ذات عقل وجمال ، وهي التي أمرها الرسول صلى الله عليه وسلم أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم لأنه أعمى ، ثم أشار عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسامة بن زيد فتزوجته ، هي التي روت قصة الجساسة وانفردت بها مطولة وفي بيتها اجتمع أهل الشورى لما قتل عمر رضي الله عنه(الإصابة ٤/٣٨٤).

(١) انظر : مسلم،الصحيح ج٢،كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لانفقة لها،ص١١٤ ح(١٤٨٠).

(٢) انظر الحديث في ذلك وتخريجه ص ٥٨٥ من هذا البحث .

وذكر الحافظ ابن حجر أنه أجمع العلماء على أن الأمة إذا أعتقت تحت عبد فإن لها الخيار ، وقد علل الحافظ السبب في ذلك بأن العبد غير مكافىء للحرة في أكثر الأحكام (١) .

والملاحظ في الواقع أن التقارب الاجتماعي بين أسرتي الزوجين يكون عاملاً مهماً ومساهماً في سعادتهما ، وتحقيق الطمأنينة والهدوء للأسرة جميعها .

ويرى الأستاذ المودودي أنه لاشيء أضر على النظام الاجتماعي وأفسد للحياة العائلية من الزواج المختلط اجتماعياً ويعلل رحمه الله السبب في ذلك فيقول : «فالزوجان إذا كانا مختلفين في أفكارهما ، وكانت قد تمت تربيتهما تحت تأثير تقاليد مختلفة وأساليب متضاربة ، فإنه من المحال قطعاً أن ينالا الهدوء والطمأنينة في حياتهما الزوجية ، أو يجعلا أسرتهما عضواً صالحاً في نظام للمجتمع ، أو ينجبا سلالة متلائمة مع نظام للمدنية ، من الممكن أن تكون بينهما المحبة والرأفة وتدوم إلى آخر أيام حياتهما ، إلا أن محبتهما ورأفتهما لاتورث اللذة والمتعة إلا لهما ، ولا ترجع على الحياة الدينية والاجتماعية بنوع من الفائدة أبداً» . «ودع عنك ذكر اختلاف الزوجين في دينهما وقوميتهما ، تجد أنه يستحيل أن تنجح الحياة العائلية ويتحسن النظام الاجتماعي بزيجات كان الطرفان فيها ينتميان إلى طبقتين مختلفتين من مجتمع موحد ، حتى إنه ليحدث بينهما الشقاق والنزاع بمجرد أن يكون أحدهما حضرياً وثانيهما ريفياً ، إذن لابد لاستمرار حياتهما الزوجية بهدوء وطمأنينة من اتحادهما واتحاد الأسرتين اللتين ينتميان إليهما في أكثر ما يمكن من الأمور ، كأن يتوفر التوافق والتجانس في أفكارهما ومبادئهما للحياة وفي درجتهما الاقتصادية ومكانتهما

---

(١) انظر فتح الباري ، ج٩ ، ص ٤٠٧ .

الاجتماعية ، ولا تكون تقاليد أسرة أحدهما مختلفة عن تقاليد أسرة الآخر اختلافاً كبيراً، وهذا ما يعرف «بالكفاءة» في اصطلاح الشريعة الإسلامية»(١) ·

ويبدو خطر الزواج المختلط اجتماعياً في الزواج من الأجنبيات لاسيما غير العربيات ، وتظهر كوارث هذه الزيجات في العصر الحاضر ، حيث ينتهي معظمها - إن لم يكن كلها - إلى الطلاق ·

وتتجلى نتائج هذه الزيجات في دول الخليج مع الطفرة النفطية رغم أن الزوجة كثيراً ما تتبنى الإسلام ، لكنها تبقى في سلوكها وثقافتها وتربيتها ابنة البيئة التي نشأت فيها ، إلا من رحم الله سبحانه ، وقد أشارت بعض الدراسات الميدانية إلى نتائج خطيرة لهذه الزيجات من أجنبيات في مجتمع الإمارات العربية المتحدة، منهـا: التأثير على لغة ولهجات الأولاد ، وتدني المستوى الثقافي للأولاد، وكثرة حوادث الطلاق وانتشار ظاهرة العنوسة بين النساء في الإمارات، وبالتالي زواجهن من وافد أو أجنبي، وضعف الانتماء الوطني عند الأولاد وخطر الفارق في السن ما بين الزوج والزوجة ، وازدياد الأعباء المادية على الزوج(٢)

إن الدين الإسلامي يندب الإنسان ويحضه على مصاحبة ومعاشرة الخيرين من الخلق ، والزوج والزوجة أول هؤلاء أهمية قال الله عز وجل ﴿الخبيثت للخبيثين والخبيثون للخبيثت والطيبت للطيبين والطيبون للطيبت﴾(سورة النور- آية-٢٦) ·

---

(١) أبو الأعلى ، الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ، تعريب خليل أحمد الحامدي، طبعة قديمة (دون) ، ص١٢٣ ·

(٢) انظر : ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج ، الفترة من ١-٣ شعبان ١٤٠٥هـ الموافق ٢١-٢٣ أبريل ١٩٨٥م ، (مسقط : مكتب التربية العربي لدول الخليج) ، ص ٣٦٤-٣٦٥·

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله «فأخبر تعالى أن النساء الخبيثات للرجال الخبيثين فلاتكون خبيثة لطيب، فإن ذلك خلاف الحصر، فلاتنكح الزانية الخبيثة إلا زانياً خبيثاً ، وأخبر أن الطيبين للطيبات فلايكون الطيب لامرأة خبيثة ، فإن ذلك خلاف الحصر إذ قد ذكر أن جميع الخبيثات للخبيثين فلاتبقى خبيثة لطيب ولاطيب لخبيثة ، وأخبر أن جميع الطيبات للطيبين فلاتبقى طيبة لخبيث فإن الحصر من الجانبين موافقاً لقوله تعالى ﴿الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك﴾ (سورة النور - آية ٣) ، ولهذا قال من قال من السلف مابغت امرأة لنبي قط، فإن هذه السورة نزل صدرها بسبب أهل الإفك ، وما قالوه عن عائشة رضي الله عنها ، ولهذا لما قيل فيها ما قيل وصارت شبهة ، استشار النبي ﷺ من استشاره في طلاقها قبل أن تنزل براءتها ، إذ لايصلح له أن تكون امرأته غير طيبة وقد روى ﷺ أنه «لايدخل الجنة ديوث»(١) والديوث الذي يقر السوء في أهله»(٢) .

والله عز وجل قد نهى عن نكاح الفجرة في الفواحش والزناة، وذلك لما في ذلك من الضرر البالغ على الفرد والأسرة والمجتمع ، ولذا أمر الله عز وجل بمقاطعة الزناة وهجرهم ، ولاسيما الأزواج ، لأن الزوج أوالزوجة قرين وعشير لصاحبه ، والمرء على دين خليله ، قال الله عز وجل ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾(سورة الصافات - آية ٢٢) .

أي عشراءهم وقرناءهم وأشباههم ونظراءهم(٣) .

---

(١) انظر الحديث في مسند الإمام أحمد، ج٩،ص٤١، ح(٦١٨٠) ، وقال الأستاذ/ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) الفتاوى ، ج ١٥ ، ص ٣٢٢، ٣٢٣ .

(٣) انظر : ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٩، ص٣١٥ .

فقد حرم الله عز وجل نكاح الزاني والزانية ممن ليس مثله في الإحصان والدين قال الله عز وجل ﴿الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة. والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾(سورة النور - آية٣) ، فالله عز وجل جعل في هذه الآية الشرك قرين الزنى ، لأن الزاني لايزني وهو مؤمن، فإذا استمر على فعلته الكبيرة هذه ، فقد صار قرين المشرك بغلبة الهوى وشيطان النفس على مخافة الله عز وجل وطاعته ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك ·· ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ فعلم أن الإيمان يمنع من ذلك ويزجر وأن فاعله إما مشرك وإما زان ، ليس من المؤمنين الذين يمنعهم إيمانهم من ذلك ، وذلك أن الزانية فيها إفساد فراش الرجل ، وفي مناكحتها معاشرة الفاجرة دائماً ومصاحبتها ، والله سبحانه أمر بهجر السوء وأهله ما داموا عليه، وهذا المعنى موجود في الزاني ، فإن الزاني ، إن لم يفسد فراش امرأته كان قرين سوء لها ·· كما قال الشعبي*: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ، وهذا مما يدخل فيه ضرر على المرأة في دينها ودنياها ، فنكاح الزانية أشد من جهة الفراش ونكاح الزاني أشد من حيث هو السيد المالك الحاكم على المرأة ، فتبقى الحرة العفيفة في أسر الفاجر الزاني الذي يقصر في حقوقها ويتعدى عليها»(١) ·

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في معنى الآية الكريمة للتوفيق بينها وبين ماظاهره التعارض معها ﴿الخبيثت للخبيثين والخبيثون للخبيثت والطيبٰت للطيبين والطيبون

---

* الشعبي عامر بن شراحيل بن عبد وقيل عامر بن عبدالله بن شراحيل الشعبي الحميري أبو عمرو الكوفي ، قال مكحول ما رأيت افقه منه ، قال العلماء فيه : الشعبي ثقة، وقال العجلي سمع من ثمانية وأربعين من الصحابة مات بعد سنة ١٠٩هـ (التقريب ٢٨٧؛ تهذيب ٥/٦٥؛ ط ابن سعد ٦/٢٤٦).

(١) المرجع السابق ، ص ٣١٥-٣١٦ ·

للطيبٰت﴾ «هذه الآية نزلت في براءة(١) أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما رميت به ، وذلك يؤيد ما قيل في أن معناها(٢) والخبثيات من النساء للخبيثن من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، أي فلو كانت عائشة رضي الله عنها غير طيبة لما جعلها -عز وجل- زوجة لأطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه»(٣)، والذى يتبادر إلى الذهن من أنه يمكن أن يكون العكس من ذلك على ما في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صٰلحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الدٰخلين﴾ (سورة التحريم آية ١٠).

وقوله عز وجل ﴿وضرب الله مثلاً للذين ءامنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظٰلمين﴾ ، (سورة التحريم - آية١١) .

فزوجة نوح - عليه السلام - وزوجة لوط - عليه السلام - كانتا كافرتين خبيثتين* وزوجاهما من أطيب الطيبين .

وزوجة فرعون من أطيب الطيبات والمبشرة بالجنة والتي كملت من النساء ، ومع ذلك فإنها كانت لأخبث الخبيثين فرعون.

وللتوفيق بين الآية الكريمة في سورة النور ، وبين الآيتين الكريمين في سورة التحريم : يقال بأن الأعم الغالب هو أن يكون الزوج الطيب للزوجة الطيبة ، ولكن قد يشذ الحال عن هذه القاعدة لأمر يريد الله عز وجل بيانه للناس .

---

(١) انظر الطبري ، جامع البيان ، م١٠، ج١٨، ص١٠٧

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٣) أضواء البيان ج١٠، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ص ٢١٧ .

* الخبث هنا ليس الزنى وإنما المقصود به الكفر .

وقد أجاب الشيخ الشنقيطي رحمه الله في دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب عن معنى الآيتين الكريمتين معاً فقال رحمه الله : «الغالب تقييض كل من الطيبات والطيبين والخبيثات والخبيثين لجنسه وشكله الملائم له في الخبث أو الطيب، مع أنه تعالى ربما قيض خبيثة لطيب كامرأة نوح وامرأة لوط ، أو طيبة لخبيث كامرأة فرعون لحكمة بالغة ، كما دل عليه قوله ﴿وضرب الله مثلاً للذين كفروا﴾ وقوله ﴿ضرب الله مثلاً للذين ءامنوا﴾ مع قوله ﴿وتلك الأمثل نضربها للناس وما يعقلها إلا العٰلمون﴾ (سورة العنكبوت - آية ٤٣) ، فدل ذلك على أن تقييض الخبيثة للطيب أو الطيبة للخبيث فيه حكمة لايعقلها إلا العلماء» .

«وهي في تقييض الخبيثة للطيب أن القرابة من الصالحين لاتنفع الإنسان ، وإنما ينفعه عمله ، ألا ترى أن أعظم ما يدافع عنه الإنسان زوجته وأكرم الخلق على الله رسله ، فدخول امرأة نوح وامرأة لوط النار ، كما قال تعالى : ﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الدٰخلين﴾ فيه أكبر واعظ وأعظم زاجر عن الاغترار بالقربة من الصالحين والأعلام» ، «كما أن دخول امرأة فرعون الجنة يعلم منه أن الإنسان إذا دعته الضرورة لمخالطة الكفار من غير اختياره، وأحسن عمله وصبر على القيام بدينه أنه يدخل الجنة ولايضره خبث الذين يخالطهم ويعاشرهم ، فالخبيث خبيث وإن خالط الصالحين ، كامرأة نوح ولوط ، والطيب طيب وإن خالط الأشرار كامرأة فرعون ، ولكن مخالطة الأشرار لاتجوز اختياراً كما دلت عليه أدلة أخر»(١) .

ولايستدل من ذلك أن الزوج يجوز له الإبقاء على الزوجة السيئة غير المحصنة، وبالتالي لايدل على جواز إقامة الزوجة مع

(١) الفقرات السابقة من أضواء البيان ، ج١٠، ص ٢١٨-٢١٩ .

الزوج الكافر أو غير المحصن ، لأن النصوص في القرآن الكريم والسنة الشريفة دلت على تحريم ذلك ·

وإن الذي سبق في الآيات الكريمة في امرأتي نوح ولوط ، وفي امرأة فرعون إنما كان في شرع سابق ، وشرع من قبلنا ليس شرعاً لنا ، إذا دلت الشريعة الإسلامية على ما يخالفه ·

ويشير الأستاذ سيد قطب إلى أهمية الأصل الاجتماعي الطيب في التوافق النفسي من خلال حادثة الإفك فيقول «ويختم الحديث عن حادث الإفك ببيان عدل الله في اختياره الذي ركبه في الفطرة وحققه في واقع الناس وهو أن تلتئم النفس الخبيثة بالنفس الخبيثة وأن تمتزج النفس الطيبة بالنفس الطيبة وعلى هذا تقوم العلاقات بين الأزواج وماكان يمكن أن تكون عائشة رضي الله عنها كما رموها وهي مقسومة لأطيب نفس على ظهر هذه الأرض ··· ولقد أحبت نفس رسول الله ﷺ عائشة حباً عظيماً ، فما كان يمكن أن يحببها الله لنبيه المعصوم ، إن لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم»(١) ·

وعلى ذلك فإن الكفاءة بين الزوجين لايعتبر فيها إلا الدين ، أما ماعداها من صفات وشروط فإنها تبع لها ، لكنها لاتخل بأصل العقد واستمرار النكاح ·

وقد اتفق الفقهاء على اعتبار الكفاءة في الدين وعلى ثبوت الفسخ بفوات هذه الكفاءة، واختلفوا في صحة النكاح بدون ذلك(٢)، وهذا الاختلاف لايعول عليه مادام قد ثبت عن رسول الله ﷺ تجاوز جميع الصفات المعتبرة في الزواج، ماعدا كفاءة الدين·

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٤، ص٢٥٠٥ ·

(٢) انظر : ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ١٥٨-١٦١ ·

قال الإمام ابن القيم رحمه الله «والذي يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الدين في الكفاءة أمراً وكمالاً فلاتزوج مسلمة بكافر ، ولاعفيفة بفاجر ، ولم يعتبر القرآن والسنة أمراً وراء ذلك ، فإنه حرم على المسلمة نكاح الزاني الخبيث ، ولم يعتبر نسباً ولاصناعة ولاغنى ولاحرية ، فجوز للعبد القن نكاح الحرة النسيبة الغنية إذا كان عفيفاً مسلماً ، وجوز لغير القرشيين نكاح القرشيات ، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات ، وللفقراء نكاح الموسرات»(١) إن جميع الصفات في كلا الزوجين تتلاشى أمام كفة الدين وحسن الخلق ، وقد أجمع العلماء على أن الكفاءة في الدين هي الأصل في الزواج ، وغيرها من الصفات تبع لها ، أخذاً بقوله ﷺ «فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٢) ، مفضلاً عليه الصلاة والسلام صاحبة الدين على ذات الجمال والمال والحسب ، كما فضل ﷺ الفقير ذا المظهر الرث على الغني صاحب الجاه حين قال ﷺ «هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا»(٣) .

ويعمل الإسلام دائباً على رتق عرى الأسرة وحفظها من أي تصدع أو شقاق فراعى في الزواج كل هذه الجوانب ، وأخيراً وصى الزوج بحسن المعاشرة والمعاملة لزوجه ، ليدوم الود بينهما ويعمر البيت بأهله ، والقرآن الكريم والسنة الشريفة غنيان بالأوامر والمواعظ الموجهة للأزواج ، بالإحسان إلى الزوجات ، ورعايتهن واحترامهن ، والعطف عليهن ، وبالمقابل وصى الزوجة بحسن التبعل والرعاية لزوجها وبيتها ، فالحياة الزوجية تبنى على أساس من التعاون والمساواة، والتراحم، والتعاطف والإحسان المتبادل ، والتسامح الذي يحمل صاحبه على احتمال الأذى من قرينه، بل إن الإسلام

---

(١) زاد المعاد ، ج٥ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) البخاري،الصحيح، م٣، ج٦،كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ، ص١٤٩، ح(٥٠٩٠)

(٣) سبق تخريجه ، ص ١٤٠ من هذا البحث .

رخص للزوجين بالكذب في أمور العواطف ، استدامة للمودة بينهما، قال رسول الله ﷺ:«ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً»(١) .

قال ابن شهاب* - رحمه الله - (ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث : الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها)(٢).

ووصى رسول الله ﷺ الرجال بالنساء في حجة الوداع فقال ﷺ «فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»(٣).

إن أحاديث الرسول ﷺ تأمر الأزواج بحسن الصحبة وغض الطرف ، والمعاملة الطيبة ، وتطييب خاطر الزوجة ، كل ذلك لتبقى تلك الأسرة ، ويعيش الأطفال والزوجان في هدوء وراحة وطمأنينة ، والزوج هو المسؤول عن دوام ذلك واستمراره في الدرجة الأولى فهو لايعدم الوسيلة والأسلوب الذي يستطيع به استمالة قلب زوجه إليه، وهو إن راح يكيد لهذه الزوجة ، ويفتش عن زلاتها وأخطائها ، ويسمعها فاحش القول وسيء الكلام ، إلى غير ذلك من أساليب الكيد ، فإنه لاشك سوف يعرض الأسرة للزلزال في المشاعر والأحاسيس ، أو تقويض أركانها بقطع رباط الزوجية آخر المطاف ، حين تضيق سبل الحياة بتلك المرأة التي أعيتها الوسيلة في إرضاء

---

(١)،(٢) مسلم، الصحيح،ج٤،كتاب البر والصلة، باب تحريم الكذب، ص٢٠١١، ح(٢٦٠٥) .

(٣) مسلم ، الصحيح ، ج٤، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص٨٨٧، ح(١٢١٨) .

* محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهري أبو بكر القرشي ولد سنة خمسين ، قال الليث بن سعد : مارأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، وقال سفيان: كان الزهري أعلم أهل المدينة ، وكان يوصن بالعبادة توفي رحمه الله سنة مائة وأربع وعشرين ، وله من العمر اثنتين وسبعين سنة .
(سير ٥/٣٢٦؛ تهذيب ٩/٤٤٥) .

هذا الزوج الساخط وما أكثر هذه النوعيات في المجتمع المسلم ، يقول الأستاذ محمد قطب في ذلك واصفاً حال الزوجة التي تعيش مع زوج يكيد لها ·· «أية كرامة لها في أن تبقى في بيت رجل يكرهها ولايريدها في بيته ؟ ويذكرها صباح مساء بأنه لايرغب فيها ولامحل لها في قلبه وينبذها ويتصل بغيرها وهي تعلم

أتبقى هناك للمكايدة ؟ وهل هذا هدف يطلب من التشريع أن يقره ؟ أو هل سبيل المكايدة الوحيد أن تبقى معه وهو راغم ، وهي مسلوبة الكرامة والسلطان ؟ أم تبقى لتربية الأولاد ؟

أكرم للأولاد وأقوم لتربيتهم أن يكونوا منفصلين مع أمهم···· من أن يكونوا ليل نهار في هذا الجو المظلم الكريه ·

كلا ! ····· وإن المشكلة لاتحل بتغيير التشريع ، الذي وضع للضرورة ووجدت البشرية في غير الإسلام أنه لامعدى لها عنه ولافكاك ·

إنما تحل بالتربية ، برفع المستوىٰ الثقافي والنفسي والروحي لمجموع الشعب بتهذيب المشاعر حتى يكون الخير هو الغالب وتكون المودة هي الأصل في الحياة بتعويد الرجل أن ينظر إلى علاقته الزوجية على أنها رباط مقدس لاينبغي الإخلال بأمنه لأتفه النزوات»(١) ·

إن الزوج مسؤول عن حفظ أسرته وحفظ أولاده في أسرة مؤلفة من أم وأب وأولاد ، أما إذا تعسف هذا الأب وحرم الأم والأولاد من أمومتهم الطبيعية فطلق الأم وصرم عقد الأسرة وأخل بعقد الميثاق الغليظ الذي بينه وبين الزوجة فقد أوقع في الأسرة كارثة كبرى لاتكاد تنتهي شظاياها حتى آخر العمر ·

---

(١) شبهات حول الإسلام ، ص ١٣٤ ·

إن قداسة رباط الأمومة فوق الخلافات العادية التي يمكن لكلا الطرفين تغاضيها مقابل سعادة الأسرة ، وإن الزوج الذي يطلق لأتفه الأسباب ويجعل أطفاله يعيشون في حرمان من الأم والأمان والحنان، ثم يأتي بأخرى، فتنجب ويعيش هو ويسعد مع أسرته الجديدة غير مفكر ولامبال بحال أطفال الأم المطلقة قد أتى إثماً مبيناً ونكث العهد ، ونقض الميثاق ، وقال الله تعالى ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا﴾ (سورة الإسراء - آية - ٣٤) ٠

وهكذا ٠٠ فقد راعى الإسلام التوافق الديني والنفسي ، والعقلي ، والاجتماعي بين كلا الزوجين وأمر كلاً من الزوجين بالإحسان والتقوى وحسن الصحبة للآخر ، حماية للنشء في المحضن الآمن الهادئ الطيب ، ولايخفي مالذلك من أثر عظيم في قوة الأجيال ٠

الفصل الثالث

أثر البيئة العامة والوراثة

إن للبيئة والوراثة أثرهما الكبير في صياغة الإنسان على صورة ما ، وسواء ذلك في الخلق أم في الخلق ·

والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد أشارا إلى أهمية ذلك في تنشئة الإنسان ·

ففي القرآن الكريم قوله تعالى في مريم عليها السلام ﴿يأأخت هٰرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾ (سورة مريم - آية ٢٨) ·

إشارة إلى الأصل الطيب في الوراثة والمنبت الصالح ، والتربية السليمة ، وفي دعاء نوح عليه السلام ··· ﴿رب لاتذر على الأرض من الكفرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفاراً﴾(سورة نوح - آية ٢٦-٢٧).

فكل مولود يولد على الإسلام ، لكن الوراثة التي ينزع إليها والبيئة التي يتربى فيها ، هي التي تطبع سلوكه وحياته بما وصف نوح عليه السلام ·

وأثر الوراثة في الخلق يظهر في قول الرسول ﷺ ، لصاحب الإبل الذي جاء يعرض بنفي ولده : (وهذا عسى أن يكون نزعه عرق)(١) ، وأشارت السنة الكريمة إلى أثر الوراثة والبيئة في مواضع كثيرة ·

والوراثة والبيئة تعملان معاً على تشكيل الإنسان ، ولايغني أحدهما عن الآخر في إعداد الإنسان الصالح المتميز ، ولايعلم أيهما أكبر أثراً أو أهمية ، وقد تحدث العلم الحديث عن ذلك ·· يقول الكسيس كاريل ·· (يتوقف أصل الإنسان على الوراثة والنمو

(١) انظر الحديث وتخريجه ص ٦٤٤ من هذا البحث ·

معاً، إننا نعلم أن الفردية تنشأ من هذين المصدرين ، لكننا لانعلم ما هو الدور الذي يلعبه كل منهما في تكويننا ، هل الوراثة أكثر أهمية من النمو أم العكس بالعكس ، إن واطسون والسلوكيين يقولون إن التعليم والبيئة قادران على إكساب البشر أي شكل مطلوب ، ومعنى ذلك أن التعليم هو كل شيء والوراثة لاشيء ، أما علماء الجنس فيؤمنون بأن الوراثة تفرض نفسها على الإنسان كالقدر المحتوم ، وأن خلاص الإنسان لايتركز في التعليم ، وإنما يتركز في تحسين النسل ، ولكن المدرستين نسيتا أن في مثل هذه المشكلة لايمكن أن تحل بالمناقشات ، وإنما تحل فقط بالملاحظات والتجارب»(١).

إن وظيفة الأمومة لاتعمل بعيدة عن هذين المؤثرين ، بل تعمل تحت تأثيرهما، بل وسيطرتهما ، ولاسيما البيئة ، التي تعتبر بمثابة التربة التي يتربى فيها النبات فإن صلحت صلح، وإن فسدت فسد فما هو أثر هذين العاملين على الأمومة ووظيفتها ..!

١- أثر البيئة العامة

البيئة لغة :

قيل : تبوأه : أصلحه وهيأه ، وقيل تبوأ فلان منزلاً : إذا نظر إلى أسهل ما يرى وأشده استواء وأمكنه لمبيته ، فاتخذه منزلاً، وتبوأ : نزل وأقام ، وأباءه منزلاً وبوأه إياه وبوأه له وبوأه فيه ، بمعنى هيأه له وأنزله ومكن له فيه ، والاسم البيئة وتبوأت منزلاً أي نزلته(٢) والبيئة والباءة والمباءة : المنزل ، والمباءة من الرحم حيث تبوأ الولد .

وباءت بيئة سوء : أي بحال سوء .

والبيئة في الاصطلاح :

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ، ص ٢٨٥-٢٨٦ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، (مادة (بوأ) ، ص ٥٣١-٥٣٢

إن كلمة البيئة يقصد بها كل مكونات الوسط الذي يتفاعل معه الإنسان مؤثراً ومتأثراً ، بشكل يكون معه العيش مريحاً فسيولوجياً ونفسياً ... وهناك في الواقع بيئة واحدة فحسب ، وما يحدث في جزء يحدث في الكل ، والكون هو هذه البيئة(١) .

وإن مفهوم البيئة لايتوقف عند عناصر الطبيعة بل لفظة البيئة تدل على أكثر من مجرد عناصر طبيعية ماء وهواء وتربة ومعادن ومصادر للطاقة ونباتات وحيوانات ، لتشمل رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته(٢) .

والبيئة الاجتماعية تتكون من البيئة الأساسية المادية التي شيدها الإنسان ، ومن النظم الاجتماعية ، والمؤسسات التي أقامها، فهي الطريقة التي نظمت بها المجتمعات البشرية حياتها والتي غيرت البيئة الطبيعية لخدمة الحاجات(٣) البشرية وبذلك فإن البيئة تعني .. «الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر»(٤) .

ونظراً لسرعة الانتقال والتطور التكنولوجي الذي ساد العصر الحديث وما أحدثه هذا التطور من انقلاب في شتى الميادين لاسيما في مجال وسائل المواصلات والاتصال ، حتى غدت الكرة الأرضيـــة

---

(١) انظر : رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريتي ، البيئة ومشكلاتها) ، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة الكويت : ذو الحجة ١٣٩٩هـ تشرين أول ١٩٧٥م،ص١٩.

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٢٥، نقلاً عن الوثيقة رقم (٨) (المشكلات البيئية الرئيسية في المجتمع المعاصر) التي أعدها برنامج الأمم المتحدة للبيئة (بامبيئة) للمؤتمر الدولي الحكومي للتربية الذي عقد في مدينة تبليسي (الاتحاد السوفيتي) بإشراف اليونسكو بالتعاون مع بامبيئة في أكتوبر ١٩٧٧ .

(٣) انظر المرجع السابق ، ص ٢٥-٢٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

قرية صغيرة يسافر إليها الإنسان وهو في بيته أو إن شاء الانتقال في ساعات ، وإن شاء أخذ وأكل واستعمل من منتجاتها ماشاء .

وقد تنبه الأمريكان إلى ذلك فقد قال (يوثانت) الأمين العام السابق للأمم المتحدة مشيراً إلى أن الناس جميعاً يعيشون في بيئة واحدة «إننا جميعاً شئنا أم أبينا نسافر سوية على ظهر كوكب مشترك ·· وليس لنا بديل معقول سوى أن نعمل جميعا لنجعل منه بيئة نستطيع نحن وأطفالنا أن نعيش فيها حياة كاملة وآمنة»(١) .

فالبيئة لفظ واسع شامل ، وهي تحيط بالإنسان مؤثرة فيه ومتأثراً بها منذ أن يكون جنيناً في رحم الأم الذي هو بيئة الإنسان الأولى ، ثم البيت والمدرسة والحي، والقطر ثم الكون كله ·

فبيئة الرحم هي التي تهيئ الجنين وتعده للحياة وقد تكون أهم أنواع البيئة في حياة الإنسان، لما يخضع الجنين لمؤثراتها المادية والنفسية والروحية والصحية

فإذا سلم الإنسان وخرج من الرحم طفلاً سويا كاملاً ، فإن ما يحمله من قدرات وموروثات ، قد تتحقق كلها في شخصه إذا وجد المحيط المناسب، أو تقتل هذه الاستعدادات فلاتظهر، أو أنها تتحقق بشكل جزئي ·

وأول بيئة يعيش فها الطفل بعد الولادة هي الأسرة ، وتأثيرها على الطفل ليس بالأمر السهل ، بل هي التي تخط معالم شخصية الطفل الأولى والتي يبقى تحت تأثيرها حتى الموت والمطلوب في البيئة أن تعد الإنسان المؤمن الصالح المصلح ، وقد قال ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه»(٢) والفطرة هنا الإسلام والأبوان هما المسؤولان عن

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨ ·
(٢) سبق تخريجه ص ٥٤ من هذا البحث .

تثبيت هذه الفطرة (الإسلام) أو انحرافها وضياعها، فمعرفة الله سبحانة وتعالىٰ فطرية، لكنها قد تفسد فتحتاج حينئذ إلى النظر والعلم(١) عندما تتسلط عليها شياطين الإنس والجن ·

إن البيئة يجب أن تكون صالحة ومناسبة لإعداد الأفراد الصالحين الذين يقومون بخلافة الله سبحانه في الأرض بالحكم بما أنزل الله سبحانه والعيش فيها على منهجه عز وجل ·

والأسرة أولاً والمجتمع ثانياً مطالبان بإعداد البيئة المناسبة لنمو الأفراد المؤمنين الصالحين للإعمار ·

ويجب ألا يغيب عن البال أن الأسرة لاتستطيع أن تعمل إلا ضمن حدود حضارة المجتمع الذي توجد فيه وتتأثر به وبالتالي تؤثر في الطفل من خلاله ·

فهذه مريم عليها السلام تتهيأ لها الأسرة الطيبة والكفالة الصالحة فتنبت بإذن ربها نباتاً حسناً طيباً قال الله عز وجل ﴿يأٰخت هٰرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً﴾ (سورة مريم - آية ٢٨٠) ·

إن الطفل يتأثر بأسرته ويتطبع في الأعم الغالب - بطابع التربية التي هيأتها الأسرة طيلة حياته ·

وقد دعا نوح عليه السلام ربه على أولاد الكافرين وذلك لما رأى عليه السلام من أثر البيئة على المواليد في انحرافهم عن الفطرة كما أخبر الوحي ·

﴿قال نوح رب لاتذر على الأرض من الكٰفرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ (سورة نوح - آية ٢٦-٢٧) ·

---

(١) انظر : ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، مجموعة الرسائل الكبرى ج٢، ص٣٤١ ·

يقول الأستاذ جودت سعيد في معنى قوله تعالى في هاتين الآيتين :«لم يقصد نوح عليه السلام أن الأطفال يولدون فجرة كفرة ، لأن هذا مخالف لسنة الله سبحانه الواردة في الحديث الصحيح (مامن مولود إلا ويولد على الفطرة) وإنما كان قصده أن عوامل التربية المحيطة بهؤلاء الأطفال ستشوه فطرتهم وتبعدهم عن اتباع الحق»(١) .

وهذا لايعني أن القاعدة لاتشذ أحياناً كما في قصة الأبوين الصالحين، والابن حين قتله الخضر عليه السلام ﴿وأما الغلم فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفراً﴾ (سورة الكهف - آية ٨٠) .

إن الأبوين يلعبان دوراً كبيراً في تشكيل شخصية الطفل ، ولاسيما في الجوانب السلبية ، لأن النقائص تنتقل بصورة أسرع من الحسنات إلى الأبناء ، يقول الكسيس كاريل في ذلك :«إن نتائج أخطاء الإنسان يمكن أن تنتقل بسهولة إلى أحفاده ولكن من الصعب جداً أن يهب الإنسان مزايا فضائله إلى هؤلاء الأحفاد ، إن كل فرد يطبع بيئته ومنزله وأسرته وأصدقاءه بطابعه الخاص ، فيعيش وكأنما هو محوط بنفسه ، وقد ينقل صفاته إلى أحفاده بواسطة أفعاله لأن الطفل يعتمد على أبويه فترة طويلة ولذا تتاح له الفرصة ليتعلم كل مايستطيعان أن يعلماه إياه ، إنه يستعمل قدرته الغريزية على التقليد ويميل إلى أن يصبح مثلهما، إنه يرى وجهيهما الحقيقيين لاالقناع الذي يرتديانه في الحياة الاجتماعية»(٢) .

إن الأبوين مسؤولان عن الوجهة التي يتخذها الطفل في حياته ، فهو على الغالب ، سيكون صورة مطابقة لما يرسمان فيها ويخطان ، فإن كانت التربية على الإسلام ، سوف ينشأ هذا الطفل

(١) جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة،(دمشق: دارالثقافة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ص٨٩ .
(٢) الإنسان ذلك المجهول ، ص ٢٩٩ .

عليها ، ويموت عليها بإذن الله ، وإن أفلت منها بعض الوقت ، وإن كان العكس فالإثم واقع على الجميع ٠

قال الله عز وجل ﴿يأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾(سورة التحريم - آية ٦)٠

والأسرة تطبع الطفل بصفاتها وسماتها ، ويحدد تشكل الطفل فيها عوامل عدة منها ، التعليم ، وثقافة الأبوين ، والمستوى الديني والأخلاقي ، ومعدل الذكاء لهما والمستوى الاقتصادي للأسرة ، وسن الزواج للأبوين ، وبالتالي عدد الأطفال فيها وترتيبهم مع مستوى التعامل الذي يعايشه الطفل ، كما يدور البحث هنا في أفكاره ومعانيه حول الطفل جملة والأسرة ولاسيما الأم ، فلاحاجة لتكراره ٠

وتأتي المدرسة في الدرجة الثانية في الأهمية بعد الأسرة ، حيث يقضي فيها الطفل وقتاً طويلاً من عمره ٠

إن المدارس هي من أكبر المؤسسات التي تساهم في نقل الحضارة والمعايير الاجتماعية لتربية الفرد وتنميته ، وهي التي تؤثر في اتجاه الإنسان الديني وسلوكه المستقبلي وإذا ابتعدت المدرسة عن منهج الله سبحانه ، خرجت جيلاً علمانياً ، يعمر المادة ويخرب الإنسان ويقتل الأرواح ٠

يقول الأستاذ محمد قطب عن المدرسة في المجتمع «المفروض في المجتمع المسلم الذي يتحاكم إلى شريعة الله ويطبق منهج الله أن تكون المدرسة فيه إسلامية، بمعنى أنها تربي تلاميذها ليكونوا مسلمين صالحين ، وتتمشى مع التربية الإسلامية التي بدأها الطفل في المنزل وتسير بها خطوات جديدة نحو الاكتمال بل المفروض وفيها مدرسون متخصصون في التربية أن تصحح وتقوم ما عسى أن

يكون البيت المسلم قد نسيه»(١) .

فهل مدارسنا اليوم إسلامية ، وهل مناهجها إسلامية ، وهل يؤمن المعلم ويلتزم بما يدرسه ويقوله؟!

إن المدارس في المجتمعات الإسلامية تفتقر إلى كل ذلك ، فالمناهج فصلت بين الدين والعلم ومنهج التربية فيها ليس إسلامياً، والذي يوصل هذه المناهج ويتعامل معه الطفل هو على الأكثر غير ملتزم بالإسلام ، ولن تعطي المدارس مردودها المطلوب إلا بتوافر المدرس الذي يطبق ما يقول ويلتزم بالعلم الذي يلقنه لتلامذته ·

يقول الأستاذ محمد قطب :

«وإذا كان أي منهج في الأرض يحتاج أن يكون المدرس الذى يقوم بالتربية على مقتضاه متشبعاً ، مؤمناً بما جاء فيه ، متحمساً لتطبيقه ، وإلا فلن يرجىٰ منه أن يطبقه بإخلاص ، ولا أن يؤتىٰ ثماراً حقيقية على يديه ·

وإذا كان هذا هو الشأن في أي منهج تربوي مطبق في أي مكان في الأرض فالمنهج الإسلامي هو أولى المناهج جميعاً أن يكون كذلك لأن ذلك أصل من أصوله العميقة»(٢)·

إن الطفل حين ينتقل من البيت إلى المدرسة ، يواجه شريحة من المجتمع العام بسلبياته وإيجابياته ، فالمدرسة كمؤسسة اجتماعية، مرآة تعكس واقع المجتمع الذي توجد فيه ، بكل ما يحويه هذا المجتمع من صفات وسمات، والمدرسة تكمل ما بدأه البيت من عملية التربية والتنشئة ، ولذا فهي أمام نماذج من الإعداد الصحيح والخاطئ للطفل ·

إن للمدرسة دورها الكبير في عملية التنشئة ، وتصحيح تربية

---

(١) منهج التربية الإسلامية ، ج٢، ص١٧٣ ·

(٢) المرجع السابق ·

البيت إن كانت خاطئة ، أو دعمها في صوابيتها وصحتها ·

فلا يمكن سلخ المدرسة عن عملية التنشئة الاجتماعية الكبيرة للطفل، فهي تبدو كجزء من هذه العملية التي تبدو حلقاتها متكاملة متداخلة على درجة معينة من التعقيد(١).

والنتيجة : إن المدرسة ماهي إلا رقعة صغيره للمجتمع العام لها ، فإن صلح صلحت ، وإن فسد فسدت ، لأن المناهج وحدها دون البيئة الصالحة لايمكن أن تعد الإنسان الصالح القوي ، بل إن العلم النظري حين لايجد أرضية يعيش عليها واقعاً حياً ، يتحول إلى نمرودية وتسلط ، أو إلى صراع وقلق أو إلى إحباط ويأس فيقتل من حوله أو يقتل نفسه ·

ومن البيئة التي تؤثر في الإنسان الشارع، والطفل يرى في الشارع نماذج وأنماطاً من السلوك فيستفيد من هذه الخبرات وقد تضيف إلى حصيلته التربوية خبرات سيئة .

والمجتمع بمجموع أفراده هو الذي يحدد الصورة التي يكون عليها الشارع . والشارع في المجتمع الجاهلي يحمل السباب والشتائم، ويكشف العورات ويدنس الاعراض ، فضلاً عما يرى في الشارع من المحرمات والمنكرات التي تدوس كل فضيلة أما الشارع في المجتمع المسلم فإنه يقوم على النظافة في المشاعر والأحاسيس والسلوك، وعلى التعاون والنصيحة والرفقة الصالحة(٢) ·

إن الشارع الذي يراه الطفل كل حين ، عند حركته من البيت له دوره الفعال في التأثير على شخصيته ·

فالحي يؤثر في الطفل من حيث دوره فيه ، ومن حيث مكانة

(١) انظر : د· عدنان الدوري ، جناح الأحداث ، ص ٢٦٨، ص ٢٧٣ .
(٢) انظر : محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ص ١٨٠-١٩٠ ·

الحي بين الأحياء في المجتمع الذي يحتويه ، والحي السوي هو الذي تتوافق قيمه مع القيم الإسلامية ، ويكسب الطفل الشعور بالنظام والقانون، أما الحي الذي يخرج على القيم والصالح العام فإنه يساهم في سلوك منحرف للطفل في الاتجاهات الخاطئة(١).

إن توفير فرص وأماكن النشاط الرياضي في الحي يقلل من فرص ظهور السلوك الخاطئ بين الأطفال، لتوفر الروح الرياضية ، والشعور بالانتماء إلى الفريق الرياضي ، وقد تتحول هذه النشاطات إلى نوع من الانحراف إذا أفرط فيها الطفل أو اتخذها وسيلة إلى العبث الصبياني أو تشكيل العصابات(٢) .

وقد قام المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بجمهورية مصر العربية ببحث بعنوان (السرقة عند الأحداث) وقد تبين من وصف الأحياء التي يسكن فيها أسر الأحداث المتهمين بالسرقة أن ٦٤٪ من الشوارع المهملة ، وأن نسبة عدد الأحياء التي تنتشر فيها المقاهي والبارات أو محال بيع شراب (البوظة) والملاهي نحو ٧٤،٢٪ ، بينما لاتعدو نسبة الأحياء التي يوجد بها حدائق ١٢،٤٪ ، كما اتضح أن ٦٥،٥٪ من هذه الأحياء قريبة من المواصلات ، وأن ٤٧،٢٪ من هذه الأحياء تبعد عن وسط المدينة كمنطقة جاذبة للانحراف(٣) .

فغالبية الأحداث في تلك الدراسة قد أتوا من الأحياء الفقيرة.

فـ «الحي ليس جزءاً منفصلاً عن بقية أجزاء المجتمع المحلي، بل إن الحي هو الجزء الحساس الذي يتأثر بما يحيط به ، وهو المرآة الصادقة التي تعكس قيم وعادات الأفراد الذين يعيشون فيه .

---

(١) انظر : د/ محمد سلامة غباري ، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية الاسكندرية: المكتب الجامعي، كلية الخدمة الاجتماعية، ١٩٨٩م)، ص ١٣٩.

(٢) انظر : المرجع السابق، ص١٤٠.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٤٠-١٤١، نقلاً عن محمد عارف ، المجتمع والجريمة ص٥١٠ .

ولذلك يكاد يتفق الكثير من العلماء الذين عالجوا أيكلوجية الانحراف والجريمة ، على الدور الكبير الذي يلعبه الحي الفاسد في تنشئة الفرد ، فهو يشكل البيئة الخارجية التي تصل العائلة بالمجتمع الكبير ، وتكاد تلتصق به التصاقاً وثيقاً فالعائلة جماعة أولية تخضع خضوعاً مباشراً لظروف الحي الذي تكون جزءاً منه ، فالحي الفاسد بوجه عام يمهد للطفل طريق الجنوح بمختلف الوسائل التي يمكن أن تقود الطفل إلى السلوك الجانح»(١) .

ومن خلال الحي أو الشارع ، قد يتعرف الطفل على الأصحاب والرفقاء والأصدقاء ، حيث يرتبط الطفل بهم وجدانياً مما يؤثر على سلوكه تأثيراً كبيراً وقوياً «لأن الأصدقاء هم الجماعة الأولى التي تناسب سن الطفل ، وتناسب منزلته الاجتماعية وهي التي يجد فيها فرصته الأولى لتكوين علاقات اجتماعية جديدة ، ذات طبيعة مستقلة تختلف عن سلطة الوالدين التي عهدها في أسرته»(٢) .

وإذا توفر للطفل الرفقة الصالحة ذات المنبت الطيب ، فإنه يتأثر بها ، ويحاكيها ويعمل على كسب ودها ورضاها ، أما إذا كانت الرفقة سيئة ، فإنها تؤثر تأثيراً خطيراً وقوياً في سلوك الطفل وقد تقوده إلى الانحراف والجنوح .

إن الطفل الذي يوجد في جماعة من الرفقاء، وتنشأ بينه وبينهم أواصر وعلاقات ، يضعف ارتباطه بالوالدين على الغالب ويضعف تأثيرهما فيه ، بل هو يحاكي هذه الجماعة ويقع تحت تأثيرها سلباً وإيجاباً .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .
(٢) المرجع السابق .

فقد أثبتت الدراسة أن الارتباط بالنظراء قد يضعف العلاقة بالوالدين ، مما يغير في سلوك الطفل ، وخاصة الرفقة السيئة لا سيما وأن المراهقين في هذا الزمان يعيشون بعيداً عن عالم الكبار ، فالشاب الذي في العشرين من العمر قد يوجه سلوك رفاقه ممن هم أصغر منه سناً، ونظراً للبعد الحاصل بين الآباء والأبناء ، فإن ذلك يهيىء الفرصة لظهور السلوك والقيم التي لايرضى عنها مجتمع الكبار(١) .

وإن العوامل السابقة الذكر من الأسرة وما يحيط بها والمدرسة ، ونشاطاتها كلها تقع تحت تأثير المجتمع العام الذي توجد فيه ، فهي منه ، وهو منها ، لكن التغير الاجتماعي الذي واكب التغير التكنولوجي جعل أهمية المجتمع العام تزداد وتكبر في العصر الحديث .

وإن المجتمع العام بصفة خاصة يؤثر في الفرد تأثيراً مباشراً وغير مباشر ، ودول العام الثالث ، والدول العظمىٰ المثال الحي على ذلك ، فالفرد في العالم الثالث ضعيف مقهور يستعمره الفقر والمرض والجهل .

أما الفرد في الدول الصناعية الكبرى فإنه يعيش حياة تليق بالإنسان - بغض النظر عن القيم والمعايير الدينية والأخلاقية التي يحملها كل منهما - .. فقد سيطر العالم الصناعي المادي على العالم الفقير (العالم الثالث) نظراً لسيطرة التكنولوجيا .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ١٤٩، نقلاً عن

Tomes c. Coleman, (the Adelescent Society) new york the Free Press 1961,1,p.9 .

وإن التغير التكنولوجي أحدث ثورة في العالم على مختلف المستويات والأنشطة والعلاقات والروابط وأحدث آثاراً اجتماعية ، وكون ظروفاً جديدة تسير المجتمعات كلها تحت نيرها وتأثيرها شاءت أم أبت والدول الغنية والفقيرة في ذلك سواء من حيث التأثير السلبي ·

فقد تكونت ظروف جديدة في المجتمعات من العادات والاتجاهات والقوى الجديدة والقيم والمفاهيم والمخاوف والآمال ، مما أحدث الصراع والتوتر في المجتمع على مختلف الأصعدة ، فالعامل غدا مقهوراً من قبل المالك ، والمرأة خرجت من بيتها، وتغيرت ملكية الأفراد ، وتقدمت المواصلات والاتصالات لتجعل العالم كله قرية صغيرة واحدة فتوسعت التجارة والثقافة ، ووهنت الروابط الأسرية ، وعلاقات الجوار، والشعور بالانتماء .

إن الحضارة الصناعية متقدمة في بعض عناصرها متخلفة في عناصرها الأخرى فهناك تخلف في الأفكار الوظيفية والمفاهيم الأخلاقية والتنظيمات الاجتماعية ، في حين راحت تلك الحضارة تلهث بشدة وراء أساليب الحياة المعيشية وأشكال الاتصال وهذا ناتج عن البعد عن تطبيق منهج رباني يحكم الدنيا .

وإن المجتمع حين يحكم من قبل البشر ، لابد وأن يصبح مجتمعاً منحلاً متناقضاً مبلبلاً مضطرباً، ظالماً، هو أشبه بمجتمع الغابة، القوي فيه يأكل الضعيف·

أما حين يتحاكم المجتمع إلى شريعة إلهية في أموره كلها كبيرها وصغيرها ، لاشك أنه سيكون مجتمعاً قوياً متماسكاً متجانساً مطمئناً ، يحقق الخير والعدل والمساواة لجميع الأفراد ، وعلى مختلف الأصعدة والمستويات ·

والمطلوب من المجتمع السوي أن يحقق لجميع الأفراد مستوى جيداً من النواحي الصحية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وفق

شرع الله سبحانه وتعالى وتعالم الكتاب والسنة ·

فالمجتمع المسلم يهتم بأمور الصحة العامة ، نظراً لما لذلك من أثر في التقدم العلمي والحضاري وتعاطي أسباب القوة التي دعا إليها الإسلام ·

إن المستوى الصحي للمجتمع يؤثر في الإنسان وهو جنين في بطن أمه ، فالبيئة الرحمية تتأثر بالجو الصحي العام السائد في المجتمع ·

وقد دعا الإسلام إلى الأخذ بأسباب الصحة والتداوي والوقاية وتجنب العدوى·

إن المجتمع المعاصر غدا ملوثاً صحياً ، وذلك بما أفرزه التقدم التكنولوجي في مجتمع الصناعة، الذي لوث كل شيء حتى الإنسان ذاته ·

إن كثيراً من الأمراض السرطانية ، أو أمراض الدم ترجع إلى امتصاص العقاقير المستخدمة في مقاومة الطفيليات ، بما فيها من سموم(١) ، وما ينتشر منها في الطعام والجسم ·

ويرى بعض العلماء الأمريكيين أن لبن النساء الأمريكيات لايصلح للاستهلاك بسبب احتوائه على مادة الـ (د٠د٠ت) بنسبة أقوى وأكبر مما تسمح به هيئة الصحة العامة في الولايات المتحدة(٢) .

وإن التجارب النووية تطلق بلا رحمة على أطفال العالم الثالث وشعبه ، فتفعل فيها من التشويه والأمراض والأوبئة ما تشاء ·

---

(١) انظر : د/ عبدالعليم عبد الرحمن محمد خضر ، الإنسان والبيئة دراسة حول الأثر التدميري للإنسان في المحيط الحيوي للأرض ، (القصيم : مكتبة العليقي الحديثة، ص١٥٠ نقلاً عن روبرت لانون : التلوث - ترجمة نادية القباني ، ترادكسيم ، جنيف - ١٩٧٧م ، ص١٤ ·

(٢) انظر : المرجع السابق؛

لقد تم تنفيذ تجربة نووية في مايو ١٩٩٢ على الأطفال التركستانيين ، أجرتها الحكومة الصينية مما أدى إلى تشويه الأطفال التركستانين وولاده الآلاف من الأطفال المشوهين ٠

وقال الخبراء إن قوة القنبلة تجاوزت ما هو مسموح به للدول النووية عشرات المرات حيث بلغت قوة القنبلة المستخدمة ألف كيلو طن أي أنها تفوق القنبلة التي ألقتها الولايات المتحدة الأمريكية على مدينة هيروشيما اليابانية في أثناء الحرب العالمية الثانية بسبعين مرة(١)٠

وفي دراسات على نسل النساء اليابانيات الحوامل بعد انفجار القنبلتين الذريتين تبين أن نسبة ٢٥٪ من الأطفال كانوا يعانون من تشوهات خلقية في الجهاز العصبي(٢) ٠

يضاف إلى ذلك الأمراض والفيروسات التي تنتشر في المجتمع فتصيب الأم ، أو تصيب الطفل ، مما يؤدي إلى ضعف الأطفال ، من الناحية الصحية ٠

إن العمل على رفع المستوى الصحي العام ، ورعاية الإنسان واحترامه أياً كان انتماؤه ومستواه ، يساهم في خلق جيل صحيح الجسم سليم العقل ٠

وفي دراسة أجريت عام ١٩٧٨م حول المعالجة الغذائية والصحية والتعليمية ، تبين أن هذه المعالجة إذا قدمت للأطفال ما بين ٣،٥ إلى ٧ سنوات من العمر يمكن أن تمنع فقد كبير من القدرة الإدراكية للطفل ويبدو ذلك بتأثيرات كبيرة مؤكدة بالنسبة للبدء المبكر للمعالجة(٣)٠

---

(١) جريدة (المسلمون)، ١٣١٤هـ ، ص٧ ٠

(٢) انظر د/صالح بن عبد لعزيز كريم ، المدخل إلى علم الأجنة الوصفي والتجريبي ، الطبعة الأولى ، (جدة : دار المجتمع ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، ص ٣٠١ ٠

(٤) انظر : لي إرمان ، بيترا بارسونز، وراثة وتطور السلوك ، ترجمة : د٠ أحمد حسن ، د/ رمزي العدوي مراجعة د/ حسن حسنين ، الطبعة العربية (الرياض: دار المريخ بالتعاون مع المكتبة الاكاديمية بالقاهرة ، ، ١٩٨٣) ص٤٣٥ ٠

إن العامل الصحي والاقتصادي والتعليمي متداخل، كل مع الآخر ولايمكن فصل أحدهما عن الآخر ·

فحين يتوفر للطفل الجو المناسب اقتصادياً وصحياً وتعليمياً فسوف يحقق هذا إعداد الجيل الصالح القوي الذي يساهم في البناء والإعمار ·

إن رفع المستوى الصحي والاقتصادي العام لمجموع المجتمع يؤثر في وظيفة الأمومة وفي صحة الأطفال ، وذلك بما يشيع المجتمع من ارتقاء في المستوى الصحي بالوقاية من الأمراض والتغذية السليمة والمحافظة على قواعد الصحة والنظافة وتجنب العدوى وأسباب المرض ·

وإن المستوى الغذائي للأم أثناء الحمل له دور كبير في سلامة الطفل جسمياً وعقلياً ولاسيما في النصف الأخير من الحمل حيث ثبت أن للغذاء الجيد تأثيراً مفيداً ومباشراً في حسابات معامل الذكاء بالنسبة للأطفال فيما بعد(١).

والمستوى الاقتصادي الجيد يساهم في إعداد جيل ناجح ، ففي دراسة على مجموعة الأوساج osage الهندية في الولايات المتحدة الأمريكية. التي تقطن أرضاً اكتشف فيها البترول مما أدى إلى رفع المستوى المعيشي فيها عن باقي الهنود الحمر، وفي اختبارات الأداء واللغة اتضح أنهم متفوقون بالمقارنة بمستوى البيض بالمنطقة(٢) ·

فالأم لاتستطيع أن تضع الطفل في برج عاجي منعزلاً عن المجتمع ، ولن تمسك بالطفل في حجرها ، بل هي ستلقيه ولو بعد حين إلى هذا المجتمع لينشأ فيه ويساهم في إعماره ، فماذا هُيئ لهذا الطفل من بيئة مناسبة ليعيش فيها ويتفاعل معها؟! ·

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ ·

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ ·

إن انتقال الطفل من بيئة مقيدة إلى بيئة حافزة يساهم في رفع معدل الذكاء(١) .

وفي دراسة أجريت على ١٣٠ طفلاً من الملونين السود ، والمتبنين في عائلات بيضاء متميزة ، تتصف بالتعليم العالي ، وفوق المعدل بالنسبة للحالة الوظيفية والدخل تبين أن معامل الذكاء ومتوسط الإنجاز المدرسي كان أفضل عند الأبناء السود المتبنين من الأبناء البيض الأصليين التي كانت ١٠٦ بالنسبة للبيض، و١١١ بالنسبة للمتبنين السود في السنة الأولى من العمر، مما كشف عن إمكانية لتشكيل معامل الذكاء بالنسبة للتغيرات في التربية(٢) .

وما أجمل ما قالت الشاعرة التشيلية (جبرائيلا مسترال) الحائزة على جائزة نوبل معبرة عن حاجات الطفولة وضروریاتها ...

إن أخطاءنا وذنوبنا لشتى
ولكن ذنبنا الذي لايغفر
هو إهمالنا الأطفال
إغفالنا لنبع الحياة الدافق
كل شيء يمكن أن ينتظر
أما الطفل فلايمكن أن ينتظر
فالآن الآن عظامه تنمو
والآن الآن دمه يتكون
والآن الآن حواسه تتطور

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص٤٣٣-٤٤٤ .
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٣٤.

إننا لانستطيع أن نقـول لـــه

انتظـــر إلـــى غـــــــد

لأن اسمـــــــه (اليـــوم)(١)

لقد زاد طول القامة في معظم المجتمعات الأوروبية خلال هذا القرن ، ففي البيانات الخاصة بالإيطاليين ذكر أن متوسط الزيادة منذ عام ١٩٥٩ بمقدار ١سم لكل سنة أو بمقدار (٣,٠سم) لكل جيل خلال هذا القرن ، نظراً لتحسن أحوال المعيشة والتغذية ، ومقاومة الأمراض(٢).

وإن التخلف الاقتصادي ، لـه الدور الأكبر في التخلف الاجتماعي والصحي والتعليمي وفي انحراف الأحداث ٠

فمن الحقائق الثابتة أن ٨٠٪ من الأحداث المنحرفين ينتمون إلى الأوساط البائسة(٣) ٠

وتكاد تؤكد غالبية الدراسات العلمية المقارنة على أن الفقر والتصدع المادي والاقتصادي للبيت ، يشكلان أبرز العوامل التي تسهم في نشوء أو تطور جنوح الأحداث ، وذلك لعدم توفير الضبط الأسري المطلوب ، وعدم تحقيق ظروف التنشئة الاجتماعية السليمة، ويسهم البيت الخرب والضيق المساحة في ذلك، والذي يبقى الطفل حبيساً بين جدرانه ، مما يشده إلى خارجه(٤).

---

(١) د٠ حسن بله محمد الأمين ، (الأمومة والطفولة) ، مجلة الفيصل الطبية ، صفر ربيع الثاني ١٤٠٦هـ ، العدد ١٣، ص ١٤ ٠

(٢) انظر : لى إرمان بيترابار سونز ، وراثة وتطور السلوك ، ص٢١٢ ٠

(٣) انظر : جورج ماكو ، التربية الوجدانية للطفل ، المشاكل الراهنة للأسرة والمدرسة، ترجمة د٠ منير العصرة ، و د٠ نظمي لوقا (القاهرة ، نيويورك : دار المعرفة ، ١٩٧٨م ، ص ٣٢-٣٣ ٠

(٤) انظر : د٠ عدنان الدوري ، جناح الأحداث ، المشكلة والسبب ، ص ٢٥٦؛ وانظر د٠محمد غباري ، الانحراف الاجتماعي ، ص١٣١ ٠

ويقول الدكتور فاخر عاقل ·· معللاً سبباً من أسباب جنوح الأطفال : «يكون الجانح في الأعم الأغلب ابناً لعائلة ذات مستوى اقتصادي واجتماعي دنيء ويعيش في منطقة فقيرة»(١) ·

وعلى كل حال فإنه لايغفل جانب الطغيان المادي والترف والإسراف في الحياة فإن له نفس التأثير الذي يحدثه الفقر الشديد في المجتمع والفضيلة وسط بين الإفراط والتفريط ·

وإذا كانت الدراسات والإحصاءات تتناول الأسر والبيئات الفقيرة ، فإن ذلك لايعني أن الترف لايحدث مثل ذلك الانحراف ، إن لكل من البؤس والترف مضاعفاتهما المرضية الاجتاعية الخطيرة على الفرد والمجتمع على حد سواء ، والمجتمعات الصناعية ومجتمعات الطفرة الاقتصادية لأكبر دليل على ذلك ·

والمشكلات البيئية كلها في البلاد النامية تختلف اختلافاً كلياً عنها في البلاد الصناعية الغنية ، فالناس في البلاد النامية الفقيرة لايهتمون بنوعية الحياة وإنما يهتمون بما يهيء لهم سبل الحياة الضرورية للبقاء ضد الفقر والجوع والمرض(٢) ·

يقول الدكتور عبد العليم خضر ·

«إن على الدول المتخلفة لكي تنجح في صراعها من أجل التحرر والبقاء أن تصل بأي ثمن إلى نقض الأثر الاقتصادي السلبي للسوق الاقتصادية على نظم استغلالها الاقتصادي ، وعلى هذه الدول أن تناضل بصلابة ضد الأثر غير المباشر لمراكز رؤوس المال المكدسة الضخمة التي تعمل على الإبقاء على تخلف نسيج الاقتصاد العالمي، بكل الوسائل المتاحة ، بما في ذلك رفض تثبيت أسعار المواد الخام»(٣).

---

(١) علم النفس التربوية ، الطبعة الحادية عشرة (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م) ، ص ٥٦١ ·
(٢) انظر د · عبدالعليم خضر ، الإنسان والبيئة ص ١٦-١٧ ·
(٣) المرجع السابق ، ص ١٧ ·

إنه لم توجد قبل الانفجار الصناعي والرأسمالي في هذا القرن دول متطورة وأخرى متخلفة ، وإنما ظهر هذا التباين في معدلات النمو والمستويات الاقتصادية بعد الثورة الصناعية الثانية ٠

لقد وصل دخل الفرد في الهند إلى أقل من خمسين مرة عن دخل الفرد الأمريكي بالقياس إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية، حيث كان دخل الفرد الهندي أقل من دخل الفرد في الولايات الأمريكية خمس عشرة مرة(١) ٠

إن المجاعات في الهند وبيرو وموريتانيا والصومال وتشاد وبنغلادش وجنوب شرق أسيا ، ما هي إلانتيجة مباشرة للنمو الاقتصادي غير المتوازن، تماماً كأمراض الانحلال والأوعية الدموية في مناطق أخرى من العالم(٢) .

والنتيجة ٠٠ فإن المجتمع العام يطبع الطفل بطابعه ويساهم في صورة التنشئة الجسمية والفكرية والنفسية إلى حد كبير ٠

فالأمومة ليست حكراً على الأم فقط ، بل العالم كله يؤثر في وظيفة الأمومة بدءاً من النظام السياسي حتى نظام الاجتماع والثقافة ٠

وواجب أولي الأمر في الدولة المسلمة أن يوفروا للأطفال والمواليد والأمهات الظروف الصحية والاقتصادية ، التي تضمن للطفل المسلم النمو السليم والصحيح للجسم والعقل معاً ٠

وقد فطن الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم إلى ذلك ففرضوا للمواليد ، وفرضوا للأطفال ، وفرضوا للأمهات- اللواتي لامعيل لهن- الأموال، التي تحقق لهم العيش الكريم ٠

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٧، ١٨ ٠

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ١٨ ٠

فإن توفرت للطفل الرعاية الصحية والغذائية والاقتصادية التي تضمن له النمو السليم والشخصية السوية ، كان لابد من تهيئة الجو الاجتماعي والثقافي ، لإعداد هذا الطفل وفق المعايير والقوانين والنظم الإنسانية السامية ، وهذا لايتحقق إلا في ظل الشريعة المحمدية التي أتى بها محمد بن عبد الله ﷺ رحمة للناس حتى يوم الدين ·

إن البيئة الإجتماعية اليوم ملوثة ، بل مسمومة ، إنها بيئة غير إسلامية ، لاتستمد أصولها الفكرية من هدي الإسلام بفيضه الإلهي المتمثل بالكتاب والسنة ، بل تستمد كل شيء من الغرب (أوربا و أمريكا) ومن هنا فقدت البيئة الإسلامية التي نشأ فيها الرعيل من الصحابة ، الذين هم المشعل الذي يستضاء به في كل أنحاء المعمورة ··

إن الأم المسلمة اليوم ، إن أفلحت وأوجدت الطفل المسلم ، فإنها لاتستطيع أن تمسك به بعيداً عن هذه البيئة الموبوءة في العالم كله بشياطين العلمانية والماسونية والنصرانية ، وقد قال ﷺ مبلغاً عن الله عز وجل : «خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»(١) ·

قال الله عز وجل في كتابه الكريم : ﴿وإن الشيٰطين ليوحون إلى أوليائهم ليجٰدلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ (سورة الأنعام - آية ١٢١).

والقرآن الكريم والحديث الشريف يطلقان مصطلح الشيطان على المنشطن أي المبتعد عن الحق عن قصد وإصرار ، أي المنحرف والمتمرد من كل شيء من الإنس والجن والدواب(٢) فالشيطان يكون من الإنس ومن الجن ·

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٤، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ص ٢١٩٧، ح (٢٨٦٥) ·
(٢) انظر : الطبري ، جامع البيان ، ج١ ، ص٤٩ ·

وقد جاء في كتاب « إخراج الأمة المسلمة » في تعريف شيطان الإنس ما يلي : فهو «الذي ينشطن - أي ينحرف عن قصد وإصرار - عن منهج الله ، ويتبنى منهاجاً في الفكر والسلوك ، ويجعل من الانحراف والضلال ، فكراً صائباً وعملاً صالحاً ، وإنجازاً حضارياً متقدماً ثم يكرس حياته وجهوده للدعوة إلى هذا الانحراف والضلال وإشاعته»(١) .

«إن ولاية الشيطان تتمركز في قلب الاجتماع البشري ، وتحتل سلوكاً بشرياً متخلفاً وضاراً ، يجب التصدي له بالدراسة والمواجهة ، إن الاهتمام بعالم الغيبيات للغوص عن شياطين الجن الذي لايرى قد أشغلت الناس عن شياطين الإنس الذين يخططون ليل نهار ، والقائمين على القيادات الفكرية والسياسية(٢) قال الله عز وجل ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلل في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ (سورة سبأ- آية٣٣».

ولقد عدد الدكتور الكيلاني أنواعاً من هذه الشياطين : «وبهذا التصور الذي يقدمه القرآن والحديث يكون هنالك شيطان الفكر ، وشيطان التربية ، وشيطان الثقافة، وشيطان الأدب ، وشيطان الفنون ، وشيطان الإعلام ، وشيطان الإباحية ، وشيطان الأزياء ، ومن أحب أحداً من هؤلاء الشياطين أو قلده فهو ولي لهم، وهم أولياء له ، وباعتبار أن لكل هؤلاء اهتمامات مشتركة تعمل في الاتجاه المضاد لصحة الأمة المسلمة وسلامة عناصرها ..... إن كانت قائمة ، أو يعمل على إعاقة إخراجها إن كانت في مرحلة التكوين أو النشأة أو النمو»(٣) .

---

(١) د . ماجد عرسان الكيلاني ، إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها ، الطبعة الأولى كتاب الأمة ، (قطر ١٤١٤هـ، ص ١٠٧ .
(٢) انظر : د . ماجد الكيلاني المرجع السابق ، ص ١٠٨ .
(٣) المرجع السابق .

إن المطلوب من الأم المسلمة تخريج الأجيال المسلمة ، ولكن هل يتحقق ذلك والمجتمع المسلم يحكمه شياطين الغرب والشرق ، تسيرهم الصهيونية العالمية التي جاء في بروتوكولاتها ·«ولكي نبعدها (غير اليهود) عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامه ، وهلم جرا»، «وسرعان ما سنبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات : الفن والرياضة وما إليها ، هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه»(١).

ولكن من السبب في كل ما يحصل؟! إنهم الناس أنفسهم ··· يقول الأستاذ محمد قطب: «الناس هم الذين أمدوا اليهود بالحبل الذي مكن لهم في الأرض في الوقت الحاضر ، السينما مؤسسة يهودية للإفساد في الأرض ، فكل فتى أو فتاة أصابه جنون السينما فهو (حبل من الناس) يمد اليهود بالمال والفساد ·

وبيوت الزينة والأزياء يهودية ·· فكل فتاة أصابها جنون الزينة وجنون المودة هي (حبل من الناس) يمد اليهود بالمال والفساد .

وجنون الجنس كذلك ، وجنون الكره من أنواع الجنون التي أطلقها اليهود على البشرية ، فكل فتى أو (فتاة) أصابهما جنون الكرة فهو (حبل من الناس) يمد اليهود بتفاهة اهتماماته وانصرافه عن معالي الأمور إلىٰ سفسافها ، ، فييسر لليهود أن يعبثوا عبثهم العالمي (والأولاد والبنات) مشغولون بالفريق الذي أخفق و الفريق الذي فاز(٢).

---

(١) البروتوكول الثالث عشر ، ص ٢١٧ ·

(٢) مذاهب فكرية معاصرة ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ·بتصرف

إنها دعوة الشيطان، وسبل الشيطان وأصوات الشيطان كما جاء في القرآن الكريم ﴿قال أرءيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيمة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾(سورة الإسراء - آية ٦٢).

وتتتابع الآيات الكريمة .. يقول الله عز وجل ﴿قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً ، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولد وعدهم وما يعدهم الشيطن إلا غروراً﴾(سورة الإسراء - آية ٦٣-٦٥) .

إن سبل الترفيه اليوم كلها بيد الشيطان ، ولاتوجه من قبل الفكر الإسلامي إن الصحافة والكتاب والراديو والتلفاز والفيديو كلها في الأعم الأغلب تصدرها وتستولي عليها شركات غير إسلامية إن لم تكن يهودية- وإن لتلك الوسائل أثرها الفعال في توجيه الأفراد وصياغة شخصيتها ونمط تفكيرها وقد قال ﷺ (إن من البيان سحراً)(١) . وهـذه العوامل والوسائل تعمل عمل السحر في النفس الإنسانية .

يقول الدكتور عبد القادر طاش عن الإعلام المعاصر ..«إن الغزو الحضاري الذي تواجهه الأمة الإسلامية يستخدم وسائل جديدة ، وأساليب جديدة ، إن الرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة ، بل إلى العقول المثقفة ، عن طريق الخبر الذي تبثه وكالة الأنباء ، والتحليل السياسي ، أو الاقتصادي الذي تكتبه الصحيفة ، والصورة التي ترسلها الوكالات المصورة ، الرسالة الغازية تعبر إلى العقول المثقفة عن طريق الفيلم التلفازي المدهش ، وعن طريق شريط الفيديو ، وعن طريق البرنامج الإذاعي المشوق ،

(١) البخاري، الصحيح م٣، ج٦ ، كتاب النكاح ، باب الخطبة ، ص ١٦٧، ح(٥١٤٦) .

والرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة عن طريق فيلم الكرتون المتقن ، والرسالة الغازية تعبر إلى العقول المثقفة والأجيال الصاعدة عبر النظريات المدسوسة في مناهج التربية والتعليم(١) .

إن المطلوب من الإعلام الإسلامي أن يعايش الحياة على منهجية الإسلام ، لا أن يكون تابعاً وجزئياً. ومن المؤسف أن واقع الإعلام المعاصر في كثير من دول العالم الإسلامي لايصور أبداً حقيقة الإعلام ومضامينه ، وأساليب ممارسته ، وقواعد تنظيمة فهو في كثير من الدول المسلمة يسير في ركب التقليد والتبعية للأنماط الغربية أو الشرقية في الإعلام ، ويفتقد الهوية الإسلامية الواضحة(٢) .

إن المطلوب من الإعلام أن يكون إسلامياً في كل وجوهه وصوره ووسائله وأهدافه في جميع المواضيع .

أما أن يجزأ هذا الإعلام ، فمرة يكون إسلامياً ، وبعد لحظات ، ينخلع من ربقة الإسلام فما هذا إلا أسلوب لهلهلة الإسلام بإدخال فيه ماليس منه .

إن «النظرة الواقعية التجزيئية للإعلام الإسلامي ، نظرة مجحفة ، غير منطقية ، وهي..... تحجم هذا الإعلام ، وتفصله عن الواقع ، وتخصص له جزءاً محدداً من النشاط الإعلامي الحافل ، وهذه النظرة ذات أثر خطير في حياة المسلمين ، لأنها تفصل الإعلام بنشاطاته الواسعة وممارساته المتنوعة ، عن الهدي الإسلامي ، وتكتفي بتحكيم الإسلام في جزء من النشاط الإعلامي ، ثم لاتبالي أن يناقض الإعلام مبادئ الإسلام وأخلاقه

---

(١) إضاءات حول الإعلام الإسلامي على كتاب الأمة ، مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، نخبة من المفكرين ، الطبعة الأولى ، (قطر : رئاسة المحاكم الشرعية ، رجب ١٤١١هـ) ، ص ٣٢-٣٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

ويتعدى حدوده وضوابطه في الأجزاء الأخرى التي يطلق عليها الإعلام العام !! وكأن هذا المفهوم يقترب من المفهوم الغربي العلماني في فصل الدين عن الحياة ، واعتبار الدين شأناً فردياً وعقيدة مكنونة يخصص له جزء من النشاط الإنساني ، ولا سلطان له على الواقع ، ولاهيمنة له على الحياة الاجتماعية العامة»(١) ، بل إنه العلمانية بعينها ·

إن البرامج التي تعرض على الشاشة الصغيرة في البيوت ، هي السم القاتل للناشئة ، ولاخلاص منها إلا بإعلام إسلامي منضبط بتوجيه الوحي ·

وإن الإعلام غدا بضاعة رائجة لأنه يخدم أصحاب الأموال والمترفين في المجتمع بل إن برامج الدعايات والإعلانات التي تعرض في التلفاز لاتتناسب مع الأساليب الغذائية الصحية ، ولاسيما للأطفال ·

فقد ساعد الإعلان التجاري على إحداث الكثير من التغيرات في العادات الغذائية كتناول المشروبات الغازية بدلاً من العصير الطازج ، واستعمال الأطعمة المحفوظة والمعلبة ، وأثبتت إحدى الدراسات أن هناك علاقة إيجابية بين استهلاك بعض الأطعمة والإعلان التجاري المؤثر عنها(٢) ·

هذا عدا عما يعرض الإعلان من المخالفات الشرعية ، بل الاجتماعية والذوقية المتناقضة .

يقول أخصائي التغذية Gelliffe «إن التطور والتكنيك في الفن

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧ ·

(٢) انظر : د· عبد الرحمن عبيد مصيقر ، «تأثير الإعلان التجاري على السلوك الغذائي» ، مجلة الفيصل الطبية، العددالسادس،جمادى الثانية- رجب١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م ، ص ٢٩ ·

الإعلاني الموجود في الدول المتقدمة قد بدأ توظيفه في كثير من الدول النامية مع التركيز على الأطعمة المحفوظة» (١) ولا تخفى على المرء أضرار الأطعمة المحفوظة .

ويتابع المصدر البحث .. « أما بالنسبة للأطفال فقد أصبحوا الهدف الرئيسي لكثير من إعلانات الأطعمة بحيث إنهم بدؤوا يشكلون ضغطاً على ذويهم بطلباتهم للأطعمة المعروضة في الإعلانات خاصة ، الحلويات والشوكولاته بالإضافة إلى إرهاق ميزانية عائلاتهم (وبخاصة الفقيرة منها) بتلك المطالب المتلاحقة»(٢) .

إن الطفل أضحىٰ فريسة للإعلان التلفزيوني بكل مايعرضه الإعلان من الغذاء وما يرافق هذا الإعلان من حركات خليعة وصور تافهة وقلة ذوق ، وتبلد للحس .

هذا عدا عما تسببه الأغذية المعروضة من الأضرار الصحية من السمنة إلى تسوس الأسنان ، وصرفهم في الوقت نفسه عن الغذاء الصحي النافع .

هذا جانب واحد من الأضرار التي يلحقها الإعلام بالأطفال، والتي تلاحق الجميع حتى في المدارس حين يقوم التلاميذ بتقليد ما يعرض ومحاكاته .

أما البرامج الأخرىٰ فهي أدهى وأمر وأضر .

فالمفروض في وسائل الإعلام أن تتمم عملية التربية ، وألا تهدم في الليل ما تشيده المؤسسات التربوية في النهار ، وكما قال الشاعر ...

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه * إذا كنت تبنيه وغيرك يهـــدم

إن المجتمع المسلم جملة هو الشرط الأساسي في نجاح العملية التربوية ، ومالم يقم المجتمع المسلم بمؤسساته جميعها فلن تكـــون

---

(١) ، (٢) المرجع السابق ، ص ٣٠

هناك تربية إسلامية للأجيال، وجميع الجهود التي تبذل لذلك معرضة للزوال إذا لم يوجد هذا المجتمع.

يقول الأستاذ محمد قطب .. «ذلك منهج التربية الإسلامية للطفل المسلم في المجتمع المسلم ، منهج يتعهده بالرعاية والتقويم منذ مولده إلى نضوجه ، في البيت والشارع والمدرسة والمجتمع على اتساعه ، كل عامل من هذه العوامل يعطيه دفعة إلى الأمام ، وتتكاتف جميعها على اتساق وتناسق لتنشىء منه في النهاية إنساناً صالحاً هو الإنسان المسلم»(١) .

إن عملية التنشئة للأطفال في المجتمع المسلم عملية مهمة ولايقوم حكم الله سبحانه وتعالى في أرضه إلا على ذلك ، لأن البيئة التي ينشأ فيها الطفل تؤثر في شخصيته طول العمر ، ولأن الإنسان يبصر ويسمع ويفهم بخلفيته الثقافية وبمواريثه الاجتماعية(٢) .

وإن أبلغ دليل يشير إلى أهمية البيئة وخطرها وأثرها في الإنسان ماذكره رسول الله ﷺ ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال : «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض .....ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ، فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ، ولاترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب .....

فأتاهم ملك في صورة آدمي. فجعلوه بينهم ، فقال قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى ، فهوله ، فقاسوه فوجدوه

---

(١) منهج التربية الإسلامية ، ج٢، ص ١٨٧ .
(٢) انظر : د/ ماجد الكيلاني ، أهداف التربية الإسلامية ، ص ١١٠-١١١.

أدنى إلى الأرض التي أراد ،فقبضته ملائكة الرحمة»(١).

إن الحديث الشريف يدل على ما تفعله البيئة والوسط الاجتماعي في الإنسان من تغيير ، وما يمكن أن تحول في سلوك الفرد من النقيض إلى النقيض ، فهل ثمة إنسان أشد ذنباً وقسوة وطغياناً ممن يقتل تسعة وتسعين نفساً ، ومع ذلك وعندما فكر بالتوبة، كان المعين له على ذلك هو البيئة الصالحة التي تشد من عزيمته وتدفعه إلى فعل الخير بعبادة الله - سبحانه - وذكره في كل حين، حين يرى ويعايش من يعبد الله - سبحانه وتعالى - فيتفاعل معهم ويقلد الجماعة بفطرته التي فطره الله - سبحانه وتعالى - عليها.

والخلاصة.. لابد من البيئة الإسلامية الصالحة ، لتتحقق للأمومة العوامل المساعدة على نجاح رسالتها وذلك حين يتسلم قيادة العالم القادة المسلمون المؤمنون الذين يخافون الله عز وجل في الأجيال، ومن يتولى عن ذلك فإن عاقبته الدمار والخسران، قال الله تعالى .. ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد﴾ (سورة البقرة - آية ٢٠٥)

﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾(سورة محمد-آية٢٢- ٢٣).

٢- أثر الوراثة :

قال الله عز وجل في كتابه الكريم ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العلمين، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾(سورة آل عمران - آية٣٣-٣٤) ، فهؤلاء الصفوة عليهم الصلاة والسلام ، قد اجتمعت فيهم خصائص وصفات متوارثة ، أهلتهم بقدر من الله - عز وجل - للرسالة والتبليغ فهم عليهم السلام «ذرية بعضها من بعض» فآدم أبو البشر عليه

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٤ ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، ص٢١١٨، ح (٢٧٦٦) .

السلام، ونوح عليه السلام حمل معه المجموعة المؤمنة ، ليكون في ذريتهم النبوة والإصلاح ، ثم آل إبراهيم ومنهم محمد ﷺ ، وآل عمران ومنهم عيسى عليه السلام، من مريم عليها السلام، يقول الإمام ابن القيم رحمه في ذلك ·« إن الله جعل عيسىٰ من ذرية إبراهيم بواسطة مريم أمه وهي من ذرية إبراهيم»(١) · ففي الآية الكريمة مايدل على التوارث في الجنس البشري ·

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ولد لي غلام أسود ، فقال هل لك من إبل» قال نعم ، قال ما «ألوانها»، قال حمر، قال: «هل فيها من أورق»* قال نعم، قال «فأنى ذلك» ؟ قال «لعله نزعه عرق»* قال ﷺ «فلعل ابنك هذا نزعه»(٢) .

فحديث الرسول ﷺ قد دل على انتقال الصفات الوراثية ، من الآباء إلى الأبناء ، مهما بعدت المسافة بينهما ·

قال الإمام النووي رحمه الله :

« والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب تشبيهاً بعرق الثمرة، ومنه قولهم فلان معرق في النسب والحسب وفي اللؤم والكرم ، ومعنى نزعه عرق أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه ، وأصل النزع الجذب ، فكأنه جذبه إليه لشبهه»(٣) ·

قال أستاذ علم الأجنة كيث مور بعد سماعه لحديث الرسول ﷺ : (هذا الحديث هو أقدم مرجع معروف لدينا عن الوراثـــة في

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج٥ ، ص٤٠١

(٢) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب الطلاق ، باب إذا عرض بنفي الولد ص٢١٨ ، ح (٥٣٠٥)، مسلم ، الصحيح ، ج٢ ، كتاب اللعان ، ص ١١٣٧، ح (١٥٠٠) ·

(*) أورق : أسمر (ابن الأثير ، ج٥ (ورق) ، ص ١٧٥) ·

(*) نزعه عرق : نزع إليه في الشبه (ابن الأثير ، ج٥ (نزع) ، ص ٤١) ·

(٣) شرح صحيح مسلم ، م٥ ، ج١٠ ، ص ١٣٣-١٣٤ ·

الإنسان والحيوان)(١) .

فالصفات تنتقل وتتوارث عبر الأجيال بين الأجداد والآباء والأبناء والأحفاد مهما علوا أو سفلوا .

ويعرف الطب علم الوراثة بأنه :«انتقال الصفات الوراثية من الأصول إلى الفروع أو من السلف إلى الخلف وهي تشمل إلى جانب الخصائص الأمراض القابلة للتوريث(٢).

وقد دل حديث رسول ﷺ وسلم إلى أن الوراثة تكون في الصفات الجسمية ، وفي الصفات المعنوية .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : «إن رسول الله ﷺ دخل علي مسروراً ، تبرق أسارير وجهه فقال : «ألم تري أن مجززاً* نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال إن بعض هذه الأقدام لمن بعض»(٣) .

وكانت الجاهلية تقدح في نسب أسامة بن زيد رضي الله عنه، لكونه أسود شديد السواد، وكان زيد أبيض ، ففرح رسول الله ﷺ بإلحاق القائف لأسامة بأبيه زيد رضي الله عنهما بالشبه ،

---

(١) د . كيث مور ، «مطابقة علم الأجنة لما في الكتاب والسنة» ، ترجمة د. خليل سليمان، مجلة الفيصل الطبية، الدمام ، العدد الثاني، (جمادى الأولى ١٤٠٤هـ) ص٢٩ .

(٢) د. شوكت شطي ، تاريخ الطب ، (دمشق : جامعة دمشق) ، ص ١٠٩ .

(*) مجزز المدلجي بن الأعور بن جعدة الكناني ، وقيل لم يكن اسمه مجززاً وإنما قيل له ذلك لأنه كان إذا أسر أسيراً جز ناصيته وأطلقه ، وأغفل ذكره جمهور من صنف في الصحابة ، حيث لم يعرف أنه أسلم أم لا ، واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم قوله لمعرفته بالقافة ، لكن قرينة رضا الرسول صلى الله عليه وسلم وقربه يدل على أنه اعتمد خبره ولو كان كافراً لما اعتمده في حكم شرعي(الإصابة ٣ / ٣٦٥).

(٣) مسلم ، الصحيح ، ج٢ ، كتاب الرضاع ، باب العمل بإلحاق القائف الولد ، ص ١٠٨٢، ح (١٤٥٩) ، البخاري الصحيح ، م٢، ج٤ ، فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب مناقب زيد بن حارثة ، ص ٢٥٦ ، ح (٣٧٣١) .

فكان ذلك زاجراً للجاهلية التي تعتمد قول القائف عن الطعن في نسب أسامة رضي الله عنه(١) .

وفي قصة المتلاعنين حين نزل قوله تعالى في سورة النور ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادت بالله إنه لمن الصادقين والخمسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين﴾(آية٦-٧)

وبعد تلاعن الزوجين قال رسول الله ﷺ : «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين* خدلج* الساقين فهو ...»؛ فجاءت به كذلك ، فقال ﷺ : «لولا مامضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن»(٢) .

وفي حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها(اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة* في غلام فقال سعد: هذا يا رسول الله ابن أخي عتبة بن أبي وقاص عهد إلي أنه ابنه انظر إلى شبهه وقال عبد بن زمعة: هذا أخي يا رسول الله ولد على فراش أبي من وليدته فنظر رسول الله ﷺ إلى شبهه فرأى شبهاً بيناً بعتبة فقال :« هولك يا عبد، الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، م٥ ، ج١٠ ، ، ص ٤١ ، ذكره عن العلماء .

(*) سابغ الأليتين: أي تامهما وعظيمهما ، (ابن الأثير، ج٢ «سبغ»، ص ٣٣٨).

(*) خدلج الساقين : أي عظيمهما . (ابن الأثير ، ج٢، «خدلج» ، «خدل» ، ص١٤-١٥).

(٢) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب التفسر ، باب (ويدرأ عنها العذاب ...)، ص٥ ، ج(٤٧٤٧) .

* عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي ابن أخت أم سلمة، وأمه هي قريبة بنت أبي أمية، وكان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، مات أبوه قبل الهجرة كافراً ، يقال مات سنة خمس وثلاثين يوم الدار وقيل غير ذلك (الإصابة ٢/٣١١ ؛ الاستيعاب ٢/٣٠٧) .

يا سودة بنت زمعة* فلم تره سودة قط» (١) .

فأمر رسول الله ﷺ سودة رضي الله عنها أن تحتجب منه لأنه ابن زمعة وولد على فراشه من جاريته في الجاهلية ، وأمرها رسول الله ﷺ بالاحتجاب منه ، لما رأى فيه من الشبه البين بعتبة بن أبي وقاص .

أما الصفات المعنوية وتوارثها، فقد ورد في الحديث الشريف ما يشير إلى ذلك فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (الولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر)(٢) .

قال الحافظ ابن حجر ..

«ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق ، فلاتكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول ، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا ، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة ... عد ذلك خيانة ... ، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها ، وقريب من هذا حديث « جحد آدم فجحدت ذريته»(٣) .

وفي حديث آخر «مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتصلون،

---

* سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد الأنصارية من بني عدي بن النجار تزوجها السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو وتوفي عنها، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أول امرأة تزوجها بعد خديجة رضي الله عنها، وفيها نزل قول الله تعالى «وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً..» وأسنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم بطلاقها فقالت لاتطلقني وأنت في حل من شأني فإنما أود أن أحشر في زمرة أزواجك وإني قد وهبت يومي، لعائشة، وإني لا أريد ما تريد النساء، فأرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفيت في آخر زمان عمربن الخطاب رضي الله عنه وقيل توفيت سنة ٥٤هـ .(الإصابة ٤/٣٣٨ : الاستيعاب ٤/٣٢٣) .

(١) البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٣ ، كتاب البيوع ، باب شراء المملوك ، ص٥٢ ، ح(٢٢١٨) ، مسلم ، الصحيح ، ج٢ ، كتاب الرضاع ، باب الولد للفراش ، ص١٠٨٠ ، ح (١٤٥٧) .

(٢) سبق تخرجه ص ٥٦٦ من هذا البحث .

(٣) فتح الباري ، ج٦ ، ص ٣٦٨ .

فقال رسول الله ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً»(١).

وقد يكون معنى الحديث الشريف أن فيهم من الاستعدادت الوراثية ما يؤهلهم لأن يكونوا رماة بارزين ، كما كان أبوهم إسماعيل عليه السلام رامياً ·

إن ما سبق من الأدلة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة يدل دلالة بينة على الأثر الكبير الذي تتركه الوراثة في الإنسان ، فهي تتدخل في تكوين شخصيته وتحديد معالمها الجسدية والعقلية والنفسية والسلوكية ، ولذا فقد كان للوراثة دورها الكبير الذي يؤثر في وظيفة الأمومة ، يقول الدكتور الكسيس كاريل : «يمتد الإنسان في الزمن مثلما يمتد في الفراغ إلى ماوراء حدود جسمه ، وحدوده الزمنية ليست أكثر دقة ولاثباتاً من حدوده الاتساعية فهو مرتبط بالماضي والمستقبل بالرغم من أن ذاته لاتمتد خارج الحاضر ، وتأتي فرديتنا إلى الوجود عندما يدخل الحيوان المنوي في البويضة، ولكن عناصر الذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة ومبعثرة في أنسجة أبوينا وأجدادنا وأسلافنا البعيدين جداً ، لأننا مصنوعون من مواد آبائنا وأمهاتنا الخلوية ، وتتوقف في الماضي على حالة عضوية لاتتحلل ، ونحمل في داخل أنفسنا قطعاً ضئيلة لاعداد لها من أجسام أسلافنا ، وماصفاتنا ونقائصنا الا امتداداً لنقائصهم وصفاتهم فالقوة والشجاعة صفتان وراثيتان في الإنسان ، كما هو الحال في جياد السباق ، ونحن لانستطيع أن نضع التاريخ جانباً ، بالعكس يجب أن نستخدم الماضي في التكهن بالمستقبل والاستعداد لمواجهة مصيرنا» (١) ·

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٤ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل ··) ص ١٤٣، ح(٣٣٧٣).

(٢) الإنسان ذلك المجهول ، ص ٢٩٨ ·

وقد حدد رسول الله ﷺ في الحديث توارث الولد عن أبويه الصفات التي تكون عليها شخصيته، فقد قال ﷺ : «وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها»(١).

جاء في كتاب « خلق الإنسان» في معنى هذا الحديث الشريف مايلي «ولاندري إلى الآن ما هو دور السبق في ماء الرجل أو ماء المرأة في الشبه من الناحية العلمية ٠٠٠٠٠ وينبغي أن يحفز الحديث المختصين في هذا الباب لدراسته فقد تنفتح لهم أبواب وتكشف لهم كشوفات»(٢).

ولكن هذا الحديث الشريف لاينفي أن الولد قد لايشبه أحداً من آبائه(٣).

إن صفات الإنسان كلها تحملها النطفة الأمشاج التي تتشكل من ماء الرجل والمرأة ، تلك النطفة الأمشاج الخلية الأولى للإنسان والتي تحمل في نواتها أسرار الوراثة فيه، التي وهبتها له الأم والأب معاً حيث تحتوي نويات البويضة والحيوان المنوي على أجسام متناهية في الصغر ذات أشكال مستطيلة تدعى الصبغيات أو الكروموسومات وتتكون النطفة من اتحاد النواتين وباتحادهما يكتمل تكون الخلية الإنسانية والتي تحتوي على المخطط الوراثي أو البرنامج المستقبلي لتكون الجنين ٠

ونظراً لاختلاط الصبغيات من الحيوان المنوي والبويضة فـــإن

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٤ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ص١٢٤، ح (٣٣٢٩) ٠

(٢) انظر : د. محمد علي البار، ص ١٤٠ ٠

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ١٣٩ ٠

النطفة ستنمو إلى جنين يأخذ ملامحه من أمه وأبيه حيث تقوم المورثات التي تكون على الصبغيات بتقرير مستقبل الجنين ، وبمجرد تكون النطفة الأمشاج تكون جميع الملامح قد تكونت على الطفل مثل شكل الوجه ولون الشعر وجسم المولود(١) ٠

وقد ذكر العلماء أن الأم تساهم بجزء أكبر من الأب في تكوين الولد، ذلك أنه «يحتوي معظم جسم الحيوان المنوي على المادة النووية ومركز الوراثة في الذكر بينما بويضة الأنثى تحتوي على جزء وافر من السيتوبلازم أيضاً (أي إضافة إلى المادة النووية ومركز الوراثة)، وهذا تأكيد آخر حدث في تربية النبات والحيوانات حيث وجد أنه رغم وجود معظم الجينات على الصبغيات إلا أنه هناك جينات في السيتوبلازم ، ومما أدى إلى تعضيد هذا الاقتراح هو التشابه المتكرر بين الأم وذريتها»(٢) ٠

إن الأم تهب النطفة الأمشاج كل المادة المحيطة بنواة البويضة والتي تتغذى عليها النطفة الأمشاج حتى تعلق النطفة وتنشب في جدار الرحم(٣)٠

إن الصبغيتين الجنسيتين عند الأنثى X X وهي تحتوي على العديد من المورثات المزدوجة فكل مورثة توجد في إحداهما X لها مايقابلها عند الأخرى X في الأنثى نفسها ٠

أما الرجل فإن الصبغيتين الجنسيتين عندهXy لاتحوي على

---

(١) انظر : د ٠ كيث مور «مطابقة علم الأجنة لما في الكتاب والسنة ، ترجمة د٠خليل سلمان ، مجلة الفيصل الطبية العدد الثاني ، ص ٢٧ ٠

(٢) د ٠ آلان إمري ، أساسيات علم الوراثة ، ص ١٠٤ ٠

(٣) انظر : د٠ محمد علي البار ، خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، ص ١٦٤ و د٠الكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ص ١٠٩ - ١١٠ ٠

مورثات مزدوجة، فالصبغية الجنسية Xy عند الذكر تفتقر إلى معظم مورثات الصبغية X عنده لأن الصبغية y تحمل العامل الوراثي الذي يحدد الذكورة لا المورثات الصبغية التي عند شريكتها X ·

لذا فإن أي مورثات متنحية* في X ستظهر عند الذكور أكثر ، ولذا فإن المورثات في الصبغية X تعتبر مورثات مرتبطة بالجنس(١) ·

وصحيح ما قيل « كادت المرأة أن تلد شبه أبيها أو أخيها» والمعروف أنه ينظر إلى أخوال الولد لأنه ينزع في الغالب إليهم .

وقد وصى رسول الله ﷺ باختيار الأم الصالحة .

وقد قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إحدى خطبه : «انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس»(٢) ·

إن للعامل الوراثي أثره الكبير في الأمومة، من حيث الصفة التي تكون عليها الذرية ، سواء ذلك في المرأة وما تحمله من مورثات تعطيها لأولادها ، أو الرجل وما يساهم فيه من مورثات يمنحها لهم .

وإن أي خلل في تركيب المورثات أو أي شذوذ سواء في العدد أو الصفة فإنه يؤدي إلى تشوه الجنين أو موته حين الولادة أو بعدها ، أو إسقاطه قبل أن يكتمل في الرحم ·

«إن هناك دلائل قوية تبين أن سبب موت الجنين ربما تكون مورثة في الجنين نفسه، ففي الحقيقة : إن أكثر من ٥٠٪

---

(١) انظر : معجم البيولوجيا المصور ، كورنى ستوكلي ، ص ٩٧ ، ٩٨ ·

(*) المتنحية : الصفة المتنحية هي الصفة التي تكمن فلا تظهر في الجيل الأول · (انظر : د. آلان إمري ، أساسيات علم الوراثة ، ص ١٥-١٦) ·

(٢) خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه ، جمع د· محمد أحمد عاشور، ص ١٢٧.

من حالات الإجهاض التلقائي تكون بسبب شذوذ في التركيب الوراثي*»(١) ·

ولقد وجد أنه من بين كل عشرين طفلاً يدخلون المستشفيات هناك طفل يعاني من مرض وراثي ، وتكون الوراثة سبباً في موت طفل من كل عشرة أطفال يتوفون في المستشفيات(٢).

إن للوراثة دورها الكبير في الأجيال ، ويظهر أثر ذلك في الزواج بين القريبين، ولاسيما أولاد العمومة ، فإن الفرصة عند ذلك تكون أكبر لظهور الصفات الوراثية السائدة والمتنحية ، الجيدة والسيئة ·

وإن العامل الوراثي والعامل البيئي يلعبان دورهما في ظهور الغالبية العظمى من الأمراض ·

وكلما كان المرض متنحياً ونادراً كلما وجد في أشخاص أصل آبائهم متقارب أو أولاد عمومة (٣) ·

فالصفات المتنحية النادرة يكون ظهورها في الأولاد مقترناً بقرابة الزوجين ، لأنهما يكونان أقرب إلى بعضهما من ناحية التركيب الوراثي ، والفرصة لأبناء العمومة في كونهم يحملون نفس الجين* (العامل الوراثي)، تكون بنسبة (١ : ٨) والفرصة لأن يحمل زوجان متباعدان أقل من ذلك بكثير ، وتعتمد على مدى انتشار ذلك في المجتمع(٤) ·

---

(١) د· آلان إمري ، أساسيات علم الوراثة ، ص ٢٣٨ ·

(*) لمعرفة التركيب الوراثي والإعجاز الإلهي فيه راجع : د · محمد علي البار ، خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ١٢٨ - ١٣١ ·

(٢) انظر : د · آلان إمري ، أساسيات علم الوراثة ، ص ٢٣٨ ·

(٣) انظر : المرجع السابق ص ٢١ ·

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص ١٣٥ ·

فإذا «تزاوج أولاد عمومة ، فإن احتمال أن يولد لهم طفل مصاب بتشوه خلقي أكبر بقليل عن المجتمع العادي ، غير إنه إذا كان أحد أفراد العائلة مصاباً بمرض وراثي فإن احتمال ظهور طفل مصاب لأولاد العمومة في هذه العائلة أكبر بكثير من المجتمع العادي»(١).

ومما ذكره الدكتور محمد علي البار - في زواج الأقارب قوله:

«فإذا اتفق وكان كلا الأب والأم يحمل إحدى الصفات المتنحية فإن ربع أولادهم تقريباً ستظهر فيهم هذه الصفة المتنحية بصورة واضحة جلية وذلك لاجتماع الصفتين من كلا الأب والأم ، وهذا ما يجعل الزواج بين الأقارب .. يظهر الصفات والأمراض المتنحية التي كانت مختفية إذ إن كلاً من الأب والأم المتقاربين في النسب يحملان كثيراً من الصفات المشتركة والمتنحية (بحيث إنها لاتظهر عليهم) ، ولذا إذا اقترنا بالزواج فإن احتمال ظهور هذه الصفات المتنحية يصبح كبيراً جداً .. ومثلاً فإن بعض الأمراض الوراثية النادرة في المجتمع يكون احتمال ظهورها في الزوجين البعيدي النسب لاتزيد عن واحد في الألف بينما يرتفع احتمال ظهور ذلك المرض الوراثي النادر الى ٣٥ بالمائة عندما يكون الزوجان أولاد عم أو خال أو عمة أو خالة»(٢).

إن الإسلام لم يمنع زواج الأقارب من الدرجة الثانية كأولاد العم أو أولاد الخالة .

ولكن الفرصة لظهور الصفات المتنحية والمختفية كبيرة في هذا .. إن مثل هذا الزواج بين الأقارب وخاصة من الدرجة الثانية، يؤدي إلى ظهورها ، لأن الأقارب يحملون الصفات الوراثية بصورة

=(*) للمزيد عن معرفة الجينات انظر : المرجع السابق ، ص ١٦ - ١٧ .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٢) هل هناك طب نبوي ، ص ٢٦٦ . بتصرف .

مشتركة إلى حد كبير ، لكنه- في الوقت نفسه إذا كانت هناك صفات حسنة في أسرة الأقارب ، فإن ذلك الزواج يجعلها تزداد ظهوراً ، وذلك ما حدث بالنسبة لزواج الإمام علي من فاطمة -رضي الله عنهما- بنت رسول الله ﷺ · فأنجبا سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين -رضي الله عنهما-(١)·

وقد أوصى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بعدم زواج الأقارب فقال لبني السائب «يابني السائب قد أضويتم* فانكحوا النزائع*»(٢) .

والملاحظ في واقع الناس أن زواج الأقارب يؤدي إلى نسل ضعيف مظهراً وتكويناً وعقلاً في الغالب ، كما يشاهد ذلك من يتأمل في الجماعات القبلية التي تمنع الزواج من الأباعد ، أو القبائل أو العشائر أو الأنساب الأخرى ·

إن أمر الوراثة في الإنسان معجزة إلهية وآية كبرى من آيات الله عز وجل ، ينبغي دراستها والاهتمام بها ، والوقوف عند أسرارها ، استجابة لأمر الله عز وجل ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسٰن من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم. علم الإنسٰن ما لم يعلم﴾(سورة القلم - آية ١-٥) ·

إن مجال علم الوراثة في هذا الزمن قد تطور وأخذ أبعاداً كثيرة . وكثير من أمور الإنسانية الخلقية يمكن إرجاعها إلى الوراثة، وبالتالي فإن دراسة هذا العلم يمكن أن تعود بالخير الكثير على بني الإنسان إذا ضبطها الحكم الشرعي يقول علماء

---

(١) انظر : الجنين المشوه والأمراض الوراثية ، ص ٢١١.

(٢) ابن عبدربه أحمد بن محمد الأندلسي ، العقد الفريد ، (بيروت : دار الكتاب العربي ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)ج٦ ، ص١١٧ ·

(*) أضويتم : ضعفتم ، أضوت المرأة إذا ولدت ولدا ضعيفاً ، (انظر : ابن الأثير ج٣ (ضوا)، ص ١٠٦) ·

(*) النزائع : النساء الغرائب من عشيرتكم · (ابن الاثير ج٥ ، (نزع) ، ص٤١) ·

الوراثة ..(إن الشذوذ الخلقي وأمراض الوراثة أصبحت من الأمور اليومية التي يقابلها الطبيب الممارس في عمله اليومي ، وبعض هذه المشاكل تتعلق بزواج الأقارب أو الشذوذ في التكوين الجنسي ، وتعدد حالات الإجهاض وتحديد الأبوة ، وبوجه خاص ظهور أمراض وراثية في العائلة»(١) ، إن علم الوراثة اليوم يبحث في قضايا هي من أصل الشرع- في حلها وحرمتها- كالإجهاض ، وتحسين النسل، وثبوت الأبوة ، ومنع الزواج، وغير ذلك كثير .. والعالم وعالم الوراثة والطبيب من المسلمين مطالبون بدراسة هذه الأمور ، وتأصيل أحكامها تحت هيمنة الشرع الإسلامي ودراسة ما يجوز منها، وتطبيقه لخير البشرية ، فحرام أن تبقى هذه الدراسات بيد من لايعرف الله سبحانه .

إن علم الهندسة الوراثية قائمة بحوثه ودراساته، ولايعلم إلى أين ستنتهي ، فهل يقف المسلم اليوم مستورداً لدينه ودنياه من الكفار ويدعي أنه يعيش الإسلام !؟ .

وأخيراً .. فالعجيب أن تصدر دعوة من عالم نصراني هو الدكتور كيث مور إلى علماء المسلمين بأن الواجب عليهم أن يتفحصوا النصوص الشرعية لدراستها للبحث عن الأدلة ويقوموا بالبحوث عليها. ثم قال وهذا ما يثبت لي أن محمداً رسولﷺ(٢) مع أنه لم يؤمن بمحمد ﷺ أسأل الله - عز وجل - أن يهديه إلى الإسلام .

---

(١) د. آلان إمري ، أساسيات علم الوراثة ، ص ٢١٧ .
(٢) انظر : د . كيث مور ، (مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة) ، مجلة الفيصل الطبية ، العدد الثاني ، ص ٢٩ .

٣- البيئة أم الوراثة

إن مما يحير الناظر في أمور الوراثة والبيئة هو أيهما أكبر أثراً في شخصية الإنسان الوراثة أم البيئة ٠

والحقيقة أن كلا الأمرين له دوره الذي لاينكر في ذلك ، وكلا العاملين يعمل جنباً إلى جنب مع الآخر ، ولايمكن فصل أحدهما عن الآخر في أكثر الأحيان.

والمفروض من البيئة والوراثة أن يحققا الخير للإنسان وفق الضوابط الشرعية؛ وإن العامل الوراثي لايخضع لإرادة الإنسان ، ولكن يمكن ضبطه بعض الشيء ٠

يقول الدكتور فاخر عاقل : « بالرغم من أن التميز من جهة والتخلف من جهة أخرى يصف بعض الأسر - من جيل إلى آخر - فإننا لانملك دليلاً قاطعاًعلى أن سبب التميزأو التخلف هو الوراثة وحدها ، ذلك بأن أبناء الآباء المتميزين يرثون إرثاً اجتماعياً متميزاً أيضاً في حين أن أبناء الفقراء والجهلة يولدون في محيط فقير جاهل ويرثون إرثاً اجتماعياً فقيراً أيضاً ، وهكذا فإن دراسات السلاسل العائلية - الجيدة أو السيئة - لاتكفي لإقامة الدليل على أهمية الوراثة وحدها ، والحق أن الوراثة الجيدة والمحيط الجيد يعملان معاً في إنتاج التميز وأن الوراثة السيئة والمحيط السيئ يتضافران في خلق التخلف»(١) ٠

ثم توصل الدكتور فاخر عاقل إلى النتيجة التالية :

« وأخيراً وبالرغم من أن التميز والعبقرية تظهر في كل طبقات المجتمع فإن ثمة ملاحظة ، هي أن النسبة الكبرى من

(١) علم النفس التربوي ، ص ٤٢

المتميزين والعباقرة يولدون لعائلات من الطبقة الاجتماعية والاقتصادية العليا مع أن هذه الطبقة لاتشكل أكثر من ١٠٪ من مجموع السكان ، ولكن هذا لا يمنعنا أن نلاحظ أن التميز والنبوغ غير قاصر على هذه الطبقة وأن ثمة عشرات من المتفوقين في كل مجتمع ظهروا من عائلات متواضعة أو بسيطة»(١) .

وهذا لايتعارض مع المفهوم الشرعي للبيئة الصالحة إسلامياً واقتصادياً واجتماعياً ، قال تعالى في تهيئة البيئة الصالحة لموسى عليه السلام ﴿وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾(سورة طه - آية ٣٩) .

وفي قصة يوسف عليه السلام : ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾(سورة يوسف - آيه ٢١) .

وذكرت البيئة في قصة مريم عليها السلام ﴿ وأنبتها نباتاً حسنا وكفلها زكريا﴾(سورة آل عمران - آية ٣٧) .

إن ما سبق لأكبر دليل على أهمية البيئة الصالحة من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والدينية، فهي التي تنشيء الإنسان الصالح القوي .

وإذا كان هذا الحال في الأنبياء ، أليس في ذلك أكبر العبرة والعظة للناس على وجوب توفير البيئة الجيدة لتربية الأجيال ، مادام ذلك مطلوباً للأنبياء والرسل الذين هم المصطفون الأخيار، فالعامة جملة أحوج إلى ذلك لافتقارهم إلى التربية والتعلم.

إن المتأمل في المجتمعات الإنسانية اليوم يلاحظ أنها تقـــوم

---

(١) المرجع السابق .

على الظلم وعدم العدل بين الناس ، وذلك بما يسودها من التمييز العنصري والتفاضل الطبقي ·

ففي الولايات المتحدة الأمريكية يتمتع البيض بمعدلات لاتقارن للقابلية للتحرك ، لأن لون البشرة عائق يؤثر في نشاط الفرد في المجتمع ، ولذا فإن معدل الذكاء للبيض أكثر منه للسود ، ففي شمال أمريكا كان متوسط العينات لمعامل الذكاء للسود حوالي (٨٥) بينما هي للبيض حوالي (١٠٠) ، والدراسات تتكرر لتثبت أن النظرة الكمية لمعامل الذكاء بين السود والبيض تعلن أن السود أقل ذكاء من البيض(١) ·

ولكن الدراسات العادلة ، والتي تعهدت الأطفال السود في فترات مبكرة جداً أثبتت أن هناك نشاطاً مبكراً في النمو للأطفال السود وبالأخص للسلوك الحركي ، متوازياً مع النمو الجسمي والعقلي ، لكنه وبعد عدة سنين يحدث التأخير في النمو والحركة للسود ·

وترجع تلك الدراسات ذلك إلى البيئة المنزلية التي يقطنها السود ، ولاسيما النمو الفكري ، حيث أظهرت بعض الدارسات التأثيرات الضارة للإحساس القاسي بالحرمان المبكر من الحياة(٢).

فحين أخذ الأطفال السود للتبني في أسر البيض ذات المستوى المعيشي والفكري الجيد أثبت السود تفوقاً على البيض ، رغم أن الآباء البيض من ذوي معامل الذكاء(١٢٠).(٣) .

إنه إذا توفرت للأطفال الوراثة الجيدة والبيئة الجيدة ، كانوا أفراداً صالحين أقوياء في مواجهة الحياة والعمل لإعمارها ·

---

(١) انظر : لي إرمان وبيتر إبار سونز ، وراثة وتطور السلوك ، ص ٤٣١ - ٤٣٢ ·
(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ·
(٣) انظر المرجع السابق ، ص ٤٣٤ ·

فكم قتل المحيط السيئ من مواهب ، وكم قضى على كفاءات، وكم ساعد المحيط الجيد على إبراز أشخاص كانوا سيكونون عاديين لولا الفرص التي هيأها الله عز وجل لهم(١).

إن كلا العاملين البيئة والوراثة مهم ، لكن الذي يمكن التحكم به وتغييره هو البيئة ، أما الوراثة فتبقي من علم الغيب مهما حاول الإنسان أن يكشف من أسرارها ٠

إن الناس معادن وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا(٢) أو كما قال ﷺ، ولذا فقد كان ﷺ حريصاً على إسلام النماذج القوية جسماً وعقلاً وفكراً .

وإن التحول الذي شهده جيل الصحابة رضي الله عنهم من الجاهلية إلى الإسلام لدليل واضح على مايمكن أن تقوم به البيئة وما يمكن أن تفعله في الإنسان٠

كأمثال عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل ، وغيرهم رضي الله عنهم ٠

إن البيئة الجيدة التي تعد القادة الصالحين المصلحين ، والذين يقومون بحكم العامة من الناس أمر لا بد منه لتحقيق المجتمع الصالح والبيئة الصالحة ٠

والقرآن الكريم أعطى المثل لصلاح الأجيال بصلاح البيئة قال الله عز وجل ٠٠

﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لايخرج إلا نكداً ، كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ﴾ (سورة الأعـــراف -

---

(١) انظر : د ٠ فاخر عاقل ، علم النفس التربوي ، ص ٦٠ ٠

(٢) انظر الحديث الشريف وتخريجه ، ص من هذا البحث ٠

* نكدا : النكد اللؤم والشؤم ، وكل شيء جر على صاحبه شراً ، ونكد عيشهم : بالكسر اشتد. وأرضون نكاد قليلة الخير (اللسان ، ج١٤ ، (نكد) ، ص ٢٨٠) .

آية ٥٨) .

فالبذرة الجيدة في الأرض الجيدة الطيبة تخرج نباتاً طيباً مباركاً ، والبذرة الجيدة في الأرض الخبيثة ، تخرج ثمراً نكداً قليل النفع ، والبذرة السيئة في الأرض الخبيثة لايخرج ثمرها إلا خبيثاً ضاراً سيئاً كالسم يقتل من حوله؛ وإن كانت كلها تسقى بماء واحد.

الباب السادس

التربية والأمومة

إن الأمومة الإنسانية ، لاتقف عند حدود الغريزة والدافع الفطري ، بل هي أسمى وأعظم من ذلك ·

إن الأمومة علم وفن ، والمطلوب من التربية بجميع مؤسساتها أن تقوم بإعداد وتهيئة المرأة لهذه الوظيفة الهامة والخطيرة في بناء المجتمعات ، التي يتحدد دورها بين الأمم من خلال نجاحها في تربية المرأة وإعدادها كزوجة وأم تشرف على الإنتاج الإنساني مسلحة بالإيمان بالله سبحانه ، وبالعلم المستمد من المنهج الإسلامي ، مادة،«ووسيلة وغاية، مضافاً إليه كل علم نبيل مفيد يمكن أن يساهم في العملية التربوية والذي يعود بالخير على الإنسان.

فما هي التربية الإسلامية للأمومة ؟!

وهل واقعنا المعاصر الإسلامي وغير الإسلامي ، يعد المرأة ويعلمها لوظيفتها السامية التي لاتدانيها أية وظيفة أخرى في الوجود ؟!

الفصل الأول

الأمومة وأهداف التربية في الكتاب والسنة

إن التربية الإسلامية هي الوسيلة التي توصل الإنسان إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى وهي الطريقة التي تحدد للفرد وللمجتمع منهج الخلافة في الأرض، التي أمر بها الإنسان لتنتظم حياته في تصميم الكون الكبير بالسير وفق ناموسه وحركته ، لينال جزاء طاعته في الدنيا والآخرة(١) ٠

فالتربية الإسلامية هي إعداد للحياة الإنسانية الفاضلة في ظلال الإسلام متمثلاً في الكيان الشخصي ، والإعداد لهذا النوع من الحياة المتكاملة إنما يتم بتفاعل ثلاثة جوانب تحدد مقومات الحياة الإنسانية ، وهي الجانب العقلي ، والجانب العاطفي الوجداني والجانب السلوكي الإرادي(٢) ٠

ولذا فإن مسؤولية التربية كبيرة وخطيرة ، يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي ٠٠ «إني لاأعرف أمانة أكبر مسؤولية وأشد خطراً وأعمق أثراً في مستقبل الأمة وحياتها من التربية والتعليم ، فزلة من زلاتها قد تودي أمة بأسرها في هاوية ، وقد تؤدي بها إلى الاضمحلال والتفسخ والفوضى في الأخلاق والاجتماع والسياسة والتعليم واللادينية والإلحاد ، كذلك يمكنها وحدها أن توجه العقول والنفوس توجيهاً صالحاً ، وتنشئ الأمة نشأة جديدة وتبني لها مستقبلاً باهراً»(٣) .

---

(١) انظر : د ٠ ماجد عرسان الكيلاني ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، (عمان : جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٨٣م) ، ص ٣١.

(٢) انظر : د ٠ عبد الحميد الهاشمي ، الإعداد النفسي والتربوي لمدرس التربية الإسلامية وعلومها الدينية ، (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ، ص٩ ٠

(٣) التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والدول الإسلامية ، الطبعة الثانية ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ، ص٢٢ ٠

ثم يلفت الأستاذ أبو الحسن الندوي الأنظار ، ويستنهض الهمم عند المسلمين لضرورة القيام بهذه المسؤولية والاضطلاع بها فقال حفظه الله···

« وليس من الشرف والرجولة الفرار من هذه المسؤولية المشرفة ، بل الشرف والرجولة وعلو الهمة الاضطلاع بهذا العبء الذي ألقته الأمة على كاهلها ، وأن تساهم في نهضة الأمة بالقسط الأكبر ، بل تضع أساسها الذي سيقوم عليه بناء المجتمع(١).

ولن تتحقق للأمة المسلمة الخيرية والعزة والقوة التي أرادها رب العباد سبحانه وتعالى - من عباده إلا بالسير على منهج تربوي إسلامي سليم الوسيلة والهدف ، لأن المنهج الإسلامي وحده هو الذي يحقق للإنسان وللمجتمع التوازن المطلوب للحياة الكريمة، ذلك أن المنهج الإسلامي مستمد من النبع الإلهي المتمثل في الكتاب والسنة ذلك المعين الذي لاينضب على مر الدهور ، ولاتغيره حوادث المكان والزمان ·

إنه المنهج الذي يوازن بين حاجات الإنسان الروحية ، وحاجاته المادية ، وحاجاته الاجتماعية، ذلك لأن مادته مستمدة من منهج رباني من الخالق سبحانه وتعالى وقد جاء ملخصاً في أول آية نزلت على رسول الله ﷺ في غار حراء ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسٰن من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم علم الإنسٰن مالم يعلم﴾ (سورة العلق-آيه١-٥)·

والخطاب في الآيات الكريمة خطاب عام لبني الإنسان يشمل كل فرد في الوجود الذكر والأنثى على سواء ·

---

(١) المرجع السابق .

إن العملية التربوية واجب لابد منه للذكر والأنثى ، وهناك علوم ضرورية يستويان في طلبها وتحصيلها ثم يفترقان في العلم التخصصي والوظيفي الذي يجب أن يحصله كل فرد من حيث فرض العين وفرض الكفاية ·

لكن ذلك لايمنع أن تكون السمات والأهداف والوسائل التي يخضع لها هذا العلم وهذه التربية واحدة لاتتغير في الأفراد والمجتمعات وفي الذكر والأنثى ·

فما هي سمات هذه التربية ؟! من خلال الخطاب الإلهي الأول الذي ارتجف منه رسول الله ﷺ وخاف ﷺ حين سمع جبريل عليه السلام يقول له : «اقرأ»

وقد حدد الدكتور - ماجد الكيلاني - هذه السمات من خلال هذه الآية الكريمة بما يلي :

فالسمة الأولى لها : «باسم ربك» لأن مخطط هذه التربية وواضع أصولها وفلسفتها وأهدافها هو خالق الإنسان الذي رعى نشأته وتكوينه منذ أن كان علقة حتى صار عالماً بالكون والحياة ، وكذلك في استعمال كلمة (ربك) لأن المربي لهذا الإنسان والراعي لهذا الخلق والكون بما فيه هو الله عز وجل ·

والسمة الثانية : أن الغاية من هذه التربية الإسلامية هي تكريم الإنسان وسعادته وإشاعة السلام والأخوة والوحدة في حياته ·

والسمة الثالثة : أن مخطط هذه التربية هو أكرم المخططين -سبحانه وتعالى- الذى لاينتظر من عباده نفعاً قال الله عز وجل ·

﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمعون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾(سورة الذاريات ٥٧-٥٨) ·

والسمة الرابعة : أن مخطط هذه التربية قد رعى تضافر جهود الأجيال المتعلمة ويسر أسباب التكافل والتعاون وتبادل المعارف

والخبرات العلمية بين الأجيال التاريخية أو المجتمعات المكانية ، وقد هدى الله عز وجل الإنسان إلى اكتشاف الكتابة بالقلم (وعلم بالقلم) فكان من ثمرات ذلك تدوين العلوم ودخول الإنسان عصر الحضارة(١) ·

وإن التربية الإسلامية للمرأة ينبغي أن تستمد من المنهج الإسلامي الأصيل الذي يخضع لقول الله عز وجل ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ··﴾ ·

حتى تتحقق الأهداف المرجوة منها ·· أهداف التربية الإسلامية التي تبدأ بالفرد فتنشئه على الإيمان بالله سبحانه في دقائق حياته كلها ، لتصوغ مجتمعاً إنسانياً فاضلاً للبشرية كلها مسلمها وكافرها ، وذلك لأن هذه الأهداف تجعل الدنيا وسيلة للوصول الى الآخرة ·· وقد حدد «كتاب تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية» هذه الأهداف :

أ- تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(سورة الذاريات-آية ٥٦) ·

ولكي تتحقق هذه العبودية شددت التربية الإسلامية في أهدافها على توجه الفرد في كل عمل يمارسه إلى الله عز وجل ، فربطت بين السلوك والاتجاه وهو ماسماه الحديث الشريف النية «إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى»·

ب- تطوير سلوك الفرد وتغيير اتجاهاته بحيث تنسجم مع الاتجاهات الإسلامية ﴿قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ، بل تؤثرون الحيوة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى﴾ (سورة الأعلى- آية ١٤-١٧) ·

---

(١) تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ص ٣٤ - ٣٦ بتصرف ·

جـ- تدريب الفرد على مواجهة متطلبات الحياة المادية ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾(سورة الملك-آية١٥).

د- بناء المجتمع القائم على روابط العقيدة الإسلامية وتشريعاتها وإبراز أهمية قيام هذا المجتمع واعتبار الانتماء إليه كمال الدين ودليلاً لصحة الإيمان قال الله عز وجل ﴿والذين ءامنوا وهاجروا وجٰهدوا في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم﴾(سورة الأنفال - آية ٧٤).

هـ- إعداد المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية إلى العالم عملاً بقول الله عز وجل .. ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(سورة آل عمران - آيه ١١٠) ، وقول الله عز وجل ﴿والمؤمنون والمؤمنٰت بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوٰة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾(سورة التوبة- آية ٧١).

و- غرس الإيمان بوحدة الإنسانية والمساواة بين البشر(١) ﴿يٰأيها الناس إنا خلقنٰكم من ذكر وأنثى وجعلنٰكم شعوباً وقبآئل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقٰكم إن الله عليم خبير﴾(سورة الحجرات- آية ١٣).

إن التربية الإسلامية ينبغي أن تعمل جاهدة لتحقيق تلك الأهداف العامة في إعداد الأمة المسلمة ، وتخريج الإنسان الصالح بتهيئة الأم المسلمة وتأهيلها لمهمتها هذه في المؤسسات التربوية بكل أنواعها ، ضمن إطار إسلامي لاتحيد عنه البتة ، ملخصه في قول

---

(١) د. ماجد عرسان الكيلاني ، ص٣٦-٣٨ بتصرف.

الله عز وجل ﴿هو الذي بعث في الأميّن رسولاً منهم يتلوا عليهم ءايٰته ويزكيهم ويعلمهم الكتٰب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلٰل مبين﴾(سورة الجمعة- آية ٢) ٠

وتحدد الآية الكريمة ميادين التربية في الإسلام وهي : «يتلو عليهم آياته» «يزكيهم» «ويعلمهم الكتاب» «والحكمة» ٠

ومضامين تلك الميادين هي ٠٠

أ- ميدان العقيدة الإسلامية التي يعبر عنها «يتلو عليهم آياته» تلك الآيات المتلوة المستمدة من عالم الغيب وظواهره كالحياة والموت والنشأة والمصير والآيات المتلوة(١) المستمدة من المكتشفات للقوانين التي تنظم الكون القائم وما ينتج عن ذلك من علوم وتطبيقات ٠

يقول الدكتور الكيلاني في هذا : «إن قوام هذا الميدان (تلاوة الآيات) هو تكوين أيدولوجية عقائدية هدفها غرس الولاء للإسلام بين المتعلمين ، وغرس الاتجاهات الإيمانية في قلوبهم وتوجيهها إلى الاعتقاد بكمال التوجيه الإلهي في جميع نشاطات الحياة ، وتبدو دلائل هذا الميدان ومناهجه في أساليب التربية النبوية ، وفيما تنزل من القرآن الكريم خلال العهد المكي حيث كانت الآيات التي تنزل تركز على أمور العقيدة والألوهية والعبادة دون التعرض للتشريع أو تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات»(٢) ٠

ب- ميدان التزكية أو تعديل السلوك التي يعبر عنها القرآن الكريم بـ «ويزكيهم»(٣) ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩-٤٢، بتصرف ٠

(٢) تطور مفهوم النظرية ، ص٤٢-٤٣ ٠

(٣) انظر المرجع السابق ، ص ٤٣ ٠

والتزكية هي الإصلاح والتطهير والتنمية ، وفي القرآن الكريم ﴿ولكن الله يزكي من يشاء﴾ (سورة النور-آية ٢١) يزكي : أي يصلح ، وتزكيهم بها أي تطهرهم ، وزكاة المال تطهيره وتثميره وإنماؤه والزكاة : الطهارة والنماء والبركة(١) ٠

والتزكية في الاصطلاح كما عرفها الدكتور الكيلاني ٠٠«انتزاع ما هو غير مرغوب فيه ، وتعزيز ماهو مرغوب فيه ، (فهي) إذن تعديل للسلوك بلغة التربية الحديثة»(٢) ٠

والقرآن الكريم يقرن التزكية بالتعليم «ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة» ، ويجعل التزكية ضابطة للتعليم ، وتسهل التعليم وتعززه وتوجه سلوك المتعلم بما يحقق الأهداف المنشودة : ﴿قد أفلح من تزكى﴾(سورة الأعلى-آية١٤) ﴿قد أفلح من زكاها﴾(سورة الشمس-آية ٩) ٠

وميادين التزكية هي : تزكية النفس، وتزكية العقل، وتزكية الجسم.

أما تزكية النفس فتكون بالرغبة بالثواب والرهبة من العقاب ، إلى أن يصبح حب الله ورسوله فوق كل حب وهوى. أما تزكية العقل، فتكون بتطهيره من كل مايشوبه من فساد واعتقاد لاينتمي إلى الإسلام، وذلك بالأساليب الصحيحة المجدية التي ينبغي أن تكون من الإسلام، بأساليب القرآن الكريم والسنة النبوية، فينبذ المتعلم، الأساليب الآبائية التقليدية غير الصالحة، وينطلق بفكره الحر يقيده الأصلان العظيمان القرآن والسنة، عاملاً بهما بالبحث والنظر في أسرار هذا الكون مستخدماً الحواس والملكات ومافي الكون للوصول الى إعماره ٠

وتزكية الجسم بالتمتع بالطيبات والابتعاد عن المحرمات ، من

(١) انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦، مادة «زكا»، ص٦٥ .
(٢) تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية ، ص ٤٣.

غير إسراف ، قال الله تعالى : ﴿كلوا واشربوا ولاتسرفوا﴾ (سورة الأعراف- آية ٣١) ٠

جـ- ميدان الإعداد الفكري وتقديم العلوم الإسلامية ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وذلك من خلال الأحداث الإسلامية في القرآن الكريم والسنة الشريفة وحياة الصحابة رضوان الله عليهم، فتعرف المناهج الإسلامية الطالبة بماينا سبها من هذه المعلومات والتي تحدثت عن دورها ووظيفتها في الحياة ، فتخصص مناهج دراسات نسوية تجمع آثارها وتدرس بفقهها الذي يكون بمثابة النور الذي تستضيء به الفتاة في حياتها الميدانية ، منطلقة من خلفية إسلامية أصيلة عمادها كتاب الله والسنة المرفوعة والموقوفة قولاً وعملاً ، لتمارس حياتها وتعيش عصرها بالقدوة الصالحة والعبرة الصحيحة ٠

د- ميدان الإعداد الوظيفي ﴿والحكمة﴾ ، هي فن ممارسة وتطبيق جميع ميادين التربية ، يقول الإمام الرازي في معنى الحكمة: الحكمة وهي اسم لكل عمل حسن وعمل صالح ، وهي بالعلم العملي أخص منه بالعلم النظري ، وفي العمل أكثر استعمالاً من العلم ، ويقال أحكم العمل إحكاماً اذا أتقنه ، وحكم بكذا حكماً والحكمة من الله تعالى خلق مافيه منفعة العباد ومصلحتهم في الحال وفي المآل ، ومن العباد أيضاً كذلك)(١).

والحكمة هي فهم كل فرد أو جماعة في الأمة لدوره واتقان أداء هذا الدور ، طبقاً لمقاييس الإسلام ومنطلقاته)(٢) .

---

(١)،(٢) انظر د٠ ماجد عرسان الكيلاني ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ص٣٩ - ٥٤ فالحديث عن ميادين التربية مقتبس من تلك الصفحات، بتصرف .

ولذا فإن على المناهج في المؤسسات التربوية أن تبصر الأمومة بدورها وتعلمها كيف تؤدي دورها في الوجود الذي حملت أمانته على خير صورة وأكمل وجه ، لتخريج الأجيال التي تبني ولاتهدم وتؤمن ولاتكفر ، من خلال الحكمة التي بينها رسول الله ﷺ تفسيراً للقرآن الكريم، أو تعليماً لصحابته رضوان الله عليهم .

«وإذا كان القرآن الكريم قد تضمن الجانب النظري من الحكمة فإن سيرة رسول الله ﷺ تقدم الجانب العملي المثل الكامل للحكمة لأنها جمعت معاني الحكمة ...

ففيها الاتقان والحلول الملائمة ، وفيها القدرة الفائقة على التمييز بين الصواب والخطأ، وفيها صواب الرأي وحسن النظر في الأمور ، وتقييم المواقف ، وفيها حسن التقدير وحسن الإدارة والتصريف ، وفيها العبرة والحجة الواضحة»(١) .

والنتيجة فإن قوله تعالى : ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ .. يدل على أن في العلوم ماهو وحي يسلم به ويطبق وينفذ مافيه ، ومنها ماهو تعلم نتيجة تفاعل الخبرات البشرية على مر الدهور ، والمسلم مأمور أن يأخذ بالأمرين معاً ، وإن كان الأول أوجب ، لكن الثاني يسهم في بقاء الأول وحكمه لأن الدنيا ينبغي أن تحكم بالقرآن والسنة وحياً فإذا تركنا الدنيا جانباً أصبح الوحي معطلاً لافائدة منه سوى نسك ومظاهر وقشور لاوجود لها على أرض الواقع ، وبالتالي لاتتحقق العبودية لله سبحانه في تسخير هذا الكون للإنسان ليعمره وليقيم الحق والخير وينشر العدل ، ويحقق الخلافة فيه.

---

(١) تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، د ماجد عرسان الكيلاني، ص٥٤ .

وبعد هذه الجولة في أهداف التربية الإسلامية وتربيتها للأمومة بطرفيها، الأم والأبناء، وبعد دراسة هذه الأهداف وغاياتها، لابد من نظرة سريعة على وضع مدارسنا والتي تمثل التربية الإسلامية الموجودة على صعيد الكرة الأرضية، فهل حققت هذه المدارس المطلوب؟ هل أوجدت الفتاة الأم والمربية، والفتى الأب والبطل والمجند في كل مكان، هل أوجدت الإنسان الصالح أينما حل؟ ·

والحقيقة .. إن العلوم التي نتعلمها ونتبناها لاتتعدى المشكلة وتحديدها ودراستها ثم إلقاء الحلول النظرية لها أما أن يوجد لها صدى على أرض الواقع فلا ، لأن التربية لم تعلم النفوس وتهذبها وتبنيها على قيم الإسلام بل فصلت هذه التربية بين العلم وبين الدين، هذا الانفصال جعل الدين ينحسر عن مجال التطبيق ويصبح أفكاراً في الرؤوس ولم يعمل عمله في النفوس ويصقلها بروح الإسلام المهيمنة على كل أمر ﴿إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(سورة الرعد-آية١١) ·

بل والأدهى من ذلك أن يوجد بين المسلمين من يقول إن المرأة لاينبغي لها أن تتعلم ، ويجعل من ذلك قضية للدراسة والمناقشة ، مع أن الأدلة في تعليم المرأة وتهذيبها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ·

قال الله عز وجل : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسٰن من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسٰن مالم يعلم﴾(سورة العلق-آية ١-٥) ·

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ···

«وقوله (الإنسان) هو اسم جنس يتناول جميع الناس ، ولم يدخل فيه آدم الذي خلق من طين ، فإن المقصود بهذه الآية بيان الدليل على الخالق تعالى ، والاستدلال إنما يكون بمقدمات يعلمها المستدل ، والمقصود بيان دلالة للناس وهدايتهم ، وهم كلهم يعلمون

أن الناس يخلقون من العلق»(١) ·

ولاشك أن الأنثى من جنس الإنسان !

وقد ذهب البعض إلى عدم جواز تعليم الأنثى الكتابة معللاً ذلك بالسخيف من القول ·

فكيف يكون ذلك وقوله عز وجل عام لم تستثن فيه الأنثى من ذلك التعليم ·· ﴿الذي علم بالقلم علم الإنسٰن مالم يعلم﴾ وهل يكون ثمة من تعليم دون التعلم بالقلم والآية بترتيب سياقها تدل على ذلك ، فالتعلم بالقلم هو الذي يعلم الإنسان وبدون القلم لايكون ثمة تعلم ·

قال ابن تيمية رحمه الله في قول الله تعالى : ﴿علم بالقلم﴾ «فأطلق التعليم والمعلم لم يخص نوعاً من المتعلمين فيتناول تعليم الملائكة وغيرهم من الإنس والجن كما تناول الخلق لهم كلهم»(٢).

أليست الأنثى من مجموع هذا الخلق؟! والقرآن الكريم خاطب أمهات المؤمنين بقوله عز وجل ﴿واذكرن مايتلى في بيوتكن من ءايٰت اللـه والحكمـة إن اللـه كـان لطيفاً خبيـراً﴾(سورة الأحزاب-آية٣٤) ·

هذا أمر من الله عز وجل إلى النساء النموذج والقدوة زوجات رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين بالتبليغ من الله عز وجل عن رسول الله ﷺ

ولاشك أن الأمر بالتبليغ يتضمن الأمر بالتعلم والتعليم والحفظ والمذاكرة وهذا يتضمن الأمر بتعلم الكتابة ، لأن القلم قيد العلم والحفظ ·

وكانت عائشة رضي الله عنها لاتسمع شيئاً لاتعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه(٣) وعندما (سمعت رسول الله ﷺ يوما يقول

---

(١) الفتاوى ، ج١٦ ، ص٢٦٠-٢٦١ ·
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٤ ·
(٣) البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج٢ ، كتاب العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، ص٣٩ ، ح(١٠٣) ·

«من حوسب عذب» قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت أوليس يقول الله تعالى : (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) قالت رضي الله عنها : فقال «إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك»(١) .

فلم تكتف رضي الله عنها بالسماع بل استرجعت ماعندها من العلم ، لتناقش من ؟! الذي لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، والذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك راجعته رضي الله عنها فيما بلغها من العلم مستدلة بالحجة الواضحة ، ليحترم رسول الله ﷺ رأيها، ويرد عليها ويناقشها، وعائشة رضى الله عنها من المكثرين لرواية الحديث ، وهي التي نقلت للأمة الإسلامية الكثير من سنن رسول الله ﷺ التي لايعلمها غيرها ، وقد روت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن الكثير من أحاديث رسول الله ﷺ والتي هي من الأصول التي تقوم عليها أحكام الشريعة(٢) حتى قيام الساعة .

ويأمر رسول الله ﷺ الشفاء العدوية - رضي الله عنها - بتعليم حفصة رضي الله عنها الكتابة ، تقول الشفاء رضي الله عنها* : «دخل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي : «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة »(٣) .

---

(١) البخاري، المرجع السابق .

(٢) انظر : صفية عبد الرحيم الطيب محمد ، ماروته أمهات المؤمنين في شؤون النساء ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة ، فرع الكتاب والسنة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ.

(٣) أبو داود ، السنن ، مع معالم السنن للخطابي ، كتاب الطب ، ج٤ ، ص٢١٥، ح(٣٨٨٧) ، قال عنه الألباني صحيح (صحيح سنن أبى داود باختصار السند ، محمد ناصر الدين الألباني ، ج٢ ، ص ٧٣٦ ، مسند الإمام احمد ، ج٦ ، ص٣٧٢ ، مرويات الشفاء بنت عبد الله ؛ الحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ٦٥ - ٥٧ ، قال عنه الحاكم ، صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

(*) الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس بن خلف العدوية القرشية أم سليمان وأمها فاطمة بنت أبي وهب، أسلمت قبل الهجرة، وكانت من المهاجرين الأوائل إلى المدينة، وبايعت الرسول وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن وكان عمر رضي الله عنه يقدمها في الرأي ويرضاها ويفضلها، وربما ولاها شيئاً من أمر السوق .(الإصابة ٤/٣٤١،الاستيعاب ٤/٣٤٠).

وحين جاءت النساء إلى رسول الله ﷺ يطالبنه ﷺ بتخصيص يوم لهن للمذاكرة وطلب العلم حين غلبهن الرجال ، استجاب رسول الله ﷺ لطلبهن. فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال :(جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله فقال ﷺ «اجتمعن يوم كذا وكذا» ، فاجتمعن . فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال ﷺ : «ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجاباً من النار» ، فقالت امرأة واثنين . واثنين . واثنين ؟ فقال رسول الله ﷺ (واثنين . واثنين . واثنين)»(١) .

إنه منهج كامل لتعليم النساء في الوقت والمكان وفي الميدان الذي يناسب النساء عامة ، ووظيفتهن في الحياة .

يقول الإمام حسن البنا في تعليم النساء .

« ومن حسن التأديب أن يعلمهن مالاغنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة والكتابة والحساب والدين والتاريخ تاريخ السلف الصالح رجالاً ونساء .

وتدبير المنزل والشؤون الصحية ومبادئ التربية وسياسة الأطفال وكل ماتحتاج إليه الأم في تنظيم بيتها ورعاية أطفالها.....

أما المقالات في غير ذلك من العلوم التي لاحاجة للمرأة بها فعبث لاطائل تحته، فليست المرأة في حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها في النافع المفيد .

ليست المرأة في حاجة إلى التبحر في اللغات المختلفة ، وليست

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٤ ، كتاب البر والصلة ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، ص٢٠٢٨ ، ح(٢٦٣٣) .

في حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة ، فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولاً وأخيراً ·

وليست المرأة في حاجة الى التبحر في دراسة الحقوق والقوانين، وحسبها أن تلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس»(١) .

وذلك لأن الإسلام يرى أن للمرأة مهمة طبيعية أساسية هي المنزل والطفل ، فهي كفتاة يجب أن تهيأ لمستقبلها الأسري ، وحين تصبح زوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها ، فيجب أن تتفرغ لهذا البيت ولهذا الزوج ولهؤلاء الأبناء(٢).

إن الدين الإسلامي الحنيف يؤكد على ضرورة تعليم المرأة وتهذيبها ، لأنها المعلم الأول للطفل ، فهل يليق بالعملية التربوية السليمة أن يكون هذا المعلم جاهلاً ، أو لايعرف العلم الضروري لتأدية وظيفته ودوره في الحياة قال الله عز وجل ﴿والله أخرجكم من بطون أمهٰتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصٰر والأفئدة لعلكم تشكرون﴾(سورة النحل ـ آية ٧٨)، لا شك أن المناسبة بين خروج الإنسان إلى الدنيا وذكر الأمهات معه في هذه الآية الكريمة لدليل على أن الأم هي أول من يباشر عمليه تعليم هذا الطفل، فالأم هي المعلم الأول دائماً وأبداً ·

إن المجتمع المسلم ، يقوم على إعداد المؤسسات التربوية التي تساهم في تعليم المرأة وتثقيفها وتربيتها أماً وزوجة وإنسانة، من خلال المناهج والأصول التربوية التي تستمد من الكتاب والسنة لتتحقق أهداف التربية الإسلامية التي سبق ذكرها، وذلك بمايلي ··

---

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ٢٩٧-٢٩٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ، ص ٣٠٥.

١- المؤسسات التربوية وإعداد المرأة كأم

إن المدارس على اختلاف مستوياتها والجامعات بتنوع أقسامها، مطالبة بإعداد الأم المسلمة الماهرة في وظيفة الأمومة والزوجية ·

ولقد حض رسول الله ﷺ ورغب في تعليم الأنثى وتأديبها في قوله ﷺ«ثلاثة لهم أجران ····· ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»(١)·

أي أجر العلم والتربية وأجر العتق · فعلمها يعتبر فرضاً عينياً يعود بالنفع على أسرتها وبيتها وزوجها وأولادها ·

يقول الأستاذ البهي الخولي ··

« إن المرأة خلقت لتكون زوجة وأماً ، هكذا فطرها الله ، وفي إرادته الخير كله فأي خير نجنيه إذا نحن ثقفناها بغير ثقافه الزوجة والأم ؟ وأي ضير يلحقنا إذا نحن علمناها من المعارف ما يزكي فيها قانون الأمومة والزوجية ، وما إلى هذين القانونين ···· من مواهب واستعدادات ·

لقد دخلت الفتاة كلية الزراعة ، وكلية العلوم ، وكلية الصيدلية، فماذا جنت الفتاة أو الحياة بنجاحها في كلية الزراعة والصيدلة ونحوهما ؟ لم تجن إلا أنها خرجت من نطاق الأنوثة التي خصتها به الطبيعة إلى استرجال هي أول من ينكره»(٢) ·

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج١، كتاب العلم ، باب تعليم الرجل أمته وأهله ، ص٣٨،ح (٩٧) ·

(٢) الإسلام والمرأة المعاصرة ، ص ٢١٥ ·

إن الأم المسلمة وكل أم يجب أن تهيأ لأمومتها أولاً وأخيراً ·· التي تتطلب منها المحافظة على البيت والزوج والأبناء ، وذلك لايكون إلا بمنهج علمي مدروس من قبل المتخصصين ، يتناول جميع الميادين التي يجب أن تتسلح بها الفتاة في المدارس والتي ستغدو راعية الإنتاج الإنساني ·

ففي ميدان دراسة العلوم الدينية ومعرفتها يشاركها فيه الرجل من حيث تعليم الدين بأركانه وواجباته وحرامه وحلاله وما إلى ذلك من العلوم الشرعية التي يأمر الله عز وجل بتعلمها لتحقيق العبادة لله عز وجل ، وتختص الفتاة في ميدان دراستها بالإضافة إلى الأصول الشرعية التي يجب تعلمها على كل إنسان ، تختص عن الفتى بدراسة الأحكام الشرعية التي تتعلق بالنساء من أحكام الحيض والاستحاضة والنفاس والطهر، وأحكام الطهارة جملة لأنها في الغالب هي التي تتعامل معها، من طهارة الماء والثوب والمكان والأطعمة وغير ذلك وكذلك تختلف عنه في تعلم المهن والصنائع، فيجب تدريب الفتيات وتعليمهن ليكن بالدرجة الأولى أمهات لأن الأمومة أشرف مهنة وأعظم مهنة في الدنيا والآخرة .

فقد كان رسول الله ﷺ يلقن النساء ويعلمهن أمور دينهن الخاصة ، وكن رضي الله عنهن يسألن عن أحكامهن ·· من ذلك مثلا .. أنه (جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع به ؟ ، قال ﷺ «تحته ثم تقرصه بالماء ثم تنضحه ثم تصلي فيه»(١) ·

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «أن رسول ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم فأتي بصبي فبال عليه فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله»(٢) ·

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج١ ، كتاب الطهارة ، باب نجاسة الدم وكيفية غسله ، ص٢٤٠ ، ح(٢٩١) ؛ البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج١ ، كتاب الوضوء ، باب غسل الدم ، ص٧١ ح(٢٢٧) ·

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج١ ، كتاب الطهارة ، باب بول الرضيع ، ص ٢٣٧ ، ح(٢٨٦) ·

«عن زينب بنة أم سلمة -رضي الله عنهما- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت جاءت أم سليم رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إن الله لايستحي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت قال النبي ﷺ : «إذا رأت الماء» فغطت أم سلمة- تعني وجهها- وقالت يارسول الله وتحتلم المرأة ؟ قال «نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها»(١) .

إن المرأة في طبيعتها مفطورة على العواطف والأحاسيس والمشاعر أكثر من الرجل، وتعزيزاً لهذه الفطرة ينبغي أن يدخل في مناهج الطالبات علم النفس التربوي ، وذلك لرعاية أسرتها ولاسيما الأطفال فتلقين الفتيات مفاتيح النفس وأسرارها علم ضروري ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار ·

وفي خديجة رضي الله عنها وشخصيتها خير قدوة لرعاية النفس البشرية ، حين وقفت إلى جانب زوجها ﷺ ترعاه بكل ماعندها من المال والعقل والروح والجهد ولم تبخل عليه بذرة من وجودها كله وكذلك في رعايتها لبناتها رضي الله عنهن ·

فكانت نعم الزوجة - رضي الله عنها - ونعم الأم .

إن فتاة المستقبل لن تنجح في رعاية زوجها وبيتها إذا لم تلقن علم النفس الإنساني الذي يزودها بالخبرات ويجنبها الزلات والأخطاء ·

ولن تستطيع أن تتعامل مع الطفل إذا لم تتغلغل إلى نفسية هذا الطفل وخباياها ومكنوناتها ·

ولكي تستعد لرعاية أسرتها ، وتحمل مشاق البيت ومسؤولياته تجاه الزوج والأولاد لابد من تعليمها الصبر والتجلد في مواجهة الحياة، وتلقينها أن الهلع ليس من صفات المسلمين ·

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م١ ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ، ص ٤٧، ح(١٣٠) ·

كما في قصة أم سليم- رضي الله عنها- حين مات ابنها ، فصبرت واحتسبت ولم تعلم زوجها حتى أصبح، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ «لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما»(١) .

والصبر سلاح لابد منه للمرأة في حياتها كلها ، نظراً لما هي مفطورة عليه من رقة العواطف وقد حذر رسول الله ﷺ من الهلع فقال ﷺ : «ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعوى الجاهلية»(٢)، من النياحة والصياح على الميت وغير ذلك مما تفعله الجاهلية من عاداتها .

وينبغي أن تربى الفتاة على المحافظة على بيتها ورعايته ، وذلك بتجنب حياة البذخ والترف فقد أمر الرسول ﷺ النساء بالصدقة «يامعشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار»(٣).

ومما يجب أن تعده المدارس وتقدمه في مناهجها أصول وقواعد علم التغذية ، ذلك أن المرأة مسؤولة عن تهيئة الطعام وإعداده لأسرتها ، فإذا كانت جاهلة في هذا الجانب عرضت الأسرة للضعف والمرض ، والرسول ﷺ كان يشير كثيراً على أصحابه إلى أثر الغذاء في جسم الإنسان وصحته . ومن ذلك ما قاله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : «يا عائشة بيت لاتمر فيه جياع أهله ، ياعائشة بيت لاتمر فيه جياع أهله أو جاع أهله»(٤) .

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج٢ ، كتاب الجنائز ، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة ، ص١٠٤ ، ح (١٣٠١) .

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج١، كتاب الإيمان ، باب تحريم ضرب الخدود، ص٩٩ ، ح(١٠٣) .

(٣) البخاري، الصحيح، م١، ج١، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، ص ٩٠، ح(٣٠٤).

(٤) مسلم ، الصحيح ، ج٣ ،كتاب الأشربة ، باب ادخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال ، ص ١٦١٨ ، ح (٢٠٤٦) .

وإن من أهم ما يجب أن تعلمه المدارس للفتيات أصول علم الطب ، وأحاديث الرسول ﷺ كثيرة في ذلك ، وقد روت النساء الكثير منها .

كانت عائشة رضي الله عنها عالمة بالطب ، واشتهرت بعض الصحابيات بذلك ولاسيما وأنهن كن يخرجن في المعارك لمداواة الجرحى وإسعافهن .

ففي أُحد يوم جرح رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته «كانت فاطمة بنت الرسول ﷺ ، تغسل الدم وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يسكب عليها بالمجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لايزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم»(١) .

وفي الصحيح أن أم قيس بنت محصن رضي الله عنها* أتت بابن لها لم يبلغ أن يأكل الطعام. وقد أعلقت عليه من العذرة* ... قالت : فقال رسول الله ﷺ «علامه تدغرن أولادكن بهذا الإعلاق * ؟ عليكم بهذا العود الهندي

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٣، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة أحد، ص ١٤١٦، ح(١٧٩٠)؛ البخاري لالصحيح ، م٢، ج٣، ص٢٩٩، ح(٢٩٠٢) .

(*) أم قيس بنت محصن الأسدية ، أخت عكاشة بن محصن، كانت ممن أسلم قديماً بمكة، وبايعت وهاجرت، ويقال إن اسمها أمية . قالت رضي الله عنها: توفي ابن لي صغير، فجزعت فقلت للذي يغسله لا تغسل ابني بالماء البارد فتقتله، فذكر ذلك عكاشة رضي الله عنه للنبي فقال ﷺ : « مالها طال عمرها ». فلا نعلم امرأة عمرت ما عمرت .(الإصابة ٤/٤٨٥؛الاستيعاب ٤/٤٨٥).

(*) أعلقت عليه من العذرة «علامه تدغرن أولادكن بهذا الإعلاق » العذرة بالضم . وجع في الحلق يهيج من الدم . وقيل هي قرحة تخرج في الخرم الذي بين الأنف والحلق تعرض للصبيان عند طلوع العذرة، فتعمد المرأة إلى خرقة فتفتلها فتلاً شديداً ، وتدخلها في أنفه فتطعن ذلك الموضع فيتفجر منه دم أسود، وربما أقرحه، وذلك الطعن يسمى الدغر.
يقال عذرت المرأة الصبي إذا غمزت حلقه من العذرة، أو فعلت به ذلك، وكانوا بعد ذلك يعلقون عليه علاقاً كالعوذة.
ومعنى « عند طلوع العذرة » هي خمسة كواكب وتسمى العذارى، وتطلع وسط الحر، وقوله ﷺ «من العذرة »: أي من أجلها. (ابن الأثير ، ج٣، (عذر) ص ١٩٨).

(يعني به الكست*) فإن فيه سبعة أشفية . منها ذات الجنب»(١) .

إن المرأة محتاجة لتزود بالمبادئ الأولية من علم الطب التي تمكنها من القيام بإسعاف أسرتها عند الحاجة إلى ذلك ، أو إذا دعا داعي الجهاد !! ·

وأحاديث الرسول ﷺ في الطب والرقية كثيرة ينبغي أن تلم بها - الفتاة كلها في مرحلة المدرسة ·

إن المدرسة الإسلامية للفتيات لن تعدهن الإعداد اللازم ، ولن تؤدي دورها الصحيح إلا إذا هيأت الفتاة لبيتها وزوجها وأطفالها ، بتدريس العلوم التربوية والمهارات والخبرات التي تسعفها وتعينها في تأدية وظيفتها في الحياة ·

٢- المؤسسات التوجيهية وإعداد المرأة كموجهة أبناء رجال

إن المؤسسات التوجيهية في المجتمع الإسلامي تكمل عملية الإعداد والتربية للفرد المسلم ، فهي تعزز ما تقدمه المؤسسات التربوية من أصول معرفية ، بالأمثلة والقصص والمواعظ والعبر التي يحتاج إليها الإنسان على الدوام في مسيرة الحياة ·

والمرأة المسلمة هي أحوج من الرجل إلى مثل هذه المواعظ والحكم ، بطبيعتها ، وما تتطلبه وظيفتها في الحياة ·

إن الأصول الإسلامية في الكتاب والسنة غنية زاخرة بالجواهر واللآلىء من القصص والأمثلة والنصائح والأوامر والتوجيهات التربوية ، لإعداد الأبناء رجال المستقبل ، وأمل الأمة ·

(*) الكست : هو القسط الهندي، عقار معروف، أو القسط البحري، وقيل هو العود الذي يتبخر به .(ابن الأثير، ٤/١٧٢، «كست»، ٣/٣١٧« عود») .

(٣) مسلم ، ج٤، كتاب السلام ، باب التداوي بالعود الهندي، ص ١٧٣٥، ح(٢٢١٤)؛ البخاري، الصحيح م٤،ج٧، كتاب الطب ، باب العذرة، ص ٢٤،ح(٥٧١٥) .

والمرأة أماً وأختاً وبنتاً وزوجة لها دورها الكبير في عملية التربية والتنشئة لأن الله سبحانه وتعالى أوكل إليها رعاية الإنتاج الإنساني ٠

والمؤسسات التوجيهية من مساجد وجمعيات ودور رعاية ووسائل إعلام بتنوعها هي التي تدعم ماتقدم المؤسسات التربوية ، متناولة ذلك بالتبسيط والشرح والتعليل ، وهذه المؤسسات التوجيهية محتاجة لأن تتفاعل مع مسيرة الحياة الواقعية ، وتطلع على كل مايدور في الحياة ، وتتابع الأحداث الجارية في قرية الكرة الأرضية لتعرضها على ميزان الإسلام وتعاليمه ، لتقدم الصالح المفيد، وتستبعد مايتعارض ويصطدم مع الإسلام ، وإن كان الأصل أن أمة الإسلام هي التي تعطي وتقدم الجديد ٠

إن هذه المؤسسات لاتقوم إلا إذا وجد المصلحون المؤمنون بها الذين يستمدون مناهجهم من الأصول الإسلامية ، ويجعلون من تلك الأصول واقعاً يستطيع الإنسان أن يطبقه ويعيشه في كل زمان ٠

والمرأة المسلمة لن تستطيع إعداد رجال الأمة إلا إذا وجدت مثل تلك المؤسسات التي تقدم العلوم الشرعية الواقعية والعلوم الدنيوية الشرعية التي تنيرلها الطريق في تربية الأجيال وإعداد الرجال ٠

٣- الام بين عاطفة الأمومة والإيمان وتكاليف التضحية بالأبناء الرجال :

إن العواطف في النفس الإنسانية تقوم على التنازع والتفاوت فيما بينها ، وهو وإن كان لايمكن لأية عاطفة منها أن تموت ، لكنها قد تختفي لسبب ما ، وعاطفة الإيمان بالله سبحانه وتعالى هي ملكة هذه العواطف في النفس الإنسانية ذات الفطرة السليمة ، قال الله عز وجل ٠٠ ﴿يأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين

المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾(سورة الأنفال ـ آيه٢٤) ٠

يقول الشهيد سيد قطب في معنى هذه الآية الكريمة ٠٠«إن هذا الدين منهج حياة كاملة ، لامجرد عقيدة مستسرة ، منهج واقعي تنمو الحياة في ظله وتترقى ، ومن ثم هو دعوة إلى الحياة في كل صورها وأشكالها وفي كل مجالاتها ودلالاتها ٠

. . . . . .

﴿واعلمو أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾

وبالها من صورة رهيبة مخيفة للقدرة القاهرة اللطيفة ٠٠ (يحول بين المرء وقلبه) فيفصل بينه وبين قلبه ، ويستحوذ على هذا القلب ويحتجزه ، ويصرفه كيف شاء، ويقلبه كيف يريد ، وصاحبه لايملك منه شيئاً وهو قلبه الذي بين جنبيه ٠

إنها صورة رهيبة حقاً ، يتمثلها القلب في النص القرآني ، ولكن التعبير البشري يعجز عن تصوير إيقاعها في هذا القلب ، ووصف هذا الإيقاع في العصب والحس» ٠

« إنها صورة تستوجب اليقظة الدائمة ، والحذر والاحتياط الدائم ، اليقظة لخلجات القلب وخفقاته ولفتاته ؛ والحذر من كل هاجسة فيه وكل ميل مخافة أن يكون انزلاقاً ؛ والاحتياط الدائم للمزالق والهواتف والهواجس ٠٠ والتعلق الدائم بالله -سبحانه- مخافة أن يقلب هذا القلب في سهوة من سهواته ، أو غفلة من غفلاته ، أو دفعة من دفعاته ٠

ولقد كان رسول الله ﷺ وهو رسول الله المعصوم يكثر من دعاء ربه : (اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» : فكيف بالناس وهم غير مرسلين ولامعصومين؟! » .

إنها صورة تهز القلب حقاً ، ويجد لها المؤمن رجفة في كيانه حين يخلو إليها لحظات ، ناظراً إلى قلبه الذي بين جنبيه ، وهو

في قبضة القاهر الجبار ؛ وهو لايملك منه شيئاً ، وإن كان يحمله بين جنبيه ويسير !» .

«صورة يعرضها على الذين آمنوا وهو يناديهم :

﴿يأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ليقول لهم : إن الله قادر على أن يقهركم على الهدى - لوكان يريد - وعلى الاستجابة التي يدعوكم إليها هذه الدعوة ، ولكنه - سبحانه - يكرمكم ؛ فيدعوكم لتستجيبوا عن طواعية تنالون عليها الأجر ، وعن إرادة تعلو بها إنسانيتكم وترتفع إلى مستوى الأمانه التي ناطها الله سبحانه بهذا الخلق المسمى بالإنسان .. أمانة الهداية المختارة؛ وأمانة الخلافة الواعية ، وأمانة الإرادة المتصرفة عن قصد ومعرفة»(١) .

إن حب الله عز وجل فوق الوجود بأسره .

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى يتصاغر أمامه كل عظيم ويندحر .

إن الإيمان بالله عز وجل يعني حبه سبحانه وتعالى ، وبدون هذا الحب لله عز وجل لايكون ثمة إيمان في القلب .

وحب الله سبحانه وتعالى، من مستلزماته حب الرسول ﷺ.

وحب الرسول ﷺ يعني طاعته .

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾(سورة آل عمران- آيه٣١) .

---

(١) مقتطفات من في ظلال القرآن ، ج٣ ، ص١٤٩٤ - ١٤٩٥ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(١) .

إن حب الله سبحانه وتعالى وحب رسوله ﷺ لايكون إلا بالامتثال لأمر الله سبحانه والاستجابة لما يريده رب العالمين والتنفيذ لهذا الأمر بالتطبيق العملي ، لابالتمني بالكلام، فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ونطق به اللسان وأكثر ما يتجلى هذا الموقف، بين الإيمان بالله سبحانه وتعالى وحبه عز وجل؛ وبين مايريده الإنسان ويحبه وذلك مصداق قوله تعالى ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾، هو ما كان من أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع ابنه إسماعيل عليه السلام ..﴿فلما بلغ معه السعي قال يٰبني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يٰأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصبرين ، فلما أسلما وتله للجبين ، وٰنديٰنه أن يٰإبراهيم ، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلٰؤ المبين ، وفديٰنه بذبح عظيم﴾(سورة الصافات - آية ١٠٢ - ١٠٧) .

وتتجلى عاطفة الإيمان مع عاطفة الأمومة في موقف أم موسى في قول الله عز وجل في سورة القصص..﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولاتحزني إنا رآدوهُ إليك وجاعلوه من المرسلين﴾(آية ٧) ، ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فرغاً إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ (آية -١٠) .

---

(١) البخاري ، الصحيح، م١ ، ج١ ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم، ص١١ ، ح (١٥) ؛ مسلم ، الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ص٦٧ ، ح (٤٥) .

إن إيمان أم موسى بالله عز وجل جعلها تستجيب للهاتف الإلهي ، مستيقنه من وعد الله سبحانه وتعالى ، فتقذف بهذا الرضيع في النهر الكبير، أي إيمان هذا ، وأيه طاعة ، وأية استجابة، وأي تصديق بالله سبحانه وتعالى أكبر من هذا ؟!

لقد أرضعت هذا الطفل

فتعززت عندها عاطفة الأمومة وقويت، وتعلق قلب الأم بهذا الصغير، الذي ألقى الله عز وجل عليه محبة منه سبحانه وتعالى، فكيف يكون إذن حب هذه الأم لهذا الطفل الذي يفيض عليه الحب من الله عز وجل؟! ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾(سورة طة - آية ٣٩) ٠

والرضاع وحده كفيل بأن ينشئ في المرأة عاطفة الأمومة ، فأي عاطفة تلك التي ابتليت بها أم موسى، إنها حملت وخافت على الحمل، وولدت ثم أرضعت هذا الصغير المحبوب بأمر من الله سبحانه ٠٠ ثم عليها أن ترميه في مياه النيل أطول الأنهار ٠٠

﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ﴾

يقول الأستاذ سيد قطب في معنى هذه الآية الكريمة ..

«لقد سمعت الإيحاء ، وألقت بطفلها في الماء ، ولكن أين هو ياترى وماذا فعلت به الأمواج ؟ ولعلها سألت نفسها : كيف ؟ كيف أمنت على فلذة كبدي أن أقذف بها في اليم ؟ كيف فعلت مالم تفعله من قبل أم ؟ كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة ؟ وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب ؟

والقرآن الكريم يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية : (فارغاً) ٠٠لاعقل فيه ولاوعي ولاقدرة على نظرأو تصرف!»(١) ٠

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٢٦٨٠ ٠

إنه لايدرك مدلول هذه الآية ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ إلا أم سليمة الفطرة، حين تشعر أن ابنها في خطر ما ..

لكن حب الله عز وجل وطاعته فوق كل حب وفوق كل أمر، وفوق كل عاطفة يقول الأستاذ (محمد أمين المصري) -رحمه الله-

وقد تتنازع «العواطف ، وتتضارب ، وقد يسودها عاطفة واحدة ، تهيمن عليها جميعها ، وقد تسمو هذه العاطفة السائدة إلى أشرف عاطفة يمكن أن يسمو إليها النوع البشري ، هنالك في جوار رب كريم قوي قدير، له الأمر وله الملك وإليه الحكم تجد السعادة التامة ، وتتوق إلى الاستغراق في مشاهد الجمال والفناء في معرفة الخير»(١) .

إن عاطفة الإيمان بالله سبحانه وتعالى تتفاوت من وقت لآخر، وبين شخص وآخر لكنها في كل الأحوال والأوقات ينبغي أن تبقى هي المالكة والمسيطرة لجميع العواطف والدوافع ولجوانب النفس كلها ، وهي أحياناً تتصاعد في النفس المطمئنة إلى ربها لتحول صاحبها إلى كتلة إيمان وهاجة ، وذلك حين «تنمو هذه العاطفة ويقوى سلطانها ، حتى تهيمن على المرء وتسيطر على جنبات نفسه فتغدو هي التي تقيمه وتقعده ، وتصحبه في غدوه ورواحه ، ونومه ويقظته ، وهناك تكون الفرد تكويناً جديداً وتنشئه خلقاً آخر حتى يصبح أقوى مايكون تعلقاً في الحق وإيثاراً له ودفاعاً عنه ، وزهداً في كل ماسواه»(١) .

لقد قدمت سمية رضي الله عنها في مهد الدعوة الإسلامية هذا النموذج الفذ الذي ذهبت نفسه حباً لله سبحانه وتعالى ، فقدمت النفس وقدمت الزوج وقدمت الولد رخصاً في سبيل الإيمان به جل وعلا .

---

(١) انظر : لمحات من وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، ص ٦٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦١ .

تعذبت وتحملت منظر الابن والزوج وهما يعذبان أمام ناظريها، لتكون أول شهيدة في الإسلام من الرجال والنساء ، ولتضرب من ثم المثل الذي لايمكن لعمار رضي الله عنه أن ينساه في التضحية والفداء، ليعيش مدافعاً وذائداً عن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ولتكتب له حياة الأبطال، والجدير بالذكر أنه كان من آخر الصحابة وفاتاً مع أنه أول من تعرض للتعذيب الوحشي المميت فالأمر كله لله سبحانه أولاً وآخراً ، لقد استشهد عمار رضي الله عنه في وقعة الجمل قتلته الفئة الباغية .

إن سمية التي وقفت في وجه أكبر جبابرة الجاهلية ، لم تنس نفسها ولا ابنها ولازوجها ، لكن حب الله سبحانه وتعالى قد سيطر على قلبها فأصبح فؤادها- رضي الله عنها فارغاً من كل شيء إلا حب الله سبحانه وحب رسوله ﷺ ، إنها عاطفة الإيمان التي استولت على نفسها ، كما يقول الدكتور المصري ..

«وغريزة حب الذات (سمية) لاتزول عند نشوء هذه العاطفة لكن الذات تحب لتعمل في سبيل الله ولتبذل رخيصة من أجله ..... والأموال والأبناء تحب أيضاً لتقدم رخيصة في سبيله وهي تحب مادامت معينة على تنفيذ أوامر الله فإذا ما أصبحت عثرة في سبيل ذلك غدت بغيضة مكروهة»(١) .

قال الله عز وجل ..

﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفسقين﴾(سورة التوبة- آية ٢٤) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

إن حب الذات وحب الأهل والولد والزوج والمال ومتاع الدنيا ينبغي كلها أن تبذل في سبيل حب أسمى وأكبر هو حب الله عز وجل وتنفيذ أمره ·

فينبغي ألا تقف هذه الأمور في سبيلها أو تمنع من تنفيذ الأمر الإلهي ، وإلا تحول ذلك إلى فتنة وعداوة لفاعله ·· قال الله تعالى ·· ﴿يأيها الذين ءامنوا إن من أزواجكم وأولٰدكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ، إنما أموالكم وأولدكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾(سورة التغابن - آية ١٤-١٥) ·

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عندما سأله رجل عن هذه الآية فقال رضي الله عنه ·· (هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ فلما أتوا رسول الله رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله عز وجل ﴿يأيها الذين ءامنوا إن من أزوٰجكم وأولٰدكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ (الآية)(١) .

قال الدكتور عبد العزيز الحميدي في معنى هذه الآية الكريمة «إن المقصود من العداوة في الآية عداوة الدين وذلك أن محبة الأزواج والأولاد تكون سبباً في فتنة الرجل عن دينه ، إذا لم يكونوا ملتزمين بالإسلام ، وقد أمرنا الله عز وجل أن نأخذ الحذر منهم (حتى لايكونوا) سبباً في التقاعس عن تنفيذ التكاليف الشرعية التي أمرنا الله بها وقد أرشدنا الله بعد ذلك إلى العفو عنهم وعدم

(١) الترمذي ، السنن ، ج٥ ، كتاب تفسير القرآن الكريم ، باب من سورة التغابن ، ص ٤١٩ ، ح (٣٣١٧) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال الدكتور عبد العزيز الحميدي : عنه صحيح لغيره (تفسير ابن عباس ، الطبعة الأولى (مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٣٩٩هـ ، ج٢ ، ص٨٨١) ·

مؤاخذتهم إذا ثابوا إلى رشدهم فإن ذلك عوناً لهم على الالتزام بدينهم والثبات عليه)(١) .

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى .. يحول بين الإنسان وأهله وعشيرته .. وبنيه قال الله تعالى : ﴿يٰأيها الذين ءامنوا لاتتخذوا ءاباءكم وإخوٰنكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمٰن ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظٰلمون﴾(سورة التوبة ـ آية ٢٣).

بل إن من يحب الكافرين ويودهم ، قد خرج من ربقة الإيمان ، لأن المؤمنين بالله عز وجل وبالحساب يوم القيامة لايوادّون الكافرين قال الله تعالى ..

﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءابآءهم أو أبناءهم أو إخوٰنهم أو عشيرتهم أولٰئك كتب في قلوبهم الإيمٰن وأيدهم بروح منه﴾(سورة المجادلة آية ٢٢).

إنهم المؤمنون الذين ينالون الدرجات العليا في الآخرة لأنهم يحبون في الله ويكرهون في الله ، وبذلك نفت الآية الكريمة الإيمان عن كل من يود الكافرين .

ولذا فرق الإيمان بين الصحابة وذويهم حين أسلموا ، فكم منهم من ترك الأب والزوج والولد لينتظم في حزب الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ، بل وليقاتل في المعارك والغزوات مع رسول الله ﷺ ولو كان المقتول الأب والأخ والابن من الكافرين .

والمرأة المسلمة أيضاً وقفت مع الرسول ﷺ مقدمة الغالي والنفيس في سبيل الله عز وجل ، وما أكثر صور العطاء الأمومي في تلك الحقبة من الدعوة الإسلامية ، لقد قدمت المرأة المسلمة في

(١) تفسير ابن عباس ، المرجع السابق ج٢، ص ٨٨١ .

سبيل الإيمان النفس والمال والولد والجهد ، محتسبة ذلك كله عند مالك الملك الديان لتفوز بالجنان والرضوان ..

فحين أصابت حارثة بن سراقة* رضي الله عنه سهم طائشة في بدر أتت أمه رضي الله عنها إلى رسول ﷺ تستفتي عن مصير ابنها الذي لم يقتل في المبارزة والمواجهة مع العدو فقالت رضي الله عنها .. «يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة وكان قد قتل يوم بدر أصابه سهم غرب* ، فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ، قال: «يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»(١).

وتقدم عفراء رضي الله عنها أولادها السبعة ليقاتلوا مع رسول الله ﷺ في بدر ويكون نصيبهم شرف قتل عدو الله وعدو رسوله (أبي جهل) على يدي ابنيها معاذ ومعوذ- رضي الله عنهم- في صورة رائعة عجيبة ، تسر وتسعد كل مؤمن ليبارك .وليكبر صنيع هذين الفتيين، سائلاً المولى عزوجل أن يرزقه أمثالهما فهنيئاً لأمهما رضي الله عنهم ، قال عبد الرحمن بن عوف* رضي الله عنه : « إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن

---

* حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري، وأمه الربيع بنت النضر، عمة أنس بن مالك ، قتل وهو يشرب من الحوض ، في بدر وهو أول قتيل قتل ببدر .(الإصابة ١ /٣٩٧؛ الاستيعاب ١/٢٨٥) .

(١) البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب من أتاه سهم غرب فقتله ، ص٢٧١ ، ح (٢٨٠٩) .

* غرب : بالفتح والسكون . سهم غرب : أي لايعرف راميه وقيل بالسكون إذا أتاه من حيث لايدري ، وبالفتح إذا رماه فأصاب غيره) (ابن الأثير ٣/٣٥٠«غرب») .

(*) عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو محمد ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى ، واسم أمه صفية وقيل الشفاء وهي زهرية ، أسلم قديماً قبل دخول دار الأرقم وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً وسائر المشاهد، وكان اسمه عبد الكعبة . ويقال عبد عمرو فغيره النبي ﷺ . وبعثه النبي ﷺ إلى دومة الجندل، وأذن له أن يتزوج بنت ملكهم الأصبغ بن ثعلبة الكلبي ، ففتح عليه فتزوجها، وهي تماضر أم ابنه أبي سلمة، وكان رضي الله عنه تاجراً تصدق بشطر ماله في حياة النبي ﷺ، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة، وتوفي سنه ٣٢هـ وعمره ٧٢عاماً . (الإصابة ٢/٤١٦؛الاستيعاب ٢/٣٩٣؛سير ١/٢٤٤،ط ابن سعد ٣/١٢٤)

يساري فتيان حديثا السن ، فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل، فقلت يا ابن أخي وما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله ، قال : فما سرني أني بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه ، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه، وهما ابنا عفراء »(١) .

وعن أنس رضي عنه قال : قال النبي ﷺ يوم بدر «من ينظر ماصنع أبو جهل» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد(٢) .

وتخوض نسيبة المازنية أم عمارة رضي الله عنها أحداً مع رسول الله ﷺ لتسقي الماء، ولما انهزم المسلمون انحازت إلى رسول الله ﷺ تقاتل وتذب عن رسول الله ﷺ بالسيف ، وترمي دونه حتى خلصت إليها الجراح .

ثم شهدت نسيبة رضي الله عنها وقعة اليمامة خالد بن الوليد -رضي الله عنه- ومعها ابنها وقطعت يدها في الحرب وجرحت -رضي الله عنها- اثني عشر جرحاً(٣) .

ثم تتقدم الخنساء مع أولادها الأربعة -رضي الله عنهم- لتخوض حرب القادسية وهي تعظهم قائلة .. «أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وإنكم لأب واحد وأم واحدة ماخنت أباكم ولافضحت أخوالكم» محرضة إياهم على القتال والثبات في المعركة فمضوا -رضي الله عنهم - يشقون الصفوف ، وينشدون الشعر ذاكرين لوصية الوالدة العجوز ، حتى استشهدوا واحداً إثر الآخر.

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٥ ، كتاب المغازي ، باب قتل أبو جهل ، ص١٤، ح(٣٩٨٨) .
(٢) البخاري ، المرجع السابق ، ص٨ ، ح (٣٩٦٢) .
(٣) انظر ابن حجره الإصابة ، ج٤ ، ص٤١٨ .

ولما بلغها - رضي الله عنها - الخبر قالت : «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمتـــه»(١) .

وتقف أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما إلى جانب ابنها عبدالله رضي الله عنه ، مشجعة له ، وآمرة بالثبات على الحق .

فحين دخل عبدالله بن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال : «يا أمه ، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ، فلم يبق معي إلا اليسير ، ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا ، فما رأيك ؟ ، قالت : أنت - والله - أعلم بنفسك يابني ، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه من مضى من أصحابك ، ولاتمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ، وأهلكت من قتل معك ، وإن قلت كنت على حق ، فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي ، فكل هذا ليس من فعل الأحرار ولا أهل الدين ، كم خلودك يابني في الدنيا ؟ القتل أحسن ، فدنا عبدالله بن الزبير فقبل رأسها ثم قال : هذا والله رأيّ وعزمي ، والذي هممت به داعياً إلى يومي هذا ، وما ركنت إلى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعوت إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمه ، ولكني أحببت أن أعلم رأيك ، فزدتني قوة وبصيرة مع بصيرتي ، فانظري يا أمه فإني مقتول من يومي هذا أن لايشتد جزعك علي ، وسلمي لأمر الله ، فان ابنك لم يتعمد إتيان منكر ، ولاعمل بفاحشة ، ولم يجر في حكم ، ولم يغـدر

---

(١) انظر : ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص ٢٨٨ .

في أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني عن أحد من عمالي سوء فرضيته ، بل أنكرته ، ولم يكن شيء عندي آثر من رضا ربي ، اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسي ، أنت أعلم بي ولكني أقوله تعزية لأمي لتسلو عني · فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي عنك حسناً ، إن تقدمتني أو تقدمتك ، ففي نفسي حرج حتى أنظر إلام يصير إليه أمرك ؟ فقال : جزاك الله خيراً يا أمه ، فلا تدعي الدعاء قبلي وبعدي ، فقالت : لا أدعه - إن شاء الله - ، فمن قتل على باطل ، فقد قتلت على حق · ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذاك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبي · اللهم إني سلمت فيه لأمرك، ورضيت بما قضيت، فأثبني في عبدالله ثواب الشاكرين الصابرين ·

ثم خرج عبدالله من عندها ، ولبس درعاً ، ومغفراً ، فوقف عليها ، ثم دنا فتناول يدها وقبلها فقالت هذا وداع ، فلا تبعد إلا من النار · فقال عبدالله : إنما جئت مودعاً ياأمه ، إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمر بي ، اعلمي يا أمه : إني إن قتلت فانما أنا لحم ، ما يضرني ماصنع بي · قالت : صدقت ، ثم قالت : يابني أتمم على بصيرتك ، ولاتمكن بني أبي عقيل منك ، وادن مني حتى أودعك ، فدنا منها ، فعانقها ، وقالت حيث وجدت مس الدرع : ما هذا صنيع من يريد ما تريد· فقال : مالبست هذا الدرع إلا لأشد منك · فقالت : إنه لايشد مني ، بل يخالفني ، فخرج ابن الزبير من عندها ، فنزع درعه ، وتوجه إلى القتال وهو يقول :

إني إذا أعرف يوما، أصبر، إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

ففهمت أمه قوله ، فقالت تصبر والله - إن شاء الله - أبوك أبو بكر والزبير ، وأمك صفية بنت عبد المطلب ، ثم لاقاهم،

فحمل عليهم غير مرة فهزمهم حتى قتل ·

فما مكثت بعده إلا عشراً حتى توفيت رضي الله عنها وعن ابنها(١) ·

وتقف أسماء -رضي الله عنها- في وجه جبار بني أمية وطاغيتها ، حين دخل عليها بعد أن أرسل لاستدعائها إليه بعد مقتل ابنها عبدالله رضي الله عنه فأبت · فقال لها (كيف رأيتني صنعت بعدو الله قالت : «رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول له يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لاتستغني عنه ، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً* فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالك إلا إياه» قال · فقام عنها ولم يراجعها)(٢) .

وحين يدعو الداعي وتحتاج المعركة إلى جهود النساء في الساحات، تنهض المسلمة الأولى لتلبي النداء وتخوض الحرب مع الرجال تداوي الجرحى وتسقى العطشى وتنقل الجثث من الميدان ·

يقول أنس - رضي الله عنه - وهو يصف يوم أحد ·· «ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنها لمشمرتان أرى خدم* سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواههم

---

(١) الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، تحقيق د· سامي العاني ، (العراق : إحياء التراث الإسلامي في إدارة الأوقاف) ، ص ٣١٤ - ٣١٦ ·

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٤، كتاب فضائل الصحابه، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، ص١٩٧١،ح(٢٥٤٥).

(*) المبير : المهلك (شرح مسلم للنووي ، (١٠٠/١٦/٦/٨) ·

* خدم سوقهما ، وهو جمع خدمة ، يعني خلخال سوقهما ويجمع على خدام (ابن الأثير ، ج٢، (خدم) ، ص١٥)

ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان تفرغانه في أفواه القوم»(١)

كم كان عمر عائشة رضي الله عنها يومها ! ؟ إنه إحدى عشرة سنة · أية إنسانة عائشة وأية امرأة رضي الله عنها وأرضاها ·

وأم سليم -رضي الله عنها- تأبى إلا أن تكون مع رسول الله ﷺ ، في كل مجال تشارك في مسيرة الدعوة ، لتصل إلى ميدان الجهاد مع ابنها رضي الله عنه الذي وهبته خادماً لرسول الله ﷺ ·

فعن أنس - رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم · ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى»(٢).

وعن الربيع بنت معوذ - رضي الله عنها - قالت : (كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم ونخدمهم ، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة)(٣) ·

روى الإمام البخاري أن أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قسم مروطاً* بين نساء من نساء المدينة ، فبقي مرط جيد ، فقال له بعض من عنده ، يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٣ ، كتاب الجهاد والسير أيضاً ، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال، ص١٤٤٣ ، ح(١٨١١) ؛ البخاري ، الصحيح ، ج٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ، ص ٢٩٢ ، ح(٢٨٨٠) ·

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزو النساء مع الرجل ، ص١٤٤٣، ح (١٨١٠) ·

(٣) البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٣ ، كتاب الجهادوالسير ، حمل النساء القرب إلى الناس ، ص ٢٩٢ ، ح(٢٨٨١) ·

* مروط : أكسية النساء، الواحدة مرط ، ويكون من صوف ، وربما كان من خز أو غيره· (انظر: ابن الأثير ، ج٤ ، (مرط) ، ص ٣١٩ ·

-رضي الله عنه- فقال عمر : أم سليط* أحق · وأم سليط -رضي الله عنها- من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ ، قال عمر : فإنها كانت تزفر* لنا القرب يوم أحد(١) ·

وعن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها* قالت : «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، فأصنع لهم الطعام ، وأداوي الجرحى ، وأقوم على المرضى(٢)·

ولم يتوقف صدق المرأة المسلمة مع الله سبحانه وتعالى -حين تتنازعها العواطف- على ميدان الجهاد فقط ، بل شمل حياتها كلها بدقائقها ·

لقد كان الإيمان بالله سبحانه وتعالى وحب الله وحب رسوله ﷺ يعمر نفوس الصحابيات -رضي الله عنهن- فكان ذلك يسمو على كل عاطفة ويحطم كل هوى للنفس ··

فهذه أم مسطح* رضي الله عنها تعبر عن صدق الإيمـــان

---

* تزفر : زفر أزدفر إذا حمل · والزفر : القربة أي تحمل القرب مملوءة بالماء. (ابن الأثير ٢/٣٠٤ (زفر) ·

* أم سليط ·· من المبايعات حضرت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد · كناها عمر رضي الله عنه بابنها سليط وهي أم قيس بنت عبيد ، قيل إنها تزوجت بعد أبي سليط مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري فولدت أبا سعيد فهو أخو سليط بن أبي سليط لأمه · (الإصابة ٤/٤٦٠ ؛ الاستيعاب ٤/٤٦٣) ·

(١) البخاري الصحيح ، م٢، ج٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو ، ص ٢٩٢ ، ح(٢٨٨١) ·

* أم عطية الأنصارية اسمها نسيبة بنت الحارث ، وحديثها في غسل آنية النبي صلى الله عليه وسلم مشهورفي الصحيح ، وكان جماعة من علماء التابعين يأخذون ذلك الحكم في الغسل حتى غسل الميت ، (الإصابة ٤/٤٧٦ ، الاستيعاب ٤/٤٧١) ·

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٣، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن، ص ١٤٤٧، ح(١٨١٢).

حين يصطدم مع أمومتها في حادثة الإفك ، وهل أغرب من أنها شتمت ابنها دون أن تعلم بعد بحقيقة الحادثة تقول عائشة -رضي الله عنها- في روايتها لقصة الإفك ·· «فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم ··· نمشي فعثرت في مرطها··· ، فقالت تعس مسطح ، فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً فقالت أي هنتاه ولم تسمعي ما قال ؟·»(١) ·

لقد عرفت بإيمانها الصادق أن مثل هذا خطر على الدعوة الإسلامية كلها، لأنه قصد به بيت النبوة ، فشتمت ابنها وغضبت مما قاله قبل علمها الخبر اليقين .

وتقف أم رومان - رضي الله عنها - من زاوية أخرى، تمسك فمها عن أن ينطق بما يريده قلبها وهواها، من تبرئة عائشة- رضي الله عنها- المفجوعة بأثمن ما عندها وأغلى ما تملك وأعز ما تحب، شرفها وعرضها ودينها وزوجها رسول ﷺ فتبكي حتى تكاد كبدها أن تتفطر ، ومن حين لآخر تستجدي أمها بكلمات عسى أن تجيب عنها فتبرئها أمام زوجها الحبيب رسول الله ﷺ ، تقول عائشة رضي الله عنها حين أخبرها رسول الله الخبر ·· «قلت لأبي أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال ، قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ · فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال · قالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ (٢).

ثم تقول عائشة رضي الله عنها، « وأنا جارية حديثة

---

* أم مسطح القرشية التميمية ويقال المطلبية بنت أبي رهم أنيس بن عبد المطلب بن عبد مناف ، أسلمت وحسن إسلامها وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم أهل الإفك· (الإصابة ٤ / ٤٩٦) ·

(١) البخاري، الصحيح، م٣ ، ج٥ ؛ كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ، ص٦٨ ، ح(٤١٤١)· مسلم ، الصحيح ، ج٤ ، كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك ، ص ٢١٢٩، ح(٢٧٧٠)·

(٢) البخاري ، المرجع السابق، ص ٧٠ ·

السـن »(١).

إنها صغيرة السن لاتحسن الحجة والدفاع عن نفسها ومواجهة هذا الموقف الذي يضعف أمامه أشد الرجال ·

ومع ذلك ما لانت أم رومان- رضي الله عنها ولا استجابت لنداء قلبها وحرقة أمومتها ، بل كان الصدق مع الله سبحانه فوق كل هذا ·

والأم المسلمة قدوتها هؤلاء الصحابيات ، في طاعتهن لله عز وجل وامتثالهن لأمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله ﷺ ·

إن الأم هي المربية وهي التي تصيغ الطفل وتكونه كما تشاء حين تتوافر لها البيئة المساعدة فتعد الأبطال، وتعد العلماء ، وتعد القادة · فالأم هي التي ترسم حياة المجتمع وتحدد معالمه -دون أن تدري من خلال أولادها- · يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي في مبحث تحت عنوان التربية العسكرية على مبادئ الإسلام ··

« إنكم إذا شاهدتم في بعض المعارك من بعض الجنود والضباط العسكريين أعمالاً بطولية ، ولمستم فيهم عاطفة عارمة للجهاد المقدس ، وشوقاً متدفقاً للاستشهاد في سبيل الله واستعداداً مدهشاً للاستماتة ، فليس مصدر هذا النوع من التربية هو معاهد التدريب ، وإنما مصدر هذا النوع من التربية هو حضن الأمهات المسلمات اللواتي ألقين في روع هؤلاء المجاهدين البواسل اسم الله ورسوله في نعومة أظفارهم ، أو مصدرها المجتمع الإسلامي الذي رسمت البقية الباقية من تقاليده في قلوب هؤلاء البواسل تصور الإله وتصور الرسول وتصور الجهاد المقدس ، وتصور الشهادة في سبيل الله ، وبذرت في أذهانهم بذور الإسلام ، الأمر الذي يخلو منه نظامنا للتدريب»(٢) ·

ومن ميدان الجهاد ودوي القنابل ، ومن بين الجثث والدماء

---

(١) البخاري ، المرجع السابق .

(٢) دور الطلبة في بناء مستقبل الأمة ، (باكستان : الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، دار القرآن الكريم ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ، ص ٤٠-٤١ ·

من أفغانستان يوصي الشهيد الفلسطيني عبدالله عزام رحمه الله النساء الأمهات ، ليكن أمهات الأبطال والفرسان..

«إياكن والترف لأن الترف عدو الجهاد ، والترف تلف للنفوس البشرية ، واحذرن الكماليات واكتفين بالضروريات ، وربين أبناءكن على الخشونة والرجولة وعلى البطولة والجهاد ، ولتكن بيوتكن عريناً لأسود وليس مزرعة للدجاج، الذي يسمن ليذبحه الطغاة اغرسن في أبنائكن حب الجهاد وميادين الفروسية وساحات الوغى .

وعشن مشاكل المسلمين وحاولن أن تكن يوماً في الأسبوع على الأقل في حياة تشبه المهاجرين والمجاهدين حيث الخبز الجاف ....»(١) .

٤- تأثر نظم التعليم ومؤسساته بالأهداف الإسلامية

إن الله عز وجل خلق المرأة على صورة وطبيعة تغاير صورة الرجل وطبيعته ، ولذا فإن ثمة أحكاماً ووظائف اختلف فيها كلاهما عن الآخر ، ونظراً لأن الرجل هو المكلف بمكابدة الحياة خارج البيت كان طبيعياً ألا يلزم بشيء من أحكام الحجاب ، وإنما كان الحجاب للمرأة فهي منبع الفتنة وموطنها ، ولأن مكانها الأول والأخير هو البيت إلى غير ذلك من حكم الحجاب .

إن مكانها في مؤسستها ومملكتها، في أسرتها تربي أجيال الأمة برعايتها للزوج والولد ، على منهج إسلامي علمي سليم ، وهذا لايتحصل إلا بالعلم الكسبي الذي ينبغي أن تلقنه الأنثى منذ نعومة أظفارها .

---

(١) الشيخ المجاهد عبدالله عزام ، الرجل الذي ترجم الأقوال إلى أفعال ، محمد عبدالله العامر ، الطبعة الأولى (الكويت : دار البيان ، ١٤٠هـ - ١٩٩٠م) ص٨٣ .

والإسلام ألزم الرجل بتعليم أهله وتثقيفهم مما يتعلمه هو ويحصله · فرضاً واجباً وحتماً لازماً ، كما كان رسول الله ﷺ يفعل ، وكذلك الصحابة - رضي الله عنهم - حين احتذوا حذو رسول الله ﷺ فكانوا يبلغون أهل بيتهم رضي الله عنهم كل ماسمعوه من رسول الله ﷺ ·

وكانت المرأة تخرج لتلقي العلم من رسول الله ﷺ ، حين طلبن منه ﷺ ذلك . فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ ، غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن ، وأمرهن فكان فيما قال لهن «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار» ، فقالت امرأة واثنين فقال «واثنين»(١) ·

إن حديث رسول الله ﷺ هذا يعتبر أساساً ومنهجاً وأصلاً من الأصول التي ينبغي الاعتماد عليها في العملية التعليمية للنساء، وذلك لما يوحيه الحديث الشريف من ضوابط لهذا العلم منها ..

أ- إن للمرأة أن تتعلم أمور دينها كما يتعلم الرجل ·

ب- إن المرأة حين تشعر أن سلطان الرجل قد منعها من طلب العلم الشرعي، فعليها أن تسعى لذلك بما يحقق لها معرفة الواجب من أمور دينها ·

جـ- إن المرأة المسلمة في فطرتها تأبىٰ مخالطة الرجال والحديث والسؤال في حضرتهم ولو كان ذلك في طلب العلم ومن وراء حجاب ·

---

(١) البخاري ،الصحيح م١ ،ج١ ، كتاب العلم ، باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم، ص ٣٩ ، ح (١٠١) .

د- لاحرج على العالم الذي يوثق في دينه وخلقه وعلمه ، ممن يندر مثله ولايمكن تلقي العلم إلا منه ، أن يعظ النساء، ويعلمهن عند حاجتهن لذلك ، من وراء حجاب بشرط أن تؤمن الفتنة كأن يكون كبير السن مثلاً ·

هـ- إن ما تتعلمه المرأة هوماايناسب طبيعتها ووظيفتهافي الحياة ·

و- إن الإسلام صان المرأة وحفظها حتى وهي تتلقى العلم من كل أذى يمكن أن يعكر عليها حياتها كأنثى ·

وهكذا حفظ الإسلام المرأة درة مصونة، في بيتها وأسرتها ، فإن خرجت لطلب العلم في أماكنه ، وضع لذلك الأسوار والحدود التي يجب على المرأة التزامها وعدم تعديها وإلا باءت بغضب من الله عز وجل ، لتعيش دنياها في ضنك، وأخراها في جهنم .

إن عليها حين تتلقى العلم في المدارس والجامعات ، والمساجد أن تجعل لنفسها سياجاً من القواعد والأنظمة التي شرعها الإسلام ، وذلك باللباس الساتر ، وعدم الزينة والمشية الوقور ، وتجنب مخالطة الرجال الذي هو أشد هذه الأمور خطراً·

قال الله عز وجل ·· ﴿يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلبيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾(سورة الاحزاب - آية ١٥٩) ·

إن المرأة قد فرض عليها أن تستتر حين خروجها من بيتها بالجلبات الذي يستر جميع بدنها ، بكونه غير صفيق ولاضيق ولا يظهر شيئاً من ساقها · فلا يشف عن جسمها ولايصفه ولايبدي منه شيئاً ·

وأن تستتر كذلك بالخمار من رأسها على صدرها قال الله عز وجل ··

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾(سورة النور - آية ٣١) ·

إن الله سبحانه وتعالى قد حفظ المرأة وصانها، فمنع عنها الأسباب التي تفسد عليها دينها ودنياها ومن ذلك قول الله -سبحانه وتعالى- مخاطباً نبيه ﷺ تبليغ أمته ما يصلح شؤونها ·

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو ءابائهن أو ءاباء بعولتهن أو أبنآئهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾(سورة النور - آية ٣١) ·

لقد أعطت هذه الآية الكريمة للمرأة أسباب الحفظ والحصانة والوقاية ، فإن سمعت أمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ في ذلك سعدت وأسعدت من حولها ، وحققت الخير للمجتمع بأكمله ·

وقال ﷺ «إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تطيب تلك الليلة»(١) ·

فعليها أن تحفظ نفسها من أبواب الشيطان ومنافذه ووساوسه في الصدور، وذلك بغض البصر الذي يحفظ دينها وعرضها ، وكذلك بالستر والحجاب ، وبعدم إظهار الزينة إلا لمن يجوز إظهارها أمامهم من الذين عددتهم الآية الكريمة ·

إنها مأمورة بحفظ نفسها في النظر ، في اللباس، في المشية

والحركة ، بالحشمة والوقار ، فلا تلفت نحوها أنظار الرجال بما تبديه من زينة أو بما يصدر من صوت زينتها كالخلخال وغيره أو من حركات كالضرب بالأرجل أو حركة الذراع وغيره ·· والمرأة أدرى بكل هذا ··

ويندرج في مسمى الزينة والتبرج الذي ورد النهي عنه في هذه الآية الكريمة الطيب والبخور ونحوه قال رسول الله ﷺ «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً»(٢) ·

وقال ﷺ «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»(٣) ·

إن الله عز وجل أوجب الستر على النساء ، وأراد لهن الخير -وأمره سبحانه وتعالى كله خير - إن الله سبحانه أراد حفظها وتكريمها ، ولتهيأ لها أسباب الهدوء والراحة النفسية والنظافة في المشاعر والأحاسيس والنظرات، فلاتشوبها شائبة ولايعكرها قذى، ولايدنسها رجس، في نفسها وفكرها وحسها وجسمها وسيرتها و أسرتها ·

أراد الله عز وجل للمرأة أن ترفرف في بيتها في عالم طاهر نظيف من كل أذى أو درن ، فهل يوجد أمر أجمل وأحسن وأكرم وأعظم وأسعد من هذا للمرأة ·

فالله عز وجل هو الذي خلق الرجال والنساء - وهو سبحانه وتعالى أعلم بمن خلق - فلم يترك سبحانه الأمر في هذا للفطرة ، بل أحكم العلاقة بين الجنسين بأوامر صارمة وأحكـــام منيعة ،

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج١ ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة ، ص٣٢٨ ، ح(٤٤٣) ·
(٢) المرجع السابق ، ح(٤٤٣) ·
(٣) المرجع السابق ، ح(٤٤٤) ·

وفرائض من يتركها فهو هـالك لامحالة ، إن على المرأة إذا أرادت السعادة- حتى في الدنيا- فعليها أن تنفذ أمر الله سبحانه شاءت النفس أم أبت ، لأن الخير في ذلك . وهو الذي أمرت به أمهات المؤمنين رضي اللـه عنهن وهن أتقى وأطهر النساء

قال الله عز وجل : ﴿يٰنساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ، وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجٰهلية الأولى وأقمن الصلوٰة وءاتين الزكوٰة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهـل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ (سورة الأحزاب - آية٣٢-٣٣) .

إن الخطاب هنا خاص بنساء الرسول ﷺ لكنه عام في جميع النساء ، ذلك أن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن هن أبعد النساء، بل أبعد الناس ، عن الريبة وهن الأبعد في أن يطمع بهن أحد من الرجال لأنهن أمهات المؤمنين ، ومع ذلك فقد أمرهن الله عز وجل بعدم الخضوع بالقول ، وعدم التبرج وبالقرار في البيوت .

إن الإسلام قد أمر المرأة بالوقار في البيت والاستقرار فيه -لأنه القرار لها- ، وعدم الخروج منه لغير حاجة ، وقد رخص لها الخروج لطلب العلم وغيره من حاجاتها، وحياة الصحابيات تدل دلالة قاطعة على أن المرأة كانت تخرج لحاجاتها ، بل إن نساء الرسول ﷺ كن يخرجن وهن المخاطبات في الآية الكريمة .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : «خرجت سودة بنت زمعة ليلاً فراها عمر فعرفها فقال : إنك والله يا سودة ما تخفين علينا ، فرجعت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له وهو في حجرتي يتعشى، وإن في يده لعرقاً فأنزل عليه فرفع عنه وهو يقول :«قد

أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن»(١) .

وقال ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم « إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها» (٢) .

وإن المرأة في فطرتها السليمة تشعر أن البيت هو مكانها، وقرارها ، وسياجها وسترها ، وحفظها ، وهي إن خرجت فإنما لحاجتها ، وليس هروباً من البيت ، لأنه السجن الذي وضعها فيه الرجل .

إن الإسلام حصن المرأة في بيتها ، وجعل لها فيه قراراً وسكناً ، وأغناها عن كل السبل التي تتسبب في خروجها من مملكتها ، فضمن لها الكفالة والرعاية والتعليم ملزماً الرجل بكل هذا في أهل بيته ، وهي إن احتاجت للخروجل لم يمنعها الإسلام من ذلك، ولكن وضع لها الآداب التي يجب أن تتحلى بها عند خروجها ، والمرأة السليمة الفطرة تحس في أعماقها بضرورة ذلك وتشعر في قرارة نفسها أنها حين تخرج من بيتها قد فتحت أمامها أبواباً للشيطان فلتضع لها الأسوار والحواجز.

وأهم هذه الأسوار سور الحياء الفطري الذي زودت به الأنثى ، فإذا تهدم هذا السور من نفسها فقد هيأ السقوط لما بعده .

قال رسول الله ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ماشئت » (٣) وقال ﷺ «....إن

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب النكاح ، باب خروج النساء لحوائجهن ، ص ١٩٥ ، ح (٥٢٣٧) .
(٢) المرجع السابق ، ح (٥٢٣٨) .
(٣) البخاري ، الصحيح ، م٤ ، ج٧ ، كتاب النكاح ، باب إذا لم تستحِ فاصنع ماشئت ، ص١٣١ ، ح(٦١٢٠) .

الحياء من الإيمان»(١) ·

ذلك أن الحياء يمنع صاحبه من فعل القبائح والمنكرات، ويدفعه إلى الخير قولاً وعملاً ، ويزجره عن مواطن الشبهات كما كان من ابنتي شعيب عليهم السلام قال الله تعالى : ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾(سورة القصص - آية ٢٥) ·

فقد منع الحياء ابنتي شعيب رضي الله عنهما من الاختلاط بالرجال ، حيث بدا ذلك في مشية إحداهما حين أتت موسى عليه السلام تبلغه رسالة أبيها العجوز الذي أقعده الكبر عن رعاية هؤلاء النسوة ·

﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾(سورة القصص - آية ٢٣) ·

لقد عللتا سبب خروجهما والحال التي هما فيها، بعجز الرجل الوالد عن الذود عنهما·

فالإسلام قد نهى عن اختلاط المرأة بالرجال ، بكل السبل والوسائل ، حتى أنه قد أعفى المرأة من واجب صلاة الجماعة وفرضية صلاة الجمعة، وشهود الجماعات إلا العيدين.، بالرغم من أهمية صلاة الجماعة في الإسلام ·

وحتى حين كانت تدخل المرأة الصحابية رضي الله عنها المسجد كانت تبتعد عن الاختلاط ومزاحمة الرجال ، فقد كن يخرجن ليلاً رضي الله عنهن ، وكان الرجال يستأخرون قليلاً حتى تخرج النساء مع أنه خصص لهن باب في مسجد الرسول ﷺ ، ينهى الرجال عن الدخول منه ، وكانت المرأة في غدوها ورواحها تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق به ، استجابة لأمر الرسول

(١) المرجع السابق ، م١ ، ج١ ، كتاب الإيمان ، باب الحياء من الإيمان ، ص ١٣، ح(٢٤) ·

ﷺ في أن يستأخرن عن الرجال ويلزمن حافات الطريق ·

وقد بلغ أمر الإسلام بإبعاد الرجال عن النساء أنه ﷺ رغب النساء في الصلاة في الصفوف الأخيرة قال ﷺ : « خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها »(١) ·

وحين كانت تخرج المرأة في صدر الإسلام إلى المسجد، حتى في الجماعات التي أكد الرسول ﷺ الأمر على الأمة بضرورة شهود النساء لها كالعيدين، فإن ذلك كان في منأى عن الرجال ·

وقد قيل لابن عباس -رضي الله عنهما- «أشهدت العيد مع النبي، قال نعم ولولا مكاني ، من الصغر ماشهدته، حتى أتى العلم الذي عند دار كثير بن الصلت فصلى ثم خطب ، ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه في ثوب بلال»(٢) ·

لقد خرج عبدالله بن عباس رضي الله عنهما إلى مكان النساء لصغر سنه - رضي الله عنه - وقوله (ثم أتى النساء) يشعر بأن النساء كن في غير جماعة الرجال ، وقوله (ومعه بلال) يدل على أن الآداب في مخالطة النساء في الموعظة والحكم وغيره، ألا يحضر من الرجال إلا من تدعو الحاجة إلى حضوره من معلم وشاهد ونحوه فبلال - رضي الله عنه - خادم رسول الله ﷺ ، ومتولي قبض الصدقة(٣) ·

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج١ ، كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف ، ص ٣٢٦ ،ح(٤٤٠) ·

(٢) البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج٢ ، كتاب العيدين ، باب العلم الذي بالمصلى ، ص ١٠ ، ح(٩٧٧)

(٣) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج٢ ، ص ٤٦٥ ·

أما وإن كان لابد من المعلم أو الواعظ فليكن كبير السن، وقوراً خلوقاً بعيداً عن الفتنة والريبة ·

ففي الحديث في حجة الوداع عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : «كان الفضل رديف النبي ﷺ ، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت :يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال :« نعم وذلك في حجة الوداع »(١).

لقد حفظ الإسلام الرجل والمرأة من غواية الشيطان فمنع الاختلاط ومنع الخلوة بالأجنبية ولو من أقارب الزوج قال ﷺ : «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار يارسول الله أفرأيت الحمو؟ قال «الحمو الموت»(٢) ·

وقال ﷺ محذراً أمته من فتنة النساء ··

«ماتركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»(٣).

ولذا فقد نهى ﷺ المرأة من وصف النساء أمام زوجها أو محارمها قال ﷺ (لاتباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»(٤)

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م ١، ج٢ ، كتاب الحج باب وجوب الحج وفضله، ص١٧١، ح(١٥١٣).

(٢) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب النكاح ، باب لايخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم ص ١٩٤ ، ح (٥٢٣٢) ·

(٣) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب النكاح ، باب ما يتقى من شؤم المرأة ، ص١٥١ ح (٥٠٩٦) ·

(٤) المرجع السابق ، باب لاتباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها ، ص ١٩٦ ، ح (٥٢٤٠) ·

فالمجالس المختلطة في التعليم أو غيره ليست من الإسلام ، لأن الإسلام منع اختلاط الرجال بالنساء حتى في أماكن العبادة ، فإذا روعي ذلك أمنت الأمة شر الفتنة، وتلقت المرأة العلم وهي سليمة الصدر، وابتعد الجنسان عن غواية الشيطان ·

وأي وسيلة في التعليم تؤدي إلى الفتنة بين الرجال والنساء يجب تجنبها من اختلاط وغيره أو خلوة أو شبهها بحيث يكون المعلم والطالبة في منأى عمن يسمع حديثهما، فهذا ليس من وسيلة الإسلام في التعامل والتخاطب بين الرجال والنساء·

والأولى أن تلقن التعليم للنساء امرأة فاضلة عالمة صالحة، تكون لهن المعلمة والقدوة والأم الناصحة ، والأخت التي تحفظ السر ، والداعية إلى الخير ، فيجدن فيها الملاذ الديني والتربوي والروحي والإنساني ، ذلك أن الأنثى أقرب إلى نوعها في الصراحة والوضوح والصدق في التعامل وأقدر على فهمها من الرجل ·

وإذا أراد المسلمون تعليماً سليماً للمرأة ، فليلتزموا بالتعاليم الإسلامية في التعليم لتخريج المرأة المسلمة التي تؤمن بالله الخالق سبحانه وتعالى، وتؤمن بالابتلاء في الحياة الدنيا، وتؤمن بالمصير الذي يؤول إليه العباد يوم القيامة، وعند ذلك تسعد المرأة ويسعد المجتمع في الدنيا والآخرة ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا اتحدت الأهداف والوسائل في منهج إسلامي أصيل لتخريج الأم المسلمة يقول الأستاذ محمد قطب ··

«والوسائل هي أداتنا الوحيدة لتحقيق مانؤمن به من الأهداف ، وينبغي العناية الكاملة بها ، والتدقيق في بحثها واختيارها ، إذ الوسيلة الفاسدة تضيع الهدف وتحيد عن الطريق ، ومن ثم فالمناهج والأهداف ترتبط ارتباطاً كاملاً في مناهج التربية لاتفترقان ، ولايمكن تقويم الهدف من غير الوسيلة التي تؤدي الى

تحقيقه ولا يمكن تقويم الوسائل بمعزل عن الأهداف »(١) .

إن الإسلام حدد الهدف ، ووضع الوسيلة الناجحة لتحقيقه ، وأي خروج في تعليم المرأة عن هذا المنهج سوف يكون ، دماراً وهلاكاً لا إعماراً وصلاحاً .

وحين تتحدد الوسيلة والهدف في السير على هدي الإسلام، سوف يؤتي تعليم النساء ثمرته، ليشع نوراً وصلاحاً وخيراً في المجتمع كله، وليكون ذلك واحداً من أسباب القوة التي أمر الله عزوجل بها﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾(سورة الأنفال - آيه - ٦٠).

(١) منهج التربية الإسلامية ، ج١ ، ص ١٢ .

الفصل الثاني

الأمومة وغايات التربية في المجتمعات الحديثة

قال الله عز وجل : ﴿ولن ترضىٰ عنك اليهود ولا النصٰرى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولانصير﴾(سورة البقرة - آية ١٢٠) ٠

هذا تهديد ووعيد من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ بأنه إن اتبع تعاليم اليهود والنصارى وثقافتهم وما توسوس به أهواؤهم ، فإن الله عز وجل سيتخلى عن ولايته ونصرته ، ومن يتركه الله سبحانه من ولايته ونصرته فإن عاقبته الخزي والذل والدمار في الدنيا ، والخلود في نار جهنم يوم الحساب ٠

والأمة المسلمة مخاطبة ومقصودة بهذا الوعيد والتهديد من الله عز وجل، وإذا كان هذا الخطاب لرسول الله ﷺ ، فأمته أولى بهذا الخطاب، وهو أمر من الله عز وجل للأمة المسلمة وولاتها وأولي الأمر فيها خاصة حتى قيام الساعة ٠

وواقع المسلمين اليوم بما أحاق بهم من خزي وهوان ، وما وصلوا إليه من الضعف والانحلال والتفسخ ، بل والموت ، ليدل دلالة قاطعة على أن ما حذر منه الله عز وجل في الآية الكريمة ، وما نبه إليه رسوله ﷺ واقع فيهم ، حال بهم متغلغل في كل حياتهم قال ﷺ :

«لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى قال فمن؟!»(١) ٠

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٤٣ من هذا البحث ٠

إن أكثر ما يميز هذا الاتباع في حياة الأمة المسلمة - إن وجدت - هو المؤسسات التربوية بكل صورها ، المدارس ، الجامعات وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزة ودور نشر ٠

إن المسؤولين عن هذه المؤسسات والذين هم أولو الأمر فيها ، هم الغرب (اليهود والنصارى) وربائبهم وأذنابهم - فلا عجب والأمر كذلك - أن ينخر السوس ويستشري الداء في هذه المؤسسات وينتقل إلى جميع الناس على قرية الكرة الأرضية ٠

يقول الشهيد سيد قطب ٠٠ «إن الاستعمار لا يغلبنا اليوم بالحديد والنار ، ولكنه يغلبنا قبل كل شيء بالرجال الذين استعمرت أرواحهم وأفكارهم ، يغلبنا بهذا السوس الذي تركه الاستعمار في وزارة المعارف وفي الصحف والكتب ، يغلبنا بهذه الأقلام التي تغمس في مداد الذل والهوان الروحي لتكتب عن أمجاد فرنسا ، وأمجاد بريطانيا ، وأمجاد أمريكا ٠

ولن نستطيع التغلب على هذا الاستعمار ، إلا إذا حطمناه في مشاعرنا ، وحطمنا معه الأجهزة التي تسحق إيماننا بأنفسنا ، هذه الأجهزة الممثلة في وزارة المعارف ومعاهد التربية والأقلام الخائنة المسوخة ، التي سبحت يوماً بحمد فرنسا أو إنكلترا أو أمريكا»(١) ٠

إن الله عز وجل أراد للأمة المسلمة أن تكون أمة قيادة للناس كافة ، لا أن تكون أمة تقليد واتباع للكافرين ، لأن الأمة المسلمة هي التي تحمل هدي الله سبحانه وتعالى وتحمل العلم الإلهي الذي ينبغي نشره في أرجاء الدنيا كلها ، ليحكم الناس بما أنزل الله سبحانه قال الله عز وجل ٠٠

---

(١) أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب ، جمع د٠ صلاح عبد الفتاح الخالدي ، الطبعة الرابعة (جدة : دار المنارة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ، ص ١٣٩ ٠

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾(سورة آل عمران - آية ١٠٤) ٠

والمسلمون اليوم مطالبون بإيجاد الأمة المسلمة التي تعد الأفراد المؤمنين بالله سبحانه وتعالى ، لتتشكل من خلالهم الأمة المسلمة المؤمنة التي تحكم ولا تحكم ، وتنشئ ولا تتبع ، والتي تبني ولا تهدم ، وتؤمن ولاتكفر ٠ وإن ابتعاد الأمة الإسلامية اليوم عن ميدان القيادة في الأرض أدى إلى إشاعة الفساد والفتن فيها ، ذلك أن أمم الكفر غدت أمة واحدة في مواجهة المسلمين أينماً كانوا قال الله عز وجل ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾(سورة الأنفال - آية ٧٣) فهذا خطاب ووعيد للمسلمين من الله سبحانه أي أيها المؤمنون إن لم تصبحوا أمة مؤمنة واحدة ويتولى بعضكم بعضاً وتتحملوا مسؤولية القيادة للناس ، فسوف يملأ الفساد الأرض كلها وسوف تقع عليكم الفتن كقطع الليل المظلم ، وتتقاسمكم أمة الكفر ٠

يقول الدكتور ماجد الكيلاني في أهمية إخراج الأمة المسلمة(١) ٠٠

«إذا لم تقم «أمة الإيمان» فسوف تتولى «أمة الكفر» القيادة في الأرض ، وتهيمن على مقاليد التوجيه والتخطيط والتنفيذ في كل ما يتعلق بشؤون السلم والحرب سواء ٠٠٠ إن انتقال القيادة العالمية إلى «أمة الكافرين» سوف يؤدي إلى استغلال خزائن الله من المقدرات البشرية والمادية استغلالاً سيئاً ثم يكون من نتائج هذا

---

(١) انظر د٠ ماجد عرسان الكيلاني ، الأمة المسلمة ، مفهومها - إخراجها - مقوماتها، (عمان : المكتبة الوطنية ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ، ص ١٥ - ٢١ ، لتحديد سمات ومقومات الأمة المسلمة من قوله تعالى «كنتم خير أمة٠٠» للتعريف بالأمة المسلمة٠

الاستغلال السيئ ملء الأرض بالفتن والفساد الكبير : فتن في ميادين السياسة ، وفساد في ميادين الاجتماع ..... وينتشر الفساد الكبير الذي يتمثل في الانهيارات الأخلاقية وشيوع التحلل والفواحش ، وانتشار الفلسفات والأفكار الهدامة وغير ذلك»(١) .

وفي التاريخ الإسلامي وتسلسل أحداثه ، ما يبرهن على ذلك... «حين أخرجت «الأمة المسلمة» وأحكمت روابط «الولاية» فيها كانت نتيجة ذلك هزيمة «أمم الكفر» التي مثلتها آنذاك فارس والروم. أما حين انحسرت التربية الإسلامية لتقتصر على إعداد «الأفراد المسلمين الذين يعتزلون الدنيا وينتظرون الرحيل إلى العدل الأخروي ، فقد نسي المسلمون أنفسهم - مفهوم الأمة المسلمة - واختفت مكوناتها من مناهج التربية وأنشطتها ، وتفككت الأمة المسلمة القائمة واحتلت مكانها أمم غير مؤمنة تسلمت القيادة العالمية وملأت الأرض بالفتنة والفساد الكبير ، وصار المسلم يشد الرحال إلى «أمم الكفر» ليتعلم في مؤسساتها كيفية إخراج الأمم وبناء المجتمعات على النمط الذي تحدده له هذه المؤسسات وأهدافها في التبعية والاستعمار وإشاعة الفتنة والفساد الكبير»(٢) .

والأمة المسلمة التي أمر الله عز وجل بإخراجها للناس لتحكم بما أنزل الله -سبحانه- ، هي أمة محتاجة أولاً وأخيراً إلى الأم المسلمة ، المؤمنة بربها سبحانه القانتة لخالقها، العابدة لله وحده التائبة إليه سبحانه من كل دنس وخطيئة، المتوجهة إليه عز وجل وحده في دقائق حياتها كلها .

ولقد أدركت ولاية الكفر خطورة وجود مثل هذه الأم في ظهور الأمة المسلمة، التي جعل الله سبحانه هلكتها على يدها ، فحاول الكفار جاهدين دائبين ببذل كل مايمكن، في التغلغل إلى نفسيـــــة

---

(١)،(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

المرأة المسلمة وقلبها، وبيتها، لصرفها عن دينها وإيمانها ، وكانت البداية سهلة ميسرة ذلك أن الأمة المسلمة لم تعد أقوى من عصا سليمان ، وفعلاً نجح الأعداد ووصلوا إلى ما أرادوا ، وخسرت الأمة الأم المسلمة المؤمنة ، خسرتها لا لأن العدو ماكر وقوي ، بل للضعف والظلم والذل الذي ملأ حياة المسلمين وكان للمرأة منه أوفر نصيب ·

إن زوال الممالك والحضارات على مر العصور وتسلسل التاريخ كان مقترناً بوضع المرأة وأخلاقياتها ·

فزوال مملكة اليونان والرومان كان يوم أن فسدت المرأة وخرجت من حيز الأسرة والأمومة لتشارك الرجل في شؤون الحياة كلها وهي متبذله متبرجة رخيصة تعرض نفسها كبهيمة الجنس الحيواني ·

قال (كانون) الروماني المشهور بالفلسفة والحكمة بين الرومانيين في القرن الثاني قبل الميلاد مخاطباً قومه ومحذراً من مصير سيئ ينتظرهم ··

«أتتوهمون معشر الرومانيين أنه يسهل عليكم احتمال النساء والرضا بهن إذا مكنتموهن من فصم الروابط التي تقيد استقلالهن وتخضعهن للأزواج ؟ ألم يصعب علينا حتى مع وجود هذه القيود إلجاؤهن إلى أداء واجباتهن ؟ أما ترون أنهن سيصرن مساويات لنا وسيوقعننا تحت نيرهن ؟ أي حجة يمكنكم بسطها لتبرئة اجتماعهن الثوري ؟

لقد أجابتني واحدة منهن قائلة إننا نريد أن نكون متلألئات في الذهب والأقمشة القرمزية ، وأن نتمشى في طرق المدينة في أيام الأعياد وسائر الأيام الأخرى ، ونركب المركبات الضخمة لأجل أن نظهر انتصارنا على ذلك القانون المسوخ (الذي يجبرهن على عدم

الابتذال) وأن نتمتع بحرية انتخابكم ، ونريد ألا تضعوا حداً لنفقاتنا وبذخنا »(١) ٠

والمرأة اليوم كمثيلتها الرومانية التي ساهمت مساهمة كبيره في انهيار حضارتها، وأعداء الإسلام أبوا إلا أن يوصلوا هذا الداء العضال إلى المسلمين فغزوا المرأة في المدرسة وفي الجامعة، في البيت، في الشارع ، في السوق، عبر وسائل الإعلام، ومن خلال الكتاب والمجلة والصحيفة ، حتى غدت المرأة وكأنها دمية لاهم لها إلا زينتها وبذخها وترفها ، وكأنها إنما خلقت لعبودية التبرج والزينة ٠

لقد علقت دائرة معارف القرن التاسع عشر على ماقاله (كانون) فقالت : «إن (كانون) لم ينجح في دفاعه عن ذلك القانون، ولكن تحققت إنذاراته كامله(٢) ، ثم ربطت ذلك بحياة عصرها فقالت ٠٠ «وفي حياتنا الاجتماعية الحاضرة التي يتمتع فيها النساء بحرية مفرطة نرى دناءة ذوقهن ، وميلهن الشديد الذي يحملهن دائماً إلى الاشتغال بجمالهن ، وبكل ما يزيد حسنهن ورواءهن ، كل ذلك أكثر خطراً وهولاً مما كانت عليه الحالة في روما»(٣) ، ثم ذكرت دائرة المعارف أن هذا الداء قد حذر منه الكتاب والمفكرون في كل مكان ٠٠

«إنا لسنا أول من لاحظ هذا الأثر السيئ الذي يحدثه حب النساء للزينة يوماً فيوماً على أخلاقنا ، فإن أشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الكبير ، وكثير من أقاصيصنا التي قوبلت بالاستحسان العام، قد وصفت- بطريقة مؤثرة- الخراب الذي يجره على الأسر الشغف الجنوني بالتزين والتبرج ، فكيف النجاة من هذا الداء الذي يقرض مدينتنا الحالية، ويهددنا بسقوط سريع جداً، وإن شئت فقل بانحطاط لادواء له»(٤) ٠

---

(١) دائرة معارف : القرن الرابع عشر- والعشرين ، محمد فريد وجدي ، الطبعة الثالثة ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٩٧١م) ، ج٨ ، ص ٦٢٠ - ٦٢١ ٠

(٢)،(٣) المرجع السابق ، ص ٦٢١ ٠

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢٤ ٠

ويقول (لويز برول) العلامة الأوربي محذراً أمته من مصير الرومان الساقط ·

«إن فساد الأسس السياسية وجد في كل زمان ، ومن الغريب المدهش أن عوامله في الزمن الغابر هي ذات عوامله في الزمن الحاضر يعني أن المرأة كانت العامل الأكبر في هدم الأخلاق الفاضلة»(١) ·

يقول الدكتور الكسيس كاريل ·· «عاشت الإنسانية فترات انفصل الرجال والنساء خلالها عن الآخرين ، واتبعوا أنظمة صارمة لكي يحققوا مثلهم العليا ، ولقد كانت هذه الجماعات مسؤولة عن تطور حضارتنا إبان العصور الوسطى»(٢)(في أوربا)

إذن·· العدو المتربص مدرك للقضية وساعٍ بجد ودأب في تنفيذها ، وذلك بضرب الإسلام في عقر داره ممثلاً بالمرأة المهلهلة بين الأسلمة والتغريب ، فلاهي مسلمة ولاهي مستغربة ، وهي حين تكون علىٰ هذه الصورة من الذبذبة، لاتقل خطورة وسوءاً في تنشئة الأمة -عن أن تكون مستغربة- إن لم تكن أكثر بلاء منها ·

إن ماحذر منه رسول الله ﷺ قد وقع، وانتشر الداء في الأرض ، حتى وصل إلى بيوت المسلمين ·

قال ﷺ «··· فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»(٣).

وهي أشد فتنة على الأمة من فتنة المال ، وفتنة القتال ·

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٢١.

(٢) الانسان ذلك المجهول، ص ٣٣١.

(٣) مسلم ، الصحيح، ج٤، كتاب الذكر، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، ص ٢٠٩٨،ح(٢٧٤٢) ·

قال ﷺ : «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»(١) ·

وإن للمرأة لأثرها الكبير في الأمة ، بل على رجال الأمة قال ﷺ : «مارأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»(٢) ·

ونبي الله يوسف - عليه السلام - دعا ربه سبحانه وتعالى أن يبعد عنه كيد النساء وغوايتهن ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾(سورة يوسف - آية ٣٣ - ٣٤) ·

ذلك أن المرأة باب من الأبواب الواسعة التي يأتي الشياطين من خلالها شياطين الإنس والجن على حد سواء، والمرأة بيدها مفاتيح إغلاق هذه الأبواب وسدها· وذلك بالتقوى ، وفتنة الشيطان وأعوانه قد بدأها إبليس - لعنه الله - بإخراج آدم عليه السلام وزوجه من الجنة ، لينزع عنهما الستر وزينة التقوى قال الله عز وجل : ﴿يابني ءادم لايفتننكم الشيطن كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما إنه يركم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشيطين أولياء للذين لايؤمنون﴾(سورة الأعراف - آية ٢٧) ·

وهدف الشياطين - بنوعيها وصورها - واحد ، هو نزع الستر عن المسلمين، ونزع الحياء، ونزع العفاف، بإظهار العورات، وإظهار النساء سافرات، متبرجات، غير حييات وغير عفيفات ·

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب النكاح ، باب مايتقى من شؤم المرأة ، ص١٥١، ح(٥٠٩٦) ، مسلم الصحيح ، المرجع السابق ، ح(٢٠٩٨) ·

(٢) البخاري، الصحيح، م١، ج١ ، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، ص٩٠، ج(٣٠٤)·

هذا هو الهدف الأول لإبليس وأتباعه ·

والله عز وجل قد أنزل للإنسان ما يستره ويحفظه ، ويستر عوراته الجسدية والنفسية والخلقية ، حتى يبدو في المجتمع في أنظف صورة وأطهر سريرة وأنقى بطانة قال الله عز وجل ··

﴿يٰبني ءادم قد أنزلنا عليكم لباساً يوٰري سوءٰتكم وريشاً ولباس التقوى ذٰلك خير ذلك من ءايٰت الله لعلهم يذكرون﴾(سورة الأعراف-آية٢٦) ·

إن العالم اليوم - في الغالب - قد خلع اللباس الذي يستر البدن واللباس الذي يستر النفس واللباس الذي يستر الخلق ، ليعيش حياة هي أسوأ وأحط من مجتمع الحيوان ·

ولكي يصل الصهاينة إلى مايريدون كان لابد من إحكام الخطة في إفساد العالم كله -ولا سيما المسلمون- وركزوا الهدف والغاية في المرأة المسلمة، وكل إنسان يرى اليوم بعينه ما يجري في دنيا المرأة من مغريات ومفاسد وفتن ·

تروي أم سلمة أم المؤمنين فتقول رضي الله عنها «استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال ﷺ : سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن أيقظوا صواحب الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»(١) ·

واقتران الفتن هنا بذكر النساء ثم دعوتهن لعبادة الله سبحانه في حديث رسول الله ﷺ لأكبر دليل على أن المصدر الأكبر للفتن في المجتمع في النساء · كما هو ملاحظ اليوم في العالم أن المرأة غدت من أكبر أبواب الفتن في الأرض والتي يستحيل إغلاقها وسدها إلا بالعودة إلى حاكمية الله سبحانه وتعالى في الأرض كلها·

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج١ ، كتاب العلم ، باب العلم والعظة بالليل ، ص ٤٢، ح(١١٥) ·

فالتقدم التكنولوجي والانفتاح الإعلامي بين جميع بقاع الأرض ، جعل الناس أمة واحدة ، ذات ثقافة واحدة متبادلة ، ولن يتغير هذا الحال إلا بالعودة إلى هيمنة الإسلام في أنحاء المعمورة كلها .

يقول الأستاذ محمد قطب عن التربية المعاصرة للمرأة ..

«عني المخطط الصليبي الصهيوني ضد الإسلام بإفساد المرأة وتعصيتها على الإسلام عناية خاصة ، وأفرد لها في منهجه وسائل متعددة ومكثفة ودائبة لاتكف عن العمل لحظة ، في المدرسة والشارع والسينما والتلفزيون والإذاعة والصحيفة والمجلة والكتاب والقصة والمسرحية وبيوت الأزياء وبيوت الزينة والإعلانات .. وكل وسيلة وكل مكان ... وكان من هدفه في ذلك تيسير الفساد وتعميمه على أوسع نطاق ممكن ، وتصعيب الاستقامة على أمر الإسلام»(١) .

ولو أن المسلمين اتقوا الله سبحانه وتعالى ، وعاشوا حياتهم على هدى من الله عز وجل ، لما استطاع الشيطان وأعوانه أن يصل حتى إلى نعالهم .

قال الله عز وجل :

﴿إنه ليس له سلطٰن على الذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون ، إنما سلطٰنه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾(سورة النحل-آية٩٩- ١٠٠).

إن الباحث في مؤسسات التربية ووسائلها المنتشرة في العالم الإسلامي - خاصة - يجد أنها لاتنتمي إلى الإسلام إلا في مزق من المواد والمواضيع التي جعلت الإسلام كمادة ترفيهية يأخذ بها من

---

(١) منهج التربية الإسلامية ، ج٢، ص ١٨٩.

يشاء ويدعها من يشاء ، حتى بلغ الأمر في بعض الدول أن تحذف مادة الدين من المعدل العام للنجاح .

لقد استطاعت مناهج التربية على هذه الصورة أن تفصل الدين عن الحياة اليومية ، وغدت حياة المجتمعات الإسلامية ، تعاني اغتراباً ثقافياً فلا هي إسلامية ولا هي غربية ، مما خلق القلق والاضطراب والأمراض النفسية والعقلية عند الكثير من الناس - وخاصة النساء - اللواتي هن أمهات الأجيال .

والمرأة المسلمة اليوم - في الغالب - بعيدة عن منهج الله سبحانه وتعالى، وهي بذلك وعلى هذه الحال، لن تخرج الجيل المؤمن الذي يطيع الله -سبحانه وتعالى- ورسوله ﷺ ، ويحمل أمانة الخلافة ، ذلك أن هؤلاء الأمهات «لا يجري على لسانهن إلا أسماء الممثلات والسينمائيات والراقصات والغانيات والتعليق على الأفلام الجديدة والحديث عن الملاهي والألعاب ويندر أن يرطب لسان إحداهن بذكر الله ورسوله ، فهل الذين يترعرعون في أحضانهن ترجون منهم أن يناضلوا باسم الله ورسوله ، ويستميتوا في سبيلها»(١).

يضاف إلى ذلك أن المجتمعات المعاصرة لم تعمل على إعداد الفتاة الأم ، بل إنها ابتعدت عن هذا المنهج ، لتجعل من البنت رجلاً في جسم أنثى، بما لقنتها من علوم لاتمت إليها بصلة أو فائدة ، وبما زجت بها في غير مكانها وموقعها ، لكنها في الوقت نفسه أصرت على أن تكون هذه الفتاة أنثى لا رجل ، وذلك في مظهرها وزينتها وتبرجها الذي أهلك الأمم ..

---

(١) أبو الأعلى المودودي ، دور الطلبة في بناء المستقبل ، ص ٤٢ .

فما هي الغاية من تربية النساء في المجتمعات الحديثة ..

١- إعداد المدارس والجامعات لتكون المرأة منتجة عاملة .

إن الدين الإسلامي قد أمر بتعليم المرأة بل وحض على ذلك ورغب فيه ، ذلك أن المرأة المتعلمة المثقفة الواعية أقدر على مواجهة الحياة وتحمل التبعات والمسؤوليات، لكنه في الوقت نفسه جعل وظيفة المرأة الأولى هي بيتها ، وكل عمل يتعدى حدود الأسرة وواجباتها هو عبث لا يرجى منه خير ، إلا في حدود فرض الكفاية التي تستوجب توفير عدد من النساء للعمل في المجالات التي لايصلح لها إلا المرأة .

ذلك أن «البيت وفقاً للمنظور الإسلامي ليس مجرد مبنى أو مسكن بل هو سكن ومستودع لمختلف الخدمات المادية والاحتياجات العاطفية والتعليمية والعلاقات الأسرية بين أفراده ، وهذا هولب الأدوار التي يؤديها الرجل والمرأة مشاركة فيما بينهما ، فهذا نظام لاتختلط فيه الأدوار»(١) .

«إن المجتمع الإسلامي وما فيه من نظم اجتماعية واقتصادية وسياسية يتميز بالتحديد الواضح للوظائف التي يسهم بها الرجل والمرأة وفقاً وعلى أساس الدور التخصصي لكل منها»(٢) .

والجاهلية الحديثة التي يعيشها العالم اليوم لم تعترف بهذه الحقيقة الناصعة كالثلج، الواضحة وضوح الشمس ، وأبت إلا أن تعد المرأة لتكون عاملة في المجتمع العام، لا مجتمع الأسرة الصغيرة، أعدتها للمكاتب والمعامل والشركات تماماً كما هيئ

---

(١) د . أنيس أحمد ، النساء المسلمات والتعليم العالي ، (باكستان : معهد الدراسات التخطيطية ، ١٩٨٤) ، ترجمه إلى العربية مكتب التربية العربي لدول الخليج ، النسخة العربية ، (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص٩٠.

الفتى لذلك العمل ، لكنها مع ذلك، وحين حولت وجهة المرأة من بيتها إلى خارجه لم تستطع أن تجعل من الرجل امرأة يستطيع أن يقاسمها أعباء البيت والحمل والولادة والرضاع ومساهرة الصغار وتربيتهم ، ومعاناتهم ·

ولقد اعتبرت الجاهلية الحديثة أن إعداد المرأة كأم لبيتها وأسرتها، وكمعينة لزوجها وكمربية لصغارها ، انتقاصاً لها ، ولكي يكون للمرأة وجودها لابد من أن تتعلم تماماً كما يتعلم أخوها الرجل ·

فالمرأة في نظر المجتمع الحديث حين تبقى حبيسة الجدران في البيت مع الأطفال وتدبير شؤون المنزل ليس لها أي دور إنتاجي ، وبالتالي فإن نصف المجتمع سيكون معطلاً ، وقد نسي أساطين الفلسفة التربوية الحديثة أن إنتاج البشر وإعداد الإنسان أغلى وأثمن وأعظم من إنتاج الأشياء ، لقد أنتج الغرب كل أسباب الحضارة والقوة والتقدم لكنه حين دمر إنسانية الإنسان وروحه لم يجن إلا الهلاك والدمار والخسران .

يقول الشيخ الأستاذ محمد قطب ·· « تحرص الجاهلية المعاصرة- في جميع الأحوال- على ألا تنشىء المرأة لتكون أنثى ! لتكون زوجة وأماً وربة بيت ، وليكون «البيت» في حسها هو «العمل» المطلوب منها ، والذي تكون في وضعها الطبيعي حين تؤديه ! إنما تضع في حسها احتقار هذا كله ، والنظر إليه على أنه حطة من شأنها ، وأنه- حتى إن شغلها في يوم من الأيام - فإنما يشغل جانباً هامشياً من حياتها ، ليس هو الجانب الأكبر ولا الأخطر ولا الأهم ! ·

إنما تتجه المرأة - «المثقفة» - أول ما تتجه حين تفرغ من دراستها - الرجالية- إلى «العمل» والعمل في مجالات الرجال بالذات لتحقق كيانها ! أما أن تكون زوجة وأماً - إن حدث هذا

في يوم من الأيام- فليس هذا هو الذي يحقق كيانها ولا الذي يعطيها قيمتها في المجتمع ، إنما هو عمل لابأس من أدائه - أحياناً - !

على ذات الصورة الرجالية التي يمكن للرجل أن يقوم بها»(١) .

«فالرجل يعمل أساساً في المصنع أو المتجر أو المكتب أو الديوان ثم يمكن أن يكون زوجاً وأباً بالإضافة إلى عمله الأصلي في المصنع والمتجر والمكتب والديوان ·· هذا إن عنّ له أن يتزوج ! ..... وهي ··· كذلك تعمل بصفة أساسية ، ثم تكون زوجة وأماً - إن رغبت أو واتتها الفرصة - بالإضافة إلى علمها الأصلي ··· ما أبأسها من جاهلية! وما أبأس المرأة فيها بصفة خاصة برغم كل ما يقال لها ويقال عنها من تحرر ، وكسب ومكانة ، ونيل حقوق !

يقول الأستاذ محمد منير الغضبان :

من يقول إن الزوجية من جانب المرأة كالزوجية من جانب الرجل ؟ ومن يقول إن دور المرأة في «الأمومة» كدور الرجل في «الأبوة» سواء بسواء ؟ من غير هذه الجاهلية الجاهلة التي تقودها الشياطين»(٢) ·

«إن مناهج الدراسة تعد الطالب ليكون موظفاً في الدولة ، وكذلك الطالبة تدرس لتهيأ بعد دراستها لتدخل الوظيفة مثل زميلها الرجل ، فتشاركه في المكتب والمصنع وقاعة الدرس وبدلاً من أن تكون أماً متفرغة لتربية الجيل تتحول إلى كادحة ناصبة»(٣) ·

---

(١)،(٢) منهج التربية الإسلامية ، ج٢ ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ·

(٣) انظر : محمد منيرالغضبان ، حكم تعليم النساء ، (بحث قدمه فضيلته إلى المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي بمكة١٣٩٧هـ) ،الطبعه الثانيه،(بيروت : دار الجيل، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م)، ص١٢.

وإن مناهج المجتمع المعاصر (الجاهلية) موحدة للذكور والإناث رغم التباين الواضح بين الجنسين ، يقول الكسيس كاريل ·· « من سخف الرأي أن نجعل المرأة تتنكر للأمومة ، لذا يجب ألا تلقن الفتيات التدريب العقلي والمادي ، ولا أن تبث في نفسها المطامع التي يتلقاها الفتيان وتبث فيهم ، يجب أن يبذل المربون اهتماماً شديداً للخصائص العضوية والعقلية في الذكر والأنثى، وكذا لوظائفها الطبيعية، فهناك اختلافات لاتنقض بين الجنسين ، ولذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الاختلافات في إنشاء عالم متمدن» (١) ·

وتلك شهادة أخرى من باحث أمريكي عن تعليم النساء المعاصر ، فقد طلبت مجلة المجلات الفرنسية من الباحث المدقق (المستر لوسن) الأمريكي بكتابة فصل يصف فيه حالة المرأة في أمريكا ومما قاله في ذلك عن مدارسها ··

«ولكن هذه المدارس يظهر أنها أنشئت لأجل الشابات اللاتي يردن الشغل بمعلوماتهن ولأجل أن يكن دكتورات وأستاذات ولذلك تجد التهذيب فيها ضعيفاً (يعني التهذيب الخاص بالمرأة) ولكن الدراسة قوية ، فتراهم يعلمونهن بالتدقيق علوم الكيمياء والطبيعة والرياضة ومع هذا فالشابة التي تنال قصب السبق في العلوم والتي تتضلع في جميع مواد البروغرام تكون جاهلة للدرجة القصوى بأبسط النظامات المنزلية»(٢) وكذلك هو الحال في باقي دول العالم ، وكذلك الدول الإسلامية .

فجميع المناهج موحدة بين الذكور والإناث ماعدا مادة التربية الفنية، والتدبير المنزلي التي لاتعدو الطالبة أن تتعلم منها سوى نذر يسير لايسمن ولا يغني من جوع·

(١) الإنسان ذلك المجهول ، ص ١١٠ - ١١١ ·
(٢) دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين ، محمد فريد وجدي ، ج٨ ، ص ٦٤٦ نقلاً عن مجلة المجلات الفرنسية ، المجلد ٢٥ ·

لذلك فهذه المناهج تصيب المرأة بالاسترجال الذي نهى عنه الإسلام ولعن صاحبه. فهي «برامج رجالية في الأصل، فصلت على قد الرجل وقصد بها إعانته على أداء وظائفه، والمرأة تدفع إليها دفعاً سواء كانت مناسبة أو غير مناسبة لطبيعتها»(١) .

فالمناهج الدراسية المعاصرة تعد المرأة لتكون عاملة موظفة ، ولاتعدها لحياة البيت والأسرة، وذلك من خلال الأساليب والبرامج والوسائل التي توصل هذه المناهج الدراسية .

وإن المدارس المعاصرة حصرت مفهوم الإنسان الصالح في الإنتاج المادي ، فأوجدت «الفرد المنتج - المستهلك سواء في ذلك الذكر والأنثى» ، وذلك من خلال وسيلتين فهي تعلمهم مهارات محددة ذات علاقة بالعمل . وتنمي فيهم الاتجاهات والعادات الضرورية للأداء الوظيفي الفعال(٢).

يضاف إلى ذلك أن الطالبة تقضي على مقاعد الدراسة ما يقارب خمسة وعشرين عاماً من عمرها ، لتفكر الطالبة بعد ذلك بالزواج وحتى تنتقي الرجل المناسب تصل إلى الثلاثين، وقد استهلكت مرحلة الدراسة كل طاقاتها النفسية والعقلية والجسدية ، فماذا بقي للبيت؟ هذا إذا- لم تعمل - وإن عملت بشهادتها - حتى لاتعلق في المطبخ - أخذ العمل ما أبقته لها الدراسة من القوة ولايخفى على المرء أن الإناث أسرع نضجاً من البنين وأسرع في الشيخوخة ، لذا كان السير على هذا المنوال في الدراسة للطالبات ودخولهن كلهن الجامعات من أكبر الأخطار التي تحدق بالأمة الآن والتي سوف ترى نتائجها بعد حين .

---

(١) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج٢ ، ص ٢٤٩ .

(٢) انظر د. ماجد عرسان الكيلاني ، أهداف التربية الإسلامية ، دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة ، الطبعة الثانية ، (المدينة المنورة : دار التراث، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ص ١٣٢ - ١٣٣ .

٢- توجيه وسائل الإعلام المرأة لتكون مستهلكة .

إن المجتمع المعاصر الذي تقوم علاقاته على أساس علماني بحت ، بعيداً عن عالم الآخرة والحساب ، جعل من الدنيا هدفاً وغاية ، فصار الإنسان المعاصر يعيش ليتمتع، ويعب من الدنيا ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ٠

إن المؤسسات التربوية الممثلة بوسائل الإعلام بدلاً من أن تعمل على إعداد الإنسان الصالح ، وتكمل ما تقدمه المدارس ودور العلم ، غدت هذه الوسائل خادمة لأصاحب رؤوس الاموال ، وعاملة على ترويج ما ينتجه هؤلاء وما يزيد في أرباحهم وما يدر عليهم الأموال ٠

إن نظرة واحدة إلى وسائل الإعلام المعاصرة تعطيك الخبر اليقين: أيها الناس كلوا اشربوا تمتعوا خذوا من الدنيا كما يحلولكم واستهلكوا من المنتجات كل ما في وسعكم ٠

لقد أغفلت هذه الوسائل الحياة الآخرة والمصير الذي سيؤول إليه كل إنسان، حين ألهت الناس بمشاكل الدنيا وقضاياها ومتعها وزينتها في جميع ما تقدمه هذه الوسائل بمختلف أنواعها سواء في ذلك ٠٠ التلفاز والإذاعة والكتاب والصحيفة والمجلة ودور الأزياء وبيوت الزينة ٠

فالحياة هي : المنزل والسيارة والزوجة ومتع الأكل والشرب واللباس والزينة فإذا ما حصل الإنسان على هذه المطالب فقد انتهت عنده الغايات فليعب منها ما استطاع٠

وقد تنبه مفكرو الغرب إلى هذا الداء الذي تدعو إليه التربية الحديثة ومن ذلك ما انتقده - البروفسور رينيه دوبو - على الأقطار النامية تقليدها للمجتمعات الغربية الصناعية إذ يقول ٠٠ «وجميع المجتمعات التي تتأثر بحضارة الغرب تلتزم في الوقت

الحاضر(توراة التنمية) وتترنح في دائرة تشبه - حلقات الدراويش - ونشيد هذه الدائرة:

أنتجوا أكثر !

لكي تستهلكوا أكثر !

ثم لكي تنتجوا أكثر !

والإنسان لا يحتاج أن يكون عالم اجتماع لكي يدرك أن هذه فلسفة مختلة مجنونة ، وأن تسارع التنمية لايمكن أن يستمر طويلاً فضلاً عن الاستمرار الدائم»(١) ٠

والمرأة التي فطرت على حب الزينة والحلي هي المنفذ الأكبر والوسيلة العظمى الناجعة في الاستيلاء على أموال الأمميين ، (الذين وجدوا في الأرض ليكونوا حميراً لشعب الله المختار ، كما يعتقد اليهود) ٠

يقول الأستاذ محمد قطب ٠٠

«الأمميون هم الذين استحمروا أنفسهم «لشعب الله المختار» وذلك بتخليهم عن الوقاية الطبيعية التي تحميهم من كيد الشيطان»(٢)، قال الله عزوجل ..

﴿إنه ليس له سلطٰن على الذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون* إنما سلطٰنه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾(سورة النحل-آية ٩٩-١٠٠)٠

لقد غدت المرأة في العالم كله من أكبر السلع الإنتاجية لصالح اليهود، وذلك بما أمدتهم به من الأموال بالبذخ والترف والزينة التي تجاوزت حدود الفطرة والعقل لتتحول إلى انحراف وشذوذ وجنون

---

(١) د٠ ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص ١٩٣ ، نقلاً عن :
Rene Dubos . So Human an animal , P . 135

(٢) مذاهب فكرية معاصرة ، ص ١٧٣.

السينما ، التلفزيون ، بيوت الزينة والأزياء، الكرة ، الصحيفة ، المجلة ، الملاهي ، كل هذه حبال(١) أمد الناس بها اليهود وأعانوهم على أن يصيروا حميراً لهم فركبوهم ·

لقد ابتعدت البشرية اليوم عن معنى الوجود والغاية التي خلق لها الكون ، لقد ضلوا السبيل ، فضاعوا وتاهوا وجنوا واضطربوا ·

إن الإنسان حين يجعل من الغاية هدفاً تتحول حياته إلى مايشبه الموت ، لأن في داخله صوتاً فطرياً روحياً يدعوه إلى المثل الأعلى، إلى الرفرفة في عالم العبودية لله سبحانه وتعالى ·

وهو حين يبتعد عن معاني العبادة ، وحين يفصل في حياته بين الدين والدنيا فيجعل للدين أوقاتاً يمارس فيها ثم يلتفت إلى الدنيا بعيداً عن الدين يقع في الحيرة والقلق ثم الهلاك ، ويعرض نفسه للخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى الممارسات اليومية التي يعيشها الأفراد أو المجتمع في الجاهلية ، حين ينحون الدين عن الدنيا قال الله عز وجل ··

﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركآئنا فما كان لشركآئهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون · وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم وما يفترون﴾(سورة الأنعام - آية ١٣٦-١٣٧) ·

لقد زين الشركاء من شياطين الإنس والجن للناس التصرف بالأموال على هواهم وكذلك زينوا لهم قتل الأولاد بوأد البنات أو نذر الأبناء للآلهة ·

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٧٢

وهل ثمة قتل للأولاد بنين وبنات اليوم أكبر من تربية وسائل الإعلام ؟! ، وهل يوجد أداة للقتل ألطف وأحسن من هذه الخناجر المهذبة ، يقول الأستاذ سيد قطب في معنى هذه الآية الكريمة ...

«وظاهر أن هذا وذاك كان يوحي به عرف الجاهلية ، العرف الذي وضعه الناس للناس . والشركاء المذكورون هم شياطين الإنس والجن .. من الكهنة والسدنة والرؤساء من الإنس ، ومن القرناء الموسوسين من الجن ، بالتعاون والموالاة فيما بينهم!

والنص يصرح بالهدف من وراء التزيين :

﴿ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم﴾

ليهلكوهم وليجعلوا دينهم عليهم متلبساً غامضاً لايقفون منه على تصور واضح .. فأما الهلاك فيتمثل ابتداء في قتلهم لأولادهم ، ويتمثل أخيراً في فساد الحياة الاجتماعية بجملتها ، وصيرورة الناس ماشية ضالة يوجهها رعاتها المفسدون حيثما شاؤوا وفق أهوائهم ومصالحهم ! حتى ليتحكمون في أنفسهم وأولادهم وأموالهم بالقتل والهلاك» .

«هذه التصورات المبهمة الغامضة ، وهذا العرف الاجتماعي الذي ينبثق منها ، ويضغط على جمهرة الناس بثقله الساحق .. لاينحصر في تلك التصورات التي عرفتها الجاهلية القديمة . فنحن نشهده اليوم بصورة أوضح في الجاهليات الحديثة .

هذه العادات والتقاليد تكلف الناس العنت الشديد في حياتهم، ثم لايجدون لأنفسهم منها مفراً .. هذه الأزياء والمراسم التي تفرض نفسها على الناس فرضاً ، وتكلفهم أحياناً مالايطيقون من النفقة ، وتأكل حياتهم واهتماماتهم ، ثم تفسد أخلاقهم وحياتهم ، ومع ذلك لايملكون إلا الخضوع لها .. »

« أزياء الصباح ، وأزياء بعد الظهر ، وأزياء المساء ·· الأزياء القصيرة ، والأزياء الضيقة ، والأزياء المضحكة ! وأنواع الزينة والتجمل والتصفيف ·· إلى آخر هذا الاسترقاق المذل ·· من الذي يصنعه ومن الذي يقف وراءه ؟ تقف وراءه بيوت الأزياء ، وتقف وراءه شركات الإنتاج ! ويقف وراءه المرابون في بيوت المال والبنوك من الذين يعطون أموالهم للصناعات ليأخذوا هم حصيلة كدها ! ويقف وراءه اليهود الذين يعملون لتدمير البشرية كلها ليحكموها ! ولكنهم لايقفون بالسلاح الظاهر والجند المكشوف إنما يقفون بالتصورات والقيم التي ينشئونها ، ويؤصلونها بنظريات وثقافات ؛ ويطلقونها تضغط على الناس في صورة (عرف اجتماعي) »

«فهم يعلمون أن النظريات وحدها لاتكفي مالم تتمثل في أنظمة حكم ، وأوضاع مجتمع ، وفي عرف اجتماعي غامض لايناقشه الناس ، لأنه ملتبس عليهم متشابكة جذوره وفروعه !

وإننا لنبخس القرآن قدره ، إذا نحن قرأناه وفهمناه على أنه حديث عن جاهليات كانت ! إنما هو حديث عن شتى الجاهليات في كل أعصار الحياة ، ومواجهة للواقع المنحرف دائماً ورده إلى صراط الله المستقيم» ·

«ومع ضخامة الكيد ، وثقل الواقع ، فإن السياق القرآني يهون أمر الجاهلية، ويكشف عن الحقيقة الكبرى التي قد يخدع عنها هذا الجانب الظاهر ·· إن هؤلاء الشياطين وأولياءهم لفي قبضة الله وسلطانه ، وهم لايفعلون ما يفعلونه بقدرة ذاتية فيهم ، ولكن بترك الحبل ممدوداً لهم قليلاً ؛ بمشيئة الله وقدره ، تحقيقاً لحكمة الله في ابتلاء عباده ، ولو شاء ألا يفعلوه ما فعلوه ، ولكنه سبحانه شاء للابتلاء»(١)

---

(١) مقتطفات من في ظلال القرآن ، ج٣ ، ص ١٢١٨ - ١٢١٩ ·

«ولو شاء الله مافعلوه ، فذرهم وما يفترون» ·

وقد تنبه الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - إلى واقع الأمة في الاستهلاك ، وما يجره ذلك من الضعف والخسران على الأمة فقال ··

«وقد رأيت أمتنا تنظر إلى السلع البراقة التي تقدمها المدنية الحديثة بطفولة مضحكة ، وتتنافس في اقتنائها مهما غلا ثمنها ·

إن الاستعمار يعرف عجزنا عن (الامتناع) فيستغل هذا الضعف كي يملي إرادته ويثبت غناه وفقرنا أو تقدمه وتخلفنا ، ولو أننا على قدر من الاستعفاف والاستعلاء على رغبات النفوس لكان لنا معه شأن آخر ، ولعلمناه كيف يحترمنا»(١)

والعامل الأكبر في هذا الحال الذي عليه العالم الإسلامي، هو الإسراف والترف الذي يعيشه الناس ولاسيما النساء ، فحبهن للزينة واللباس والذهب فاق التصور ، وكل ذلك يستورد ويصدر إلينا ولا نصنعه ، في حين أن النساء في بلد الإنتاج لايستعملن هذه الاشياء، بل الأدهى من ذلك أن يكتب على المنتوجات صنع خصيصاً لدولة كذا ··

يقول الشيخ الغزالي ··

«ولقد لفت نظري أن النساء في الشرق العربي يتحلين بالجنيه الذهبي «جورج» وأن النساء في المغرب العربي يتحلين بالجنية الذهبي «لويس» والغريب أن النساء في إنكلترة وفرنسا لايتحلين بهذه القطع الذهبية ، إنها تصنع لنا وحدنا ·····

يجب أن تتكاتف الجهود للعودة بالعرب والمسلمين إلى اقتصاد حرب يفرض عليهم الاكتفاء الذاتي فقد تداعت عليهم الأمم وإن لم يتماسكوا هلكوا»(٢).

---

(١) الحق المر ، ص ٨٠ - ٨١ ·

(١) الحق المر ، ص ٣٧ ·

إن وسائل الإعلام من صحافة وسينما وتلفزيون ومعارض وكل ما يتعلق بها تقوم على إعداد الفرد ليكون مستهلكاً. يقول الدكتور ماجد الكيلاني عن التربية الحديثة التي توجهها وسائل الإعلام : .

«وإذا كانت الإعلانات التجارية تمارس التربية الاستهلاكية بصورة مباشرة فإن تنمية الاتجاهات الاستهلاكية تجري بأساليب غير مباشرة في السينما والتلفزيون والتركيز على قصص الحب ومسلسلات الغرام ومايتفرع عنها وخلالها من المناظر والمواقف ليس هدفاً في ذاته ، وإنما هو وسيلة لعرض ما يتخلل هذه المواقف والمناظر من مظاهر الحفلات واللباس والزينة والهدايا والسيارات والتنزه والرحلات وكل ما يتطلبه التسويق التجاري ورفع شهية «الاستهلاك» وتوجيه المشاهدين إلى ذلك كله»(١).

والملاحظ في الواقع التطابق الكبير بين مايعرضه التلفزيون والمجلة وبين ما يعرض في الأسواق ، ويتداوله الناس ويستعملونه من لباس وأثاث وغيره ، خاصة عند الشباب ولاسيما الفتيات ·

وقد ألقت الكاتبة نازك الملائكة محاضرة في جامعة البصرة انتقدت فيها الأوضاع الاجتماعية التي تعيش المرأة (العربية) تحت نيرها ، فتستعبدها وتذلها وتحولها الى دمية لاحياة لها ولا روح ولا إنسانية ، وفي محاضرتها هذه تخاطب الفطر السوية والعقول السليمة والكرامة الإنسانية من منطلق قومي لكنها مع ذلك تلتقي مع الإسلام في ما يريده من المرأة في السير على مكارم الأخلاق ·

ومما قالته الكاتبة في هذه المحاضرة عن مجلات الأزياء ولباس المرأة وزينتها: «وهذه المجلات (مجلات الأزياء) تعامل المرأة الحديثة معاملة جواري ألف ليلة وليلة، فتكتب لهن أمثال هذه العناوين المهينة : «سيدتي : ماذا تلبسين في رحلة بحرية»؟ أو «فساتين للصباح» أو«تسريحات للشعر بعد الظهر»أو «بأي ملابس

(١) أهداف التربية الإسلامية ، ص ١٣٤ ·

تظهرين في حفلة العشاء ؟ » فما تلبسه المرأة في الصباح يختلف عما تلبسه في المساء ، وما يلبس في حفلات الرياضة يختلف عما يلبس بعد الظهر ، وثياب المنزل تختلف عن ثياب الخروج (وإن كانت الزينة كلها ينبغي أن تكون في المنزل للزوج) ..... وعلى المرأة المتوسطة أن يكون لها ملابس لكل هذه المناسبات ، وأن يكون لها أكثر من واحد لتستطيع التغيير والتبديل ، ولكل ثوب عقد خاص به وأقراط ، وأحمر شفاه ينسجم معه وحذاء وحقيبة ، واختصاراً للموضوع تجد المرأة أنها إذا أرادت أن تكون أنيقة كما تدعوها المجلات والإذاعات ، فسوف تجد أن الحياة كلها لاتكفي للأناقة»

«إن الأناقة النموذجية التي تدعو إليها مجلات المرأة تقتضي من الوقت مالاتتسع له الحياة ، فلقد تربصت المجلات عدة أشهر ذات مرة ، وأحصيت مجموعة الأشياء التي تحتاج إليها المرأة لإنجاز الأناقة المثلى ، فوجدت الحياة كلها لاتكفي»

«وكل هذا يأكل وقت المرأة وعقلها ، ولايبقى منها جانباً للشعور الإنساني ؛ وإنما يحولها إلى دمية أنيقة لا روح لها ؛ حركاتها آلية وبسماتها مصطنعة إن الوقت الثمين الذي يضيع عند الخياطة كان يمكن أن ينفق، في إسباغ الحب على أب شيخ مريض؛ أو زوج مرهق ؛ أو طفل يحتاج إلى التوجيه»

«وإني لأتساءل ..... كم من ملايين الدنانير تنفق نساء العالم العربي كل عام في شراء الثياب والأحذية والعطور والمساحيق ؟

أحسبنا لو قدرنا ذلك بأربع مئة مليون دينار لما بالغنا ، فلو أنزلت كل امرأة نفقات أناقتها إلى الربع لاستطعنا شراء طائرات تكفي لدحر عدونا الأكبر إسرائيل ، وإني لأندهش أشد الدهشة كيف لاتفكر مجلات الأزياء عندنا بهذا ! إننا نستورد مستلزمات الأناقة

جميعاً من الغرب تقريباً ، فمن أقمشة إلى جلود للأحذية ، إلى عطور ومساحيق، إلى عقود وأشرطة ، وكل ذلك يكلف الدولة العربية (الإسلامية) الملايين الكثيرة كل عام» ٠

«والذي يحدث لنا في هذا السبيل يلفت نظر أي ذهن متأمل لو أراد أن يتدبر، تقضي المرأة أشهراً طويلة تعد ملابسها وملحقاتها حتى إذا أكملت استعدادها تغير النمط فجأة ، فإذا الملابس القصيرة تتحول إلى طويلة في الموسم الجديد ، وبذلك تضطر النساء إلى التخلص من ثيابهن جميعاً ولا يتغير الطول وحده عادة ، وإنما يغيرون أسلوب الخياطة وشكل الخصر»

«وهل نحتاج أن ندرس نتائج هذا ؟ إن معامل الأقمشة في الغرب المستعمر تضحك منا ؛ وتستعملنا نحن النساء في ضرب الاقتصاد القومي في العالم العربي (الإسلامي) ومعامل الأقمشة لا أخلاق لها ، وآلاتها الرهيبة بلاقيم ولا إنسانية ، إنها تريد أن تبيع وتبيع ، وليس يهمها في سبيل ذلك أن تقتل روح الإنسان وتذل كرامته، وهذه المعامل الشريرة الجشعة هي التي تغير الأنماط كل عام ، فتصنع دفاتر للنماذج جديدة ، وهو ما يسمى بالموديلات التي تغمر أسواقنا مثل مجلة (بردة) اليهودية وسواها ، وهذه المجلات تفتك بروح المرأة فتكاً ذريعاً ، وتؤدي بنا إلى الخراب الاقتصادي الأكيد ٠

وقد دأبت المعامل على استعمال كل وسائل الإعلام في بث الدعاوة لما تنتج» ٠

«إن أغلب معامل الأقمشة ومصانع العطورات والمساحيق إنما يملكها اليهود في الغرب ، واليهود كما ثبت في هذا العصر يسعون إلى أن يسيطروا على العالم ، ويحكموه بعد القضاء على الحكومات العالمية جميعاً ، وأسلوبهم في السيطرة ذو شقين، أولهما الاستيلاء على المال في كل بلد ينزلونه ، وهذا قد تحقق لهم ٠٠٠٠٠٠٠٠ ،

وثانيها هدم الأخلاق والمثل والقيم والمعتقدات، واليهود يعلمون حق العلم أنهم إذا هدموا الأخلاق تهدمت الشعوب» ·

« ومن هنا نصل إلى النقطة الجوهرية في بحثنا ، فقد عمل اليهود على السيطرة على معامل الملابس ، والمساحيق والعطور وسواها من مستلزمات (المودة) وهم بذلك يتوصلون إلى تحقيق الغرضين : فيسيطرون على المال ، ويفسدون الأخلاق ·

إنهم يعملون على بيع أكبر مقدار ممكن من الملابس ومنتجات الأزياء إلى نساء العالم ····· ، وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق القومية (الإسلامية) للشعوب ، فيشيعون التفسخ وينشرون الشهوات ، وإنما الملابس القصيرة ابتكار يهودي ، فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة ، ليزول الحياء وتنتشر الرذيلة ، ويشيع الاختلاط ····· وتضيع طهارة الفتاة وتنهدم الأسرة ، وتنتشر الأمراض الجنسية ، ويبتلى الأطفال الأبرياء ، وينشأ جيل ضائع مريض كل هذا يصنعه اليهود ونحن غافلون . والمرأة العربية (المسلمة) تسعى إلى حتفها وحتف أمتها ، فهل آن لها أن تعرف هذا وتفيق من أحلامها ؟»(١) .

قالت الكاتبة هذا الكلام منذ ربع قرن(٢) ، ولازلنا نسير نحو الهاوية ، فكم زادت النفقات وكم تضاعف الاستهلاك ، وكم تنوعت الموديلات وكم ياترى بلغ ما ينفق على أناقة المرأة من مجموع الدخل العام للأمة ؟! ·

وقد تحققت نبوءة الرسول ﷺ في ظهور النساء المترفات المعرضات عن أمر الله سبحانه وتعالى فقد قال ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات · رؤوسهن كأسنمة

---

(١) مقتطفات من مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية ، تحقيق محمد عيد العباسي ، الطبعة الثالثة ، (الدمام : دار ابن القيم ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ، ص ٢٥-٥١ ·

(٢) ألقيت المحاضرة في الموسم الثقافي الرابع لجامعة البصرة لعام ١٩٦٨م ·

البخت* المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا(١)» ٠

قال الإمام النووي في معنى الحديث الشريف ٠٠

«هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان ، وفيه ذم هذين الصنفين وقيل معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها،أو أنهن يسترن بعض أبدانهن ويكشفن بعضها، أو يلبسن ثياباً رقيقة تصف لون البدن ، ومائلات عن طاعة الله سبحانه وما يلزمهن حفظه ، مميلات أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم ويمشين متبخترات مميلات لأكتافهن ويمشطن مشطة البغايا مكبرات رؤوسهن كالأسنمة(٢) ٠

إن هذا الوصف ينطبق تماماً على نساء اليوم المتبرجات المتفرنجات اللاتي يلهثن عمياوات وراء صيحات دور الأزياء والزينة، بلاوعي ولابصيرة ، ثم يكن القدوة في هذا البلاء لغيرهن من النساء، ثم ينتشر وباؤهن باستمالة الرجال إليهن ، واتباع الأجيال والذراري لهن ٠

ويتساءل الأستاذ المودودي رحمه الله عن حال الأجيال التي تقع في قبضة هؤلاء الأمهات فيقول مخاطباً رجال المسلمين ٠٠

«فماذا يكون إذا افتقدت نساؤكم أيضاً الغيرة الإيمانية وتخطين حدود الإطاعة لله والرسول ، وماذا تكون حال الأجيال التي ستنشأ في حجور أولئك الآنسات المتفرنجات الجديدات ؟ وقل لي بالله إن الأولاد الذين سيرون أول ما يفتحون أعينهـــم

---

* البخت : جمال طوال الأعناق (ابن الأثير ، ١٠١/١ «بخت») ٠

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٣ ، كتاب اللباس والزينة ، باب النساء الكاسيات العاريات ، ص ١٦٨٠ ، ح (٢١٢٨) ٠

(٢) انظر شرح صحيح مسلم ، م٧ ، ج١٤ ، ص ١١٠ ٠

آثار الحياة الإفرنجية فيما حولهم ، ولن تقع عيونهم البريئة على مظهر من مظاهر الحضارة والتمدن الإسلامي ، ولن تقرع مسامعهم كلمات الله والرسول ولن ترتسم على ألواح ذهنهم وقلبهم الصافية إلا نقوش الطريقة الإفرنجية منذ أول يوم، هل يمكن أن يرجى منهم أن يكونوا مسلمين في عواطفهم وأفكارهم وأخلاقهم وأعمالهم أو في أي شيء آخر»(١) .

إن المفروض أصلاً في المؤسسات الإعلامية أن تكمل عملية التربية السليمة للفتاة فتعدها لرعاية أسرتها وأطفالها ، والعالم اليوم بأسره مفتقر إلى المحاضن السليمة الصحية النظيفة الطاهرة التي تعد أجيال الأمة الأبطال سواء في ذلك المؤسسات التربوية ووسائل الإعلام؛ إنه لابد من التكامل التربوي كما يقول الأستاذ يوسف العظم في «أين محاضن الجيل المسلم »

«أين التكامل التربوي الذي يعطيك الشخصية المتكاملة للمربية الفاضلة السوية، والأم الواعية الهادفة ، تعيش لربها لا للرغيف ، وتحيا لعقيدتها لا للهوى ، وتسخر قلبها الحاني وعقلها البصير في بناء ، في غير طيش ولا رعونة ولا غرور»(٢) .

إن المرأة التي تستجيب لكل ناعق ، وتعيش للدنيا ، لا للأخرة ، وتجعل هدفها الشهوات والمتع والهوى لن تفيق إلا على عذاب الله سبحانه وتعالى يوقظها إمافي الدنيا أو عند الموت قال الله عز وجل .. ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتو أخذنٰهم بغتة فإذاهم مبلسون﴾(سورة الأنعام - آية٤٤) .

---

(١) نحن والحضارة الغربية ، ص ٢١٦ .

(٢) الطبعة الخامسة ، جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، ص٢٨ .

﴿إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلنٰه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعٰم حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قدرون عليها أتٰها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلنها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الأيت لقوم يتفكرون﴾(سورة يونس - آية ٢٤)

٣- تأثر نظم التعليم ومؤسساته بثقافة الإنتاج والاستهلاك .

قال الله عز وجل : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(سورة الذاريات-آية٥٦) .

والتربية السليمة هي التي تدور حول مفهوم هذه الآية الكريمة بكل معاني العبادة وأنواعها . لأن الخلق في الآية لايقتصر معناه على الإيجاد ، وإنما يشمل معنى التكوين والتصميم ، فالإنسان أوجده الله عز وجل وكونه في تركيبه الجسمي والنفسي والعقلي للقيام بالوظائف والممارسات التي توجه إليها العبادة بمظاهرها الدينية والاجتماعية والكونية ، من خلال أطوار حياة الإنسان منذ نشأته وحياته حتى مصيره، وهذا يعني أن هناك تطابقاً بين الخلق والغاية والتربية ؛ ولذلك فالتربية القائمة على علاقة العبادة - تربية تتناسق مع طبيعة الإنسان وتكوينه .

إن غياب هذه الغاية الرئيسة الأولى والأخيرة من التربية الحديثة أدى إلى انهيار كل الجهود التي يبذلها المربون في العصر الحديث ، بل على العكس أنتجت هذه التربية الحديثة أجيالاً ضائعة قلقة منهارة ، مما يسمعه العالم كل يوم بل كل ساعة من جرائم المخدرات والاغتصاب والقتل والسرقة وحوادث العنف والشغب .... الخ(١) .

---

(١) انظر : د . ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية ، ص ١٠٦-١٠٨ .

فالتربية الحديثة قد أغفلت حاجات الإنسان الروحية التي جبل عليها بفطرته، لذا كان مصيرها الإخفاق ، فهي تربية مبتورة عن علاقة العبادة ، اقتصرت على إعداد الإنسان ليكون منتجاً مستهلكاً في مرحلة الحياة الدنيا ، دون أن تتجاوز هذا إلى عالم الغيب الذي يتغلغل في أعماق كل إنسان ، فأغفلت التربية الحديثة مرحلتي النشأة والمصير التي يؤول إليها كل إنسان(١) ، وبذلك لم تستطع أن تقدم التربية الحديثة الحل الناجح لمشاكل العالم ، فقد أخطأت الوسيلة وأخطأت الهدف ، فأنى لها النجاح ·

إن التربية الحديثة نأت بالحياة عن الدين ، وجعلت من العلم أداة لتحقيق الشهوات وكسب المال بدلاً من أن يكون سبيلاً إلى الرقي والترفع عن عالم المادة إلى المثل الأعلى ، وتربية هذه صفتها ، لايمكن أن تكون السبل التي تتبعها طاهرة نظيفة، فهي لم تجعل من الدين حارساً عليها ومهيمناً على شأنها ، لذا فقد تحولت ميادين هذه التربية المعاصرة إلى أنماط من السلوك غير الأخلاقي وغير الإنساني على الإطلاق·

إن المتأمل والناظر في أحوال المؤسسات التربوية والتوجيهية ، يلمح السمات البارزة في تطبيق هذه التربية لاسيما في المجال النسائي ·

لقد ضربت التربية الحديثة بالأعراف والتقاليد الاجتماعية عرض الحائط ، وتنكرت للدين ولتعاليمه وأحكامه · فزجت بالمرأة لتخالط الرجال في المدرسة والجامعة والمؤسسة وفي كل مكان ، حتى غدت المدارس في أكثر الدول في العالم مختلطة في جميع مستوياتها، ماعدا المؤسسات التربوية في المملكة العربية السعودية.

---

(١) انظر المرجع السابق ·

واستدعى الاختلاط ظهور النساء متبرجات سافرات ذلك أنهن لايعرفن قيم الإسلام ولا يطبقنه واقعاً في حياتهن ، إنهن مسلمات بالاسم والوراثة · والنفس البشرية مفطورة على التجاذب بين الجنسين · ومن ثم بدأت حواجز الفتنة تسقط واحداً تلو الآخر · ولاشك أن هذا لم يحدث بشكل عشوائي بل كان مخططاً له ومستهدفاً ·· يقول الأستاذ محمد قطب ··

«وكما كان من أهداف الجامعة تخريج الجيل الجديد من «الرجال المتحررين» الذين أداروا ظهورهم للإسلام وولوا وجوههم شطر الغرب - سواء من كلية الآداب أو الحقوق أو الكيات العملية - فقد كان من أهدافها كذلك تخريج الجيل الجديد من «النساء المتحررات» اللواتي انسلخن من الدين والاخلاق والتقاليد ··

فقد كانت «الفتاة الجامعية» ·· «المثقفة» ·· «المتحررة» ·· عنواناً للتغير المطلوب ، ودافعاً في الوقت ذاته إلى مزيد من «التحرر» المطلوب !»(١) .

وعندما تتخرج هذه الفتاة من الجامعة تكون قد هيئت وأعدت ليزج بها في المدارس المختلطة ، مع المدرسين أو مع الطلاب، ومما يؤسف له أن الرجال قد انقرضوا حتى تقوم المدرسات الشابات بتعليم الطلاب في المراحل الإعدادية والثانوية ، وإذا كانت المدرسة لاتسلم من تعليقات التلاميذ الذكور وهم في المرحلة الابتدائية فكيف بمن تواجه شباباً في أوج المراهقة ، لتشرح لهم مواد العلوم الطبيعية وغيرها مما يخجل الرجل نفسه أمام الطلاب من تدريسها(٢) ·

---

(١) واقعنا المعاصر ، ص ٢٨١ ·

(٢) انظر عثمان محمد عثمان ، اختلاط الجنسين في مدارسنا الطبعة الثانية (القاهرة ، دار الاعتصام) ص٢١-٣٦ ، لتسمع عن القصص المقززة عن الاختلاط · من رجل عاش في التدريس أكثر من ربع قرن ومارس التوجيه على المدارس بمراحلها الثلاث سبع سنين هو الأستاذ عثمان محمد عثمان ·

والبلية لاتكون أخف وطأة حين يعين مدرس شاب عند تخرجه من الجامعة ، لتدريس الطالبات في المراحل الإعدادية والثانوية ·

وإذا كانت المدارس الابتدائية المختلطة تطالع أصحابها بالمشاكل الأخلاقية كل يوم فما هو حال المدارس الإعدادية والثانوية. إنه الشر المحض والفتنة التي تأتي على الأخضر واليابس ·

يتحدث صاحب كتاب «اختلاط الجنسين» في مدارسنا من خلال تجربته في التدريس والتوجيه عن مشاكل هذه المدارس ومصائبها· من ذلك أن المدارس الابتدائية المشتركة قلما توجد فيها دورتين للمياه منفصلتين فالشائع والكثيرهو دورات المياة المشتركة .

فالمدرسة التي يبلغ تعدادها ١٣٠٠ تلميذ وتلميذة ، يوجد فيها ثماني دورات مياه لقضاء الحاجة أربع عن يمينك وأربع عن يسارك في مواجهة البعض ، والأبواب لايحكم إغلاقها ، وبعض الأبواب يحتاج الى ترميم وستر(١) .

إن مشاكل الاختلاط في المدارس والجامعات يشيب لها الولدان؛ ومع ذلك لازالت المؤسسات التربوية-مدارس، معاهد، جامعات - مختلطة(٢) ماعدا بعض الدول مثل السعودية واليمن وإيران.

أما الدول الغربية فقد عادت لتقلل من المدارس المختلطة بل والكليات في مجتمعها ، ففصلت مؤسسات التربية بين البنين والبنات ، ففي الموسوعة الجغرافية لعام ١٩٧٧م عن الجامعات والكليات الأمريكية غير المختلطة ذكر أنه في أمريكا ١٠٨ كلية جامعة وكلية أمريكية غير مختلطة منها ٧٩ جامعة وكلية للبنات فقط ، ٢٧ كلية وجامعة للشبان فقط(٣) ، وتنطلق في الغـــرب

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٨ - ١٩ ·

(٢) انظر : محمد بن عبد العزيز السديس ، أثر العلمانية في التربية والتعليم في العالم الإسلامي، بحث مكمل لمتطلبات الماجستير في التربية ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠١هـ ص٤٧٢ - ٤٩١ ،فقد أتى المؤلف بإحصائيات عن ذلك .

(٣) انظر : محمد منير الغضبان ، حكم تعليم النساء ، ص ١٨ ·

صيحات المربين والأهالي بالعودة إلى المدارس المنفصلة ، وترك نظام الاختلاط في المدارس والجامعات ، لقد خاضوا التجربة وعرفوا مدى فشلها والهلاك الذي جره هذا النظام ، والواقع الغربي شاهد على ذلك بما يغني عن ذكره ·

ومع هذا ومما يؤسف له أن يوجد في المملكة العربية السعودية من يشير لى نظام الاختلاط في هذه المراحل الابتدائية السنوات الثلاث الأولى ، وذلك بحيث تقوم بتدريس الذكور في هذه المرحلة خريجات الجامعة لشغل جميع الكوادر الفنية من الجامعيات ، والأغرب من هذا أن يصدر مثل هذا البحث ويقر في جامعة أم القرى كرسالة ماجستير في الدراسة والتخطيط ، حيث طالبت الباحثة بفسح المجال للمرأة في «وظائف التعليم الابتدائي للبنين على الأقل في الثلاث سنوات الأولى من التعليم الابتدائي»(١) .

وكل من نوه إلى الاختلاط في المرحلة الابتدائية الأولى فقد أخطأ سبيل الرشاد ، لأن الطفل ينشأ على ماربي عليه ، فهو حين يرى المدرسة في مدة ثلاث سنوات هي أهم مراحل حياته من السادسة إلى العاشرة ، لن يستطيع في مستقبل حياته أن يتخلص من مخالطة النساء ومحادثتهن فقد انهدمت الحواجز الفطرية في نفسه ، ويصعب بناؤها بعد هذه المرحلة من العمر فابن العشر سنين قد غدا رجلاً ، وقد ذكر الأستاذ منير الغضبان مساوئ هذا الاختلاط في المراحل المبكرة من عمر الطفل · فقال فضيلته : « من المعهود تربوياً أن الولد يهاب أباه أكثر من هيبته أمه ؟!

---

(١) فوزية محمد الجلال ، دور الجامعات في إعداد القوى البشرية العاملة في المملكة العربية السعودية ، دراسة تكميلية لنيل درجة الماجستير في الإدارة والتخطيط ، قسم التربية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٤٨ ·

وهذا يعني أن الرجل أقدر على تهيئة التلميذ لمسؤوليات المجتمع وهمومه ومشاكله ، والمرأة أقدر على تربية فتاتها على رسالتها في البيت والتفرغ له»(١) ومهما يكن من أمر .. فإن الاختلاط شر كله ، لكن الشر الأكبر حين يكون في المراحل الإعدادية والثانوية ثم الجامعة (٢).

لقد بدأت القضية بالاختلاط البريء وانتهى الأمر بها إلى الإباحية الجنسية الكاملة ، لأنها نتيجة حتمية له . إن هذا الاختلاط البريء أسطورة الغرب التي طلع بها وحين أثبتت فشلها ، راح الغرب يستنكرها ويحذر منها بعد أن تكشفت عن نتيجتها الطبيعية المحتومة(٣) .

إن كل خطوة نحو الاختلاط هي من خطوات الشيطان التي نهى الله عز وجل عن اتباعها :﴿يأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطن ومن يتبع خطوات الشيطن فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾(سورة النور-آية٢١).

إن الآية الكريمة توحي بضعف الإنسان وسهولة تعرضه للابتلاء والفتنة حين يسير على غير هدى الله عزوجل فيتبع الأنظمة والقوانين التي يضعها إبليس وأعوانه من الجن والإنس .

إن كل بداية في النظم التربوية ليست على النهج الإسلامي الصحيح هي سبيل شيطانية ودعوة إلى إشاعة الفاحشة في المجتمع ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾(سورة النور-آية ١٩).

---

(١) حكم تعليم النساء ، ص ١٧ .

(٢) لمزيد من المعلومات عن الاختلاط ومساوئه انظر ما كتبه الأستاذ محمد قطب في مذاهب فكرية معاصرة ص ١٣٨-١٤٧.

(٣) انظر : محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام ، ص ٢٠٧ .

وقال الله عزوجل﴿ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾(سورة الإسراء-آية٣٢) ٠

وإن أي سبيل إلى اختلاط الرجال بالنساء هو اقتراب من الزنى الذي ينهى الله عز وجل عنه ، والقرب من الزنى لايمكن التعبير عنه بالكلمات، بل هو متروك ليقظة الضمائر وشفافية الإيمان في النفوس ٠

ولكن تبقى مهمة المربين وأولي الأمر أن يسدوا كل أبواب الفاحشة وأن يعملوا على تحصين النفوس ووقايتها من وقوع المفاسد والمنكرات والمعاصي ٠٠

إنه مما يروى عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نفى من الرجال من سمع النساء يذكرنه، فقد دعا رضي الله عنه رجلاً يقال له أبو ذئب، حين بلغه أنه يقال عنه إنه أحسن أهل المدينة، فلما رآه رضي الله عنه قال: أنت لعمري فنفاه إلى البصرة التي نفى إليها قبله نصر بن حجاج حين سمع رضي الله عنه إحدى النساء تذكره(١)

إن مهمة القائد في الدولة وولي الأمر أن يغلق منافذ الفتنة والفساد التي ينفذ الشيطان منها لغواية الناس في الفاحشة والمنكر.

وإن تلك التعاليم هي نظام يجب أن يحكم المجتمع المثالي الفاضل ، فكيف إذا كانت التربية قد فصلت بين العلم والحياة ، وجعلت من العلم خادماً للصناعة والتجارة ورؤوس الأموال ، حيث يدوس المتعلم كل المعاني الفاضلة ويعيش حياته بلا ضوابط ولاقيم ، وفق الشهوات والدوافع والهوى، ومن كانت هذه وجهته في الحياة ، فقد ضل ، وأوقع من حوله في الضلالة والغواية والفساد ، فالتربيـة

---

(١) انظر : ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١٠٢-١٠٣ ؛ ابن حجر، فتح الباري ، ج١٠ ، ص ١٥٩-١٦٠

المعاصرة بمؤسساتها جعلت من العلم وسيلة إلى الوظيفة والعمل والمنصب بالحصول على الشهادة التي تؤهل المتخرج لينتظم في سلك العمال الخادمين للمادة ، بعيداً عن عالم المثل الإنسانية والقيم الفاضلة.

ذلك أن التربية الحديثة التي انتشرت في أرجاء الأرض بانتشار الحضارة الغربية قد حصرت مفهوم العمل الصالح في الإنتاج المادي ، ولم يقتصر هذا على الذكور من البشر بل طولبت به النساء، حتى غدا تعليم المرأة ما هو إلا وسيلة للحصول على الشهادة ومن ثم الانضمام إلى سلك العمالة خارج بيتها لتساهم في الإنتاج المادي بدل الإنتاج الإنساني .

إن المناهج المدرسيه الخفية في التربية الحديثة تعد المتعلم ليكون عاملاً وذلك من خلال التأكيد على الواجبات المدرسية والدوام والنظام وجو المنافسة الذي يسود بين المتعلمين ، فينعدم بذلك الجانب الإنساني في التربية ، لتعيش المرأة بعده موزعة بين البيت والعمل وما تعلمته من اتجاهات وأنماط سلوك بعيدة عن روح الدين الإنساني.

فهي قد تعلمت القراءة والكتابة والحساب وحسن الحديث والعلوم ، على حساب الدراسات المتعلقة بإنسانية الإنسان ورفعته وأخلاقه مع الإهمال للدراسات الدينية إهمالاً يكاد يكون تاماً(١).

لقد قضت التربية الحديثة على الجانب الإنساني الأخلاقي في

---

(١) انظر د . ماجد عرسان الكيلاني ، أهداف التربية الإسلامية ، ص١٣٤نقلاً عن :
John Jarolimek, the School in Contemporary Society , (New York Macmillan Publishing Co . Inc , 1981) PP . 127 .129 .

شخصية المتعلم المعاصر · ذلك حين فصلت هذه التربية بين العلم الطبيعي ، وبين الثقافات الإنسانية والتعاليم الدينية ، لتجعل العلوم الإنسانية والتعاليم الدينية تنحصر في زاوية محايدة عن العلوم الطبيعية · مما أدى إلى اضطرابات اجتماعية حولت المجتمعات إلى الطبقية وعهد الرق(١) ·

لقد غداهم المتعلم المعاصر وخاصة المرأة المحافظة على الجسد البشري ، ذلك أن المثل الأعلى في التربية المعاصرة هو إشباع رغبات الفرد وإشباع شهواته تلك الشهوات التي لاتقف عند حد ولا يضبطها ضابط إن لم تحكم من قبل القيم المثالية الفاضلة، ذلك أن الدوافع خلقت هكذا لاتشبع بالغذاء الزائد عن الحد عندما تنفلت من حيزها الطبيعي المعقول ، وهذا ما حدث في التربية الحديثة التي زادت الإنتاج ثم رفعت من شهوة الاستهلاك حتى غدا الحال شذوذاً وانحرافاً في كل ميادين الحياة وأوجه النشاطات(٢) .

وهكذا اتجه العلم ليتمركز حول رغبات المتعلمين وتحقيق ما فيه مصلحة الفرد، غذاء وحاجات مادية ، دون أن يعير أدنى اهتمام للعقيدة والقيم الإنسانية الراقية فانطلق العلماء لتسخير العلوم الكونية والاجتماعية التي لم تجن البشرية منها إلا الشقاء والدمار والانحلال والأمراض ·

وقد تنبه علماء الاجتماع والتربية وعلم النفس بعد رحلة شاقة عبر النفس الإنسانية والاجتماع البشري إلى ضرورة الدين وأهميته في الحياة كمصدر للقيم الإنسانية؛ وإن ما توصلوا إليه من معايير وقيم ومثل أخلاقية وأخذوا يطالبون بتطبيقها، تتوافق مع

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٣٥-١٣٦ ·

(٢) انظر : محمد قطب ، دراسات في النفس الإنسانية ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ·

تعاليم الدين الإسلامي(١) وفي هذا أكبر الدلالة على حاجة الفلسفة التربوية المعاصرة إلى سيطرة الإسلام وهيمنته عليها ٠

ومما قالوه في ذلك ٠٠ إن القيم ينبغي أن تكون الغايات النهائية والعليا للتربية ، كما أنها هي الغايات النهائية للعلاج النفسي ، ولرعاية الطفل ، وللزواج ، وللأسرة ، وللعمل ، وربما لجميع المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، ويجب أن يرفض أن تكون أهداف التربية خاضعة لعقوبة السقوط في الخطر الكبير الذي يعرف التربية أنها مجرد التدريب التكنولوجي دون علاقة بالحياة الفاضلة والأخلاق وماله علاقة بذلك ، إن أية فلسفة تربوية تسمح بأن تصبح الحقائق محايدة أخلاقياً ومنفصلة كلياً عن القيم تبيح من الناحية النظرية للطبيب النازي أن يقوم بتجاربه على بني البشر ٠

تحتاج التربية إلى جهد يستهدف إخراج الإنسان الفاضل وتنمية الحياة الفاضلة والمجتمع الفاضل ، وإن التربية التي تتجاهل الفكر المتعلق بعالم ماوراء المادة هي تربية لاتحتوي على شيء ذي بال تقوله عن معنى الحياة الإنسانية(٢) ٠

ذلك أن التربية الحديثة قد تمخضت عن أخطارها المهلكة بما أحدثته من قلق روحي عند الإنسان المعاصر ، حين توجه للبحث في ميدان الكون المادي ، الذي حاصر الناشئة من المتعلمين لينعكس ذلك إلى انحلال وانهيارات أخلاقية وانحرافات اجتماعية(٣) ٠

ولو تركت التربية العالمية المعاصرة جانباً ، لتفرز عنها التربية في البلاد الإسلامية ، لوجد أن الوضع ليس أفضل بكثير من تلـك

---

(١) انظر : د ٠ ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية ، ص ٣٠١ ٠

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ ، نقلاً عن :

Araham Maslow Religions , Values and Peak - Experience . New york : Penguin Books . 1978) PP . 5758 .

(٣) انظر المرجع السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٧ ٠

التربية الغربية ، ذلك أن التربية الإسلامية ، ليست تلك التربية الأصيلة من الكتاب والسنة ، بل هي خليط من الغرب والشرق والدين معاً ، فغدت تعاني هذه المؤسسات الإسلامية من عدم إخراج الإنسان الصالح ، ذلك أنها وقفت عند اجتهاد المفكرين والعلماء في العصور الأولى من التاريخ الإسلامي وعند النظريات التربوية التي لم يعد بإمكان المسلم المعاصر تطبيقها في مجتمع غدت تربيته كلها على نمط يختلف تماماً عما عاشه السلف الصالح رحمهم الله، مما جعل الكثير من الناس يرتد إلى طور القيم القبلية والأعراف العصبية ليعيش الجاهلية الثانية متمسكاً من الدين بالشعائر والعبادات التي تصنفه في سلم المسلمين ، دون أن يعيش الدين حياة متكاملة في شخصه ومجتمعه والكون كله ·

إن التربية الإسلامية الحديثة إذا عملت على إعداد الشخصية الإسلامية والأم المسلمة في بعض جوانبها، لكنها لم تهيئ لهذه الأم وهذا الفرد المسلم المجتمع المسلم ، ولم تعد العلوم الكونية التي تسخرها لخدمة الإنسان وحياته وتقدمه ·

وإن التربية الإسلامية لم تستطع أن توجد المجتمع الإسلامي ، ولا أن تمسك بزمام العلوم الكونية ، والاجتماعية ، لتوضع تحت الناموس الإلهي لهذا الكون في العبادة والمنفعة والتسخير ·

لقد اقتصرت التربية الحديثة الإسلامية على تشكيل النساء المسلمات بالمظهر والهيئة واللباس ، دون أن تعتمد هذه المظاهر على أصول وأسس ومعادلات تربوية إسلامية أصيلة في السلوك والممارسة والتطبيق اليومي ·

فالفتاة حين تعد في التربية المعاصرة ، تعد نظرياً لهذه القيم دون أن تستطيع أن تطبقها في الحياة. ذلك أن المجتمع الإسلامي القائم يحول بينها وبين تطبيق المثل الإسلامية التي تعلمتها وحفظتها، ثم لتكون نتيجة ذلك كله الانفجارات على هيئة من

التطرف والتزمت أو التحلل والمروق على الدين والخلق وكل القيم الإنسانية. أو ليتحول ذلك إلى مظهر من العجز وفهم خاطئ لمثل الإسلام وغاياته يتمثل في صبر العجزة والمستضعفين ، وزهد الفقر والمذلة وطاعة الخنوع الأعمى(١) ·

كل هذا جعل من صورة المرأة المسلمة المعاصرة أو الفرد المسلم المعاصر صورة مشوهة ، بما تعكسه من التخلف الاجتماعي والعلمي والتكنولوجي وبما يعيشه المسلم اليوم من فصام بين الإسلام والواقع والمجتمع ·

وهكذا فإن التربية الإسلامية المعاصرة بنوعيها التقليدية والغربية بعيدة عن أصالة الإسلام لأنها لاتستمد مثلها الأعلى من الإسلام في أصوله الأولى في القرآن الكريم والسنة الشريفة ليلائم حاجات العصر وتحدياته الراهنة ، ذلك أن مفهوم المثل الاعلى في الحياة انحسر في كلتا المدرستين في الأخلاق الفردية بعيداً عن ميادين العلاقات الاجتماعية جملة ، حتى غدت الوسائل هي الغايات بشكلها التطبيقي في المدرسة الغربية ، وغدت الغايات مثالية في المدرسة الإسلامية التقليدية بعيداً عن دنيا الواقع والتطبيق لأنها تفتقر إلى الوسائل ·

إن المرأة المسلمة غدت شخصية بوهيمية* أو شخصية مقبولة وهي تعاني في الصورتين من العجز والضعف وفقدان الهوية الإسلامية الأصيلة ، ولا غرابة في ذلك فهو نتيجة حتمية وطبيعية للخليط غير المتجانس من أنماط التربية المتمثلة في المدرسة (الخليطة الأهداف)، والإعلام العلماني البحت .

---

(١) انظر : د ماجد عرسان الكيلاني ، أهداف التربية الإسلامية ، ص ١٤٥-١٥٠.

(*) بوهيميا مقاطعة في تشيكوسلوفاكيا عاصمتها براغ، تفصلها عن بافاريا غابة بوهيميا بها منتجعات كثيرة، أغلب سكانها من التشيك، كان بها بعض الغجر وإليهم ينسب السلوك البوهيمي. ويقال إن هؤلاء الغجر أصلهم من المسلمين الذين اضطهدوا ومنعوا من التعليم ومن معرفة دينهم ففشا فيهم الجهل (الدكتور محمد علي البار).

هذا المثل الأعلى من خلال الوسيلة السليمة الصالحة ، ولن يشعر والداء الأكبر في كلتيهما الفصام الحاصل بين الوسائل والغايات في أهداف التربية · ذلك أن الإنسان بفطرته ينزع إلى مثل أعلى يحيا له ، ولن تستقيم حياته إلا في التوجه الصحيح لتحقيق السعادة إلا إذا تكاملت في وجوده الغايات والوسائل(١) التي تراعي طبيعة الإنسان الفطرية ، ومراحل تطوره الجسدي والنفسي والعقلي ، والمشاهد اليوم لكل ذي بصيرة ، أن التربية المعاصرة تحول بين المتعلم وبين تحقيق مثله العليا ، من خلال النظام التعليمي الذي يقيد الإنسان بمقاعد الدرس مدة ما بين ٢٥-٤٠ سنة ، ليدخل عن قرب مرحلة الكهولة ولم يحقق هدفاً ·

فحين يبدأ المتعلم في مرحلة الرشد والتهيؤ للمسؤولية الاجتماعية فإن نظم التربية المعاصرة وقيمها وتطبيقاتها الاجتماعية التي تحكمها فلسفة المال والترف وتقاليد المجتمع والطبقية، التي تحكمه وتسيره ، كل ذلك يقف حائلاً وحاجزاً دون دخول الناشئين والناشئات من الطلبة عالم الكبار وحمل المسؤوليات في وقتها المناسب، وأوانها الطبيعي الفطري فيبقون في عالم الطفولة في أشكال الكبار وأجسادهم · دون إشباع لحاجاتهم الجسدية والنفسية والمادية والروحية(٢)، والجناية في ذلك كله تكون من نصيب الأنثى أكثر من الذكر ذلك لسرعة نموها وسرعة دخولها سن اليأس قبله بوقت لايستهان به ولا يجوز نسيانه أو إهماله، مما كان حاصله انهيارات في القيم والأخلاق الناتجة عن الاضطراب وعدم التوازن النفسي. التي لامخرج منها إلا سويعات يقضيها المتعلم في التنافس والتحاسد مع أقرانه، أو في مشاهدة الفنون والرياضة والمسابقات الترفيهية، لكنها حلول سطحية هي بمثابة المخدر الذي يشغل الشباب عن مشاكلهم وواقعهم الذي يحبس عندهم كل نشاط وكل طاقة وكل تفكير

(١) انظر : د· ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص ١٠٩ ·
(٢) انظر المرجع السابق ، ص ١١٠ ·

وحركة، ليعودوا ثانية إلى الانفجارات النفسية والجسدية ، أوالانغلاق والعزلة ، أو الانحراف.

إن المراهقة بمفهومها الشائع في التربية الحديثة وتصويرها على أنها فترة مشاكل حتمية في طور نمو الإنسان فتوى مضللة وخاطئة ، وهي من وضع علماء النفس العاملين والمستخدمين لسماسرة التربية الحديثة في الاجتماع والاقتصاد والعمل(١) ٠

وإن المراهقة - بمفهومها المطروح - ليست ظاهرة حتمية في تطور العمر الزمني للإنسان ، إنها مشكلة يمكن تجنبها من حياة الفرد ووقايته من مضاعفاتها المدمرة ٠ وهي من إفرازات بيئات المجتمعات الصناعية التي توجهها التربية الحديثة ومرض من أمراض هذه البيئات ٠ وبدل أن تعمل التربية على تشخيص هذه المشكلة وتحديد جذورها في الأصول التربوية التي تقوم عليها ثم معالجتها ابتداء من هذه الجذور والأصول حتى التطبيقات فإن التربية (تتضافر) مع المنتفعين من هذه المشكلة لمواجهة مضاعفاتها المحتملة(٢) بوسائل هي القتل المعنوي لهذه الناشئة بتبديد طاقاتها وبعثرة جهودها وتفكيرها وأموالها في اللهو والمتع والمرح واللعب والتسلية، بالتنافس الحيواني البعيد عن كل قيمة أو فضيلة اجتماعية ، ذلك أن هذه التربية عجزت عن إخراج الإنسان الصالح المصلح لأنها ضلت غاية الخلق: العبادة* ٠

والخلاصة ٠٠ إن فلسفات التربية الحديثة كلها لم تقدم «تصوراً واضحاً عن علاقة الإنسان بالحياة وإنما قدمت تصوراً مبعثه دوافع الإنسان وغرائزه لامنطقة التفكير فيه وخلاصة هذا التصور أن الحياة الراقية هي معرض استهلاك !! ونتيجة لهـــــذا

(١) انظر المرجع السابق ، ص ١١١ ٠
(٢) انظر المرجع السابق .
* هذا الحديث عن التربية المعاصرة ومؤسساتها ، المرجع فيه د٠ ماجد عرسان الكيلاني ، في المراجع التي ذكرها البحث ٠

النقص لم تستطع - كذلك - أن تبلور القيم اللازمة لتقييم ثمار المعرفة وتركتها لتتشكل في حدود رغبات الأفراد وحاجاتهم المادية كذلك فصارت القيم كمناديل الورق التي تستعمل لإزالة القاذورات العالقة بالأيدي والثياب ثم إلقاءها في سلة المهملات!!)(١)

إن الطالبة سرعان ما تلقي بمادرسته وتعلمته جانباً حين تدخل الحياة الاجتماعية ، لتعيش بقيم الآباء والأجداد ، وقيود المجتمع ·

يقول الكسيس كاريل ·· (يجب علينا أن نعيد إنشاء الإنسان- في تمام شخصيته- الذي أضعفته الحضارة العصرية ومقاييسها الموضوعية ، كذلك يجب أن يحدد الجنسان مرة أخرى ، فيجب أن يكون كل فرد إما ذكر أو أنثى ، فلا يظهر مطلقاً صفات الجنس الآخر العقلية وميوله الجنسية وطموحه ، وبدلاً من أن يشبه الآلة التي تنتج في مجموعات، يجب على الانسان بعكس ذلك- أن يؤكد وحدانيته . ولكي نعيد تكوين الشخصية يجب أن نحطم هيكل المدرسة ، والمصنع والمكتب ، وأن ننبذ مبادئ الحضارة والتكنولوجية نفسها ·

·····أليس من العجيب أن برامج تعليم البنات لاتشتمل بصفة عامة على أية دراسة مستفيضة للصغار والأطفال وصفاتهم الفسيولوجية والعقلية؟ ، ويجب أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية التي لاتشتمل على الحمل فقط بل أيضاً على رعاية صغارها»(٢) .

والنتيجة التي يجب الوقوف عندها ·· أن أعداء الإسلام قد أدركوا خطورة التعليم وأثره في تكوين الإنسان ، فصوبوا الهدف نحو تربية المرأة وتعليمها وصياغتها على النمط المناسب لتنفيذ ما يريدون ·

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧٦ ·
(٢) الإنسان ذلك المجهول ، ص ٣٥٣ ·

يقول الشاعر محمد إقبال رحمه الله ·

«إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كيف يشاء، وإن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيمائية ، هو الذي يستطيع أن يحول جبلاً شامخاً إلى كومة تراب ·

إن نظام التعليم الغربي إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة»(١) ·

ويقول الشاعر الإسلامي أكبر إله آبادي :

«يالبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات ، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ»(٢)·

ويعترف اليهود في البروتوكول التاسع بما فعلوه في الناشئة في الأرض كلها حين تسلموا قيادها بأن لقنوا الجيل الناشئ من الأمميين التربية والتعليم الذي يعلمون زيفه وكذب نظرياته التي جعلت الجيل فاسداً متعفناً(٣) ليتمكنوا من استحمار جميع أهل الأرض من غير اليهود ·

وحري بعلماء الأمة وقادتها ومفكريها وأولي الأمر فيها من المسلمين أن يستيقظوا للخطر الداهم الذي يكتسح وجه الأرض ليأتي على الأخضر واليابس بسبب الفتن التي دخلت كل مكان وحلت في كل حيز وكل شبر منها ···

يقول الأستاذ مصطفى السباعي - رحمه الله - ··

(إن الخطر الذي يحدق بالحضارة الغربية ، كما أحدق من قبل بالحضارتين اليونانية والرومانية نتيجة تبرج المرأة واختلاطهـــا

---

(١) أبو الحسن الندوي، التربية الحرة، ص ٣٨، نقلا عن محمد اقبال، ضرب كليم، ص٨٥

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ ·

(٣) نظر : برتوكولات حكماء صهيون ، ص ١٩٩ ·

الفاحش بالرجال ، سيحدق بنا نحن أيضاً مع فارق واضح ، وهو أن هذه الحضارات التي كان تبرج المرأة مرضاً من أمراضها القاضية عليها قد بلغ أصحابها ذروة الحضارة عندهم ، بينما يحدق بنا الخطر ونحن في أول طريق النهوض والتقدم ، ومن العجب أن يريد لنا بعض الناس أن نبدأ من حيث انتهى غيرنا ، وأن نساير الغربيين في أمر بدؤوا يعلنون أنه سيقضي على حضارتهم ، وليس للأمة مصلحة في استجلاب هذا الخطر إلى بيوتها وأسرها ، وهي هانئة تنعم بالاستقرار والتماسك وجو الحب والثقة ، الأمر الذي لايعرفه الغربيون بعد أن تفشت فيهم تلك الأمراض ، بل بدؤوا يحنون إليه ويعلنون عن أسفهم للحرمان منه»(١) .

واليوم ونحن في عام ١٩٩٣م ، أي بعد الحرب العالمية الثانية، بقرابة خمسين سنة تجدنا ياصاحب الخوف من الخطر المرتقب ، قد أحدق بنا هذا الخطر بل داهم البيوت ، وقض مضاجع المسلمين ، فالذين يحفظون نساءهم من الاختلاط وشره قد أكلت عقول نسائهم وسائل الإعلام بدعاياتها وأفلامها التي تهتك كل عرض ، وتدنس كل حياء ، ولا تقيم لكرامة المرأة وعفتها وزناً ولاقيمة ، إن أثرياء الجنس الذين وصمتهم بالإجرام هم اليوم الوجهاء والشرفاء وأهل الحل والعقد فقد قال رحمه الله : «إني لا أرى فرقاً بين أثرياء الجنس وأثرياء الحرب ، فكلاهما يجد في الأزمات فرصة للربح والكسب ، بل في رأيي أن أثرياء الجنس أشد خطراً وأسوأ أثراً فلماذا نتركهم يخربون بيوتنا باسم الحرية ، وما كانت الحرية الخالصة من الشوائب إلا حرية بناء لاتهديم ، وحرية تقدم حقيقي لارجوع إلى الوراء آلاف السنين ، حين كان الإنسان ينطلق وراء شهواته لايبالي بمجتمع ولايتقيد بنظام؟ »(٢) إن الفتنة قد دخلت كل بيت من بيوت المسلمين ، فالإعلام التخريبي ينفث

(١) المرأة بين الفقه والقانون ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

سمومه في الجميع صغاراً وكباراً ، نساء ورجالاً ، علماء وجهالاً ..
فهل يمكن لكلمات الشيخ - رحمه الله - أن تصل إلى مسامع أمتي ... «إني لأهيب بعقلاء الأمة ، وشبابها وفتياتها الفاضلات الطاهرات ، وبجمعياتها النسائية ، أهيب بكل مخلص في هذه الأمة رجالاً ونساءً ، أن يقفوا في وجه هؤلاء العابثين يمنعونهم من التخريب باسم حرية الكلمة ، ويشعرونهم أن شرف الكلمة قبل حريتها، وأن تنظيم الطاقات الجنسية هو غير كبتها، -كما يزعمون- وأننا في معركة لاسلاح لها إلا العلم والإيمان والأخلاق ، وأن كل من يريد أن يدخل إلى بيوتنا إلى بناتنا .. إلى زوجاتنا مرض الإباحية والتحلل الأخلاقي إنما هم لصوص سارقون ، سارقون لأشرف ما تحتفظ به الأمة من أخلاق ، وأكرم ما تعتز به من فضائل نحن نقول لهؤلاء .. اتركوا لنا بناتنا عفيفات ، اتركوا لنا زوجاتنا وفيات مخلصات .. اتركوا لنا شبابنا شباب ثورة وكفاح لاشباب ميوعة وانحلال»(١) .

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

الباب السادس
أثر العمل وثقافة الإنتاج والاستهلاك على الأمومة

لقد سادت المجتمعات المعاصرة بماديتها وطغيانها حتى عمت جميع بقاع الأرض، حيث غدا إنسان هذا الزمان لاهثاً وراء تحصيل معاشه وما يقيم له أود الحياة عدا عما فعله التغير التكنولوجي وسيطرة الآلة وأرباب رؤوس الأموال من اضطراب اقتصادي في المجتمع انعكس أثره على الروابط الاجتماعية والمظاهر النفسية والروابط الروحية بكل أنواعها وصورها ، وكانت الضحية الكبرى في ذلك كله هي «الأسرة» الأسرة الكبيرة بمفهومها الواسع القديم والأسرة الصغيرة المقصودة في البحث ونتج عن ذلك في ميدان الأمومة ..

- **تراجع مكانة الأمومة في الحضارة الحديثة .**
- **الرضاع الصناعي بدل الطبيعي.**
- **مضاعفات خروج المرأة للعمل إلى جانب الرجل :**

١- الاختلاط وتأخير الزواج .

٢- التصدع الأسري وأثره على الأطفال .

٣- الإجهاض .

٤- تحديد النسل .

٥- انحراف الأطفال .

٦- انتهاك حرمة الطفولة : بيع الأطفال - استغلالهم أخلاقياً .

٤- بدائل الأمومة في المجتمعات المعاصرة .

١- المحاضن وأثرها على النمو النفسي والاجتماعي للطفل .

٢- المربيات وأثرهن السلبي .

٣- التبني ومشكلاته ٠

٤- أمهات الأولاد ٠

٥- البرامج التلفزيونية والإذاعية وفيديو الأطفال ٠

٦- التنصير والتهويد ومزارع تجار الأطفال ٠

الفصل الأول

تراجع مكانة الأمومة في الحضارة الحديثة

لقد سيطر الكفر على العالم بأسره ، وسير المجتمعات بيده كالدمى ، وغدا الإنسان المعاصر آلة في يد (مترفي العالم وأغنيائه وأثريائه) الذين لا هم لهم إلا المضاربات الاقتصادية وتحقيق أعلى نسبة من الربح ولو أدى ذلك إلى هلاك الإنسانية كلها ·

لقد تولى الكفار القيادة في الأرض ، وحكموا العالم بنظمهم الطاغية الظالمة الفاسدة التي عادت بالزمن إلى الوراء ليرجع عصر الغابة والكهوف وتنازع القوة والبقاء والسيطرة ، لكن بثوب قشيب جميل مزخرف يسر الناظر ولكنه يقتل القلب ويحطم الفؤاد ويئد النفس والإحساس · قال الله عز وجل ··

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام · وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد · وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾(سورة البقرة - آية ٢٠٤-٢٠٦) ·

إن القرآن الكريم حذر من تولي المنافقين والكفار والمشركين قيادة الأمم والتحكم في مصائرها ، ذلك أن هؤلاء يسعون إلى الفساد والتدمير بشتى السبل لبعدهم عن منهج الله سبحانه في الاقتصاد والإنفاق للمال الذي جعله الله عز وجل ملكاً عاماً لجميع الناس ، سواسية لافرق بين عربي وأعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى · ذلك الميزان الذي لايفرق بين الناس ، والذي توزع الثروة فيه على أساس عام للناس كافة، وهو حد الضرورة الذي لايستغني عنه الفرد ليعيش في الحياة سواء وجد العمل أم لم يعمل ، ثم حد الكفاية وذلك بحسب ما يقدم من جهد، مع توفير فرص العمل

لجميع الرجال لإعالة أسرهم وذويهم ومن يناط بهم كفالتهم ·

واليوم تسلم المترفون والمنافقون والكفار ثروات الأرض كلها ، وراحوا يعبون من خيراتها حتى صار الإنسان نفسه ثروة يملكونها لصالحهم فيستخدمونه كما تستخدم الآلة والحيوان والمادة ، والقرآن الكريم بين أن مثل هذا النظام في حياة الأمم تكون عاقبته الهلاك والدمار للجميع المستضعَفين منهم والمستضعِفين، معاً قال الله عز وجل ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرنٰها تدميراً﴾(سورة الإسراء - آية ١٦) ·

وأمر الله عز وجل المؤمنين باتقاء مثل هذه الفتن التي تدمر الأخضر واليابس إذا أصابت المجتمع قال الله عز وجل : ﴿واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾(سورة الأنفال - آية ٢٥)·

تحذير كبير من رب العالمين باتقاء الفتن قبل نزولها كما حلت بالأقوام السابقة حين سيطر أرباب الترف والمال والكفر والنفاق قال الله سبحانه ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾(سورة الإسراء - آية ١٧) ·

والقارئ المتدبر لآيات الله عز وجل يشعر بالإنذار الخطير من مالك الملك القوي الجبار المنتقم، الذي يغار سبحانه من أن تنتهك حرماته لذا وردت هذه الآية (١٧) من سورة الإسراء بعد الآية السابقة (١٦) من نفس السورة كتعقيب ونتيجة لسيطرة الترف والمال والظلم الاقتصادي الذي يدمر الحياة بكل صورها وأشكالها ، حين تسود الفتنة الخاصة لهؤلاء لتصبح عامة في جميع أنحاء المعمورة ، حين تتخلى الأمة المسلمة عن القيادة ولاتستجيب لأمر الله سبحانه ورسوله ﷺ في الحياة ·· ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾(سورة الأنفال-آية ٢٤) ·

والملاحظ أيضاً أن هذه الآية الكريمة من سورة الأنفال سبقت التحذير من الفتنة في الآية (٢٥) حيث أمرنا الله عز وجل بالأخذ بأسباب الوقاية من وقوع الفتن بالاستجابة لحكم الله ورسوله إن الله سبحانه وتعالى أمر الأمة المسلمة بمحاربة قوى الكفر والطغيان حتى لايسودوا على بني البشر ، فتفسد الحياة كلها بفسادهم لممارستهم صنوف الظلم وأشكاله على الناس، الذي يفسد توازن الأفراد والمجتمعات، ويجعل من الحياة الإنسانية المثالية صورة لايبلغها إنسان هذه المجتمعات التي يحكمها الطغاة، مهما سما وارتفع بإيمانه ، فهو إن عايشهم ابتعد عن منهج الله سبحانه، وإن انسحب من المجتمع ونشاطاته فقد تعطلت حياته ، وقد نبه الله عز وجل في سورة محمد ﷺ بعد الحديث عن القتال إلى واجب إقامة الحكم الإلهي في الأرض حتى لاتفسد هذه الأرض بمافيها ومن فيها على من فيها قال الله عز وجل ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ،أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ، إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم﴾(سورة محمد - آية ٢٢-٢٥)

لقد أفسد المترفون الدنيا بطغيانهم وحولوا المجتمعات إلى ميدان للتسابق والجري وراء موارد الرزق ولقمة الحياة وضروراتها · وأشغلوا العامة بتلبية الحاجات الجسدية لاستمرار البقاء في الحياة، وانتظم الأفراد في سلك العمال لخدمة رأس المال · وشعر الناس بالخوف والقلق على أسباب المعيشة ، فصار شغل البشر الشاغل ، الحصول على ما يقيم أود الحياة ولو كان ذلك على حساب الدين والخلق والعرض والكرامة ، فالمجتمع الرأسمالي المعاصر ، استعبد الرجل ، ليصبح كالآلة التي ليس أمامها إلا السعي لتحصيل المعاش ، ولم يكتف بذلك بل دفع بالمرأة إلى أماكن العمل في شتى

ميادينه ، ومن ثم ملأ الفساد الأرض حتى استشرى الداء واستعصى علاجه ، وغدت الامومة وظيفة يحتقرها الناس وأولهم الرجل · فقد استطاع المجتمع الصناعي أن يصرف المرأة عن وظيفتها الطبيعية بيتها وأسرتها ، وليلقي في سمعها أن هذا العمل هو الإهانة لها والحط من قيمتها ، ولكي تثبت وجودها لابد لها من أن تخرج وتعمل وتخوض جميع المجالات ومن ثم تختلط بالرجال ، وتبتعد عن مطالب الأنوثة من الحمل والولادة لتتحول إلى دمية تتخايل أمام ملأ الرجال ، وانتهى دورها كزوجة وأم وراعية لهذا البيت ، لتبدأ دنيا الكفاح والتعاسة والضياع والانحلال بين الجمادات ولتفترسها أعين الرجال صباح ومساء ·

إن ما يحصله الرجل من المال لايكفي لمطالب الحياة المتزايدة، ولايشبع حاجات الاستهلاك التي أوجدها عالم الصناعة ، فلا بد إذن من أن تشارك المرأة في الكسب ولتنزل من برج الزوجية والأمومة إلى دنيا العمالة والزمالة ، يقول الاستاذ محمد قطب في ذلك ··

«إن كل أمر تقوم به (الأم) خلافاً لتدبير أمر البيت ورعاية أطفاله إنما يتم على حساب هؤلاء الأطفال وعلى حساب الجيل القادم من البشرية · فأما حين تكون الضرورة قاهرة ، فهي الضرورة القاهرة ، تخضع لها بلا اختيار · وأما التطوع بالفساد بغير ضرورة ملجئة فهي الحماقة التي ترتكبها هذه الجاهلية باسم التقدم والعلم والحضارة في القرن العشرين ! وكل الضرورات الاقتصادية التي افتعلتها هذه الجاهلية لإكراه المرأة على العمل أو لإعطائها المبرر الظاهري لهجر البيت والخروج الى الشارع للفتنة · كلها لاتبرر ذلك الدمار الذي يصيب البشرية في أنفسها من جراء إلغاء وظيفة «الأم المتخصصة» من المجتمع ، ووضع «الأم العاملة» بدلاً منها أي الأم الموزعة الجهد والوقت والأعصاب ، وذلك فضلاً

على أنها ضرورات مفتعلة وغير حقيقية»(١) .

لقد غيرت الجاهلية الحديثة فطرة الله سبحانه التي فطر الناس عليها، ذلك بما أحدثته من فتن ومطالب ومغريات غيرت من طبع الإنسان نفسه ، لتجعل منه شاة في قطيع إن لم يكن أضل من ذلك وكان الشر الأكبر في ذلك من نصيب المرأة وبسببها .

لقد تنبه علماء الغرب ومفكروهم إلى الحالة الاجتماعية التي سادت بسبب الحضارة التي عم بلاؤها ، يقول الكاتب الاجتماعي (ج .س. يولاك) متحدثاً عن أسباب المشاكل التي غرق في طوفانها عالم الغرب منذ عشرات السنين ..

«إننا نلاحظ منذ سنوات أن عصرنا يفقد بالتدريج حرارة الحياة فيه ويخسر باطراد : الدفء والطمأنينة من القلب البشري ، فحياة الفرد المعاصر لاتعرف الارتباطات والواجبات الاجتماعية كما عرفها إنسان الأمس ، ولم يعد المرء يشعر نحو جواره بذلك الشعور الذي كان معروفاً في الماضي ، كما أن روابط الأسرة لم تعد كما كانت ، بل فقدت كثيراً من مقوماتها إننا في الحقيقة وسائل للميكانيكية (التصنيع) التي غيرت كل الروابط الاجتماعية حتى روابط الأسرة ، إننا ويالأسف ندفع ثمناً لما يعطينا التطور التكتيكي من أدوات ، إننا نعاني خسارة مطردة في مادتنا الروحية دون أن نشعر»(٢) .

إن المشاعر والروابط الإنسانية ، من الأخوة والأبوة والأمومة والزوجية ، كلها خطوط فطرية وعميقة في النفس الإنسانية ، وحين افتعلت الجاهلية الحديثة الحواجز والسدود أمام ظهورها في سلوك الفرد ، اصطدمت مع نداء الفطرة لتحول العالم إلى بحر من القلق

(١) منهج التربية الإسلامية ، ج٢ ، ص ١٠٨ .
(٢) مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقة والقانون ، ص ٣١٠ ، نقلاً عن مجلة حضارة الإسلام المجلد الثالث ، العدد الثاني ، ص ١٠٠ .

والاضطراب والفوضى والضياع والانحلال والانهيار · وعلم النفس التكويني يؤكد في أبحاثه هذه الحقائق الفطرية العميقة في النفس البشرية والتي لاتخفى على كل ذي بصيرة يقول الأستاذ عبدالحميدالهاشمي : «ينمو لدى الإنسان وقد قارب الخامسة والعشرين من عمره أو جاوزها إحساس والدي يتضمن الاهتمام بإنجاب الأطفال والعناية بهم ·

وقد يظهر هذا الإحساس قبل الزواج أيضاً في حنان الراشد نحو أطفال الآخرين ، أو القيام بمسؤولية والديه في رعاية إخوته الصغار ، والوالدية وظيفة طبيعية أعدت الفطرة كلاً من الرجل العادي والمرأة العادية لها باعتبارها مرحلة أساسية من التكامل الإنساني حيث يستطيع معها الفرد رعاية صغاره كما رعاه غيره يوم كان صغيراً»(١) ·

إن الإنسان بطبيعته لايعيش حياته سوية إلا في الأسرة السليمة ، التي تجمع أفرادها مشاعر الحب والمودة والتعاون ولا سيما بين الزوجين لينعكس هذا على الأولاد فيضاً من العواطف النبيلة نحو المجتمع بالتضحية والإيثار والتعاون ونكران الذات ، وحين تحولت المرأة الأم إلى منافس للرجل وند في العمل والإنفاق خفت نداء الأمومة عندها ، يقول الأستاذ البهي الخولي في ذلك: «إن ماينشأ في ضمير المرأة من اعتبارات المماثلة في الكسب والنفقة ونحوها ، يبدلها بالإحساس الأمثل الذي يرشحها للزوجية والأمومة إحساساً آخر تتشوش فيه الخصائص الطبيعية بغرور الكسب، ومادية الغاية ، وفتور الصلة بالله ، وماديته ، فلا يتاح للقانون الجليل (الأمومة)- الذي هو أقدس ما فيها - أن يؤدي عمله في الظروف

---

(١) علم النفس التكويني أسسه وتطبيقه من الولادة إلى الشيخوخة، ص ٣١١ - ٣١٢ ·

التي تجعلها أماً مثلى»(١) ٠

إن نزول المرأة إلى ميدان الرجال ، جعلها تتنكر لأمومتها ، فمسخت فطرتها ، فلا هي أم ولا أب ، بل أصبحت مزيجاً من العواطف القلقلة المضطربة التي قتلت فيها مع مرور الوقت أجمل وأسمى وأعظم ما تملكه المرأة «أمومتها» ٠

يقول الأستاذ المودودي : «وقد مسخت هذه العقلية (الغربية) عاطفة الأمومة في المرأة مسخاً ، جعل الأم التي مازالت الدنيا تعتبر حنانها أسمى مدارج الحب الإنساني، تتضجر من الأولاد ، بل تكرههم ، بل تعاديهم ، فالذين يسلمون من غوائل تدابير المنع والإسقاط ويخرجون إلى حيز الوجود ، يعاملون بأشد ما يكون من الغلظة والقسوه»(٢) ٠

إن الضغط الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي الذي تعيشه المرأة في الغرب مسخ عندها هذه العاطفة النبيلة ودفنها ، لتستيقظ بعد حين ، حين تكبر سنها ، وتذهب عنها نظرات الإعجاب والتقدير ممن حولها، لترتد كسيرة فلا زوج ولا أسرة ولا ولد يقاسمها هموم الشيخوخة والعجز ٠

لقد بلغ الأمر بعلماء النفس في الغرب أن ينظروا للأمومة نظرة اجتماعية بحتة، فقد اعتبر أحدهم (Newson) أن السلوك الطبيعي للأم البيولوجية ، لايكمن في دافع غريزي خاص بالأمومة، وإنما يكمن في المسؤولية الثقافية والاجتماعية للكائن تجاه أطفاله ، هذه المسؤولية تحتمها وتفرضها القيم الأخلاقية والثقافية السائـدة ،

---

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة ، ص ١٤٩ ٠

(٢) الحجاب ، ص ١٠٧ ٠

والتي تتعلق بطريقة التعامل مع الصغير بلطف ومحبة وحنان»(١)

إن التربية بكل أنواعها وعواملها في الحياة المعاصرة ، تغذي في المرأة حب الذات وتحقيقها، لا بالأمومة ومسؤولية البيت، بل بالشهادة والوظيفة والمرتب والنجاح والإنجاز في العمل ، واستجابت المرأة لهذا، فانطلقت تحقق رغبات النفس ، نافرة من الحياة الزوجية وتبعاتها ، متبرمة بحياة المنزل ، لتخرج منه وتتشتت هناك عواطفها وأفكارها وجهدها وأعصابها ، فإذا عادت إلى البيت (الفندق) كانت مرهقة متعبة لاقدرة ولاطاقة لها على مواجهة أعباء الأمومة والزوجية ٠

وقد كان للمجتمع العام دوره الكبير في إخراج المرأة من بيتها، حيث حدد قيمتها الاجتماعية حسب ما تجلبه من أجر -دخل مادي- هذا ما أثبتته الدراسة التي أجريت في شهر كانون الأول من عام ١٩٧١م ٠ فقد كونت دائرة الصحة والتربية والرعاية في الولايات المتحدة الأمريكية لجنة من الخبراء والمختصين برئاسة البروفسور- جيمس أتولي James O,toole ومكونة من عشرة أعضاء.

وقد قامت اللجنة بدراسة شؤون العاملين في ميدان العمل المختلفة ومنها - عمل المرأة الأمريكية - وانعكاسات ذلك على بيتها وأطفالها ٠

وبعد أن قضت اللجنة مدة سنتين في البحث والدراسة نشرت تقريرها بعنوان - العمل في أمريكا - ولأهمية ماورد فيه مازالت تتوالى طباعة هذا التقرير وتدريسه، في دوائر التربية والخدمة الاجتماعية وشؤون العمل في الجامعات المختلفة(٢) فقد

(١) د٠ فايز قنطار ، الأمومة ، ص ٦٧ ٠

(٢) Jemes O,toole Committee. Work in America: Report of A Special Task Force To The Secretary of Health. Education, and Welfare Upjohn Institute For Employment Research. ١٩٧٣ P.XI.

ورد في هذا التقرير ما يلي ..«إن التقليل من قيمة الأمومة ورعاية البيت - عند الرأي العام- هو حالة من مشكلة كبيرة في المجتمع الأمريكي ، وهو من مصادر التعاسة التي تعاني منها المرأة في هذا المجتمع في جميع طبقاته ، إن فشل المجتمع في إدراك قيمة الأمومة وإدارة الأسرة كعمل مفيد للمجتمع ، وأنه أكثر أهمية من العمل الذي يجلب أجراً مادياً ، يزيد في صعوبات المرأة المتزوجة ومشكلاتها .

ومما يضاعف من مشكلات المرأة المتزوجة أن ترى أعضاء أسرتها وجوارها والمجتمع الكبير من حولها يحدد قيمتها الاجتماعية طبقاً لما تجلبه من أجور ودخول مادية ، إن الضغط الاجتماعي المتولد عن مثل هذه القيم يدفع المرأة للخروج إلى ميدان العمل بحثاً عن التقدير والاحترام في المجتمع ، وكثير من النساء يخرجن للعمل بسبب هذا الضغط الاجتماعي وهذه القيم رغم عدم الرغبة في الخروج والعمل في الخارج»(١) .

وقد شعر الغرب بالأزمة الاجتماعية والكارثة التي حلت على الأسرة والأمومة من جراء التقدم التكنولوجي إذ يتحدث مارفن هاريس عن مسيرة عمل المرأة المتزوجة في أمريكا وأثره في الأمومة وانعكاسه على الأطفال والطفولة ، يذكر مارفن أنه في عام ١٨٩٠ لم يكن في ميادين العمل خارج البيت من النساء إلا ٥٪ من القوى العاملة معظمهن من النساء الزنوج والمهاجرين وكانت المرأه تكرس وقتها لبيتها وذويها ، ثم جاءت الظروف التي أدت إلى وضوح توقف نسبة ميلاد الأطفال وزيادة السكان إلى نقطة الصفر تقريباً في عام ١٩٧٢م .

لقد بدأت المرأة الأمريكية المتزوجة في الخروج إلى العمل في المصانع والإدارات بأعداد كبيرة بتأثير عاملين الأول : الركود

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

الاقتصادي في الستينات حين لم يعد بإمكان الأسرة الاعتماد على دخل الزوج وحده للنفقة وشراء منتجات الصناعة كالثلاجة والغسالة وآلة غسل الصحون ، وآلة التنشيف وأجهزة التلفزيون · وكان خروج المرأة المتزوجة للعمل في البداية محدوداً بفترة مؤقتة - أي ينتهي عند سد حاجات الأسرة بالأثاث الجديد -ولكن زيادة متطلبات الحياة واستمرار تكاليف الحياة والحاجة إلى دفع قوائم الضرائب ونفقات الطب والدراسة وغير ذلك جعل عمل المرأة مستمراً ·

والعامل الثاني : أن نشوء وظائف جديدة وأعمال جديدة مثل السكرتيرة ، والطابعة ، ومربية الحضانة، والممرضة وموظفة الاستقبال ، وموظفة التلفون، هذه الأعمال كلها لاتحتاج - من وجهة نظر الحكومة والشركات ورجال الأعمال - إلى رجال يعملون فيها إنما يمكن أن تعطى مثل هذه الوظائف إلى النساء وبراتب أقل من راتب الرجال بنسبة ٤٠٪ ···

وحينما تطرق البحث الى ماسيحدثه عمل المرأة الواسع من نقص في واجبات الأمومة وأثره على الأطفال كان جواب الحكومة ورجال الشركات والأعمال، أنه في عصر الأسلحة الذرية لاحاجة للأعداد الكبيرة من الأطفال، إذ لاحاجة للجيوش الضخمة، وفي عصر الآلة لاحاجة لأعداد ضخمة من العمال · والمعارض الوحيد للنقص الذي حدث في نسبة المواليد ورعاية الأمومة جاء فقط من الكنائس، وهذه لم يكن لها أثر لأنها لم تكن الجهة التي تدفع للنساء العاملات النقود لشراء خبز الحياة والأثاث ودفع قوائم النفقات والمصروفات المتعددة فظلت تتكلم في القضايا الأخلاقية دون أن تستطيع أن تدعم كلامها بدعم مادي ومن النادر أن تستطيع عمل شيء لتساعد الزوجات اللاتي يشعرن بالذنب بسبب خروجهن للعمل والتفريط بواجب الأمومة(١) ·

---

(١) Marvin Haris , America Now New York: Simon and Schuster, inc 1982. PP . 87 -95

وقد تحدث الكسيس كاريل عن ضرورة النسل وقوته في الأمم، ذاكراً الأسباب التي جعلته اليوم على العكس من ذلك فيقول : «إن تحسين النسل أمر لامناص منه للإكثار من الأقوياء ولابد لكل جنس عظيم من أن ينمي أفضل عناصره ، مع ذلك فإن التناسل في أكثر الشعوب تحضراً آخذ في التناقص كما أنه لاينجب إلا نسلاً وضيعاً فقد أتلفت النساء أنفسهن اختياراً بشرب الخمر والتدخين ، كما أنهن يعرضن أنفسهن لخطر (الرجيم) رغبة منهن في نحافة أجسامهن وعلاوة على ذلك فإنهن يرفضن الحمل ، ويعزى هذا النقص إلى تعليمهن وأنانيتهن كما يرجع أيضا الى الأحوال الاقتصادية وانعدام التوازن العصبي وعدم استقرار الحياة الزوجية ، والخوف من العبء الذي يلقيه الأطفال الضعفاء أو الفاسدون على عاتق الآباء والأمهات ٠٠٠٠ وليس ثم أمل في زيادة نسبة الولادة دون أن تحدث ثورة في عادات التفكير والحياة أو يظهر مثل أعلى في الأفق»(١) ٠

والحقيقة التي لابد أن تقال أن أدواء الغرب هذه قد غزت المرأة المسلمة والمجتمع المسلم حتى لتكاد أن تصبح هي الفكرة السائدة عن دور المرأة ووظيفتها في الحياة ٠

لقد ساهم مفكرو العلمانية ورجالها في بقاع الأرض في بث هذه السموم في المجتمعات كلها في مناهج التربية والتعليم ووسائل الإعلام والجمعيات النسائية والبعثات التبشيرية وغير ذلك ٠

وراح رواد هذا الأفكار يروجون دعاويهم هذه وأباطيلهم بالكتب والجولات الشخصية في الجامعات وغيرها، ليطمئنوا الناس أن لاخطر عليهم مما حصل من تغير في مجتمع الأسرة وعالم الأمومة ٠

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ، ص ٣٣٧ ٠

إن النجاح الذي تحقق في عالم الصناعة والتجارة في جر المرأة الغربية إلى ميادينه على حساب الأمومة وتربية الإنسان ، ما كان ليتم لولا جهود نفر غير قليل من المفكرين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الحضارة المادية الحديثة · إذ يصور هؤلاء المفكرون والعلماء المضاعفات التي تفرزها المادية الحديثة وكأنها نتائج حتمية وظواهر طبيعية لاداعي للقلق منها · وأشهر هؤلاء المفكرين والعلماء مدرسة التقدميين وأبرز أشخاص هذه المدرسة في الوقت الحاضر هو البروفسور ألفن توفلر الذي ما زال يتجول في جامعات أمريكا والغرب ليبشر بأفكاره ·

وتلاقي كتبه رواجاً هائلاً فمثلاً طبع كتابه «صدمة المستقبل» في سنة واحدة تسع طبعات كل طبعة ثلاثة ملايين نسخة · ومثله كذلك كتابه «الموجة الثالثة» الذي يصف العالم بأنه بدأ يدخل موجة جديدة هي موجة عالم الكمبيوتر والألكترونيات بعد أن ودع موجة الصناعة ، وقبلها موجة الزراعة ·

ويمكن وصف ألفن توفلر - بأنه قسيس التكنولوجيا المادية وداعيتها الذي يقدم المبررات لكل مضاعفاتها السلبية في الأخلاق والقيم والاجتماع ·

أما بالنسبة - للأمومة · موضوع هذا البحث - فإن توفلر لايرى داعياً للتمسك بالأسرة أصلاً · فانهيارها أمر طبيعي ولا خوف منه - فهو مثلا يقول : «الأسرة كانت تسمى - قميص الصدمات الجبار - ، المكان الذي يعود إليه الفرد المتعب المنهوك من معركة الحياة ، الموضع الهادىء في المجتمع المضطرب ، تتعرض الآن في عالم ثورة الصناعة المتقدمة إلى صدمات مزلزلة»(١) ·

ومثله - فرديناند لندبرج - الذي يرى في كتابه «تحـــول

---

(١) توفلر ص ٢٣٨

Alvin Toffler , Future shoch , 88 Edition, New York: Bantan Book 1981, P 238 .

العالم القادم» أن الأسرة اقتربت من نقطة الإبادة والفناء - ومثله عالم النفس - وليم ولف - الذي يقول : ماتت الأسرة ولم يعد من وظائف لها إلا تربية الطفل في العامين الأولين من عمره.

ويعلق - ألفن توفلر - على الرأيين الأخيرين بقوله : إن الأسرة لن تبيد ولكنها سوف تتحلل ويعاد تركيبها بأشكال جديدة تبدو شاذة وغريبة .

ويمضي ألفن توفلر في طرح مواعظه المادية التكنولوجية ليبرر الأوضاع الشاذة التي ستتولد عن مضاعفات زيادة الانغماس المستقبلي في الحياة المادية . ويتحدث - آلفن توفلر - عن آثار التكنولوجيا - كما يتصورها ويريد أن يقنع الآخرين بها - بأنها سوف توجد بديلاً للأمومة ، لأن الغاية من الولادة والتنشئة - حسب ديانته المادية - هي إيجاد عمال يشتغلون في المصانع والدوائر والمكاتب في أوقات - الإنتاج- ويتمتعون بثمرات الحياة المادية عند الاستهلاك(١) - فقد كتب يقول تحت عنوان : «سر الأمومة» :

« من الواضح أن أكبر قوة ستحدث الخلل في وظيفة الأسرة خلال القرون القادمة هو تأثير التكنولوجيا على عمليات الحمل والولادة . ويجب أن نتوقع في المستقبل أن تكنولوجيا الحمل والولادة ستتقدم في المستقبل لتقرر جنس المولود وذكاءه وصفاته .... فالتقدم في علم الحياة والتكنولوجيا سوف يسحق كل الأفكار الدينية عن الأسرة ووظائفها . فحينما يمكن إنتاج الأطفال في الأنابيب والمختبرات فماذا سيحدث إذن للأمومة ؟ وما هي الحاجة إليها ؟ وما سيحدث لصورة الأنثى عن نفسها في المجتمعات التي علمتها منذ ظهور الإنسان بأن رسالتها الأساسية هي نشر

---

(١) توفلر ، ص ٢٣٩.

هناك بعض علماء الاجتماع الذين بدأوا يطلقون مثل هذه الأسئلة· مثل عالم التحليل النفسي - هيمان ج - واتزن - مدير دائرة الأعصاب النفسية في مستشفى نيويورك · يقول الدكتور واتزن هذا : «إن غالبية النساء تفتخر بقدرتهن على حمل الأطفال وإنجابهم وتربيتهم ، وهذا فخر حفلت به آداب الشرق والغرب»(٢). ثم يتساءل : «ولكن ماذا سيحدث للأم إذا رأت ذريتها ليست منها بل قد تنمو في رحم آخر ، أو في إناء خارجي ، أو أنبوب مخبري ، لن تبقى هناك أهمية - للأمومة - وسوف يقتل سر الأمومة · وليست الأمومة وحدها بل فكرة - الوالدين - ربما سيعاد النظر فيها بشكل جذري ، ولن يكون الزمان بعيداً حين يأتي اليوم الذي سيكون فيه للطفل أكثر من والدين بيولوجيين وهو ما أكدت عليه أبحاث الدكتور باتريس منتز في معهد فيلادلفيا لأبحاث السرطان ···»(٣) ·

ويمضي الدكتور واتزن ليقول : «وفي مثل هذه الظروف من سيكون الوالدان ؟ فحينما تحمل أنثى في رحمها جنيناً فسيصبحان من الناحية القانونية - والِدَين - بغض النظر عن دورهما البيولوجي - الجسماني وإذا لم يتم ضبط هذه العمليات الجنينية بدقة فستشيع عمليات بيع وشراء الأجنة ، وستقوم الشركات بإنشاء مزارع الأطفال التي تنتج الآلاف من الأطفال»(٤) ·

إن حدوث مثل هذا الامتهان للأمومة أمر ليس غريباً في ظل الحضارة المعاصرة -حضارة الإنتاج والاستهلاك-لأن العلم محكوم بالفلسفة التي تحكمه وبالتصور الذي يوجهه · والفلسفة التي توجه

---

(١) توفلر ، ص ٢٤٠ ·
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤١
(٣)،(٤) انظر : نفس المرجع السابق، ص ٢٤١ ·

العلم الحديث هي فلسفة مادية محكومة بتصورات الاستمتاع بالحياة الدنيا ونسيان الآخرة، كما أنه من الخطر الكبير أن تبقى الحضارة المعاصرة والعلم الحديث يداران من قبل رجال الأعمال والصناعة - أو المترفين حسب المصطلح القرآني - فهؤلاء يوجهون تطبيقات العلم لزيادة ترفهم واستعباد البشرية لشهواتهم - ويتخذون من أمثال - ألفين توفلر ، والدكتور هيمان واتزن - سحرة فكريين يروضون الناس لتقبل هذه الاتجاهات تحت ستار العلم والمكتشفات العلمية ، والخلط بين حقائق العلم والفلسفات التي توجه العلم ·

إن عمل المرأة قد طغى على دورها ووظيفتها في الحياة ، وغدا العمل هو المحور الذي التي تدور في فلكه حياة المرأة وأسرتها، إنه الأساس وماعداه تبع له ·

والأخطر من ذلك أن الدراسات التي تجري في أوربا وأمريكا حول الأسرة والأمومة يدور محورها حول أثر الأمومة والبيت على - العمل - في المصانع والشركات، فالمهم في هذه الدراسات هو نجاح العمل وزيادة الإنتاج، ولذلك لامانع من تشكيل الأسرة بعدة أشكال أو إلغائها مادام ذلك يؤدي إلى وفرة العمال وزيادة الإنتاج ورخص الأجور ·

ومن أمثلة ذلك الندوة التي عقدها - معهد التربية الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية - عام ١٩٨٠م ولقد كون المعهد لهذه الندوة لجنة مشرفة عرفت باسم - لجنة نمو الطفل والسياسات العامة - وامتد عمل اللجنة لأكثر من عام دعت خلاله كبار المختصين في لقاءات وندوات وقامت هي بمقابلات ثم قدمت بعد ذلك كله تقريراً بعنوان : «الأسر العاملة والأطفال في عالم متغير» ولقد اشتمل التقرير على الموضوعات التالية :

١- العمل والأسرة عبر الزمان والمكان ·

٢- تأثير عمل الأم على الأسرة ·

٣- استجابات صاحب العمل لمسؤوليات أسر الموظفين ٠

٤- صغار الموظفين والعمل والمجتمع ٠

٥- تأثير عمل الوالدين على الإنجاز المدرسي عند الأطفال ٠

٦- العمل والأسرة ومدركات الأطفال عن العالم(١) ٠

ويلاحظ على موضوعات الندوة أن - العمل - هو المحور الذي تدور في فلكة الأبحاث ٠ فالغاية الرئيسة في الأبحاث والدراسات العملية المتعلقة بالأمومة، تضع حسن سير العمل بالدرجة الأولى ثم تحسين ظروف الأم - ليتحسن أداؤها الإنتاجي - وهذا بعكس التصور الإسلامي الذي يضع الأمومة في المقام الأول ثم يجري تنظيم عمل الأم بما يحقق الغايات السامية من الأمومة ٠ والحكمة من هذا التصور للأمومة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمكانة «الإنسان» في الخلق وأن الأشياء التي هي ثمرة العمل المادي ينبغي أن تكون لخدمة الإنسان لا أن يكون الإنسان مسخراً لتحسين الأشياء ٠

إن خطورة فصل الدين عن العلم والحياة ، أو فصل الدين عن الدولة تظهر في هذه الفلسفة المادية التي تحول الإنسان إلى آلة تسخيرية لخدمة الأشياء ٠ لا أن تسخر له ولخدمته وسعادته كما هي فلسفة الإسلام في نظام الكون ٠

وبالأمس القريب وفي مدينة القاهرة في بلاد المسلمين في ربيع الآخر ١٤١٥هـ - سبتمبر ١٩٩٤ ، اجتمعت معظم دول العالم بممثليها من الساسة والمفكرين والعلماء والزعماء والقادة برئاسة هيئة الأمم المتحدة، حيث عقد مؤتمر السكان والتنمية الذي كان هدفه الأساسي

---

(١) انظر , Sheila B. Kamreman Cheryl D . Hayes (editors) Families THat Work Chiledren in a Changing World Wachington . National Academy Press, 1982. P 1.

والذي بحث فعلاً في المؤتمر هو نشر الإباحية الجنسية بكل مستنقعاتها ، بتعميم الحرية الجنسية وبإلغاء نظام الأسرة المعهودة عرفاً وشرعاً لتحل في المجتمع جميع أشكال الاقتران بين الأفراد باسم الزواج كما دعت الدول الغربية والأمريكية إلى إباحة الإجهاض والتعليم الجنسي وتحديد النسل وكان المحور الرئيس للمناقشات تأكيد قضية الإجهاض وتعليم الجنس ليتبع ذلك كله فناء الأمم ·

أما بنود المؤتمر بالتفصيل فهي ··

١- تسهيل وتنظيم التوعية الجنسية التي تساعد على انحلال الشاب المسلم وخاصة المراهقين من الجنسين قبل الزواج.

٢- تسهيل وتوزيع حبوب منع الحمل وغيرها من الوسائل على نطاق واسع لتسهيل الممارسات الجنسية قبل الزواج ·

٣- تسهيل عملية الإجهاض ، وتهيئة المراكز الطبية في العالم الإسلامي لهذا الغرض ·

٤- حماية الأسر الشاذة لكلا الجنسين ·

٥- رفع ولاية الآباء على أبنائهم وبناتهم من حيث الرقابة الأخلاقية والتربية السوية ·

٦- الربط بين زيادة النسل والفقر ، بدلا من الربط بين الفقر وعدم التنمية ، أو استغلال الموارد ·

٧- الدعوة إلى المساواة بين الذكر والأنثى في الميراث ، مخالفه لتعاليم القرآن ، مع عدم المراعاة لتكليف الرجل بالإنفاق على الأسرة وتحمل التبعات ·

٨- رفع الحد الأدنى لسن الزواج وتسهيل الاتصال بغير زواج ·

وكل هذا سيؤدي إلى :

١- انتشار الزنا والشذوذ الجنسي ·

٢- قتل الأولاد في عملية الإجهاض ·

٣- تحطيم فكرة الزواج وكثرة الأمهات غير المتزوجات والأولاد غير الشرعيين ·

٤- انتشار الأمراض الجنسية القاتلة ، وخاصة وباء الإيدز ·

٥- تحطيم الأسرة المسلمة ، وكثرة الطلاق ، وكثرة العجزة والمعاقين، وزيادة الأمراض النفسية(١) ·

وهكذا اشتركت جميع دول العالم - ماعدا السعودية والسودان في هذا المؤتمر الخبيث ، بل وحضر المناقشات عدد من ممثلي النشاط الإسلامي وكان الأولى بالإسلاميين ألا يشتركوا في مثل هذه المناقشات عملاً بقول الله عز وجل في سورة الأنعام ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في ءايٰتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطن فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظلمين﴾(آية٦٨) وفي سورة النساء ﴿وقد نزل عليكم في الكتب أن إذا سمعتم آيٰت الله يكفر بها ويستهزأ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذن مثلهم إن الله جامع المنٰفقين والكفرين في جهنم جميعاً﴾(الآية١٤٠) ·

إن فتح المجال لمثل هذه المناقشات والمداولات يهيئ الجو لعام لتقبل المخالفات مهما عظم خطبها . كما جاء في كتاب مذاهب

---

(١) انظر : د· توفيق الواعي ، «تكنولوجيا الدعارة والشذوذ الجنسي» ، مجلة المجتمع ، الكويت ، جمعية الإصلاح الاجتماعي ، ربيع الآخر ١٤١٥هـ - ٢٠ سبتمبر ١٩٩٤م ، العدد ١١١٧، ص ٣٧ ؛ وانظر : تقارير وآراء صادرة عن الأزهر الشريف ورابطة العالم الاسلامي حول الوثيقة الخطيرة الصادرة عن الأمم المتحدة كبرنامج عمل إلى مؤتمر السكان والتنمية المنعقدة في القاهرة من ٥-١٣ - سبتمبر ١٩٩٤م ، رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة : مطابع رابطة العالم الاسلامي .

فكرية معاصرة» حول هذا مايلي :

«إن المعارضة والشد والجذب بين الرأي المعارض والرأي المؤيد، مطلوبان -لذاتهما- من أجل إنجاح المعركة والوصول بها - في النهاية - إلى الهدف المطلوب»

«حين تدور المعركة ، بالمعارضة ، وإن اشتدت في بادئ الأمر، فهذا هو الضمان أن ينشغل الناس بالقضية ويولوها اهتمامهم ، وهذه هي الخطوة الأولى في طريق النجاح ! ويكفي - في مبدأ الأمر - أن تدور المعركة حول الرأي ! فمعنى ذلك أن الموضوع قابل للمناقشة وأن هناك وجهات نظر مختلفة فيه - ولو كان بعضها ضعيفاً غاية الضعف - وأن الأوضاع القائمة (المراد إزالتها) ليست حقيقة نهائية مقررة لاتقبل النقاش» !

«ومادام قد تقرر المبدأ ، وهو أن الأمر قابل للنقاش وليس حقيقة نهائية فمن باب «الحرية !» ينبغي أن يسمح لكل الناس بإبداء آرائهم سواء كانوا مؤيدين أو معارضين ، ليتاح للرأي العام أن يحكم على الأمر» !

«عندئذ تأتي الخطوة الفنية التالية وهي الإلحاح المستمر على وجهة النظر المطلوبة والتقليل التدريجي من الرأي المعارض مهما كان قوياً في حقيقته في الواقـــع الخارجي (٠٠٠) حتى يخيل للقارئ أن الرأي المعارض قد خفت بالفعل وأن الرأي (المطلوب) أصبح هو الرأي الغالب وعندئذ تخفت المعارضة بالفعل بتأثير هذا الإيحاء ويتغلب الرأي المطلوب ويقال إن (الرأي العام) قد اقتنع بالقضية وأصبح من المتحمسين لها»(١) ٠

إن كل صوت ناعق من هذه الصيحات، إنما هو دعوة لقتـل

---

(١) محمد قطب ، ص ١٢٧-١٣٠ ٠

المرأة التي جعل الله عز وجل أسمى وأعظم دور لها «الأمومة»، لأن البلاء الأعظم والأكبر في هذه الدويهيات واقع على النساء ·

إن تاريخ الإنسانية لم يشهد مثل هذه المهزلة العالمية التي يتزعمها قادة الجاهلية الحديثة الغرب وأمريكا تسيرهما الصهيونية للقضاء على النسل والذرية ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد﴾(سورة البقرة-آية ٢٠٥) ·

إن الجاهلية هي الجاهلية لاتتغير رغم التقدم التكنولوجي والعلمي إلا أن الحضارة الحقة لاتقاس إلا بمدى تحقيق السعادة لبني الإنسان واحترام الإنسان والنهوض به نحو المستوى الأعلى من التكريم الإلهي الذي خُص به بنو آدم من بين جميع المخلوقات ، وكل تقدم حضاري يدمر الإنسان ويشقيه ويقض مضجعه ولايحقق له الاستقرار المنشود على هذه الأرض هو جاهلية لكنها تلبس ثوب التقنية والتكنولوجية· ولا أدل على ذلك مما يجري في العالم بأسره من قتل للإنسان في مثل تلك الدعاوى للإباحية والإجهاض وتحديد النسل بل ووأد البنات، كما يحدث في كثير من دول العالم، فقد قامت الصين في نهاية الخمسينات (١٩٥٨) بفرض قانون يمنع الأسرة الصينية أن يكون لها أكثر من طفل واحد فقط ، لذا فقد اضطر كثير من الأسر إلى قتل المولود عند ولادته إذا كان أنثى أو كان مريضاً أو مشوهاً · حتى تم في خلال فترة ربع قرن قتل ملايين الأطفال الإناث في أرياف الصين ، وقد اضطرت الدولة الصينية لإلغائه بعد أن أدركت مدى المآسي التي سببها ، وسمحت لكل أسرة بأن يكون لها طفلان(١) ·

ولكن التقنية الحديثة خلصت المرأة من عناء متاعب الحمل

---

(١) انظر : د. محمد علي البار، سياسة ووسائل تحديد النسل، ص ١٠٨-١٠٩ ·

ثم الولادة حين كانت تقتل البنت بعد خروجها إلى الدنيا ، بل إن الأشعـــة فوق الموجات الصوتية (التلفزيونية) Ultrasound حلت المشكلة ، فقد لفتت المنظمة الدولية للحق في الحياة - والتي مقرها بوسطن أمريكا - الانتباه بشدة إلى نوع غريب من الإجهاض يتم ضد الأجنة وهو انتقاء جنس الوليد بطريقة الألتراسوند Ultrasound، وهذه توجد على الغالب في الصين والهند حيث يجتمع عامل التقاليد مع الفقر · وقد ورد في تقرير الأمم المتحدة عام ١٩٩١م عن «النساء في العالم» أن دراسة أجريت على (٨٠٠٠) جنين مجهض في مستشفى بومباي كانت (٧٩٩٩) من الأجنة من الإناث وفي تقرير صادر في صحيفة نيويورك تايمز عام ١٩٩٣ عن وكالة الأخبار الصينية أنه من بين (٢٣١٦) حالة لمعرفة جنس الجنين أجهض منها (١٠٠٦) جنين أنثى · وذكر تقرير من بي بي سي أذيع في الولايات المتحدة ضمن برنامج تبثه شبكة الـ أي بي سي في ٦ يناير كانون الثاني ١٩٩٤ أن (٣٠٠٠) جنين أنثى يجهض كل يوم في الهند يجري عدد كبير منها ضمن صفقة تشمل إجراء التراسوند لمعرفة جنس الجنين على أن يلي ذلك الإجهاض إن كان الجنين أنثى · ويقول أحد الأطباء الهنود : في كثير من الأحيان لاترغب المرأة الحامل بإجراء ذلك الكشف ولكنها تجبر عليه من قبل زوجها وأقاربها(١) ·

والأغرب من ذلك هو ظاهرة الإناث المفقودات في العالم بأعداد هائلة تفوق عشرات الملايين(٢) ·

وهكذا غدت وظيفة الأمومة في المجتمع المعاصر لاحترام لها، ولاتقدير لأهميتها، ولضرورتها في الحياة التي يقوم عليها التمدن الإنساني الحضاري ·

---

(١) انظر : مجلة المجتمع ، العدد (١١١٧) ، ملف العدد ، ص ٢٤ - ٢٥ ·
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٥ ·

لقد قتلت بذور الفطرة وخطوطها الأصلية في أنوثة المرأة بصرفها إلى حياة الرجال وتحقيق الذات بالحصول على الجاه من خلال الدراسة والشهادة والوظيفة والانضمام إلى الجمعيات الترفيهية أو الكمالية في الحياة، ويصور الأستاذ المودودي وضع المرأة المعاصرة وأثره على الحضارة فيقول ..

«كل من الاتباع لأهواء النفس ، والنفور من تبعات الزوجية، والتبرم بالحياة العادية ، والارتخاء في الروابط الزوجية ، يكاد يذهب في المرأة عاطفة الأمومة الفطرية التي هي أشرف العواطف الروحية وأسماها في النساء ، والتي لايقف عليها بقاء الحضارة والتمدن فحسب بل بقاء الإنسانية جمعاء ، وما نجمت سيئات منع الحمل وإسقاط الجنين وقتل الأولاد إلا بنضوب هذه العاطفة في نفس المرأة»(١) .

إن تدابير منع الحمل والإجهاض ، وخروج المرأة للعمل ، وظاهرة الاعتداء على الأطفال كلها ما كانت لتكون في المجتمع لو أن المرأة لم تتخل عن دورها السامي في الحياة . ولكنه لابد من الاعتراف : أن المجتمع ونظرة الرجل للمرأة كانت البيئة المناسبة لنمو مثل هذه المتناقضات والانحرافات عند النساء في تنكرهن لواجب الامومة.

وقد تنبه برناردشو إلى وضع المرأة ، ودورها ، ومساهمتها الخافية على الرجال في إقامة الأسرة وبناء البيت حين رأى بوادر العصيان والنكران للأمومة فقال :

(«أما العمل الذي تنهض به النساء .... العمل الذي لايمكن الاستغناء عنه .... العمل الذي لايمكن الاستعاضة عنه بشئ آخر ، فهو حمل الأجنة ، وولادتهم، وإرضاعهم ، وتدبير

---

(١) الحجاب ، ص ١٢٤ .

البيوت من أجلهم ٠٠٠٠ ولكنهن لايؤجرن عليه بأموال نقدية ٠٠٠ وهذا ما جعل الكثير من الحمقى ينسون أنه عمل على الإطلاق ٠٠٠ فإذا تحدثوا عن العمل جاء ذكر الرجل على لسانهم وأنه هو الكادح وراء الرزق ٠٠ الساعي المجتهد وراء لقمة العيش ٠٠٠ وما إلى ذلك من الأوصاف التي يخلعونها عليه في جهل وافتراء ٠٠٠ ألا إن المرأة تعمل في البيت ! ٠٠٠ وكان عملها في البيت منذ الأزل عملاً ضرورياً لبقاء المجتمع ووجوده بينما يشغل ملايين الرجال أنفسهم ويبددون أعمارهم في كثير من الأعمال التافهة ٠٠٠ ولعل عذر الرجال الوحيد في قيامهم بتلك الأعمال أنهم يعولون بها زوجاتهم اللاتي لايمكن الاستغناء عنهن ومع ذلك فالرجال مغرورون ٠٠٠٠ لايريدون أن يفهموا»(١) ٠

وإذا ابتعد البحث قليلاً عن الظواهر الاجتماعية في الأمومة من خلال علم النفس والتربية والاجتماع ، إلى ميدان العلوم التجريبية فإن التجارب المخبرية والميدانية تبين أن التقدم الحضاري في الأساليب الغذائية، وإعداد الطعام، ونوعية الغذاء إلى غير ذلك قد ساهم أيضاً في التغير السيكولوجي الذي أصاب البشرية عامة لتنضب معه عاطفة الأمومة ، ذلك أن الحرمان من بعض المواد الضرورية للجسم والتي تسببت فيها التقنية الحديثة في الأساليب الغذائية، كالأطعمة المعلبة والمنخولة وغير الطازجة باستبدالها بالأطعمة المجمدة وبالمعجنات والحلويات والنشويات قد يكون له أثره على المشاعر الإنسانية ٠ ومن ذلك مثلاً ما يحدثه نقص مادة المنغنيز في النفس ٠ فالمنغنيز مادة ضرورية للصحة ٠ ودوره الأكيد لم يحدد بعد ٠ لكنه قد عرف أن لنقص المنغنيز علاقة بعاطفة الأمومة ، فقد أظهرت التجربة التي أجريت على إناث الفأر، أنها

---

(١) البهي الخولي ، المرأة المعاصرة ، ص ٢٣٠ ، نقلا عن مجلة الهلال : عدد مارس ١٩٦٥م «المرأة ٠٠ إلى اين تتجه» ٠

عندما نقص المنغنيز في غذائها امتنعت عن تغذية صغارها ، كما أن غيرها رفضت تبني صغار محرومة من المنغنيز · ذلك أن المنغنيز يوجد في الأوراق الخضر ، والخبز الكامل ؛ والحبوب غير المنخولة تحوي من المنغنيز ما يقرب من ستة أضعاف هذه المواد نفسها إذا نخلت(١) · أترى؟ أيعود حنان الأمومة وغناها وتدفقها وعطاؤها عند جداتنا وأمهاتنا إلى الحياة الطبيعية البسيطة التي لم تتدخل فيها التكنولوجيا ! قد يكون هذا واحداً من جملة أسباب عديدة ؟!! ·

إن تراجع مكانة الأمومة في الحضارة الحديثة لم يقف عند واجب الأمومة ودورها، ومسؤوليتها ووظيفتها ، بل تجاوز ذلك إلى حقوق الأم والمسؤولية نحوها ورعايتها ، في عمرها كله خاصة عند الكبر ، وقد جعل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة للأم ثلاثة حقوق على الولد مقابل حق واحد للأب عليه، تقديراً للأمومة ودورها وتضحياتها · قال الله عز وجل ·· ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسٰناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾(سورة الإسراء- آية ٢٣) · وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ووصينا الإنسٰن بوٰلديه حملته أمه وهناً على وهن وفصٰله في عامين أن أشكر لي ولوٰلديك إلي المصير﴾(سورة لقمان - آية ١٤) ·

وقال الله عز وجل ﴿ووصينا الإنسان بوٰلديه إحسٰنا حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصٰله ثلٰثون شهراً﴾ (سورة الأحقاف آية ١٥) ·

إن الإسلام قد توج الأم ملكة في أسرتها؛ حولها الأبنـــــاء

(١) انظر جايلورد هاورز ، الغذاء يصنع المعجزات ، ترجمة أحمد قدامة ، الطبعة العاشرة ، (بيروت : دار النفائس ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م) ، ص ٨٨ ·

والأحفاد يحفونها بالرعاية والتقدير والتبجيل والاحترام · تلك الصورة الناصعة التي عاشها المسلمون حتى حقبة قريبة جداً · واليوم يلاحظ أن بلاء الأمم قد تسرب إلى واقع المسلمين في العصيان والعقوق للوالدين ولاسيما الأم ·

إن الحضارة الحديثة قد افتعلت وزرعت في النفوس فكرة الصراع بين الأجيال وكأنها حتم لازم لابد منه · فمات في نفوس الأبناء والأحفاد الاحترام والهيبة والطاعة للكبير · وغدت نظرات الصغار نحو الكبار مزيجاً من الاستهزاء والسخرية والاستهانة إن لم يكن الاحتقار أحياناً ·

ويعتبر الأستاذ محمد قطب مسألة الصراع بين الأجيال مقولة جاهلية، تلك التي تجعل الفتى والفتاة ينظران إلى أبويهما نظرتهما إلى جيل «متخلف» - والأم خاصة - غير واع وغير مدرك «للتطور» الذي وصلت إليه الأمور في المجتمع الجديد ، فلاحاجة لتوجيهاتهما ونصائحهما وأوامرهما(١) ·

فظاهرة «الصراع بين الأجيال» القائمة في تلك الجاهلية ، لاتعرفها الحياة الإسلامية الصحيحة المستقيمة على منهج الله سبحانه ·

لأن الحياة الإسلامية تعرف جيداً ظاهرة «الاختلاف بين الأجيال» التي تختلف كلية عن ظاهرة الصراع وقد تنبه إلى ذلك الاختلاف بين الأجيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال : «أحسنوا تربية أولادكم فقد خلقوا لجيل غير جيلكم» إن صورة الحياة تتغير في أشكالها وممارساتها لكن أصولاً ثابتة لاتتغير ، هي أن العبودية والحكم والطاعة لله سبحانه وتعالى ·

---

(١) انظر : منهج التربية الإسلامية ، ج٢ ، ص ٢٤٤ ·

ذلك أن الأجيال تختلف فيما بينها في أمور الحياة المتغيرة ، لكن تبقى هناك الروابط والقيم الأصلية الربانية التي تجعل منهم «أمة واحدة»(١) .

وتاريخ البشرية والإنسانية لم يشهد في مرحلة من مراحله امتهاناً للوالدين - خاصة الأم - ما يرى ويشاهد ويسمع اليوم، والحقيقة المرة التي لابد من الاعتراف بها أن المجتمعات التي تسمى اليوم بالإسلامية، يتعامل الأبناء مع أمهاتهم في الغالب بالعقوق والعصيان وترك الواجب في الرعاية والنفقة والحماية ، ومؤسسات دور العجزة والخدمة الاجتماعية والمستشفيات ، والمصحات النفسية ملأى بالأعداد الهائلة من الأمهات المسنات اللاتي استنفذ الأبناء والأزواج كل نبضة حياة فيهن ليلقى بهن من ثم في تلك الأماكن . إن زيارة واحدة لمآوي المسنين والعجزة تصيب الناظر بصدمة نفسية تلقيه مريضاً لعدة أيام . والأشد من هذا أن يقر المجتمع هذه الأماكن وكأنها ضرورة لابد منها في المجتمع، فتفتح دور العجزة والأربطة لاستقبالهم من أولادهم وبناتهم أي شر مستطير أكثر من هذا !؟ إن هذه الأماكن قد تكون لفئة قليلة محدودة ممن لايوجد لهم من يعولهم ويرعاهم من الأهل والأبناء ، ومع ذلك ففي المجتمع المسلم الصحيح المعافى يتسابق المؤمنون لرعاية الضعفة والعجزة والمسنين . لان هذا هومنهج الإسلام . وقد تنافس الخلفاء الراشدون في خدمة العجائز والمسنين فتسابق أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في ذلك .

وقد قامت الدراسات والأبحاث على قدم وساق لتتبع حالات المسنين في دور العجزة وغيرها ودراستها للسير بحياتهم نحو

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ - ٣٢٧ .

الأفضل والأحسن في هذه المقابر الاجتماعية والنفسية، التي أصبحت مرحلة لابد منها قبل أن يموت الجسد لينقل إلى مقبرة التراب تحت الأرض ·

إن في مكتبات البلاد الإسلامية الكثير من الكتب والرسائل التي تبحث عن تطوير الحياة وتحسينها في مأوى العجزة والمسنين وكلها للأسف لم تتغلغل إلى أعماق هؤلاء المساكين لتتحدث عن الحزن واليأس والكآبة والموت الذي يخنق معنى الحياة في وجوههم، يتتبعون من يمر أمامهم لعل أحدهم يفوز بالنظر إلى واحد من الأبناء أو قريب من الأهل ، قد تفضل بالتكرم لزيارته ·

إن حياة الوالدين حين يبلغان الكبر في المجتمعات التي لا تؤمن بالله سبحانه هي أشبه بالموت المحقق !؟ وهذا أكثر ما يظهر في بلاد الغرب حيث طغت المادة على الحياة وتحطمت إزاءها كل الروابط المعنوية ، ليكون مصير الآباء في كل المجتمع إما الوحدة القاتلة أو دور المسنين ومأوى العجزة ، إنه المصير الذي سيصل إليه كل من شاء له الله -سبحانه- طول العمر لامحالة ﴿فهل من مدكر﴾ (سورة القمر) ·

يروي أحد الأطباء المساهمين في كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» عن قصة واحدة من هؤلاء الأمهات في بلادهم فيقول ·· عند ما كنت أعمل جراحاً في أحد المستشفيات جاءتني ذات يوم جدة مريضة جاوزت السبعين تشكو من شرخ في عظام ردفها ، بعد أن وضعت فترة تحت العلاج ·· ولم تمض أيام قليلة حتى تقدمت إليها مهنئاً بما تم لها من شفاء نادر عجيب · وعندما حضرت ابنتها لزيارتها يوم الأحد أخبرتها أنه باستطاعتها أن تأخذ والدتها في الصباح إلى المنزل · ولم تذكر ابنتها شيئاً مما جال في خاطرها ، ولكنها انتحت بأمها جانباً وأخبرتها أنها قد قررت هي وزوجها أن يأخذا الأم إلى أحد ملاجئ العجزة لأنهما لايستطيعان أن يأخذاها

إلى المنزل · ولم تكد تنقضي بضع ساعات على ذلك حتى استدعيت على عجل لإسعاف السيدة العجوز، وياالهول مارأيت ، لقد كانت السيدة تحتضر ، ولم تمض ساعات قليلة حتى أسلمت الروح ، إنها لم تمت من كسر في عظام ردفها ولكنها ماتت من انكسار قلبها ·

لقد عقدت كل آمالها حول ابنتها الوحيدة ، وعندما خلت بها ابنتها ، انهارت آمالها ، فواجهت الموت بدلاً من أن تواجه الحياة ، ولقد صدق عيسى عليه السلام عندما قال : كيف ينتفع الإنسان بهذه الدنيا إذا ملكها وفقد روحه(١) ·

ولا أبلغ وأدل من القرآن الكريم في الرأفة بالآباء والأمهات واحترامهم والإحسان إليهم فرضاً واجباً وشرطاً لدخول الجنة قال الله عز وجل ·· ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما· واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾(سورة الإسراء - آية ٢٣ - ٢٤) ·

والمؤسف اليوم -حتى في البلاد الإسلامية- أن عقوق الأمهات صار ظاهرة سائدة فيها ·

وفي هذا دلالة -والله سبحانه أعلم- على قرب وقوع الساعة مع انتشار الحضارة والبناء ··· ففي الحديث الشريف أن جبريل عليه السلام أتى إلى النبي ﷺ فسأله «متى الساعة ؟» فقال ﷺ «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل · وسأخبرك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربها · وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان»(٢) ·

---

(١) انظر نخبة من العلماء ، بول إرنست أدولف ، الله يتجلى في عصر العلم ، ص ١٤٠-١٤٢) ·

(٢) البخاري ، الصحيح م١ ، ج١ ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ·· ص ٢٢ ، ح (٥٠) ·

وفي رواية جاء الحديث الشريف بلفظ «أن تلد الأمة ربتها»(١) · وذلك لما يحصل من العقوق والعصيان للأمهات وامتهانهن ·

والمتأمل في الحديث الشريف يلاحظ أن الرسول ﷺ قد ربط بين عقوق الأمهات وبين التطاول في البنيان الذي هو دليل التقدم والرقي المادي ·

حين يصبح هم الإنسان وشغله الشاغل الحصول على المال وما يحقق له المظهر المادي الحضاري ، دون التفات إلى القيم الدينية والإنسانية والروحية ، وأكبر الأدلة على ذلك هو عدم بر الوالدين اللذين هما سبب وجود الإنسان ، فإذا فرط الفرد في هذا الواجب نحوهما من الكفالة والرعاية والاحترام والإحسان · فقط ماتت عنده كل فضيلة وكل خصلة من الخير ·

إن قول رسول ﷺ «أن تلد الأمة ربتها» أو «ربها» يعني كما رجحه الحافظ ابن حجر أنه «يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام»(٢) والله سبحانه وتعالى أعلم ·

والمشاهد اليوم أن ماحدث عنه النبي الأمي ﷺ قد تحقق وهو مشاهد في ظل هذه الحضارة لكل ذي بصيرة · فقد أصبح هم الإنسان في هذه الأيام أن يسعى إلى تحصيل مستلزمات المدنية المعاصرة من البيت والسيارة والأثاث والكماليات والمتع لينسى عند ذلك الآباء ولاسيما الأمهات مع أن حقهن آكد من الأب ·

لقد حل بالأمم ما حدث عنه القرآن الكريم : ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلايتدبرون القرءان أم على قلوب أقفالها﴾ (سورة محمد آية ٢٢-٢٤) ·

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج١، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ص٣٨، ح(٨) ؛ البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : «إن الله عنده علم الساعة»، ص ٢٤ ، ح (٤٧٧٧)

(٢) فتح الباري ، ج١ ، ص ١٢٢-١٢٣ ·

الفصل الثاني

التغذية بالقارورة بدل الرضاع من الأم

لقد امتدت آثار الحضارة الحديثة إلى الأمومة في كل جوانبها، وكان من ذلك أمومة الرضاع ، حيث حولت تغذية الرضيع إلى عمل فيزيولوجي ، يؤدى بأية صورة، ذلك حين استغنت الأمهات عن الرضاع الطبيعي بالرضاع الاصطناعي، فاستبدل حليب الأم بحليب الحيوان وثدي الأم بالقارورة ·

إن «حليب الأم منحة السماء ، لزائر جديد أطل على وجه الأرض ··· تهيأت لتركيبه مصانع أودعها الله في جسم الأم ··· وفاق بتركيبه كل حليب ···· يمر عبره كل ما يحتاج إليه الطفل من وقاية وغذاء ···· ويعطي الأم إحساساً يوثق عرى الروابط بينها وبين وليدها ، ··· ويشعر الرضيع بأنه لايرضع الحليب فحسب بل إنه يمنح العطف والمحبة والحنان ···»(١) ·

والله عز وجل لم يترك عملية الرضاع لتوجيه الغريزة والفطرة فقد أوجب سبحانه ذلك في كتابه العزيز قال الله جلا وعلا : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لاتكلف نفس إلا وسعها لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك · فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾(سورة البقرة ـ آية ٢٣٣) ·

يقول الأستاذ سيد قطب «والله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين لأنه سبحانه يعلم أن هذه الفترة هي المثلى من جميع الوجوه الصحية والنفسية للطفل «لمن أراد أن يتـــــم

---

(١) د· حسان شمسي باشا ، الرضاعة الطبيعية من لبن الام ، ص ١١ ·

الرضاعة» وتثبت البحوث الصحية والنفسية اليوم أن فترة عامين ضرورية لنمو الطفل نمواً سليماً من الوجهة الصحية والنفسية ، ولكن نعمة الله على الجماعة الإسلامية لم تنتظر بهم حتى يعلموا هذا من تجاربهم فالرصيد الإنساني من ذخيرة الطفولة لم يكن ليترك يأكله الجهل كل هذا الأمد الطويل ، والله رحيم بعباده ، وبخاصة هؤلاء الصغار الضعاف المحتاجين للعطف والرعاية»(١) ٠

ويرد الرضاع أيضاً في القرآن الكريم في صورة أمر حافل مهيب في أبلغ آية وأفصح تعبير قال الله عز وجل لأم موسى ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾(سورة القصص-آية ٧) ٠

أي اهتمام وأية عناية أكثر من هذا ٠٠ فقد حوت هذه الآية الكريمة خبرين وأمرين ونهيين وبشارتين حتى قيل عنها إنها أفصح آية في القرآن الكريم

ويرشد الرسول ﷺ إلى أهمية الرضاع وضرورته حين هم ﷺ أن ينهى أمته عن الغيلة ووطء المرضع حتى لاتحمل مع الرضاع فيضعف الرضيع ، لكنه رخص ﷺ في ذلك حين وجد فارس والروم تغيل أولادها فلا يضرهم ذلك قال ﷺ :«لقد هممت أن أنهى عن الغيلة ٠ فنظرت في الروم وفارس ٠ فإذا هم يغيلون أولادهم، فلا يضر أولادهم ذلك شيئاً» (٢) ٠

فالرسول ﷺ هم بالنهي عن الغيلة لتتوفر للرضيع المدة الكافية والغذاء المناسب مما يجعله صحيح الجسم قوي البنية معافى في مستقبل حياته ٠

---

(١) في ظلال القرآن : ج١ ، ص ٢٤٨ ٠

(*) الغيلة: أن يجامع الرجل زوجته وهي مرضع، وكذلك إذا حملت وهي مرضع واسم ذلك اللبن الغيل بالفتح ،(ابن الأثير، النهاية، ج٣ ، (غيل)، ص ٤٠٢)

(١) مسلم، الصحيح، ج٢، كتاب الرضاع، باب جواز الغيلة ٠٠ص١٠٦٧، ح(١٤٤٢) ٠

وفي الحديث الشريف أنه ﷺ قال في ابنه إبراهيم عليه السلام حيث مات رضيعاً «إن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة»(١) ٠

وإذا كان الرضيع المتوفى بحاجة إلى إكمال رضاعه لأن ذلك حق من حقوقه التي لايجوز الإعراض عنها فإن المولود الحي أولى بهذا الرضاع، من اللبن الطبيعي من الأمهات ٠

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ ذكر في جملة من عرض عليه عذابهم النساء اللواتي لايرضعن أولادهن من غير عذر فقال ﷺ : (ثم انطلق بي فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات ٠ قلت : مابال هؤلاء ؟ قيل هؤلاء يمنعن أولادهن ألبانهن)(٢)٠

إن ما سبق من النصوص الكريمة ليدل دلالة قاطعة على وجوب الرضاع من الأم ٠ حتى إذا تعذر الرضاع من الأم الوالدة ، فلتكن امرأة أخرى ترضع هذا الصغير، وتصير أماً له بهذا الرضاع قال الله عز وجل ٠٠ ﴿فإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾(سورة الطلاق - آية ٦) ٠

إن الأمر بالغ الخطورة والأهمية ٠ فالطفل ينبغي أن يتغذى من ثدي الأم الوالدة فإذا تعذر ذلك ٠٠ فلتكن امرأة أخرى ٠٠ إنها ليست كالأم الوالدة ٠٠ وكأن القرآن الكريم يوحي في هذا السياق، أنه لابد للصغير من أن يتغذى من الثدي في كل حال من الوالدة أو غيرها ٠ لكن الأوجب والأولى أن ترضعه الأم الوالدة بدليل قول الله عز وجل ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ٠

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٦٩من هذا البحث ٠

(٢) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، ترتيب علاء الدين بن بليان الفارسي ، الطبعة الأولى، (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ، ج٩، ص٢٨٦ ، ح (٧٤٤٨) ٠
صحيح ابن خزيمة ، تحقيق د٠ مصطفى الأعظمي ، الطبعة الأولى ، (بيروت : المكتب الإسلامي) ، ج٢ ، س٢٧٣ ، قال المحقق : إسناده صحيح ٠ قلت الحديث صحيح٠

فما هو حكم الرضاع المستنبط من الآية الكريمة ؟!

المقصود من الخبر في الآية الكريمة هو الأمر(١) كما تحتمله وجوه اللغة العربية كما في قوله تعالى ﴿والمطلقات يتربصن﴾(سورة البقرة - آية ٢٢٨) قال الإمام الزمخشري «يرضعن، مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد»(٢) فالله عز وجل يأمر الأم الوالدة ويفرض عليها فرضاً واجباً لازماً في عنقها أن ترضع وليدها · وأمر الإرضاع مناط بها ولا يتعداها إلا لعذر أو سبب قاهر · فأسلوب الآية الكريمة بالإخبار بالجملة الفعلية يفيد الحصر والاختصاص(٣) ، فالمرضع هي الوالدة وهذا عملها وهذه وظيفتها الملزمة بها من رب العالمين ·

إن في الآية الكريمة ﴿والوالدات يرضعن﴾ إعجاز قرآني بليغ ودلالة قطعية، لايستطيع كل ذي فهم وبصيرة في القرآن واللغة العربية إلا أن يقف عندها ويستجلي ما في هذه الآية الكريمة من أسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم ·

إن هذه الآية الكريمة منظومة من مبتدأ وخبر وهي أمر مثبت من الله عز وجل إلى الأمهات الوالدات وإلى الآباء بل إلى الأمة المخاطبة بأسرها ·

إن تقديم المخبر عنه وهن الأمهات المرضعات على الفعل «يرضعن»، فيه تقديم وتأخير بلاغي، ولايكتفى أن يقال إن تقديم الوالدات كان للعناية بذكر الفاعل لأن ذكره أهم(٤) بل هذا لايكاد يذكر عند أرباب الفصاحة والبيان وإن هؤلاء الذين يدعون أن هذا التقديم كان للعناية «قد صغر أمر «التقديم والتأخير» في نفوسهم

---

(١) انظر : السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص ٧٦ ·

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ج١ ، ص ٣٦٩ ·

(٣) انظر السيوطي ، الإتقان ، ج٢ ، ص ٥٢ ·

(٤) انظر الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي ، دلائل الإعجاز ، تعليق محمود محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م) ، ص ١٠٨ ·

وهونوا الخطب فيه ، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف · ولم ترظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه ..... ، لاجرم أن ذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة ، ومنعهم أن يعرفوا مقاديرها ، وصد بأوجههم عن الجهة التي هي فيها ، والشق الذي يحويها ، والمداخل التي تدخل منها الآفة على الناس في شأن العلم ، ويبلغ الشيطان مراده منهم في الصد عن طلبه وإحراز فضيلته كثيرة ، وهذه من أعجبها»(١) ·

فإذا قدم المتحدّث عنه بفعل · ثم بني الفعل عليه نحو «زيد قد فعل» اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل ، وهذا القصد ينقسم إلى قسمين :

جلي لايشكل : وهو أن يكون الفعل فعلاً نص فيه على واحد فيكون له ، وهو فاعله دون الآخر ، أو دون كل أحد(٢) ، «ومثال ذلك أن تقول (أنا كتبت في معنى فلان ، وأنا شفعت في بابه) ، تريد أن تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به ، وتزيل الاشتباه فيه ، وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت»(٣) ·

والقسم الثاني والقصد فيه لايكون إلى الفاعل ، ولكن المراد تحقيق الصفة في الفاعل(٤) وهذا غير مراد في الآية الكريمة ·

وعلى مفهوم المعنى الجلي في «التقديم والتأخير» فإن الوالدات هن المقصودات في أمر القيام بفعل الرضاع دون غيرهن · والنص في الفعل عليهن فقط وهن المرضعات لأولادهن دون غيرهن ودون كل أحد ·

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ·
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ١٢٨ ·
(٣) المرجع السابق ·
(٤) انظر : المرجع السابق ·

أما إفادة الحصر في الآية الكريمة ﴿الوالدات يرضعن﴾ فهو يظهر في تقديم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر بالفعل المضارع المثبت · ذلك أن الحصر يفيد نفي غير المذكور وإثبات المذكور(١) فالوالدات محصور فيهن الإرضاع · وهنا تداخل الحصر مع الاختصاص ليفيد تأكيد الأمر بالخبر الفعلي المثبت ﴿يرضعن﴾ والاختصاص يعني قصد الخاص من جهة خصوصه · والاختصاص افتعال من الخصوص الذي هو مركب من شيئين : أحدهما عام مشترك بين شيئين أو أكثر، والثاني معنى منضم إليه يفصله عن غيره نحو «ضرب زيد»· أما القصد من هذا الإخبار فيترجح بما ابتدئ به الكلام · فإن الابتداء بالشيء يدل على الاهتمام به، وأنه هو الأرجح في غرض المتكلم · والضرب الواقع على زيد هو المقصود من هذا الخصوص · وهو الأهم عند المتكلم · وهو الذي قصد إفادته السامع من غير تعرض ولاقصد لغير بإثبات ولانفي(٢)· ونحو «زيد منطلق» فقد أثبت الانطلاق لزيد وأسند إليه ، فزيد مثبت له، ومنطلق مثبت به ، وأما تقديم المبتدأ على الخبر لفظاً، فهو حكم واجب من هذه الجهة ، أي من جهة أن المبتدأ هو الذي يثبت له المعنى الذي يحمله الخبر فأسند إليه، والخبر قد أسند وأثبت به المعنى المقصود من هذا الإخبار(٣) ·

وعلى ذلك فإن التقديم بالمبتدأ ﴿الوالدات﴾ يفيد حصر الفعل يرضعن بهن ثم تخصيص هذا الفعل بهن دون أية امرأة أخرى · وبذلك فإن الواجب على الوالدة أن ترضع مولودها في كل الظروف والأحوال والملابسات إلا أن يقوم مانع صحي يحول دون رضاعه· والوالدة آثمة وعاصية لأمر الله عز وجل إذا تنكرت لهذا التكليف الإلهي الذي خوطبت به وأمرت به دون غيرها ·

---

(١) انظر السيوطي ، الإتقان ، ج٢ ، ص ٥٢ ·
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٥٢ ·
(٣) انظر : الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص ١٨٩ ·

والوالدة المطلقة مأمورة بهذا قبل غيرها · وهذا مأخوذ من سياق الآيات الكريمات وعرضها بعد الحديث عن الطلاق مباشرة ، حتى لايفضي الخصام الذي بين أبوي المولود إلى إيذاء هذا المخلوق الضعيف حين تمتنع الأم عن إرضاعه نكالاً بالأب وتشفياً من مطلقها، أو حين يضر الأب بالأم ورضيعها فيفتعل الأسباب والمبررات ليحول بين الأم والصغير الرضيع ·

فالمقصود بالوالدت هنا جميع الأمهات الوالدات، والمطلقات منهن مخاطبات خصوصاً وقبل غيرهن ومكلفات بهذا ، والخطاب يشمل أولياء الأمر ، لهذه المرأة الوالدة ولهذا الطفل، من الوالد وغيره، فالجميع مطالبون بتوفير جو الرعاية والحضانة الصحيحة السليمة لهذا المولود الضعيف، الذي هو بأشد ما يكون إلى العطف والرحمة والعناية والتغذية والحنان، ولن يكون هذا إلا من الأم الوالدة ذات الفطرة السليمة ·

يقول الإمام ابن جرير رحمه الله في معنى الآية الكريمة :

«يعنى تعالى ذكره بذلك : والنساء اللواتي بنّ من أزواجهن ولهن أولاد قد ولدنهم من أزواجهن قبل بينونتهن منهم بطلاق ، أو ولدنهن منهم بعد فراقهم إياهن من وطء كان منهم لهن قبل البينونة يرضعن أولادهن ، يعني بذلك أنهن أحق برضاعهم من غيرهن»(١) ·

ويقول الإمام الرازي رحمه الله فيما يذكره عن آراء العلماء في معنى هذه الآية الكريمة «إن الله تعالى ذكر هذه الآية عقيب آية الطلاق ، فكانت هذه الآية تتمة تلك الآيات ظاهراً ، وسبب التعليق بين هذه الآية وبين ما قبلها أنه إذا حصلت الفرقة حصل التباغض والتعادي ، وذلك يحمل المرأة على إيذاء الولد من وجهين (أحدهما) إن إيذاء الولد يتضمن إيذاء الزوج المطلق (والثاني) أنها ربما رغبت في التزوج بزوج آخر ، وهذا يقتضي إقدامها على إهمال

(١) جامع البيان ، ج ٢ ، ص ٤٩٠ ·

أمر الطفل فلما كان هذا الاحتمال قائماً لاجرم ندب الله الوالدات المطلقات إلى رعاية جانب الأطفال والاهتمام بشأنهم»(١) ٠

والأم الوالدة قبل أي أحد مطالبة بحفظ حقوق هذا المولود في رضاعه ورعايته وهي المسؤولة الأولى عن التفريط بهذا الواجب ، إن لم يحل بينها وبين هذا التكليف مانع صحي أو من المحيطين بها فيما لاتطيق دفعه ٠

والقرآن الكريم لفت نظر الأم بالعتاب والتقريع حين تعرض عن أداء هذا الواجب قال الله عز وجل ٠٠ ﴿وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾(سورة الطلاق ـ آية٦)٠

«فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه ، وفيه طرف معاتبة الأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم، وقوله سبحانه ﴿له﴾ : أي للأب : أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه»(٢) ٠

«وخص -الله سبحانه وتعالى- الأم بالمعاتبة لأن المبذول من جهتها هو لبنها لولدها ، وهو غير متمول ولا مضنون به في العرف وخصوصاً في الأم على الولد ، ولا كذلك المبذول من جهة الأب فإنه المال المضنون به عادة ، فالأم إذاً أجدى باللوم وأحق بالعتب»(٣) ٠

أما مدة الرضاع !

فقد حددها القرآن الكريم بـ ﴿حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ فتمام الرضاعة سنتان كاملتان وهو أمر يندب إليه، ويرغب القرآن الكريم فيه في أنه هو خير الأمور لأنه تمام الرضـــاع

---

(١) مفاتيح الغيب ، م٣ ، ج٦ ، ص ١٢٥ ٠
(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ١٢٢ ٠
(٣) أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري ، الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، حاشية الكشاف للزمخشري ج ٤ ، ص ١٢٢ ٠

والذي لايتم أمره عرضة للنقص وهو هنا الرضاع ·

وقوله تعالى ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ فيه دلالة على أن الأمر في رضاع الحولين محمول على الندب والاستحباب والأفضل ، لكن ذلك مشروط باتفاق الوالدين معاً على الفطام ، فإن لم يقر عليه الأبوان معاً فلافطام حتى تتم الرضاعة سنتين، وأما مادون الحولين فلابد وأن فيه حداً واجباً يتغذى فيه الرضيع من لبن الأم بما يضمن له نمواً سليماً ، لايقل هذا الزمن عن ستة أشهر في أسوأ وأضعف حالات الرضاعة ·

والأب والأم معاً مخاطبان بضرورة الاهتمام بشأن هذا المولود ورضاعه ، فإن رأيا معاً أن المصلحة في فطام هذا الصغير كان لهما ذلك كما في قوله تعالى : ﴿فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلاجناح عليهما﴾ اي فلا إثم ولاحرج عليهما إن كان قرار الفصال للرضيع قد اتخذ بعد تداول وتشاور بين والدي الصغير، لأنه يستحيل أن يجتمعا معاً على ما يضر بطفلهما · قال الإمام الرازي رحمه الله : «إن المقصود منه قطع التنازع بين الزوجين إذا تنازعا في مدة الرضاع ، فقدر الله سبحانه ذلك بالحولين حتى يرجعا إليه عند وقوع التنازع بينهما ، فإن أراد الأب أن يفطمه قبل الحولين ولم ترض الأم لم يكن له ذلك ، وكذلك لو كان على عكس هذا فأما إذا اجتمعا على أن يفطما الولد قبل تمام الحولين فلهما ذلك» (١) ·

وتدل الآية الكريمة على أن تفرد أحد الأبوين باتخاذ قرار فطام الرضيع لايجوز ، ولابد من اتفاقهما معاً على هذا الأمر يقول الإمام الرازي رحمه الله ··· (دلت الآية على أن الفطام في أقل من حولين لايجوز إلا عند رضا الوالدين وعند المشاورة مع أرباب التجارب وذلك لأن الأم قد تمل من الرضاع فتحاول الفطام والأب أيضاً قد يمل من إعطاء الأجرة على الإرضاع ، فقد يحاول الفطام

(١) مفاتيح الغيب ، م٣ ، ج٦ ، ص ١٢٧ ·

دفعاً لذلك ، لكنهما قلما يتوافقان على الإضرار بالولد لغرض النفس ، ثم بتقدير توافقهما اعتبر المشاورة مع غيرهما ، وعند ذلك يبعد أن تحصل موافقة الكل على مايكون فيه إضرار بالولد ، فعند اتفاق الكل يدل على أن الفطام قبل الحولين لايضره البتة، فانظر إلى إحسان الله تعالى بهذا الطفل الصغير كم شرط في جواز إفطامه من الشرائط دفعاً للمضار عنه، ثم عند اجتماع كل هذه الشرائط لم يصرح بالإذن بل قال ﴿لاجناح عليكم﴾ وهذا يدل على أن الإنسان كلما كان أكثر ضعفاً كانت رحمة الله معه أكثر وعنايته به أشد»(١) ٠

وقد قرن القرآن الكريم بين الحمل والفصال أي الفطام عند ذكر الحقوق التي للأم على الولد والتي تميزت فيها عن مقام الأب قال الله عز وجل في سورة الأحقاف : ﴿ووصينا الإنسٰن بوٰلديه إحسٰنا حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصٰله ثلٰثون شهراً﴾(آية ١٥) وفي سورة لقمان : ﴿حملته أمه وهناً على وهن وفصٰله في عامين﴾(آية١٤) ولو لم يكن الإرضاع واجباً على الأم لما قرن بينه وبين الحمل وكأنه والحمل سواء في الأهمية بالنسبة للولد٠ وبالنسبة لما تستحقه الأم من الحقوق على هذا الولد ٠ لأن الإرضاع يتطلب الملازمة والالتصاق بهذا الرضيع على الدوام وهو حين يفطم فكأنه انفصل عن هذه الأم وانقطع هذا الحبل القوي بنيهما ٠

وبالرغم من كل هذه الأوامر والتكاليف في القرآن الكريم حول قضية الرضاعة من لبن الأم، إلا أن الناس جملة قد تنكروا لهذا الواجب الشرعي ليتحول غذاء الرضع من الوالدات إلى البقرات ، وما كان القرآن الكريم ليترك هذه القضية الأساسية في تكوين الإنسان إلى فلسفة البشر وتقنياته لو أن حليب الأبقار يغني عن لبن الأمهات من النساء ، والآية الكريمة صريحة واضحة في أنه

(١) مفاتيح الغيب ، م ٣ ، ج ٦ ، ص ١٣٣ ٠

عند تعذر الرضاع -اجتماعياً أو صحياً- من الوالدة فإن اللبن الذي يتغذى منه هذا المولود هو لبن إنساني من امرأة أخرى قال الله عز وجل : ﴿وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾ ولم يرد ذكر الرضاع من غير هذا المصدر الإنساني في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة · ومن يدري ! لعل العلم يكتشف بعد حين من الدهر، أن في غذاء الرضع من بني الإنسان (من لبن البقر) ، فيه مسخ لإنسانية الإنسان مما لايدرك أثره إلا على مر السنين وتعاقب الأجيال، كما تنبه العلم الحديث بعد أكثر من أربعة عشر قرناً إلى أهمية حليب الأم وأضرار الحليب الصناعي ·

فما هي أهمية الرضاع الطبيعي من لبن الأم في العلم الدنيوي ··

يقول الدكتور حسان شمسي باشا في كتابه «الرضاعة من لبن الأم» :

(«حليب الأم هو الغذاء الطبيعي للوليد أثناء الأشهر الأولى من الحياة» هذا ما يقوله ويجمع عليه علماء طب الأطفال في العالم الآن ·

فقد جاء في كتاب «طب الأطفال» لنلسون عام ١٩٨٧م ، وهو من أشهر وأوثق كتب طب الأطفال في العالم- «أن حليب الأم هو أكثر أنواع الحليب ملاءمة للطفل لأنه قد صنع خصيصاً وبشكل فريد ليلائم حاجات ذلك الوليد» ·· فمن أوجد هذا الحليب ومن وضع هذا التركيب الفريد من معادن وفيتامينات وبروتينات وغيرها من المواد في مزيج متناسب ليعطي الغذاء والدفء والسعادة لذلك المخلوق الضعيف ؟ إنه الله سبحانه الذي خلق فأبدع» ·

«لقد صحا الغرب إلى هذه الحقيقة حديثاً ، فبعد أن كثر الترويج للحليب الاصطناعي في أوربا وأميركا في الستينات والسبعينات ، واقتدت بهم معظم النساء في البلاد العربية

والسبعينات ، واقتدت بهم معظم النساء في البلاد العربية والإسلامية ، نجد الأطباء ووسائل الإعلام الصحية في الغرب بدأت تنادي بالعودة إلى حليب الأم بعد أن ثبت علمياً أنه ليس هناك بديل لحليب الأم · وتوالت المقالات العلمية في المجلات الطبية تؤكد هذه الحقيقة وبدأت وسائل الإعلام الطبية في بريطانيا والولايات المتحدة تنبه النساء إلى ضرورة العودة إلى الإرضاع الطبيعي»(١)·

لقد أصدرت الحكومة البريطانية منذ خمس سنوات قراراً يمنع الشركات المنتجة للحليب الاصطناعي من ممارسة الدعاية لأصناف هذا الحليب ، وقد اختفت تماماً تلك الدعايات من شاشات التلفزيون والسينما ووسائل الإعلام الأخرى(٢) في الوقت الذي تروج فيه وسائل الإعلام في الدول العربية والإسلامية إلى الرضاع الاصطناعي وإخراج الدعايات الجذابة للحليب الاصطناعي ·

أجرت منظمة الصحة العالمية دراسة حول طريقة الإرضاع في العديد من دول العالم · وأعرب التقرير عن الأسى لوضع العالم الثالث الذي يقبل على استعمال الحليب الاصطناعي في الوقت الذي تتراجع فيه أوروبا وأمريكا عن ذلك ، وإن هذا الرضاع في ازدياد مضطرد في العالم الثالث مع ماينطوي عليه ذلك من نتائج خطيرة على صحة الطفل · وإن الشركات المنتجة للحليب الاصطناعي تتنافس فيما بينها عن طريق ممثلين يمارسون الدعاية لهذه المنتجات بشتى الوسائل ، وإن على هذه الشركات المنتجة للحليب الاصطناعي أن تحذر من صحوة العالم عاجلاً أم آجلاً وعودته إلى حليب الأم ، وعلى هذه الشركات ألا تتوقع أزدياداً في مبيعاتها من الحليب الاصطناعي(٣) ·

وكذلك فإن الأبحاث العلمية المنشورة في أوثق المجلات الطبية

---

(١) المرجع السابق ·

(٢) انظر: د·حسان شمسي باشا،الرضاعة من لبن الأم،ص ٢٠، والمصدر الذي اعتمده المؤلف

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٢١ ·

التي تنصح بها الدوائر الصحية في أوربا وأمريكا تجمع على أن حليب الأم هو الغذاء المفضل حتى السنتين من عمر الطفل(١) ٠

تقول الأستاذة الدكتورة - روث لورنس - أستاذة أمراض الأطفال بجامعة روتشستر في نيويورك بالولايات المتحدة:

«على الرغم من أن العلوم الطبية قد خطت خطوات عظيمة في مجال التغذية إلا أنها لم تستطع أن تقلد إلا جزءاً بسيطاً من حليب الأم ولم تتمكن من إنتاج حليب يشابه حليب الأم بحال من الأحوال»)(٢) ٠

فما هي فوائد الرضاعة من لبن الأم ؟

إن للرضاعة من لبن الأم - ولا سيما الوالدة - فوائد معنوية وحسية أما الأولى فتتمثل في الأثر النفسي والأخلاقي الذي يتركه الرضاع الطبيعي في الإنسان من خلال التماس الحسي بين الأم ورضيعها٠ ذلك أن المولود الذي كان متعلقاً بالحبل السري بأمه وهو جنين في بطنها يتغذى منه جسدياً وروحياً قد انقطع عنه، ليستبدله بالغذاء من ثدي هذه الأم في حجرها٠ بل إن هذا المولود كان يتنفس من دم هذه الأم ورئتيها وهو وبالولادة تحول مجرى التنفس عنده إلى رئتيه ليتنفس من الهواء العادي٠ لكنه ينبغي أن يبقى ملامساً لهذه الأم يأنس بدفئها ويسعد برائحتها، وهو في حالتي الغذاء بالحليب والتنفس من هواء الطبيعة في أشد الحاجة إلى ما يشعره بأنه لازال في ذلك الحضن الحنون الذي كان يحمله بين جدرانه الممتلئة بالدماء وبين نبضات قلبه الذي يمده بالحياة، وكلا الأمرين لايكون إلا حين تتسلـــــم الأم

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٢ ٠

(٢) المرجع السابق ، نقلاً عن
Lawrence R . A .The Mangement of Lactation as a Physiologie Process clinics in Perinatology . 1987 . 41 : 1-32

الوالدة طفلها بعد الوضع مباشرة لتعيده إلى حضنه الهنيء · ولذا فقد كان الوحي إلى أم موسى بالأمر بالرضاع، قبل ولادة موسى عليه السلام في قول الله عز وجل ·· ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ · وقول الله عز وجل ﴿والوالدات يرضعن أولدهن﴾ وفي ذلك أكبر دلالة على أن الرضاع يأتي مباشرة بعد الولادة ؛ والتعبير بالمتبدأ ثم الخبر بالفعل المضارع يدل على الإسراع في إرضاع المولود بعد الولادة مباشرة ·

وهذا ما توصل إليه العلم الحديث الآن · ذلك «أن النتائج الحديثة للأبحاث العلمية تخلص إلى القول بوجوب وضع الوليد على تماس حسي مع الأم بعد الولادة مباشرة ، وذلك لأهمية هذه اللحظات في العلاقات اللاحقة بين الطفل والأم»(١) ·

إن التماس الحسي بين الطفل والأم يساهم مساهمة كبيرة في تعرف كل منهما على الآخر وذلك بسبب الرائحة المتبادلة بينهما لأن الرائحة تلعب دوراً كبيراً في توثيق الرابطة والعلاقة بين الأم والطفل خاصة في الفترة الزمنية التي تلي الولادة مباشرة ،

وقد نص القرآن على أهمية الرائحة فيما بين الوالد والولد ومالها من أثر نفسي في التعرف على الابن وفي إسعاد النفس وطرد الحزن من ألم الفراق حين ارتد يعقوب عليه السلام بصيراً، بعد فقده بصره حزناً على فراق يوسف عليه السلام كما في القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام ···

﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين ، ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون · قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم · فلما أن جاء البشير ألقه على وجهه فارتد

(١) د· فايز قنطار ، «الأمومة نمو العلاقة بين الطفل والأم» ، عالم المعرفة ، ص ٧٢ ·

بصيراً قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالاتعلمون﴾(آية ٩٣-٩٦) ٠

واليوم تقوم الأبحاث الجادة والكثيرة حول موضوع حاسة الشم ، ومالروائح من أثر في الحياة وفعالياتها ونموها وتطورها ٠ ففي ميدان الأمومة «أوضحت الدراسات المتعلقة بتأثير الرائحة في علاقة الأم بطفلها بأن الرائحة تلعب دوراً هاماً في تطور هذه العلاقة خاصة في المرحلة الأولى بعد الولادة ٠

إن التعرف على الطفل بواسطة الشم يكون أكثر احتمالاً عندما تتهيأ للأم وللطفل فرصة اللقاء اللمسي المطول بعد الولادة مباشرة»(١)

وإن التماس الجسدي يمكن أن يؤثر في الاتصال المتبادل بين الطفل والأم ، وهذا ما توضحه الدراسة التالية، حيث تمت مقارنة ثلاث مجموعات من الصغار تعرضت المجموعة الأولى إلى تماس جسدي مطول وذلك بوضع المولود على بطن الأم بعد الولادة مباشرة لمدة ثلاثين دقيقة ، بينما تعرضت المجموعة الثانية إلى تماس قصير لمدة خمس دقائق ، ولم تتعرض المجموعة الثالثة للتماس مع الأم وذلك لأسباب طبية٠ وقد بينت هذه الدراسة بأن التماس المطول يمكن أن يسهل على الأم التعرف على رائحة الطفل ، ويكون الطفل أكثر حساسية لرائحة الأم بالمقارنة مع روائح أو رائحة أم أخرى، لقد أوضحت هذه الدراسات بأن الرائحة تلعب دوراً هاماً في تطور هذه العلاقة خاصة في المرحلة الأولى بعد الولادة(٢) ٠

ولعل الرضاع هو أقوى روابط الاتصال الحسي بين الأم وطفلها ٠ إذ تضمه إلى قلبها ، وتلقمه ثديها وتحميه بذراعيها لترضعه خلاصة دمها وعظمها ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٣ ٠

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٧٢ - ٧٣ ، وانظر المراجع التي اعتمدها المؤلف هناك ٠

وفي أمومة مريم عليها السلام مايدل على أهمية التلامس بين الأم ووليدها في قول الله سبحانه وتعالى ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ (سورة مريم-آية٢٧) ففي اللفظ الكريم ﴿تحمله﴾ تصريح بلاغي قرآني في أن المولود يجب أن يحاط بدفء الأم وحنانها وعطفها يحرسه ويهدهده نبض قلبها · وتعطي جملة ﴿تحمله﴾ دلالة قرآنية أخرى في استعمال الضمير المتصل ليكون أبلغ في التعبير عن التصاق هذا الرضيع بأمه الوالدة، وكأنهما شخص واحد، كما كان الحال يوم كان في رحمها ·

والمهم في العلاقة السوية بين الأم والمولود هو التماس الجسدي بينهما في الساعتين الأوليتين بعد الولادة لما ينشأ خلالها من تعزيز وتثبيت للروابط السابقة للحياة خارج الرحم في مناخ البيئة الجديدة على المولود · ولذا كان الأمر من الله عز وجل إلى أم موسى بإرضاعه عند ولادته قبل إلقائه في اليم ، حتى إذا ماعاد إليها عرفها وعرفته باسترجاع تلك الخبرة في ذلك الرضاع السابق للفراق ·

بالإضافة إلى ذلك فإن فرص نجاح عملية الإرضاع الطبيعي ، تكون أكبر إذا بدأت الأم بإرضاع الطفل في وقت مبكر جداً بعد الولادة ، وإن تأخرها عن الإرضاع عدة ساعات بعد الولادة يساهم مساهمة فعالة في الإخفاق بعملية الرضاعة منها(١) ·

وبهذا فإن استقبال الأم الوالدة لطفلها وحضنه بعد الولادة مباشرة والقيام بإرضاعه ، له أثره العظيم النفسي والمادي في نمو الطفل وتوفير الغذاء والرعاية له · وتخطئ المستشفيات حين تقوم بعزل الطفل عن أمه ، وقد بدأت التوعية الصحية للحد من هذا النظام للقضاء عليه · فالأم والطفل كلاهما محتاج لعملية الرضاعة لما لذلك من كبير الأثر على الأم وعلى المولود من جميع النواحـــي

(١) انظر : د· حسان شمسي باشا ، الرضاعة من لبن الأم ، ص ٧١ ؛ د· فايز قنطار، الأمومة ص ٩٣ ، ٩٥ ، مع المصدر لذلك للمؤلفين ·

ولا سيما السعي لنجاح عملية الرضاعة التي لها الأثر الأكبر في شخصية هذا الإنسان ·

لقد أثبتت الدراسات اليوم كما جاء في كتاب «سيكولوجية الأمومة» أن الرضاع استجابة تكاملية من الأم نحو ولدها ، وهي أكثر من ملء المعدة بالوقود· بل هدفها ضمان النمو الجسدي والنفسي والاجتماعي للطفل ، والفصل بين هذه الأنواع خطأ كبير· ذلك أن الطفل حين يتناول غذاءه من ثدي أمه يمارس فاعلية واسعة وغنية · فهو يكتشف أمه ، ويكتشف العالم من خلالها في معاني البهجة والمسرة في وجهها ، ليبادلها فرحاً بفرح وابتساماً بابتسام وتعبيراً بتعبير وتأملاً بتأمل · وهو حين ذاك يكتشف نفسه فهو كائن مقبول ومحبوب تجتمع فيه اهتمامات الآخرين ، وهو في كل هذا يكتشف جمال تبادل العلاقات العاطفية والاجتماعية· مما يمهدله أرضية صلبة مستقبلية من الأمن النفسي والاتزان الاجتماعي(١) ·

أما الأمر الثاني فهو الأثر المادي في النمو السليم للطفل الذي يوفره حليب الأم، ويبدو هذا في تركيب هذا الحليب مقارناً بالحليب الاصطناعي وفي اللبأ الذي يفرزه الثدي في الأيام الأولى للولادة ، فإن ثدي الأم يفرز في الأيام الأولى بعد الولادة سائلاً أصفر قلوياً يدعى اللبأ (Colastrum) ، ويمتاز بارتفاع كثافته إذ تبلغ ١،٠٤٠- ١،٠٦٠ ويغناه بالبروتينات وبالفيتامين(أ) وبالغلوبيولين المناعي Immonoglobulin والصوديوم والكلور ، وبالمقابل فهو يمتاز باحتوائه على كميات أقل من السكريات والبوتاسيوم والدسم بالمقارنة مع حليب الأم وذكر كتاب - Current Obstetrics and Gynecology أن للبأ فعلاً ملييناً طبيعياً وهو الغذاء المثالي الذي يجب أن يبدأ به الوليد(٢)·

(١) عدنان السبيعي ، سيكولوجية الأمومة ، ج١، ص٣٠٦ - ٣٠٧ ·
(٢) انظر : د· حسان شمسي باشا ، الرضاعة من لبن الأم ، ص ٦٦ - ٦٧، مع المصدر الذي اعتمده فضيلة المؤلف ·

وتبدو فائدة الإرضاع الطبيعي أكثر في الأطفال الذين يولدون ناقصي الوزن، تقول الدكتورة- لورنس-أستاذة أمراض الأطفال موجهة الكلام للأمهات اللواتي يلدن أطفالاً ناقصي الوزن «إن الرضاع بالنسبة لهؤلاء الأمهات ليس مجرد نزوة عابرة بل إنها حاجة حقيقية لتؤمن الغذاء لطفل لم تستطع توفير الغذاء له أثناء الحمل·وإن الإرضاع في مثل تلك الأحوال يعطي الأم فرصة لكي تقوم بعمل خاص جداً للوليد الذي منحها الله، وهذا العمل الفريد الذي تقوم به الأم يعجز أن يقوم به أطباء التوليد، وأطباء الأطفال وممرضات العناية المشددة والفنيون والعاملات الاجتماعيات وكل الأجهزة التقنية الحديثة»(١) ·

وعموماً فإن لبن الأم يعتبر الغذاء المتوازن للمولود·فهو يحتوي على البروتينات واللاكتوز والماء والدسم والمعادن والفيتامينات كلها بكميات تناسب حاجة الوليد ومراحل نموه(٢) ·

ويمتاز لبن الأم بصورة خاصة ومهمة جداً في أنه يؤمن نمواً سليماً للجهاز العصبي-بمايحتويه من الأحماض التي تساهم في ذلك بدور كبير(٣)-ولذا فقد أثبتت الدراسة أن لحليب الأم أثراً ظاهراً في ارتفاع معدلات الذكاء وهذا يتناسب طردأمع زيادة المدة التي يتغذى فيها الطفل من حليب الأم، فقد أجريت دراسات في بريطانية بهذا الصددكماذكرت صحيفة(Lancet) وتبين أن هناك مادة غير معروفة في حليب الأم تؤثر في النمو الذهني، وكانت نسبة المعدلات في اختبارات الذكاء(١٠٤) درجات مقارنة بـ ٩٣ درجة حققها الأطفال الذين تناولوا الحليب الصناعي في مجموعة عدد أطفالها ثلاثمائة(٤) ·

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ ، نقلاً عن :
Lawrence R.A. The Mangement of Lactation as aphysidogy Process, Clinics in Perinatology. 1987, 41: 1-32.

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٢٩ ·

(٣) انظر : المرجع السابق ·

(٤) انظر :(صحة الطفل)مجلة النور، العدد٩٤-٩٥، ذو الحجة ١٤١٢هـ - حزيران ١٩٩٢م ، ص ٨٣ ·

والمعلوم طبياً وعلمياً أن نمو الدماغ يكون في أسرعه وأشده في السنتين الأوليتين من عمر الطفل(١) · والقرآن الكريم أمر الوالدات بإرضاع أطفالهن حولين كاملين على الندب والأفضلية والكمال والاستحباب ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ · فسبحان الله الخالق العليم ·

بالإضافة إلى ذلك فإن حليب الأم سهل الهضم سريع الامتصاص ، يمد الرضيع بالسوائل اللازمة وبشكل خاص في المناطق الحارة · ويتميز حليب الأم بالتناسب اللازم بين الكالسيوم والفوسفور في الجسم بنسبة ٢ : ١ مما يمنع التكرز الذي ينجم عن نقص الكالسيوم في الجسم ، في حين أن هذه النسبة معكوسة في حليب البقر(٢) مما يجعل الأطفال الذين يرتضعون من حليب الأم أقل عرضة للأمراض العصبية والإنتانية والالتهابات المعوية وتسممات الدم والفيروسات(٣) ·

إن لبن الأم يقي الطفل من أمراض الحساسية كالإسهالات والنزف المعوي والأكزيما والمغص ، فحليب الأم مزود بمواد مناعية منها الغلوبيولين المناعي Globiulin - يدعى I g A - مما يقيه من الجراثيم · ولذا فالأطفال الذين يرتضعون من الأم أقل تعرضاً للموت في البلدان النامية من أولئك الذين يتناولون الحليب الاصطناعي · ويعتقد أن جزءاً من الوقاية يؤمنه الاتصال الحميم بين الأم ووليدها عن طريق الرضاع(٤) ·

إن الجهاز المناعي عند الوليد يكون غير ناضج · ولذا فهو بحاجة للأجسام المضادة التي يأخذها من أمه ليقاوم الإنتانات ·

---

(١) انظر ص ٣٨٠ - ٣٨١ من هذا البحث ·
(٢) انظر : جدول المقارنة ص ٨١١·
(٣) انظر : د· حسان شمسي باشا ، الرضاعة من لبن الأم ، ص ٢٩-٣٠، مع المرجع الذي اعتمده المؤلف ·
(٤) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٥-٣٦ ، مع المرجع هناك ·

وحليب الأم غني بهذه الأجسام المضادة، التي تتوضع في أمعاء الطفل · وتظهر وافرة في لعابه بالمقارنة مع الأطفال الذين يتغذون بالحليب الاصطناعي؛ بالإضافة إلى هذا فإن حليب الأم غني بالكريات البيض التي تشكل خط الدفاع الثاني في الجسم ، إلى غير ذلك من الأسلحة التي يزود حليب الأم الرضيع بها(١) لينشأ صحيح الجسم سليم العقل متوازن النفس.

وإن كل ما تؤمنه الرضاعة من لبن الأم للطفل تعجز عنه :

التغذية بالقارورة !؟

يكفي التغذية بالقارورة جريمة أنها القاتل رقم واحد للأطفال في العالم الثالث ذلك ما اتهمت به منظمة الصحة العالمية شركات الألبان الغربية(٢) وذلك بسبب الالتهابات المعوية الحادة أو سوء التغذية الناجمين عن تناول الحليب الاصطناعي وطريقة تناوله، خاصة في المناطق التي تفتقر إلى الوعي الصحي مما يؤدي إلى عدم ضبط اللازم من الغذاء للطفل أو تلوثه وكلاهما سبب قاتل للأطفال(٣) ·

إن (٤,٥٠٠,٠٠٠) أربعة ونصف مليون نسمة من الرضع بالحليب الصناعي يعانون من سوء التغذية، يضاف إلى ذلك (٥,٣٠٠,٠٠٠) خمسة ملايين وثلاثمائة ألف نسمة من الأطفال يعانون من النزلات المعوية الحادة، وإنه يمكن حماية عشرة ملايين من هؤلاء جزئياً أو كلياً إذا ما استبدل الحليب الصناعي بحليب الأم·

وإن ترك الأمور تسير على هذه الصورة السيئة لاسيما في الدول النامية ، يشكل ظاهرة من الوأد الخفي(٤) الذي يكـــون

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٩ - ٤٣ ·
(٢) انظر : د. محمد علي البار ، سياسة ووسائل تحديد النسل ، ص ٢٠١ ·
(٣) انظر : د· عبد الوهاب الإدريسي ، (النظرة الإسلامية للرضاعة الطبيعية) مجلة الفيصل الطبية ، العدد الثامن ، ص ٢١ ·
(٤) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٢ ·

	اللبأ	حليب الأم	حليب البقر
ماء (غ)	–	٨٨	٨٨
بروتين (غ)	٢,٧	١,٢	٣,٣
الدهون	٢,٩	٣,٨	٣,٧
حمض اللينوليك	–	٨,٣٪	١,٦٪
		من الدهون	من الدهون
لاكتوز	٥,٣	٦,٨	٥
الصوديوم (ملغ)	٩٢	١٥	١٣٨
البوتاسيوم (ملغ)	٥٥	٥٥	٥٨
الكلور (ملغ)	١١٧	٤٣	١٠٣
المغميزيوم (ملغ)	٤	٤	١٢
الفوسفور (ملغ)	١٤	١٥	١٠٠
الحديد (ملغ)	٠,٠٩	٠,١٥	٠,١٠
فيتامين أ(ميكروغرام)	٨٩	٥٣	٣٤
فيتامين د(ميكروغرام)	–	٠,٣	٠,٠٦
الثيامين (ميكروغرام)	١٥	١٦	٤٢
ريبروفالفين(ميكروغرام)	٣٠	٤٣	١٥٧
حمض النيكوتين(ميكروغرام)			
فيتامين (ج) (ميكروغرام)			

(*) جدول يقارن كمية المواد التي يحتويها كل ١٠٠ ملغ من أنواع اللبن (الحليب) .

(١) د. حسان شمسي باشا، الرضاعة من لبن الأم ، ص ٦٥ .

● الرضاعة الصناعية لاتعادل حليب الأم من القيمة الغذائية.

(١) مجلة الفيصل ، صفر ، ربيع الثاني ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٥ .

السبب فيه الرضاع الصناعي والأم هي التي تقوم بهذا الفعل وهي لاتدري أنها تقتل طفلها حين تعرض عن رضاعه من ثديها والأشد من ذلك أنه قد يسلم الطفل جسمياً، لكنه يوأد ويقتل نفسياً، حين تترك الأم حضانته أثناء رضاعه من الحليب الصناعي لتضعه في يد امرأة أجنبية أو أي شخص، أو تسلمه لنفسه ليرضع على عبثه، أو تتركه للحضارة الحديثة في يدي (الروبوت)(١) التمثال الآلي ·

لكن الأمرّ من ذلك أن الشركات العالمية للحليب لاتتردد في أن تطرح في أسواق العالم الثالث أنواعاً رديئة من الحليب وأحياناً فاسدة وفاقدة الصلاحية ، لاهثة وراء الربح ، حتى إنها تمكنت من شراء القائمين على الخدمات الطبية مقابل إعطاء الوالدات في بعض دور الولادة العقاقير التي توقف عملية إدرار الثدي للبن(٢) ·

بقي أن يقال إن إرضاع الطفل من ثدي الأم حتم لازم لستة أشهر على أقل تقدير -حتى مع إعطائه الحليب الاصطناعي- غذاء روحياً ومناعياً لجسمه · وقد يكون فرضاً على الأم ·

عود على بدء :

وأخيراً فهذه نصيحة من الإمام ابن القيم رحمه الله في أثر الغذاء في بني الإنسان حيث قال ·· «فجوهر كل عضو على ماهو عليه غذاؤه ، ملائماً له · فالغاذي شبيه بالمغتذي في طبعه وفعله. وهذا كما أن حكمة الله في خلقه فيه جرت حكمته في شرعه وأمره، حيث حرم الأغذية الخبيثة على عباده لأنهم إذا اغتذوا بها صارت جزءاً منهم · فصارت أجزاؤهم مشابهة لأغذيتهم · إذ الغاذي شبيه بالمغتدي بل يستحيل إلى جوهره ·

فلهذا كان نوع الإنسان أعدل أنواع الحيوان مزاجاً ، لاعتدال غذائه ، وكان الاغتذاء بالدم ولحوم السباع يورث المغتذي بها قوة شيطانية سبعية عادية على الناس فمن محاسن الشريعة تحريم هذه

---

(١) انظر : (الإنسان الآلي قابلة - ومربية ··) مجلة الدكتور ، العدد(٤١) ، السنة الرابعة ١٩٩٠م ، دار الشروق ·

(٢) انظر : د فائز قنطار ، الأمومة ، ص ٨٦.

الأغذية وأشباهها ، إلا إذا عارضها مصلحة أرجح منها ، كحال الضرورة.

ولهذا لما أكلت النصارى لحوم الخنازير ، أورثها نوعاً من الغلظة والقسوة وكذلك من أكل لحوم السباع والكلاب صارت فيه قوتها . ولما كانت القوة الشيطانية عارضة ثابتة لازمة لذوات الأنياب من السباع حرمها الشارع .

ولما كانت القوة الشيطانية عارضة في الإبل أمر بكسرها بالوضوء لمن أكل منها ولما كانت الطبيعة الحمارية لازمة للحمار حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية . ولما كان الدم مركب الشيطان ومجراه حرمه الله تعالى تحريماً لازماً»(١).ولاشك أن المولود الذي يتغذى من الأم غير المولود الذي يتغذى من حليب البقرة .

بل ينبغي أن تختار الأم الطيبة المعدن، والمرضع الفاضلة الصالحة، لما لذلك من أثر في أخلاق الأبناء فقد يكون في عودة موسى - عليه السلام - إلى أمه وتحريم المراضع عليه ، لترضعه أم مؤمنة قانتة صالحة . وقد خاطب القرآن الكريم مريم - عليها السلام - في قوله تعالى ﴿وما كانت أمك بغياً﴾ .

والله عز وجل قد أمر الوالدات بالإرضاع فصفاتهن وسماتهن قد ورثها وتغذى بها الجنين وهو في الرحم .

إن كل أم يلزمها رضاع ولدها كما أخبر الله عز وجل والعجيب أن يستثني الإمام مالك رحمه الله الحسيبة فلم يلزمها الرضاعة، فقد أخرجها - رحمه الله - من حكم الآية(٢) ، رحم الله تعالى الإمام مالكاً كيف استثناها، والقرآن الكريم عام في الخطاب! . فلايكترث للعادة في مثل هذا، بل أتى النص هنا ليبطل تلك العادة التي كانت سائدة في الجاهلية، مـــن أن ذوات

(١) التبيان في أقسام القرآن ، ص ٢٣٣ .
(٢) انظر : القرطبي، أحكام القرآن ، ج ٣ ، ص ١٧٢-١٧٣.

الحسب والثروة لايرضعن ويدفعن بأولادهن إلى المراضع، فغيره الإسلام إلا للحاجة عند تعذر الرضاع من الأم ·بل إن الحسيبة النسيبة الفاضلة هي مطالبة ومكلفة بالإرضاع لينجب الولد ويكتسب ما عندها من هذه الصفات ، والواقع يشهد ما للرضاعة من أثر معنوي في النفس الإنسانية ·

يقول سلمة بن الأكوع* -رضي الله عنه·- في غزوة ذات قردحين أخذ يرمي المشركين بنبله ··

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع(١) ·

ذكر الحافظ ابن الحجر في شرح هذا الرجز ·· أنه يعني : اليوم يعرف من ارتضع كريمة فأنجبته ولئيمة فهجنته(٢).

وقد قال الشاعر ولعله صدق ··

فكيف نظن بالأبناء خيراً إذا نشؤوا بحضن الجاهلات
وهل يرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثدي الناقصات
فما للأمهات جهلن حتى أتين بكل طياش الحصاة(٣)

---

* سلمة بن عمرو بن الأكوع ·· أول مشاهده الحديبية ، وكان من الشجعان يسبق الفرس عدواً بايع النبي صلى الله عليه وسلم عند الشجرة على الموت كما عند البخاري ، نزل إلى المدينة ، ثم تحول إلى الربذة بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- · ثم رجع إلى المدينة قبل موته بليال، فمات بها سنة أربع وسبعين · (الإصابة : ٢/٦٦) ·

(١) البخاري الصحيح ، م٣ ، ج٥ ، كتاب المغازي ، باب غزوة ذات قرد ، ص ٨٥، ح(٤١٩٤)·

(٢) انظر : فتح الباري ، ج٧ ، ص ٤٦١ ·

(٣) ديوان الرصافي ، ص ٣٤٩ ·

الفصل الثالث

مضاعفات خروج المرأة للعمل إلى جانب الرجل

قال الله عز وجل ..

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحت قنتت حفظت للغيب بما حفظ الله والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً﴾(سورة النساء - آية ٣٤) .

فما معنى «قوامون» ؟ جاء في لسان العرب أن :

القيم هو السيد وسائس الأمر . وقيم المرأة زوجها لأنه يقوم بأمرها وما تحتاج إليه فيكون معنى «قوامون» أن الرجال متكفلون بأمور النساء معنيون بشؤونهن(١).

إن الله عز وجل يكلف الرجل في هذه الآية الكريمة بالرئاسة على المرأة ، ومهمة الرئيس أو المدير أن يتحمل مسؤولية الرعاية والحفظ لمن كلف بالقوامة عليه ، بما يحفظ له الضروريات الخمس التي أمر الإسلام بحفظ حرمتها .. الدين والنفس والعرض والمال والعقل .

والرجل المسؤول إما أن يكون زوجاً أو أباً أو أخاً أو ابناً ، والصورة الأعم أن الخطاب هنا للأزواج خاصة وهو عام لكل رجل مكلف بإعالة محارمه من النساء .

إن الزوج في الإسلام قد كلفه الله عز وجل وحمله مسؤولية مباشرة وهي رعاية الزوجة والقيام بشؤونها بما يحقق لها حفظ هذه الضروريات الخمس . وإذا كان الإسلام قد فضل الرجل وميـزه على

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ، ج١١ ، مادة قوم ، ص ٣٥٩ .

المرأة في بعض الأمور فإن ذلك من المتطلبات التي لابد منها لتحقيق تلك القوامة كتفضيله في الميراث أو القوة الجسمية ، وتزويده ببعض القدرات والخصائص التي ليست للمرأة(١) · ولأن النعم عليه أكثر من المرأة فهو بالمقابل حمل من التكاليف مالم تحمله المرأة ، ولذا فهو مأمور بصيانتها وحفظها دينياً ودنيويا · كل ذلك حفظاً وصيانة للأسرة ، مؤسسة الإنتاج البشري ومهد الإنسانية والمرأة مسؤولة مباشرة عن حفظ هذه المؤسسة بما يحقق لأعضائها الهدوء والسكينة والاستقرار، وعن تهيئة أسباب النجاح والتقدم والإنتاج لهم، وإشاعة جو السعادة والدفء والحنان والابتسام، لتكون لرعيتها مصدر حب ونبع إلهام وملاذاً من المآزق، وملجأ من الصدمات، وعوناً ومدداً وعطاء لاينضب للزوج والأولاد في تذليل طريق الحياة أمامهم ، وفرشه بالورود والرياحين في كل حين، سكناً وقراراً وحصنا نفسياً وروحياً لهؤلاء، لأنهم على الدوام محتاجون لهذا الزاد في كل وقت وكل حين، بل في كل لحظة من حياتهم ، حتى وهم في البعد ، فهم في أشد الحاجة إلى صدق إيمانها ونظافة شعورها وصفاء دعائها وخشوع ابتهالها وعمق ارتباط قلبها بالله عز وجل ، لأنه المعين الأكبر لهم في الثبات والنجاح في الدنيا والآخرة بما تناجي به الله عز وجل وتتوسل إليه سبحانه بخالص دعائها وصدق رجائها ، ونقاء سريرتها ، وطهارة نفسها ، واستقامة سلوكها على منهج الله سبحانه وتعالى ·

يقول الأستاذ سيد قطب في معنى الآية الكريمة﴿الرجال قوامون على النساء﴾الآية «قوامة الرجال على النساء في المجتمع الإسلامي · قوامه لها أسبابها من التكوين والاستعداد ولها أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات · ولها أسبابها من العدالة في التوزيع من ناحية ؛ وتكليف كل شطر - وفي هذا التوزيع

(١) انظر الباب الثالث «الأمومة والفطرة» ، ص ١٩٧·

- بالجانب الميسر له ، والذي هو معان عليه من الفطرة» ·

«وأفضليته في مكانها ·· في الاستعداد للقوامة والدربة عليها ··· والنهوض بها بأسبابها لأن المؤسسة لاتسير بلا قوامة - كسائر المؤسسات الأقل شأناً والأرخص سعراً - ولأن أحد شطري النفس البشرية مهيأ لها ، معان عليها ، مكلف تكاليفها· وأحد الشطرين غير مهيأ لها ، ولا معان عليها ·· ومن الظلم أن يحملها ويحمل تكاليفها إلى جانب أعبائه الأخرى ·· وإذا هو هيىء لها بالاستعدادات الكامنة ، ودرب عليها بالتدريب العلمي والعملي، فسد استعداده للقيام بالوظيفة الأخرى ·· وظيفة الأمومة ·· لأن لها هي الأخرى مقتضياتها واستعداداتها ، وفي مقدمتها سرعة الانفعال ، وقرب الاستجابة ، فوق الاستعدادات الغائرة في التكوين العضوي والعصبي ؛ وآثارها في السلوك والاستجابة !»

«إنها مسائل خطيرة ·· وأخطر من أن تتحكم فيها أهواء البشر ·· وأخطر من أن تترك لهم يخبطون فيها خبط عشواء ·· وحين تركت لهم ولأهوائهم في الجاهليات القديمة والجاهليات الحديثة، هددت البشرية تهديداً خطيراً في وجودها ذاته؟ وفي بقاء الخصائص الإنسانية ، التي تقوم بها الحياة الإنسانية وتتميز ·

ولعل من الدلائل التي تشير بها الفطرة إلى وجودها وتحكمها؛ وجود قوانينها المتحكمة في بني الإنسان ، حتى وهم ينكرونها ويرفضونها ويتنكرون لها ··

لعل من هذه الدلائل ما أصاب الحياة البشرية من تخبط وفساد ، ومن تدهور وانهيار ؛ ومن تهديد بالدمار والبوار ، في كل مرة خولفت فيها هذه القاعدة · فاهتزت سلطة القوامة في الأسرة ، أو اختلطت معالمها · أو شذت عن قاعدتها الفطرية الأصيلة!)

«ولعل من هذه الدلائل توقان نفس المرأة ذاتها إلى قيام هذه القوامة على أصلها الفطري في الأسرة ، وشعورها بالحرمان والنقص والقلق وقلة السعادة ؛ عندما تعيش مع رجل ، لايزاول مهام

القوامة ؛ وتنقصه صفاتها اللازمة ؛ فيكل إليها هي القوامة ! وهي حقيقة ملحوظة تسلم بها حتى المنحرفات الخابطات في الظلام !

ولعل من هذه الدلائل أن الأطفال - الذين ينشأون في مؤسسة عائلية القوامة فيها ليست للأب · إما لأنه ضعيف الشخصية ، بحيث تبرز عليه شخصية الأم وتسيطر ، وإما لأنه مفقود : لوفاته أو لعدم وجود أب شرعي ! قلما ينشأون أسوياء· وقل ألا ينحرفوا إلى شذوذ ما ، في تكوينهم العصبي والنفسي ، وفي سلوكهم العلمي والخلقي ·

فهذه كلها بعض الدلائل ، التي تشير بها الفطرة إلى وجودها وتحكمها ووجود قوانينها المتحكمة في بني الإنسان ، حتى وهم ينكرونها ويرفضونها ويتنكرون لها!)

«ولكن ينبغي أن نقول : إن هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني ، ولا إلغاء وضعها «المدني» ··· وإنما هي وظيفة -داخل كيان الأسرة- لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة ، وصيانتها وحمايتها · ووجود القيم في مؤسسة ما ، لايلغي وجود ولا شخصية ولاحقوق الشركاء فيها ، والعاملين في وظائفها · فقد حدد الإسلام في مواضع أخرى صفة قوامة الرجل وما يصاحبها من عطف ورعاية ، وصيانة وحماية ، وتكاليف في نفسه وماله ، وآداب في سلوكه مع زوجه وعياله !»(١)

وبعد ذكر القوامة وقانونها في تلك الآية الكريمة أتى الحديث مباشرة ومعطوفاً عليها بالفاء في قوله تعالى ﴿فالصٰلحٰت قٰنتٰت حٰفظٰت للغيب بما حفظ الله﴾ فالمرأة مقابل هذه القوامة- التي لها من قبل الرجل، بالعمل على القيام بإصلاح شأنها وتأمين الرعاية والحماية والحفظ لها- مطالبة بالقنوت والطاعة عن رضى وطواعية

---

(١) مقتطفات من «في ظلال القرآن»، ج٢ ، ص ٦١٥ - ٦٥٢ ·

لهذا الزوج · والمرأة المؤمنة الصالحة هذه طبيعتها بفطرتها تعمل على تحقيق رضا وسعادة زوجها بكل ما تستطيع · وهي تحفظ غيبة هذا الزوج فلا تبيح شيئاً من نفسها ظاهراً أو خفياً، مستجيبة في ذلك لأمر الله عز وجل بالأمر بحفظ نفسها «بماحفظ الله»· ومن لاتكون هكذا طبيعتها فهي غير صالحة ولا تصنف في زمرة الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله عز وجل .

فإذا مانشزت الزوجة وتعالت وصارت عصية على هذه القوامة مترفعة عنها بغير حق · فإن للزوج تأديبها وردها إلى الجادة لتستقيم أمور المؤسسة الزوجية وتعود زمام الأمور إلى يد الرجل وسلطانه ·

وبعد ··· ومادام الرجل هو القيم فإن خروج المرأة من بيتها للعمل وكسب المال من غير ضرورة اجتماعية أو اقتصادية هو خروج على نظام الأسرة وزلزلة لكيانها وانهيار للمجتمع في النهاية حين يصبح عمل المرأة أمراً مسلماً به لايناقش ·

إن الاستقلال الاقتصادي الذي تتمتع به المرأة العاملة يخلق في النساء - بشكل عام - تمرداً وعصياناً على نظام القوامة، الذي جعل الله عز وجل إنفاق المال أحد أسبابه · عدا عما تحمله المرأة من الأعباء والمسؤوليات داخل البيت وخارجه مما يقضي على استقرار الأسرة وسعادتها وهدوئها بفقدان السكن الذي يطلبه الزوج والأولاد في راعية هذه المؤسسة والمسؤولة عن استمرار نجاح هذه المملكة وقيامها على خير وجه·

بالإضافة إلى تعطيل وظيفة المرأة الأساسية في الحياة وهي إمداد المجتمع بالأجيال التي تحقق الخلافة في الأرض ·

والمرأة المسلمة القانتة لربها الحافظة لحدود دينها تدرك أن دورها الأول في البناء والعطاء والإعمار في بيتها وأسرتها ومن حولها من الأهل · محترمة مكرمة معززة مصونة، مكفية النفقة ومكفية السعي في حاجات الدنيا ومعاشها، مثابة على ماتقوم به

من إحسان في أداء وظيفتها في الحياة، قال الله عز وجل ..
﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾(سورة البقرة - آية ٢٢٨)(١) .

وفي سورة النساء نص القرآن الكريم على أن للرجل دوره الخاص في الحياة كما أن للمرأة دورها الخاص بها كذلك قال الله عز وجل : ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً﴾(آية ٣٢) .

فالأية الكريمة تميز الرجل عن المرأة في نوعية السعي والعمل في هذه الحياة، وكلاهما مأجور ومثاب على مايقوم به من أداء لوظيفته التي كلفه الله عز وجل بها ومقدار هذا الأجر والثواب يحدده الإحسان والتقوى في أداء التخصص الموكول به . حين يخلص فيه ويخلص له مبتغياً بذلك طاعة أمر الله سبحانه وتحقيق رضاه عز وجل .

والله عز وجل حين حذر آدم عليه السلام من إغواء إبليس -لعنه الله- وجه الله عز وجل في ذلك الخطاب إلى آدم وزوجه عليهما السلام معاً، أما عاقبة الخروج من الجنة والشقاء فيها على الأرض، فقد جعله القرآن الكريم في عنق آدم وحده عليه السلام قال الله عز وجل في سورة طه : ﴿فقلنا يٰادم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾(آية ١١٧) .

«فتشقى» والخطاب هنا موجه إلى آدم وحده عليه السلام . قال الإمام القرطبي رحمه الله : «فتشقى» يعني أنت وزوجك لأنهما في استواء العلة واحد ؛ ولم يقل : فتشقيا ؛ لأن المعنى المعروف ، وآدم عليه السلام هو المخاطب ، وهو المقصود . وأيضاً لما كان

(١) انظر تفسير الآية الكريمة ص ٢٨٧- ٢٨٨من هذا البحث ، مع المرجع هناك.

الكادّ عليها والكاسب لها كان بالشقاء أخص . وقيل : الإخراج واقع عليهما والشقاوة على آدم وحده ، وهو شقاوة البدن ؛ ألا ترى أنه عقبه بقوله : ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾ أي في الجنة ﴿وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى﴾ فأعلمه أن له في الجنة هذا كله : الكسوة والطعام والشراب والمسكن ؛ وأنك إن ضيعت الوصية ، وأطعت العدو أخرجكما من الجنة فشقيت تعبا ونصبا ؛ أي جعت وعريت وظمئت وأصابتك الشمس ؛ لأنك ترد إلى الأرض إذا أخرجت من الجنة(١) . ثم استنتج رحمه الله الحكم الفقهي من هذه الآية الكريمة فقال : «وإنما خصه بذكر الشقاء ولم يقل تشقيان : يعلمنا أن نفقة الزوجة على الزوج ؛ فمن يومئذ جرت نفقة النساء على الأزواج ، فلما كانت نفقة حواء على آدم كذلك نفقات بناتها على بني آدم بحق الزوجية. وأعلمنا في هذه الآية أن النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة : الطعام والشراب والكسوة والمسكن ؛ فإذا أعطاها هذه الأربعة فقد خرج إليها من نفقتها ؛ فإن تفضل بعد ذلك فهو مأجور ، فأما هذه الأربعة فلابد لها منها ؛ لأن بها إقامة المهجة»(٢) .

وقال الإمام الشنقيطي في أضواء البيان في معنى هذه الآية الكريمة : «أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة وجوب نفقة الزوجة على زوجها لأن الله لما قال سبحانه وتعالى :
﴿إن هذا عدو ولك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة﴾ بخطاب شامل لآدم وحواء ، ثم خص آدم بالشقاء دونها في قوله «فتشقى» دل ذلك على أنه المكلف بالكد عليها وتحصيل لوازم الحياة الضرورية لها : من مطعم ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن»(٣)

---

(١)،(٢) الجامع الأحكام القرآن ، ج ١١ ، ٢٥٣ .

(٣) ج ٤ ، ص ٥٢٥ ؛ انظر : فصل «كفالة الأم ورعايتها» من الباب الرابع «حرمة الأمومة وتكريمها في الإسلام » ، ص ٣٣٩ من هذا البحث.

والقرآن الكريم وجه الخطاب إلى النساء بالوقار في البيوت قال الله عـــز وجل ·· ﴿ وقـرن في بيوتكـن﴾ (سورة الأحزاب - آية ٣٣) ·

وقد رخص الله عز وجل للمرأة بالخروج من بيتها إذا دعت الحاجة والضرورة إلى ذلك سواء لكسب المال أو قضاء الحاجات الدينية والدنيوية ·· فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : «قد أذن أن تخرجن في حاجتكن»(١)

وقد كانت الصحابيات رضوان الله عليهن يخرجن من بيوتهن لقضاء الحاجات للأسرة أو الكسب لكن ذلك لم يكن هو الطابع العام للمجتمع فعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - أنها قالت :

«تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولامملوك ولا شيء غير فرسه ·

قالت فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدق النوى لناضحه* ، وأعلفه ، وأستقي الماء وأخرز غربه* ، وأعجن· ولم أكن أحسن أخبز · وكان يخبر لي جارات لي من الأنصار · وكن نسوة صدق · قالت : وكنت أنقل النوى ، من أرض الزبير التي أقطعه رسول ﷺ ، على رأسي وهي على ثلثي فرسخ · قالت : فجئت يوماً والنوى على رأسي · فلقيت رسول الله ومعه نفر من أصحابه · فدعاني ثم قال «إخ إخ» ليحملني خلفه · قالت فاستحييت وعرفت غيرتك · فقال والله ! لحملك النوى على رأسك أشد من ركوبك معه · قالت : حتى أرسل إلي أبو بكر ، بعد ذلك، بخادم ، فكفتني سياسة الفرس · فكأنما أعتقتني»(٢) ·

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج١ ، كتاب الوضوء ، باب خروج النساء إلى البراز ، ص٥٢ ، ح (١٤٧) ·

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٤ ، كتاب السلام ، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية ، ص ١٧١٦، ح(٣١٨٢) ؛ البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب النكاح، باب الغيرة، ص ١٩١ ، ح (٥٢٢٤) ·

(*) ناضحه : النواضح الإبل التي يستقى عليها ، واحدها : ناضح (ابن الأثير ، ج٥، (نضح) ، ص ٦٩) ·

(*) غربة : الغرب بسكون الراء : الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد ثور · (ابن الأثير ج٣ ، غرب ، ص ٣٤٩) ·

وتلك شهادة صدق من خير القرون من أسماء - رضي الله عنها - في قولها «فكأنما أعتقتني» فصدق فطرتها ونقاء سريرتها وقنوتها لله سبحانه وتعالى في بيتها جعلها تنطق رضي الله عنها بهذا ، شاعرة بثقل ووطأة العمل خارج بيتها -رضي الله عنها- ·

وقد كانت النساء رضي الله عنهن يخرجن مع رسول الله ﷺ في الغزو لمداواة الجرحى وسقاية القوم · فقد كانت رفيدة* رضي الله عنها يضرب لها خيمة في المسجد لمداواة الجرحى ، وحين أصيب سعد بن معاذ* - رضي الله عنه - في الخندق قال رسول الله ﷺ : «اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى أعوده من قريب» وكانت رضي الله عنها امرأة تداوي الجرحى وتحتسب على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين(١) ·

وقد رخص رسول الله ﷺ للمعتدة البائن بالخروج للكسب إذا دعت الحاجة إلى ذلك يقول جابر بن عبدالله رضي الله عنه : (طلقت خالتي · فأرادت أن تجد نخلها · فزجرها رجل أن تخرج· فأتت النبي ﷺ فقال «بلى · فجدي نخلك · فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفاً»)(٢) ·

(*) رفيدة الأنصارية أو الأسلمية ، كانت رضي الله عنها امرأة تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكانت لها خيمة بالمسجد لذلك ·

الإصابة ٣٠٢/٤ ؛ الاستيعاب ٣/٤) ·

(*) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس ، شهد بدراً ورمي بسهم يوم الخندق ، فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريظة ، وأجيبت دعوته في ذلك ، ثم انتقض جرحه فمات سنة خمس قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ» رضي الله عنه ·

(الإصابة ٣٧/٢ ؛ الاستيعاب ٢٧/٢) ·

(١) ابن حجر ، الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٠٢ ·

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٢ ، كتاب الطلاق ، باب جواز خروج المعتدة البائن ، والمتوفى عنها زوجها ، في النهار لحاجتها ، ص ١١٢١ ، ح(١٤٨٣)

وقد كانت زينب - رضي الله عنها - تعمل بيدها وتتصدق من مالها فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (قال رسول الله ﷺ «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً» قالت : فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً قالت فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق)(١) ٠

وقصة بنات شعيب عليهم السلام وحياؤهن وتحرجهن من العمل خارج البيت ، ثم سوق الكلام على سبب خروجهن لأكبر دليل على أن فطرة المرأة السوية تصطدم مع العمل خارج البيت ومزاحمة الرجال والاختلاط ٠٠٠ قال الله عز وجل في سورة القصص ٠٠ ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ (آية ٢٣)٠

إن الضرورة التي تجعل المرأة تخرج للعمل سواء كانت تلك ضرورة اجتماعية يحتمها فرض الكفاية كعمل الطبيبات والمدرسات وغيرهن فيما لايمكن فيه للرجل أن يؤديه ، أو أنها الضرورة الاقتصادية فإن ذلك الخروج ينبغي أن يضبط بضوابط الشريعة بسد أبواب الفتن، وذلك باحتشام المرأة والتزامها بالأوامر الشرعية من عدم الزينة والتبرج والسفور وكذلك بعدم الاختلاط بالرجال، وألا يطغى ذلك على دورها الأساسي في بيتها حيث تسد غيبتها في ذلك، بما يوفره المجتمع لها من أسباب الوقاية والحفظ ٠ تقول عائشة رضى الله عنها تصف خروج الصحابيات إلى المساجد ٠٠ «إن كان رسول الله ﷺ ليصلي الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس»(٢) ٠

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل زينب أم المؤمنين، ص ١٩٠٧ ، ح (٢٤٥٢) ٠

(٢) البخاري ، الصحيح ، م١ ، ج١ ، كتاب الأذان ، انتظار الناس قيام الإمام العالم ، ص ٢٣٦ ، ح (٨٦٨) ٠

ورسول الله ﷺ قدم الخروج مع المرأة للحج على الغزو في سبيل الله فقد قال ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ولايدخل عليها رجل إلا ومعها محرم»(١) فقال رجل يارسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج فقال ﷺ: «اخرج معها»(٢) ٠

والمرأة المسلمة اليوم انساقت مع التيار العام الذي يسود المجتمعات الإسلامية في التبعية والتقليد وحذو القذة بالقذة ٠٠ لتخرج من بيتها للحاجة وغير الحاجة، وفي الغالب فإن خروجها لإثبات الذات وإرضاء الغرور وحب الظهور ٠٠ يقول الأستاذ محمد محمد حسين ٠٠ «ليس المقصود توظيفها هذه الأيام سد حاجة موجودة ، ولكن المقصود هو مخالفة عرف راسخ ، وتحطيم قاعدة قائمة مقررة ، وإقامة عرف جديد في الدين وفي الأخلاق وفي الذوق ، وخلق المبررات والمقومات التي تجعل انسلاخنا من إسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا أمراً واقعاً ، كما تجعل دخولنا في دين الغرب ومذاهب الغرب وفق الغرب أمراً واقعاً كذلك ٠

وأخطر ما في هذه الدعوة وأمثالها مما يراد به حملنا على كل فاسد من مذاهب الغرب أن أصحابها يريدون إقحامها على إسلامنا زاعمين أنها لاتعارضه»(٣)

والدعوة في المجتمعات الإسلامية لخروج المرأة من بيتها هي دعوة إلى ضرب الإسلام في أقوى حصونه التي إن سقطت فقد سقط المسلمون أجمعون ، بل سقط المجتمع بأسره ٠ وإقحام مثل هذه الدعوات على الإسلام قائم على أسس علمية تربوية مخططة ومدروسة من قبل أعداء الإسلام يقول الدكتور ماجد الكيلاني ٠٠

---

(١)، (٢) البخاري، الصحيح، م١، ج٢، كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، ص٢٦٧، ح(١٨٦٢)

(٣) حصوننا مهددة من داخلها ، ص ١١٢ - ١١٣ ٠

«إن هذا الترخص في معالجة قضايا التربية - خاصة التربية الإسلامية - أمر له خطورته · إذ إن من المبادئ الرئيسية في علم النفس أننا إذا أردنا أن نفسد تياراً فكرياً معيناً، أو اتجاهاً معارضاً ، أو إشاعة لا تروق لنا ، فإننا ندخل فيه ماليس منه ، ونهلهل مستواه وندحرجه إلى ميدان اللامعقول واللامقبول · وعند ذلك يرخص بين الناس ويستخفون به ويهجرونه · وبذلك يؤول أمره إلى الفشل ويصبح فشله مثلاً سيئاً وعقبة كأداء أمام أية محاولة لبعثه من جديد»(١) ·

وقد تزعم قاسم أمين في مصر الدعوة إلى خروج المرأة من بيتها في المجتمعات الشرقية ، محرفاً النصوص الشرعية عن مواضعها ومختلعة من سياقها خلعاً يخرجها عن مدلولها ، ومتصيداً من كتب التاريخ كل شاذ وغريب ليؤلف بينها ، مشكلاً نظرية جديدة لإعداد المرأة المسلمة ، وتربيتها وإخراجها(٢)، مما دعا الشاعر أحمد شوقي رحمه الله إلى أن يتساءل عن حقيقة ما يقوله قاسم أمين ويدعو إليه ··

ولك البيان الجـــزل في ... أثنائه العلـــم الغزير
في مطلب خشـــن كثيـ ... ـر في مزالقه العثـــور
ما بالكتاب ولا الحديـ ... ـث إذا ذكرتهما نكـــير
حتى لنسأل : هل تغا ... ر على العقائد أم تغير(٤)

---

(٢) فلسفة التربية ، ص ٦٩ - ٧٠ ·

(٣) انظر : محمد محمد حسين ، حصوننا مهددة من داخلها ، ص ١١٤ - ١١٥ والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ج١ ، ص ٢٣٧ - ٣٩١ ·

(٤) أحمد شوقي ، الديوان ، ·

إن خروج المرأة من بيتها في الإسلام هو خروج الضرورة فقط أما أن يصبح ذلك أصلاً في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية فهو الشر المستطير الذي سيأتي على الأخضر واليابس بعد حين ·

فالإسلام قد كفل المرأة اقتصادياً بالمعيل من أوليائها أباً أو أخاً أو زوجاً أو أبناءً فإن لم يوجد أحد فبيت المال الإسلامي يكفيها المؤونة وماتحتاجه من المال بالمعروف · كما كان الحال في العهد الإسلامي المشرق حين كانت كفالة الأرامل واليتامى والمعوزين من بيت المال الإسلامي فلا يبقى ثمة محتاج في المجتمع؛ ولم تحمل الحاجة المرأة في يوم من الأيام في حكومة الإسلام الراشدة على بذل نفسها لتختلط بالرجال وتترك أطفالها لتأمين لقمة العيش كما هو مشاهد اليوم ·

ولاسيما بالنسبة لمن فقدن الزوج أو المعيل · لأن أولي الأمر عملوا بأوامر الكتاب والسنة وإرشاداتهما؛ والرسول ﷺ قد حض وحث ﷺ على كفالة الأرامل واليتامى قال ﷺ :«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»(١) ثم تابع أبو هريرة رضي الله عنه فقال : (وأحسبه قال : «كالقائم لايفتر وكالصائم لايفطر»(٢) ·

واليوم تخرج المرأة لامن بيتها للعمل بل من بلدها لتعيش في أقصى الأرض بعيداً عن أسرتها وزوجها وأطفالها لتكسب دريهمات معدودة لاتكفيها شراء مأوى لها ولأسرتها·· باذلة مقابل ذلك كل شيء مضحية بالزوج والأولاد وهي لاتدري إلى ماذا يصيرون في غيبتها ! · أو إنها قد تقع في بلدها تحت تأثير التنصير والتبشير ودعوات الماسونية المقنعة مقابل بضعة قروش ·

---

(١)،(٢) البخاري ، الصحيح ، م٤ ، ج٧ ، كتاب الأدب ، باب الساعي على الأرملة، ص١٠١، ح(٦٠٠٧) ؛ مسلم ، ج٤ ، كتاب الزهد والرقاق ، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين، ، ص ٢٢٨٦ ، ح(٢٩٨٢) ·

والمسؤولية هنا ليست على الأفراد فقط، بل الدولة المسلمة هي المسؤولة مسؤولية مباشرة عن كفاية الرعية حد الحاجة حتى لاتوجد في المجتمع المسلم مثل هذه المآسي والمخازي ·

فعمل المرأة الرئيس في أسرتها وبيتها ، بما يقيم هذا البنيان ويشيده ، وقد كانت فاطمة رضي الله عنها بنت سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وخير ولد آدم أجمعين ﷺ تقوم بالعمل على رعاية بيتها حتى أثرت الرحى في يدها ·· فعن علي رضي الله عنه أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ تشكو إليه ماتلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه ﷺ ، فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها· فلما جاء ﷺ أخبرته عائشة قال (علي رضي الله عنه) : فجاءنا ﷺ وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم فقال : «على مكانكما» فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني · فقال ﷺ : «ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين وأحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم»(١) ·

ومما يندى له الجبين أن يتنبه الغربيون إلى نظرية تحديد ميدان عمل المرأة وحدوده وحصره في بيتها وأسرتها وأطفالها في الوقت الذي يعتبر المسلمون عمل المرأة على نطاق واسع أمراً لاغبار عليه ·

فقد اقترحت لجنة دراسة العمل في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧١م إدراج تربية الطفل في عداد الوظائف والأعمال التي يجب على الدولة أن تدفع لها الرواتب والأجور وعلقت اللجنة على ذلك قائلة : «نستطيع أن نرى السخافة التي تعرف العمل على

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب النفقات ، باب عمل المرأة في بيت زوجها، ص٢٣٦ ، ح(٥٣٦١) ؛ مسلم الصحيح ، ج٤ ، كتاب الذكر والدعاء ، باب التسبيح أول النهار وعند النوم ، ص ٢٠٩١ ، ح (٢٧٢٧) .

أساس أنه وظيفة بأجر، فربة البيت طبقاً لهذا التعريف لاتعتبر عاملة ، ولكن إذا أحل الزوج محلها خادمة أو طباخة أو مربية أطفال فإن هؤلاء النسوة يعتبرن عاملات»(١) ٠

واليوم تقوم الدراسات في العالم الثالث على قدم وساق لتبرهن على أن عمل المرأة ذو فائدة كبرى، تعود على المجتمع وعلى الأسرة، ملتفتين إلى الجانب الاقتصادي والإنتاج المادي في المسألة، دون اعتبار للإنتاج الإنساني والأثر النفسي والاجتماعي والاخلاقي على الفرد والأسرة والمجتمع ٠

ففي الندوة التي عقدت في الكويت حول التحديات الحضارية لدول الخليج لعام ١٤٠٥هـ - اعتبر عمل المرأة ظاهرة صحية في المجتمع، لأنها بعملها تساعد على دفع عجلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية باعتبار رفع المستوى الاقتصادي، إلى غير ذلك مما ذكر في الدراسة الميدانية التي استعرضت في تلك الندوة واعتبر الوقوف في طريق عمل المرأة ومعارضته وجه من التحدي الاجتماعي في دول الخليج(٢) ٠

بل وتصدر الكتب والدراسات في الدول الإسلامية تطالب بعمل المرأة ففي دول الخليج تترأس الدعوة الدكتورة -سعاد الصباح- لتأتي في كتابها «التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة فيه» بكل ما درسته على يد أساتذة الغرب والمستشرقين لتدعو إليه في المجتمع المسلم، متحدية كل التقاليد والأعراف بل والدين صراحة وعلانية، لتجعل من كتابها هذا بحر متناقضات تتلاطم أمواجه، ليخرج منه القارئ في صراع بين ما تقوله وبين ما تطالب بتطبيقه في الحياة لأنه يبدو ضرباً من المحال ٠

---

(١) Jemes O'toole & Committes , work in America : Report of a special task fore to the secretary of health , education , and Welfare Upjohn institute for Employment Research. (١٩٧٣) P . ٣ .

(٢) انظر : ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ٠

ويزداد الاهتمام ويتمركز حول عمل المرأة حتى يصبح له علم نفس خاص يستدعي الدراسة والبحث ككتاب «سيكولوجية المرأة العاملة»(١)·

وكذلك كتاب «عمل المرأة السعودية ومشكلات على طريق العطاء» وكان الأولى أن يكون « ··· ومشكلات على طريق الدمار»(٢)·

بل والأشد من كل هذا أن يصدر في مكة المكرمة مهبط الوحي ومنار الهدي مثل هذه الكتب التي تدعو إلى إخراج المرأة من بيتها لتشارك في النهضة التنموية الاقتصادية للمجتمع العام·· فمثلاً في جامعة أم القرى صدرت رسالة بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية بعنوان« دور الجامعات في إعداد القوى البشرية العاملة في المملكة العربية السعوية(٣) · داعية إلى أن تخوض المرأة جميع مجالات العمل في أقسام مخصصة للنساء العاملات ، معللة ذلك بأن الحاجة ماسة إلى العمالة المحلية بدل العمالة الوافدة(٤) والتي بلغت ما يقرب من ستة ملايين عامل غير سعودي(٥) فهل انتفت البطالة عن جميع الشباب السعودي، ولم يبق إلا أن تعمل النساء للسير في طريق التنمية الاقتصادية وتحقيقها؟!·

إن لمثل هذه الدارسات والدعوات أثرها في الرأي العام وتوجيهه، ومما ينبغي تصحيحه·

---

(١) د· كاميليا إبراهيم عبد الفتاح،(بيروت : دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ·

(٢) د· ابتسام عبد الرحمن حلواني ، رسالة دكتواره مقدمة إلى جامعة كلير مونت بالولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٢م ، (جدة : دار عكاظ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) ·

(٣) فوزية محمد جلال ·

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ·

(٥) الدكتور محمد علي البار

ومهما يكن من أمر ·· فإن المسلمين والعرب يبدؤون السير في طريق مشاه الغرب وعرف أخطاره ومزالقه وآثاره السلبية المتمثلة في الخراب والدمار على المستوى العام والخاص ، والذي يبدو أثره أولاً على المرأة نفسها ·· فالمرأة العاملة أصبحت فريسة الصراع بين البيت والعمل، مما له الأثر الكبير على اختلال توازنها النفسي والعصبي والاجتماعي والصحي ·

إن فتح الباب على مصراعيه لعمل المرأة سوف يقود المجتمع إلى الهاوية ، ذلك أن البيت والأسرة لاتستغني في أية حال عن راعية لهذه المؤسسة فهل يتسلمها الرجل ، أم يتقاسمها الرجل والمرأة أم أنها تقوم بها الخادمة نيابة عن الزوجة والأم ! ؟ ومن يمد الكون إذاً بالنسل الجديد ؟! ·

إن المرأة بشكل عام ومهما بلغت من العلم يبقى اختصاصها الأول ووظيفتها الأولى رعاية البيت والعمل على حماية الأسرة وحفظها وتنميتها ونجاحها، بما تقوم من أعمال وخدمات لايمكن لأحد أن يؤديها عنها · وكل تجربة قامت في أي نظام سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي في العالم لتغيير دور المرأة الفطري ارتدت كسيرة خاسرة تجر أثواب الخزي والعار والذل والهزيمة ، فلم يصرّ العالم النامي إلا أن يذوق هذا الويل ؟! وهذه أمثلة ··

ففي النظام الاشتراكي - الهالك - كأي نظام وضعي مصيره الهلاك لامحالة - كما في المستوطنات الإسرائيلية التي أقيمت على أساس مما يزعمونه من المساواة المطلقة بين الجنسين · فقد شاركت النساء في جميع الخدمات حتى الجرارات الزراعية ولكن وبصورة تلقائية انتهى الأمر إلى أن أخذ الرجال الأعمال الإنتاجية والإدارية.

أما النساء فصرن إلى قطاع الخدمات الذي يشتمل على مختلف الأدوار المنزلية كالطهي والحياكة ورعاية الأطفال · إذ إنه

لم يكن في استطاعة النساء أن يقمن مقام الرجال بسبب صعوبة تلك الأعمال والعوامل النفسية والجسمية التي لاتستطيع المرأة التخلص منها. ونتيجة لهذا التحويل لعمل النساء من القطاع الإنتاجي إلى غير الإنتاجي - في نظرهم - أصبح ينظر إليهن من مواطني الدرجة الثانية، ولم يعد لهن صوتهن السياسي والرسمي في هذه المستوطنات(١) .. ولاعجب أن تصنف المرأة في الدرجة الثانية في عالم لايؤمن بالإنسان بل تقوم فلسفته في الحياة على المادة ، بالرغم من أن هذه المستوطنات قد شجعت على زيادة النسل ، في الوقت الذي سارع فيه الرجال إلى سد الفجوة التي نجمت عن انحسار النساء عن العمل في القطاع الإنتاجي المادي(٢) .

وفي الغرب وخلال الخمسين سنة الماضية تغير النظام الاجتماعي ليسمح للمرأة بمشاركة الرجل في العمل في كل مجال ، ولكن مناخ العمل المتحرر المختلط غدا على أرض الواقع عائقاً في سبيل تقدم النساء وتحقيق أهدافهن فما بين ٤٠٪ و ٥٠٪ من مشكلات العمل تعاني منها المرأة العاملة دون الرجل وتعود إلى أسباب أسرية لذا فهن أقل إنتاجاً من زملائهن الرجال ، مما أدى إلى الحد من مشاركة النساء في العمل بالنسبة للرجال ، والحد من فرص النجاح والتفوق علمياً وفنياً لهن (٣) .

ومع أن الحال قد وصل في الدول الغربية إلى أن دخلت المرأة القوات المسلحة كما في الولايات المتحدة الأمريكية على فرص متكافئة مع الرجل ، إلا أن المرأة لم تستطع أن تخوض هذا الغمار وبقي عدد المنتسبات إلى هذه المؤسسة محدوداً، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه التجربة لاتبدو مشجعة ، ففي دراسة على ٩٧ امرأة في القوات المسلحة تبين أن ٦٢ منهن عندما أو كل إليهن القيام

(١) انظر : د. أنيس أحمد ، النساء المسلمات والتعليم العالي من أجل إقامة مؤسسات منفصلة للنساء (باكستان : معهد الدراسات التخطيطية ، ١٩٨٤م) ترجمة -مكتب التربية لدول الخليج ، ص٢٨-٢٩ .
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٩ .
(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

بمهام عسكرية معتادة لم يستطعن أن يغيرن إطارات الطائرات أو حتى أن يغلقن الأبواب المنزلقة للطائرات ، وذلك نظراً لضعفهن الجسمي بالنسبة للرجال ، وكذلك الحال في سلاح البحرية ، وفي مجال تخزين الذخيرة ، حتى إنه في مجالات الإسعاف الصحي التي تتطلب قيادة السيارات ونقل المرضى كانت النساء في ذلك يعانين من صعوبات كبيرة(١) .

وفي الصين الشعبية وعلى نهجها الماركسي اللينيني شاركت المرأة الرجل في كل مجال وفق النظام الداعي إلى المساواة بين الجنسين ، ولكن الداعين إلى ذلك لاحظوا من خلال التجربة أن دور المرأة انحسر شيئاً فشيئاً إلى البيت مما جعلهم يقولون عن «العاملة الاشتراكية الإنتاجية» إنها قد صارت «ربة أسرة اشتراكية ممتازة» ، لاعتقادهم أيضاً بأنه عند انتشار البطالة في المجتمع، فإنه من الأفضل أن تشجع النساء على العودة إلى أدوارهن التقليدية ، لتعطى فرص العمل للرجال، فلهم الأولوية المطلقة في ذلك، ليصبح دور المرأة العاملة ينحسر أيضاً إلى أعمال الخدمات من الغسل والكي والحياكة والحضانة وطهي الطعام(٢) .

إن ما سبق من التجارب العالمية لجدير بأن يجعل المجتمع الذي يسير في طريق التنمية الاقتصادية واضعاً في خطته مشاركة المرأة للرجل في العمل؛ أن يتقهقر ويتراجع عن تلك الاستراتيجيات قبل فوات الأوان ، لتعود المرأة إلى الحنين إلى عالم البيت وجو الأسرة ورعاية الأطفال ولتعلم كما قال لين أو تانج (بأن محاولة المرأة تقليد الرجال في أسلوبهم يعد في حد ذاته دليلاً على عبودية المرأة ، وعلى النساء أن يفخرن بجنسهن وبمسئوليتهن الخطيرة التي يمكن لهن من خلالها أن يصرن من العظماء حقيقة)(٣).

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص٣٩-٤٢ .
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٢-٤٤ .
(٣) انظر : المرجع السابق ، ص٤٤ .

والتجربة اليابانية في نهضتها الاقتصادية والتي تسجل أعلى معدلات النمو الاقتصادي في العالم اليوم ، تركت المرأة تعيش كأنثى وتمارس دورها في الحياة زوجة وأماً وراعية للأب والأخوة والأبناء ، إن الأرقام تشير إلى أن الرجل يشغل ٧٣٪ في حجم العمالة في اليابان ، ويعني ذلك أن حجم مشاركة المرأة في العمل خارج البيت لايزيد عن ٢٧٪ من إجمالي العمالة في المجتمع الياباني ، وقد احتفظت المرأة اليابانية بأنوثتها من خلال تعاملها مع أفراد أسرتها من الرجال ، مذعنة لقيادة الرجل وقوامته عليها وقيادته لشؤون البيت والأسرة ، وفي الوقت نفسه فرضت احترامها على الرجل ووجودها وكيانها، وذلك من خلال الدور الذي تمارسه في رعاية البيت والأسرة فهي مسؤولة مسؤولية مباشرة عن اقتصاد أسرتها ، وتهيئة احتياجات الأسرة كلها ، لأن الرجل ترك لها الزمام لهذه الأمور ليتفرغ إلى عمله خارج البيت وتأدية دوره في النشاط العام على أتقن وجه ، فلا يشغل فكره بقضايا البيت والحياة اليومية لأن المرأة اليابانية قد أعدت إعداداً تربوياً لإدارة الأسرة فكانت متخصصة في ذلك أكثر من الرجل فهي لها كيانها المتميز الذي يتجلى في نجاحها في إدارة مؤسستها الخاصة بها(١) .

ويقولون في اليابان : «إن ربات المنازل هن سلاح البلاد الخفي وقوة العمل غير المعترف بها ، والتي قادت البلاد إلى هذا النجاح ، إنها العمود الفقري للأمة ، الذي سمح للرجال بتحقيق الأعجوبة الاقتصادية ، والضمان الذي يكفل للجيل المقبل مواصلة تعوده على العمل الشاق» لأن المرأة اليابانية تعيش حياه شاقة ، بما تقوم به من أعمال البيت ، وما تتحمله من المسؤوليات تبعاً لذلك، والحاضنات أو الخادمات لاوجود لهن في مجتمع اليابان ، لأن كل

---

(١) انظر : محمد سعيد ، رحلة إلى اليابان ، (القاهرة : مكتبة ابن سينا) ، ص٣٢-٣٣ ، والقارئ في الكتاب يلمس أن هذا الحديث عن اليابان حتى عام ١٩٩٠م

النساء اليابانيات أعددن للتدريب على الحياة الزوجية، وإن إعداد النفس للوصول إلى درجة ربة البيت المثالية ، قد يأخذ وقت المرأة الكامل ·

ولذلك فالمرأة اليابانية لاتجد نفسها إلا في حياتها الأسرية مع الزوج والأولاد، حتى إن الوضعية الوحيدة المقبولة بالنسبة لأية امرأة يابانية وحتى أي رجل هي الزواج وتبقى العزوبة مصيراً مخيفاً في اليابان بالنسبة للمرأة خاصة ·

ومن هنا فإن الشعارات التي تحملها الحركة النسائية في الغرب في البحث عن إرضاء الذات والتعبير عنها ، لاتعني الكثير للنساء اليابانيات ، فكل رجل وامرأة وطفل في اليابان مسؤول عن راحة وسعادة المجموعة قبل مصلحته الشخصية ، والنساء اليابانيات يعتبرن أن سعي الغربيات لإرضاء الذات والنجاح في حياتهن نوع من الأنانية ·

فالبيت والأسرة في نظر المرأة اليابانية يعني وجودها وقوام حياتها ، ولذلك فإن دمج الحياة المهنية بالحياة الزوجية أمر غير وارد اليوم لدى نساء اليابان(١)·

إن احتفاظ المرأة بدورها في الحياة هو قمة النجاح لأي مجتمع ، ولن تتحقق السعادة والطمأنينة للبشرية إلا في هذا المنهج حين تقوم النساء بأداء دورهن في المجتمع وفق الفطرة ، وعلى أسس علمية وتربوية ومنهجية مدروسة ومخططة ·

أما حين تتنكر المرأة لهذه المهمة فتخرج من بيتها لتعمل في النشاط العام وحين يصبح طابع المجتمع هو أن يعمل فيه الرجال والنساء - حتى ولو كان ذلك بعيداً عن الرجال - فإن توازن المجتمع سيختل، ذلك أن أهم مؤسسة فيه وهي الأسرة ستصاب

(١) انظر : ديبورا فالوز «المرأة في اليابان» ، مجلة الجيل ، المجلد ١٣ ، العدد ٣ ، آذار ١٩٩٢م ، ص ٣-١١ ·

بالأمراض والأوبئة المستعصية التي ترافق أفرادها وتعيش معهم حتى الموت ، إن خروج المرأة من بيتها إلى العمل خارجه، كما هو الحال في تجارب الغرب قد نتج عنه أزمات ومضاعفات كثيرة منها ..

١- الاختلاط وتأخير الزواج :

إن مزاولة المرأة للعمل جنباً إلى جنب مع الرجل أدى إلى انتشار المفاسد في المجتمع ونشوء العلاقات غير الشرعية بين الجنسين الأمر الذي جعلهما يعرضان عن الزواج أو يؤخرانه حتى مرحلة متقدمة من العمر . يقول «ول ديورانت» الفيلسوف الأمريكي في كتاب مباهج الفلسفة : «فحياة المدنية تفضي إلى كل مثبط عن الزواج في الوقت الذي تقدم فيه إلى الناس كل باعث على الصلة الجنسية وكل سبيل يسهل أداءها ، ولكن النمو الجنسي يتم مبكراً عما كان من قبل ، كما يتأخر النمو الاقتصادي»(١) .

قالت الكاتبة الانكليزية -الادي كوك- في جريدة (الايكو) :

«إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاء العظيم على المرأة ، ثم قالت : «أما آن لنا أن نبحث عما يخفف - إذا لم نقل عما يزيل - هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية ؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم» .

«يا أيها الوالدان ! لايغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ، ومصيرهن إلى ما ذكرنا ، علموهن الابتعاد عن الرجال ، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد ، لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنـــا

---

(١) محمد قطب مذاهب فكرية معاصرة ، ص ١٥٢ ، نقلا عن مباهج الفلسفة ، ص١٢٧ وانظر تتمة كلام ديوانت ص ١٥٤-١٥٧ من كتاب مذاهب فكرية معاصرة

يعظم ويتفاخم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال ، ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت وكثير من السيدات المعرضات للأنظار ، ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف مانرى الآن ، لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان ... وهذا غاية الهبوط بالمدنية)(١) .

يقول -جيوم فريرو- البحاث الشهير في أحوال الإنسان وتطوراته :

« إن عدداً عديداً من أشخاص من كلا الجنسين يجب أن يحدثوا آثاراً هائلة على كيان الهيئة الاجتماعية كلها وذلك بمعيشتهم بلا زواج أعني في شروط حيوية صناعية ، ويلزم أن الآثار التي تكون من النساء العوازب تكون أكبر من آثار الرجال العزبين فإن عزوبة الرجل تكسبه في الواقع ونفس الأمر صفات نفسية خاصة به ولكنها لاتقلب كيان شخصيته تماماً ..... فالعزوبة لا تقتل فيه تلك الوظيفة الفسيولوجية دفعة واحدة وأما المرأة فبخلاف ذلك ، فالعفاف يقتضي حذف وظيفة الأمومة، وهي الوظيفة التي خلقت المرأة لأجلها جسماً وروحاً، ولاشك إذاً إنه في هذه الحالة يجب أن تفسد شخصيتها فساداً ذريعاً ولاشك أيضاً في أن عدداً كبيراً من هذه النسوة يحدثن آثاراً هائلة على الهيئة الاجتماعية»(٢) .

ثم قال : «إن العلامات المنذرة بقرب حلول الأزمة النهائية لهذا الشكل من المدنية الذي نعيش فيه كثيرة جداً ، بحيث لايمر يوم حتى يفيق الباحث على إنذارات جديدة فيه»(٣) .

---

(١) د . السباعي ، مصطفى ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص١٩٠-١٩١ .
(٢) دائرة معارف فريد وجدي ، ج ٨ ، ص٦١١-٦١٢ نقلاً عن مجلة المجلات .
(٣) المرجع السابق .

ويتحدث - مارفن هاريس - عن آثار أوضاع المرأة المتزوجة العاملة في أمريكا فيقول ·· «لقد أصبحت الأسرة الآن تتصف بصفات رئيسة ثلاث ، تأجيل الزواج الى فترة متأخرة من العمر وكثرة الطلاق وانهيار الأسر التي تتكون حيث أصبح كل ثلاث نسوة يتزوجن تنتهي واحدة الى الطلاق(١) ·

٢- التصدع الأسري وأثره على الأطفال :

إن الأسرة هي محضن الطفولة وسكن الإنسان مهما امتدبه العمر · وهو حين يفتقدها فإنه يصاب بالخلل ويضطرب توازنه ، فكيف يكون إذاً ! إذا عاش طفولته وحيداً أو بعيداً عن دفء الأسرة واستقرارها وعطائها من الحب والرعاية والاهتمام والضبط ، تلك المعاني التي لابد منها في تربية الطفل وإعداده للحياة إنساناً صالحاً فاضلاً ·

فالطفل في سنواته الأولى في حاجة ماسة وضرورية إلى الأب والأم ، أو أحدهما على الأقل ليشعر بالأمن، والطمأنينة ، والحب، تلك الأرضية الصلبة والوحيدة لتشكيل أنماط سلوكه وتفاعلاته ونشاطاته مع المحيط بشكل سوي سليم، وكل ماعدا هذه القاعدة من الأمن تبع له ، والأمن المقصود هنا يشكله الحب والحنان والاهتمام الذي يقدمه الأبوان أو أحدهما أو الكافل لهذا الطفل الذي يقع في حيز مسؤوليتهم ·

إن خروج الأم من البيت إلى العمل ، وترك الأسرة للخادمة أو لحياة الفوضى والعشوائية يقضي على الأمن الذي ينشده أفراد الأسرة كبيرهم وصغيرهم والأطفال بالدرجة الأولى ، إن المرأة خلقت لتكون سكناً وأمناً وطمأنينة لأسرتها ومن يحيط بها من ذويها ، وأي إعراض أو تنكر لهذا من المرأة يكون إعراضاً عن منهج الله سبحانه وتعالى لأن مثل تلك الفلسفات التي تجعل من المرأة رجلاً

---

(١) Marvin Harris - America Now - PP . 95 - 97 .

يصارع الحياة ، تحمل الخراب والدمار للإنسانية قال الله عز وجل ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد﴾ (سورة البقرة - آية ٢٠٥) ·

إن علم النفس يؤكد أن السبب الأول والأكبر لجنوح الأحداث هو الإهمال التام واللامبالاة من الأهل - الأبوين - نحوهم أو عدم الإحساس بوجودهم ، أو المواقف العدائية منهم نحو الأطفال والمعاملة القاسية(١) أو عدم الاستقرار العاطفي في العلاقة القائمة بين الأبوين ، فحين يتضاءل الحب وينعدم الوفاء وتشيع الغيرة ويتعذر الانسجام بين الزوجين يمتنع عند ذلك تقديم الحب للأبناء في هذه الأسرة ، بسبب الاضطرابات العاطفية التي تؤدي إلى عدم الاستقرار النفسي وبالتالي لن يقدم هذا البيت أطفالاً أسوياء صالحين للإعمار في مستقبل حياتهم(٢) ·

والأم حين تعمل ، كثيراً ما تعرض البيت لمثل هذه الهزات العاطفية ، والزلازل النفسية ، وقد تلجأ الأم المنهكة الأعصاب المشتتة الأفكار ، الممزقة المسؤوليات بين البيت والعمل ، قد تلجأ إلى العنف مع أطفالها بالعقاب البدني الشديد مما يضاعف عدوانية الطفل ويؤدي إلى انحرافه ·

إن الطفل محتاج في عملية التربية إلى الضبط العائلي من قبل الأبوين أو أحدهما لكنه ينبغي أن يكون هذا الخط ثابتاً منتظماً متناسقاً من حيث الأهداف والأساليب ، فالعقاب السليم يستند إلى قاعدة عادلة تتوسط بين القسوة وبين اللين(٣) ، وهذا الضبط المحكم يحتاج إلى أن تكون الأم واعية لتصرفاتها، متحررة من الضغوط النفسية والاجتماعية ومن تشتت وتشعب المسؤوليات وأعبائها ·

---

(١) انظر : عدنان الدوري ، جناح الأحداث ، ص ٢٥٤ ·

(٢) انظر : المرجع السابق

(٣) انظر : نفس المرجع السابق ·

يضاف إلى ذلك غياب الأم العاملة عن البيت لفترة طويلة من الزمن - خاصة في المراحل الأولى من عمر الطفل - فإنه يشكل خطراً أكيداً على شخصيته المستقبليـــة ذلك أن الطفل محتاج في هذه الفترة بالذات إلى أن يتحد بأمه - أو من يقوم مقامها- اتحاداً كاملاً · ليكون نموه الجسمي والنفسي سليماً(١) ، بلا اضطرابات ·

لقد أظهرت الدراسات فروقاً واضحة بين أبناء العاملات وغير العاملات ، إذ وجد أن الميول العدوانية والجناحية موجودة بنسبة أكبر بين أبناء العاملات ، وهي بنسبة أقل بين أبناء العاملات لوقت قصير ، وبنسبة أقل بكثير بين أبناء غير العاملات على الإطلاق(٢) ·

وقد حدد علماء النفس العوامل الضارة في تشكيل نفسية الطفل بسبب الأم يقول (ستيفاني) إن اشتغال الأم خارج المنزل ، أو ولادة طفل جديد يستحوذ على اهتمامها ووقتها ، والتغير في المحيط والبيئة للطفل بما في ذلك الأشخاص ، كلها تشكل عوامل اضطراب في التكيف الطبيعي للطفل(٣) ·

وتبدو هذه الظاهرة في عمل الأم أكثر وضوحاً حين يكون رب الأسرة -الأب- مفقوداً فيها بوفاة أو طلاق أو سفر · ذلك أن الأم هنا سوف تقوم بدور الأب لتترك البيت فترات طويلة مما يعد عاملاً من عوامل انحراف الطفولة ويظهر هذا في أحياء الطبقات الفقيرة وأحياء الزنوج في المجتمعات الأميركية حيث تكون الأم هي ربة البيت(٤) والساعي في طلب الرزق ·

فالأم في هذه الحالة لاتجد الوقت الكافي للقيام برعاية الأسرة وتدبير المنزل بشكل صحيح ·

---

(١) انظر : محمد سلامة غباري ، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ، ص ١٣٢-١٣٣

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٣٥ ·

(٣) انظر : المرجع السابق نقلا عن
Stefani . Ievasseur op cit. P . 211 .

(٤) انظر : د · عدنان الدوري ، جناح الأحداث ، ص ٢٤٥ ·

وينبغي هنا ألا يهمل دور غياب الأب ورعايته للأسرة ، في المرحلة التالية من عمر الطفل · ذلك أن غياب الأب في السنوات الأولى لايشكل عائقاً للنمو الطبيعي للطفل ، لكنه فيما بعد يشكل فراغاً كبيراً ذلك أن الطفل الذكر محتاج للنموذج الرجولي الحي أمامه ليحذو حذوه ، والبنت محتاجة للأب لرسم صورة رجل المستقبل(١) والتعامل معه ·

وقبل أن ينتقل الحديث عن الأوبئة التي حلت بالمجتمعات الغربية لاسيما الأمريكية من جراء عمل المرأة · لابد من ذكر حقيقة تعيشها المجتمعات التي تسمى إسلامية اليوم ، وتلك الحقيقة هي هجرة العمالة رجالاً ونساءً كل على حدة ، الرجل وحده، والمرأة وحدها لينسلخ كل منهما من أسرته وزوجه وأطفاله ، من أجل دريهمات تسد جوعه لكنها تسلبه إنسانيته ووجوده ، وتحكم على حياته بالضياع والدمار في الدنيا ، وقد يخسر الآخِرة أيضاً · لما يتعرض له خلال ذلك من الفتن ·

إن الله عز وجل يدعو في كتابه العزيز إلى الإحصان بالنكاح قال الله عز وجل ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصلحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ (سورة النور آية ٣٢) ·

وهذه دعوة صريحة وأمر من الله عز وجل إلى أولي الأمر بتيسير الزواج وتسهيله حتى مع الفقر · وتلك كانت سنة رسول الله ﷺ ،واليوم إما أن تصدع الأسرة ، أو يكون النكاح آخر ما يفكر فيه المرء ، ثم إن كان الزواج ·· فليعقبه التفريق بين الزوجين بالسفر للعمل بعيداً حيث تحول الظروف الاقتصادية أو الاجتماعية أو القانونية من اصطحاب الأسرة معه ·

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ·

والأنكى من ذلك والأشد، أن تكون المهاجرة للعمل المرأة لتختلط بالرجال في المستشفى أو الدائرة أو في البيوت إن كانت ممن يستقدمن للخدمة ، لتحل مكان المرأة العاملة ، أو المرأة المهملة التي لاتعي دورها ومسؤوليتها في البيت · وقد تضطر هذه المرأة لبذل دينها وعرضها تحت ضغط البيئة أو نتيجة الظلم الذي يلفها بالشعور بالتفاوت الطبقي بينها وبين من تخدم عندهم ، أو أن تكره على ذلك وهذا حاصل ومشاهد · قال الله عز وجل : ﴿ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا﴾ (سورة - النور آية ٣٣)، وعمل المرأة والفتاة الشابة في مقتبل العمر في بيوت من لاتربطها بهم صلة نسب أو قرابة أو محرمية ، تقيم معهم ليل نهار ، بعيداً عن الزوج والأهل والمحرم ، وسط الرجال والشباب ، قد أتت من بلاد لاتعرف الكثير عن الإسلام ، تحت ضغط الحاجة للمال ، لجمع المهر وإعالة اليتامي والعجز ··مرغمة على التبذل بينهم ومعايشتهم « أليس في هذا صورة من الإكراه ·· حين توجد هذه المرأة في بيت من لايخاف الله عز وجل ولايرعى حرماته ··

إن كل مسلم غيور على حرمات الله سبحانه، وكتاب الله سبحانه، وسنة رسول الله ﷺ ليعتصر قلبه ألماً وأسى ويغشاه الخوف والرهبة من الله سبحانه، حين يرى النساء المسلمات يهاجرن من موطنهن وحيدات للعمل وتحصيل لقمة العيش ، وهن في عمر الزهور ، يلقى بهن في بؤر الاختلاط ليل نهار في المستشفيات والقصور وغيرها أو في كل مكان ، وفي وقت راحتهن يمضين إلى شقق أشبه بالسجون الجماعية ، وتكون حياتهن كقطعان الماشية التي أهملها صاحبها لغناه وعدم حاجته إليها، فإن استهلك هؤلاء ، فالعمالة الوافدة فائضة هنا وهناك ؟! بل إن الحيوانات اليوم صار لها غذاؤها المقنن ووسائل الترفيه والخدمة والرعاية ، وإن الإنسان حين تمتهن إنسانيته وكرامته ، وحين يحرم من حاجاته الطبيعية

من قبل إنسان مثله ينتقم لذاته إما بظلم نفسه ليرديها في مهالك السوء أو يظلم مجتمعه بما يرتكبه من مويقات ، وإن لم يعصم بالإيمان ويتسلح بالصبر ٠

فهل من صحوة ٠٠ قبل فوات الأوان ٠٠ وقبل أن نصاب بما حل في الغرب من الأدواء والأوبئة التي فتكت بالأسرة فأهلكت الحرث والنسل وأكلت الأخضر واليابس ٠٠ وهذه صور منها ٠٠ يعلق - مارفن هاريس - على تطور أوضاع المرأة المتزوجة العاملة في أمريكا فيقول :

«لم تعد الأسرة هي الأسرة التي كانت مألوفة : فلقد توقف فيض الأطفال وغاب رب الأسرة الرجل من الوجود الأسري ٠٠٠٠ والأطفال الذين يولدون - الآن - يولدون في أوضاع شاذة غير مألوفة ٠٠٠

لقد أصبحت الأسرة الآن تتصف بصفات رئيسة ثلاث : تأجيل الزواج إلى فترة متأخرة من العمر ، وكثرة الطلاق ، وانهيار الأسر التي تتكون ، حيث أصبح كل ثلاث نسوة يتزوجن تنتهي واحدة إلى الطلاق ، وازدياد نسبة الأطفال الذين يعيشون في كنف أمهات لا أزواج لهن ، وكثير منهم لايعرفون لهم أباً وقد بلغت نسبة الأطفال الذين لايعرفون لهم أباً إلا الأم نسبة ٤٠٪ في الوقت الحاضر ، كما أن الأخلاق التي كانت تحكم علاقات الرجال والنساء قد اختفت وحل محلها نوع من التحرر الذي لايتقيد بقيد» (١) ٠

تقول كل من مارين ٠ أ٠ فربر، -وبوني بيرنبوم- في بحثهما «تأثير عمل الأم على الأسرة» مايلي : «في الأعوام الأخيرة ، مرت الأسرة في تغيرات عاصفة أثرت في وظائفها الأساسية ذلك أن الوقت الذي يقضيه كل من الرجل والمرأة للعمل خارج البيت قد أنقص الزمن الذي يعيشانه سوية ٠ فهما يعيشان مع الآخرين أكثر بكثير

---

(١) Marvin Harris . America Now , p . 97

من عيشهما في البيت ومع أعضاء الأسرة ، وهذا بدوره لم يجعل للنقود التي يحضرها الزوجان من العمل خارج البيت أثراً كبيراً من السعادة الأسرية ، بل إن هذه النقـود قد تكون سبباً في الشقاء الأسري، خاصة حين يصر كل من الرجل والمرأة على شراء ماينا سب ذوقه وإن اختلف مع ذوق الآخر · بسبب تفاوت أثر أجهزة الإعلان والإعلام التي ترفع شهية الاستهلاك عند الإنسان المعاصر الى درجة لايكفي لإشباعها ما يحصل عليه من عمله»·

«ولا شك أن هذا السلوك الذي تفرزه النقود المكتسبة عند كل من الزوج والزوجة من خارج الأسرة ينتقل أيضاً الى الأطفال ويتسبب في تمركز قيمهم حول المادة والنقود وانفاقها أيضاً على شؤونهم الخاصة وليس من أجل التكافل الأسري ، كما أن أنظارهم ستظل متطلعة الى اليوم الذي ينفصلون به عن الأسرة للعمل في الخارج والحصول على النقود التي من خلالها يلبون شهواتهم ·

وثمة خطر ثالث تتعرض له الأسرة بسبب حصول أعضائها على مصدر عيشهم من خارج الأسرة هو أنه في الوقت الذي يتوقف أحد أعضاء الأسرة عن الكسب وإحضار النقود من الخارج فإن الأسرة تصبح مهددة بالانفجار والدمار»(١) ·

ومن ذلك أيضاً ماكتبه الكاهن المشهور -جيري فولول- في كتابه «اسمعي يا أمريكا» إذ يقول «لدي إحصاءات مرعبة عن حوادث الطلاق وتدمير الأسرة والإجهاض، وجنوح الناشئة والفوضى الجنسية ، وتعاطي المخدرات ، وجرائم القتل ، إنني أشاهد حطام الإنسان والأرواح المهدورة بأكداس تفوق الإحصاءات»(٢) ·

---

(١) Marian A. Ferber & Bonnie Birnbaum, " The Impact of Mother,s Work On the Family as an Economic System " in, Families that work : Children in a Changing World . ed . by : sheila . kamerman and cheryl d. Hayes pp . 90-91.
د . ماجد عرسان الكيلاني «رسالة المسلم في المجتمع الأمريكي» مقالات في الدعوة والاعلام الإسلامي ، نخبة من المفكرين والكتاب ، كتاب الأمة ، قطر ، ط١ ص ١٢٨ ، نقلاً عن

(٢) Jerry falwell , listen America . New york Bantam Book . , 198

يقول س · هوفيرث و ك · مور في بحثهما «عمل المرأة والزواج» «إنه خلال العشرين عاماً الواقعة مابين ١٩٦٠-١٩٨٠ فإن نسبة العاملات في أمريكا من النساء بلغت ٥٠٪ من قوى العمل ، ونسبة المتزوجات بينهن هي الضعف ، وإنه نتيجة لذلك سقطت ، نسبة المواليد مقدار ٤٠٪ بينما تضاعفت نسب الطلاق ، ولذلك يمكن القول بأن نسبة الولادة بسبب عمل المرأة خارج دائرة أسرتها سوف تتدنى إلى مستوى هابط وصغير في الوقت الذي تتصاعد نسب الطلاق وتكرار الزواج·(١)·

ويقول أيضاً -جيري فولول - في كتابه - «اسمعي ياأمريكا» مايلي :

«هناك هجمة ضارية ضد الأسرة الأمريكية ، فالبرامج التلفزيونية التي تحسن بيوت المطلقين والعزاب وحياتهم تتزايد باستمرار أكثر من البرامج التي تتحدث عن الأسرة العادية ، فكل برنامج أسري في التلفزيون من البرامج الرئيسة يبرر الطلاق والشذوذ الجنسي ، والخيانة الزوجية ، ويقدر بعض علماء الاجتماع أن ظاهرة الأسرة المألوفة سوف تختفي عام ٢٠٠٠ ، فالكثرة المتزايدة في الطلاق وتكرار الزواج حطم الولاء ووحدة الأسرة وأساليب التفاهم ومن النادر أن نجد - الأمن - للأطفال الذين هم ضحايا هذا التدمير ، ومن الصعب على الكثير من الأطفال أن يتلقوا محبة حقيقية ، وهم في خوف مستمر من تكرار الأذى · وهذه الحياة المعزولة المحرومة ستجعل من الأطفال في المستقبل آباء فاشلين ، وأمهات فاشلات ، وأزواجاً فاشلين وزوجات فاشلات، كما أن الكثير من الشباب والشابات لا يرغبون في الزواج اصلاً··»

---

(١) Marianne A . Ferber & Bonnie Birnbaum " The Impact of Mother's Work on The Family as Economic System . PP . 75 - 94

«إننا نعيش في مجتمع مشوه متآكل تشعر النساء فيه بقلة القيمة وفقدان المنزلة حين يصبحن ربات بيوت ·

ومن المحزن أن نرى في مجلاتنا الكبرى مقالات كذلك الذي نشرته مجلة يو · أس · نيوز في ٩تموز ١٩٧٩م بعنوان «إن التفرغ للأسرة قد تم إلغاوه الآن» ويضيف كاتب المقال : إن ارتفاع نسبة الطلاق ٢٪ تزيد من دخل المرأة مقدار ألف دولار، وفي مقال آخر نشر في ١٥ كانون الثاني ١٩٧٩م بعنوان «مسرات المرأة العاملة وأحزانها» جاء فيه مايلي :

«يكتسح النساء دنيا الأعمال كقوة مقدارها مليونين كل عام - وهذه ظاهرة بدأت تحول الحياة في أمريكا - فالنساء يغزون مجالات العمل كلها ابتداء من غزو الفضاء إلى عالم الحياة إلى تخصص ووظيفة ، فأكثر من نصف سكان البلاد من النساء والبالغ ٨٤ مليون - وغالبهن أمهات - يغزون مجالات العمل المختلفة ، ويصف -ايلي جينبرج- رئيس اللجنة القومية للقوى العاملة- بأن هذه ثورة أهم من اكتشاف الطاقة النووية والقنبلة الذرية لأنها ستغير نمط الحياة بأمريكا وستقلب علاقات الأسرة وعلاقات الأمومة»·

«ونتيجة لذلك أصبح أسهل الأمور في أمريكا هو انفراط الأسر - وتقدر مجلة سو · أس · نيوز - أن حوالي ٤٥٪ من مواليد الوقت الحاضر هم بدون آباء وأنهم سينشأون بدون أسرة وبدون حنان وسيكبرون على برودة العلاقات وجفاف المعاملات»(١)·

ومما يؤكد ذلك مانشرته - جودي مان Judy mann -في جريدة- الواشنطون بوست- مقالاً في ٤ كانون الثاني ١٩٨٠م بعنوان نحن «الآن أكثر حرية ، ولكن هل نحن في حالة أفضل ؟» ومما جاء فيه :

---

(١) Jerry Falwell - Listen america - PP. 104 - 108 .

«ماذا ينتظرنا ؟ ماذا ينتظرنا خلال العشر سنوات القادمة بالنسبة للأطفال : الجيل المتحرر ، الجيل الذي أعطيناه حرية الكلام وحرية الجنس وحرية المخدرات ، .....

وفي السبعينات رفضنا التفرغ للأمومة وجادلنا بأنه ليس المهم كمية الوقت التي تقضيها مع الأطفال ، وإنما نوعية الوقت ... واتهمنا من يعارضنا بأنه ضد حرية المرأة ، وركزنا على الحضانة اليومية للأطفال والنساء العاملات ، ولكن ماذا عنهم بعد أن يكبروا ويدخلوا طور المراهقة ، فهاهم الآن يعودون من مدرسة متوسطة أو ثانوية الى بيت فارغ ... لايجدون فيه قدوة إلا الاستعداد لترك البيت والالتحاق بالعمل كالأم ... كيف نعلمهم حرمة الزواج وقدسيته ونحن نلعب بالأسرة وندمرها كيف نشاء ؟ كيف نعلمهم الابتعاد عن المخدرات وهم يجدون آنية منه في خزانه البيت؟ ... إن هناك شيئا خطيرا يحدث لأطفالنا ، وإنذارات هذه الخطر تتمثل في الضعف المدرسي ، وحوادث الانتحار بين المراهقين، والانحراف فكل شيء حولنا يقول لنا ، إننا بنينا عالماً أفضل لأنفسنا ولكنه ليس مكاناً آمناً لأطفالنا»(١) .

ويلخص الأستاذ محمد قطب قضية الأسرة وعمل المرأة بهذه الكلمات الموجزة .. « والواقع أن الثورة الصناعية ، كانت حدثاً ضخماً في التاريخ الحديث ، وكان تشغيل النساء والأطفال أكبر ضربة أصابت الأسرة في صميمها ، وفككت روابطها وجعلت البيت أشبه بفندق يأوي إليه أفراد الأسرة بعد عملهم الشاق في المصانع ، ليجدوا المأكل والمشرب ولكنهم لايبحثون عن «العواطف» الآدمية وهم معجلون عنها في زحمة الصراع»(٢) .

إن المتأمل في المجتمعات المعاصرة كلها يراها قد أصيبت بهذا

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .
(٢) الإنسان بين المادية والإسلام ، ص ١٧٩ .

الداء العضال على نسب متفاوتة لكنها بدلا من أن تأخذ بأسباب الوقاية راحت تغذي ذلك بالدعايات وفتح السبل التي تعمل على إخراج المرأة من بيتها للعمل والكسب ، ومن هنا كان لابد من عرض تلك الصور والدراسات عن المجتمع الأمريكي لعل الأمم المتبعة تعتبر قبل أن يصيبها ما أصابها ·

وفضيلة الأستاذ محمد قطب يشخص هذا الداء المنتشر اليوم في الأرض ويصف له العلاج والدواء فيقول ··

«كل الضرورات الاقتصادية التي افتعلتها هذه الجاهلية لإكراه المرأة على العمل، أو لإعطائها المبرر الظاهري لهجر البيت والخروج إلى الشارع للفتنة ·· كلها لاتبرر ذلك الدمار الذي يصيب البشرية في أنفسها من جراء إلغاء وظيفة «الأم المتخصصة» من المجتمع ، ووضع «الأم العاملة » بدلاً منها ، أي الأم الموزعة الجهد والوقت والأعصاب ·· وذلك فضلاً على أنها ضرورات مفتعلة وغير حقيقية؛ إنما خططها الشياطين وعقدوها ليزعموا أنه لاحل لها إلا تشغيل المرأة ، وما أيسر الحل لو أرادت الجاهلية الحل بالفعل ·

« ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون» ! فرفع تكاليف الحياة ليس «تطوراً حتمياً » وإنما هو من صنع رأس المال المسيطر اليوم على البشرية ، كما أن عمل المرأة ليس هو حله الوحيد حتى لو كان ضرورة لافكاك منها !» ·

«ولتجرب هذه الجاهلية -إن كانت صادقة بالفعل في البحث عن الحل- فلتجرب أن تعطي الشاب المتزوج الذي لايتزوج موظفة إعانة زواج تساوي أجر الزوجة الموظفة ! ولتنظر بعد ذلك كم ينتظم الإنتاج في الدواوين والمصالح والمصانع ، وكم تتهيأ الظروف لتنشئة أجيال من البشر مطمئنة مستقرة لاتتشرد ولا تنحرف ولا يجرفها التيار»(١) ·

---

(١) انظر : منهج التربية الإسلامية ج٢ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ·

إنه المنهج الذي عاش عليه السلف الصالح من خير القرون.. حين فرضوا للمتزوج سهمين من المال وللأعزب سهما وفرضوا كذلك للمواليد حتى البلوغ(١). إنه منهج الخالق عز وجل.. وكل نكول عن هذا الصراط هو انتكاس ومسخ للبشرية إلى ضلال هو أكبر من ضلال البهائم وتفلتها وانغماسها في دونية الطين والحيوانية .

٣- الإجهاض

تعريف الاجهاض .. «لغة»

يقال أجهضت الناقة إجهاضاً ، وهي مجهض : ألقت ولدها لغير تمام ، وفي الحديث فأجهضت جنيناً أي أسقطت حملها ، والسقط جهيض ، وقيل : الجهيض السقط الذي تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش .

والإجهاض : الإزلاق والجهيض : السقيط ، وأجهضه عن الأمر أي أعجل ، وأجهضته عن مكانه : أزلته عنه(٢) .

واصطلاحا :

وقد عرفه وصنفه الدكتور / محمد سيف الدين السباعي بما يلي :

الإسقاط : وهو انتهاء الحمل بقذف محصوله خارج الرحم قبل أن يكون قابلاً للحياة(٣).

ويصنف الإسقاط إلى :

١- إسقاط عفوي : وهو الذي يبدأ من ذاته دون تدخل عامل خارجي .

٢- الإجهاض : وهو الإسقاط المحدث بعامل خارجي من قبل

---

(١) انظر : ص ١٩٣ من هذا البحث .

(٢) انظر : لسان العرب لابن منظور ، ج٢ ، مادة جهض ، ص ٤٠١ .

(٣) انظر : الإجهاض بين الفقه والطب والقانون ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار الكتب العربية ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ، ص١١ .

المريضة أو الطبيب أو الغير خطأ أو عمداً · ويقسم إلى نوعين :

أ- الإجهاض الدوائي : وهو إفراغ محصول الحمل لإنقاذ حياة الأم بشهادة طبيبين عدلين ·

ب- الإجهاض الاجتماعي : وهو إفراغ محصول الحمل بدون استطباب عادل لغايات اجتماعية أو اقتصادية(١) ·

إذا ·· المقصود بالإجهاض هنا هو إسقاط الجنين (الذي يبدأ بالنطفة الأمشاج)بفعل أمه، أوفعل غيرها·أي الإسقاط المحدث أو مايسمى بالإجهاض الجنائي أو الإجهاض المحدث(٢) Abortion or Induced Abortion.

وهو الذي يعاني العالم اليوم من ويلاته ونذره ، إذ ترافق خروج المرأة من بيتها ونزعها الحجاب في كل تلك المجتمعات إلى ظاهرة الإجهاض التي كان الدافع إليها أحد أمرين: إما التخلص من مسؤولية الأطفال وعدم تحمل نفقاتهم مع انشغال المرأة بتحصيل المال بالعمل خارج البيت ، أو الحمل من الزنا ·· والذي كان أحد أسباب انتشاره وأكبرها خروج المرأة للعمل · وما دار من مناقشات في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الذي عقدته هيئة الأمم المتحدة في القاهرة في الفترة من ٥ إلى ١٣ سبتمبر لعام ١٩٩٤م(٣) ، ما دار من المناقشات التي أظهرت التلازم بين الدعوة للإجهاض والتعليم الجنسي، ليدل دلالة واضحة أن الإجهاض لاينتشر ولا يوجد إلا في وسط الإباحية الجنسية وفي المجتمعات التي تبتعد عن حاكمية الله عز وجل ·

ثم كان انعقاد مؤتمر المرأة العالمي الرابع في بكين بالصين في

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٤ ·

(٢) انظر د محمد علي البار ، مشكلة الإجهاض دراسة طبية فقهية ، الطبعة الثانية ، جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٧هـ ، ص٢٠

(٣) انظر : مجلة المجتمع ، ملف العدد ١١١٧ ، ١٤ ربيع الآخر ، ١٤١٥هـ ، ص ١٧-٢٠ ؛ ينظر صفحة (٨٧٥) من هذا البحث .

سبتمبر ١٩٩٥م، والذي يعتبر امتداداً وتداركاً لما فات في مؤتمر السكان والتنمية السابق الذكر، وذلك من نسف للزواج كعقد ديني مقدس بين الرجل والمرأة ، والدعوة الى الإباحية والشذوذ والإجهاض، وتدمير الأسرة والأمومة والأنوثة(١).

وقد بلغ الإجهاض الجنائي أرقاماً مرعبة ففي البلاد النامية دلت التقديرات الطبية لعام ١٩٧٦ أن هناك ١٣,٧٠٠,٠٠٠ حالة إجهاض جنائي(٢) ، وتضاعف هذا الرقم إلى ٢٥ مليون حالة إجهاض جنائي سنوياً كما ذكرت مجلة التايم الأمريكية في ٦ أغسطس ١٩٨٤م(٣) · وتم في الولايات المتحدة خلال عشر سنوات حتى عام ١٩٨٣م أكثر من ١٥ مليون حالة إجهاض(٤) ·

وتبلغ حالات الإجهاض الجنائي في العالم أكثر من ٢٥ مليون حالة إجهاض سنوياً حسب تقديرات منظمة الصحة العالمية لعام ١٩٧٦ ·· وذكرت مجلة التايم الأمريكية في ٦ أغسطس ١٩٨٤ أن هذه الحالات قد زادت إلى خمسين مليون حالة(٥) وأن عدداً كبيراً من النساء يعاني أمراضاً بالغة الخطورة بسبب هذا الإجراء، والآلاف منهن يلاقين حتفهن ، بالإجهاض المنتن أو حدوث نزف شديد أو تمزق في الرحم(٦) ·

---

(١) انظر : وثائق خاصة بالمؤتمر العالمي الرابع للمرأة المزمع عقده في بكين بالصين في سبتمبر ١٩٩٥م، مكة رابطة العالم الإسلامي، وانظر : بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي الرابع المعنى بالمرأة في بكين خلال شهر ربيع الآخر ١٤١٦هـ - سبتمبر ١٩٩٥م، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامي.

(٢) انظر : د· محمد على البار ، مشكلة الإجهاض ، ص٢٠ نقلاً عن مجلة Medicine Digest ، مارس ١٩٨١ ·

(٣) انظر د· محمد علي البار ، المرجع السابق ·

(٤) انظر المرجع السابق ، ص ٢٠-٢١ نقلاً عن مقال للرئيس الأمريكي رونالد ريجان في مجلة هيومان لايف ونقلته مجلة المجتمع العدد ٦٢٣ ·

(٥) انظر مجلة المجتمع، العدد السابق ، ص ٢٧ ·

(٦) انظر د· محمد علي البار ، سياسة ووسائل تحديد النسل ، ص ١١٥

هذا ويشكل الإجهاض الجنائي خطراً على صحة الأم ٠٠ وقد تصل نسبة الوفيات فيه إلى أرقام عالية عندما يحدث من غير طبيب ، ومع وجود الأطباء الآن فإن نسبة وفيات الأمهات في عملية الإجهاض تبلغ ٤٠ من كل مائة ألف وقد انخفض هذا الرقم في الولايات المتحدة وأوربا الغربية إلى حالة واحدة من كل مائة ألف(١) ٠

ويقول كتاب "The pill" : «يتم قتل ٤٠ مليون جنين في كل عام في العالم بواسطة الإجهاض المحدث ، نصفهم على الأقل بصورة غير قانونية (جنائية) ، ويؤدي ذلك إلى وفاة قرابة مائتي ألف امرأة ٠ وإصابة مئات الآلاف بأمراض مختلفة وجعل عدد كبير منهن يعانين من العقم الدائم»(٢) ٠

ويذكر كتاب «التحكم في الخصوبة الإنسانية»، أن الاجهاض المنتشر حالياً قد أدى إلى خفض السكان بصورة أكثر بكثير من جميع وسائل منع الحمل الأخرى مجتمعة(٣) ٠

ويقول كتاب «ممارسة منع الحمل» «لقد شهدت بريطانيا ومعظم دول أوربا انخفاضاً في نسبة المواليد في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (١٨٧٠-١٩٢٠) ويرجع السبب في ذلك إلى انتشار الإجهاض الجنائي بصورة ذريعة ٠ ولم يكن الإجهاض مسؤولاً عن الانخفاض في نسبة المواليد فحسب ، ولكنه كان مسؤولاً عن عدد كبير من وفيات النساء وعن عدد أكبر من

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٨٤ ، نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الخامسة ١٩٨٢م ، ج٢ ، ص١٠٦٩ ٠

(٢) انظر : د٠ محمد على البار ، سياسة ووسائل تحديد النسل ، ص ١١٥، نقلاً عن :
Guillebaud J : The Pill,oxford university press, Oxford, 3rd Edition 1987 : 15

(٣) انظر : د٠ محمد على البار ، المرجع السابق ، نقلاً عن :
Hawkins D, Elder M : Human Fertility Control , Butterworths, London 1979: 237.

الأمراض الخطيرة التي كانت تعتورهن بسبب ممارسة الإجهاض»(١) ٠

ويذكر الكتاب أن حجم العائلة في الولايات المتحدة انخفض من ٧,٠٤ عام ١٨٠٠ إلى ٣,٥٦ عام ١٩٠٠ بسبب ممارسة قتل المواليد والإجهاض الجنائي بكثافة(٢) ٠

ومما يلاحظ من هذا الإحصاء أن ارتفاع نسبة الإجهاض في أوربا وأمريكا اضطردت مع الثورة الصناعية وخروج المرأة للعمل ، وسيطرة رأس المال والتي اتضحت سماتها في القرن العشرين(٣) ٠

وتعود اليوم ممارسة قتل البنات في الجاهلية المعاصرة ، باستخدام التقنية الحديثة في قتل الأجنة الإناث ٠ فقد نشرت مجلة التايم الأمريكية (٤يناير ١٩٨٨) تحقيقا عن جريمة وأد البنات العصرية جاء فيه أنه في مدينة بومباي (الهند) خمسمائة عيادة لمعرفة جنس الجنين ، لإجهاضه إن كان بنتا ، (حسب رغبة الوالدين)(٤)، والجنين لايتم تشخيص جنسه إلا بعد دخول الشهر الخامس وقد اكتمل نموه ونفخت فيه الروح ٠

وتصاب الأم في كثير من الحالات بعدة أمراض ٠٠ كما قد يتعرض الحمل القادم للتشوه أو النزول قبل موعد الولادة ٠ أو بحصول إجهاض تلقائي ٠ وتزداد حالات العقم بعد إجراء عملية إجهاض محدث ، بالإضافة إلى ذلك فإن النساء اللاتي أجهضن يعانين من اضطرابات نفسية شديدة وشعور بالذنب وحالات سوداوية،

---

(١) د٠ محمد على البار ، المرجع السابق ، ص ١١٤ ، نقلاً عن :
Potts M. and Deggory : Text Book Contraceptive Practice Cambridge University Press, 2nd Edition, 1983:1-16

(٢) انظر : المرجع السابق ، نقلاً عن المرجع المذكور «ممارسة منع الحمل» ص ٣١٥ ٠

(٣) انظر : ص ٧٦٦ - ٧٧٠ من هذا البحث.

(٤) انظر : محمد على البار سياسة ووسائل النسل ، ص١١٧، نقلاً عن
Tifts : Curse Heaven For Little Girls , tims Magazine Jan 4,1988,(1) : 46-47 .

وفي دراسة أجريت في يوغسلافيا وجد أن ٧٦٪ من جميع النساء اللاتي أجري لهن إجهاض محدث (أي بفعل فاعل) أصبن باضطرابات نفسية (١) ٠

وهكذا ترافق ارتفاع نسبة الإجهاض مع التغيرات الاجتماعية التي أصابت العالم كله ٠ يقول كتاب «التحكم في الخصوبة الإنسانية(٢) :«لقد وجدت معظم الدول أنها تحتاج لإباحة الإجهاض بسبب التغيرات التي حدثت فيها ٠ كما أن بعض الدول، وخاصة دول العالم الثالث مثل الصين ، تعتبر الإجهاض وسيلة من وسائل تحديد النسل»(٣) ٠

وهكذا عادت الجاهلية ، ولكن بثوب تقني عصري لتمارس قتل الأولاد ووأد البنات ، قبل الخروج من ظلمة الرحم إلى الحياة.

وقد أخبر القرآن الكريم عما كانت تفعله الجاهلية في قول الله تعالى ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ (سورة الأنعام - آية ١٤٠) ٠ وفي قوله تعالى في هذه السورة الكريمة ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم﴾ (آية ١٣٧)٠

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ﴾ ٠٠ إلى قوله ﴿قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ (٤)٠

---

(١) انظر : د٠ محمد علي البار ، سياسة ووسائل تحديد النسل ، ص ١١٨.

(٢) انظر : د٠ محمد علي البار مشكلة الإجهاض ، ص٢٧ ، نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية ، ج٢ ، ص١٠٦٩ ٠

(٣) د٠ محمد علي البار، سياسة ووسائل تحديد النسل ، ص١١٨ ، نقلاً عن : Hawkins D. Elder M : Human Fertility Control, Butteworths , London, 1979 : 232 .

(٤) البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٤ ، كتاب المناقب ، باب قصة زمزم وجهل العرب ، ص١٩٤، ج(٢٥٢٣) ٠

وحرم الله عز وجل قتل الأولاد لأي سبب كان والجريمة أكبر وأشد حين يكون القتل من الفقر كما في قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾(سورة الأنعام-آية ١٥١).

وحرم الله عز وجل قتل الأولاد في سورة الإسراء في قوله تعالى ﴿ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾(آية ٣).

والقتل المنهي عنه في سورة الإسراء خشية حصول الفقر بحصول الولد، أما في سورة الأنعام فالفقر حاصل وواقع. يستنتج من مدلول الآية الكريمة في سورة الإسراء أن قتل الولد يكون في هذه الحالة قبل خروجه إلى الدنيا حتى لايفتقر والداه، فالله عز وجل أخبر أن رزق هذا المخلوق الضعيف سيأتي قبل ولادته وقبل رزق والديه ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ ، وإن كانت الآية الكريمة في سورة الأنعام تعطي الدلالة نفسها ، لكنها تبدو أكثر في سورة الإسراء ، ولذا فلا وجه في تفسير هذه الآية في أنها في قتل البنات بالوأد فقط كما كانت تمارسه الجاهلية الأولى ، وإنما هاتان الآيتان الكريمتان تشملان وتحرمان جميع أصناف القتل الذي يطبق على الأولاد(١) ، الذكور منهم والإناث ، قبل الولادة وبعدها .

وما دامت جريمة قتل الولد لاتكون في الغالب إلا قبل ولادته فالتحريم في الآيتين الكريمتين يقصد منه في الدرجة الأولى القتل قبل الولادة لأنه أعم وأكثر في المجتمعات قديمها وحديثها ، وإن كانت الجاهلية الأولى والجاهلية المعاصرة مارست وتمارس قتل الأولاد في شتى مراحل العمر، من قتل حقيقي للنفس أو قتل للجسد أو قتل للروح أو قتل للفكر، أو قتل للفطرة الإيمانية ، فإنه كله يصنف تحت مسمى قتل الأولاد، ولكن الأشد أن يكون القتل للنفس والروح معاً سواء قبل الولادة أو بعدها .

---

(١) الولد: اسم يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى. (لسان العرب، ج١٥، (ولد)، ص ٣٩٣) .

وهذا ما جنته الحياة العصرية على الإنسان اليوم ، لقد غدا بشر الآلة ورأس المال كالوحش المفترس في غابة التكنولوجية يريد أن يكون هو الأسد وما عداه أشلاء ممزقة تقدم إليه متى يشاء، لأنه زرع الرعب من الخوف والفقر والجوع في النفوس التي ضلت الطريق إلى الله عز وجل، ونسيت أن الرزق كله لله سبحانه وتعالى ، فكيف بهؤلاء العمال وأولئك الفقراء -الذين يشكلون الغالبية الكبرى والعظمى في العالم- أن يكثروا من الأولاد وهم يخشون على أنفسهم من الحرمان والجوع والفقر والمرض والجهل والتشرد والنفي من الأرض. ولكن أرض الله سبحانه وتعالى واسعة لم تضق ولن تضيق.

ومهما يكن من أمر فإن الاسلام اعتبر جريمة قتل الولد جريمة مضاعفة فهي شرك بالله سبحانه وتعالى حين تطير هذا الوالد من رزق الولد وهي قتل للنفس التي حرم الله إلا بالحق ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (قال رجل يارسول الله أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال ﷺ «أن تدعو لله نداً وهو خلقك» قال ثم أي؟ قال ﷺ «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال ثم أي ؟ قال ﷺ: «أن تزاني حليلة جارك»(١) .

فأنزل الله عز وجل : ﴿والذين لايدعون مع الله إلهاً ءاخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾(١) (سورة الفرقان - آية ٦٨) .

فهذا الحديث الشريف يبين أن من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب بعد الشرك بالله سبحانه وتعالى بالأنداد ، هو قتل الولد مخافة الفقر والعيلة . وهو ما يشاهد اليوم ويوجد في المجتمعات الإسلامية فإذا كان النوع الثاني من القتل والذي يمارس بشكـــل

(١) البخاري، الصحيح ، م٤، ج ٨ ، م٤ ، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ..» الآية ، ص ٢٦٤ ، ح(٧٥٣٢) ؛ مسلم ، الصحيح، م٤، ج٨ ، كتاب الإيمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب ، ص٩٠، ح(٨٦).

أكبر في الدول الغربية من حمل الزنا ، فإنه في البلاد الإسلامية والنامية يقتل الولد من الفقر أو حشية وقوعه ، وهذا شرك بالله سبحانه وتعالى ، بالإضافة إلى أنه قتل حرمه الله عز وجل ونهى عنه · وكان من بنود البيعة التي بايع الصحابة رضي الله عنهم رسول اللهﷺ عليها في العقبة عدم قتل الولد · فعن عبادة بن الصامت* رضي الله عنه (وهو أحد النقباء ليلة العقبة) أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه «بايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف· فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك»(١)· فهل يكون المقصودمن قتل الولد في الحديث الشريف هو بعد خروجه إلى الدنيا ؟

لاشك أن تضافر النصوص كلها في الآيات والأحاديث في النهي عن قتل الأولاد جملة يشير إلى أن ممارسة هذا القتل في الغالب يكون نظاماً يعيشه الناس ويسود في حياتهم وليس المقصود به فقط قتل الأولاد بعد الولادة ·

والذي يعضد هذا الوجه ويفسره ما كان في بيعة النساء في

---

(١) البخاري، الصحيح، م١، ج١، كتاب الإيمان ، باب (بدون)، ص ١٢ ، ح(١٨)؛ مسلم، الصحيح، ج٣، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، ص١٣٣٣، ح(١٧٠٩)

* عبادة بن الصامت بن قيس بن عوف الخزرجي الأنصاري ، وأمه قرة العين بنت عبادة· شهد بدراً ، وكان أحد النقباء في العقبة · شهد المشاهد كلها بعد بدر · وأرسله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى فلسطين ليعلم الناس القرآن، له قصص متعددة مع معاوية رضي الله عنه تدل على قوته في الدين والأمر بالمعروف ، توفي بالرملة سنة أربع وثلاثين (الإصابة ٢٦٨/٢)

سورة الممتحنة في قوله سبحانه وتعالى ..﴿يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولايعصينك في معروف فبايعهن واستغفرلهن الله إن الله غفور رحيم﴾ (آية ١٢) .

فالآية الكريمة نصت على أمور ائتمنت عليها النفس الإنسانية بينها وبين الله عز وجل ، وقتل الولد واحد من هذه المنهيات والمحرمات التي نصت عليها هذه البيعة، ولو أن قتل الولد هو قتل النفس التي حرم الله عز وجل قتلها الظاهر للعيان، لما كان ثمة معنى للنص هنا على حرمة قتل الأولاد سواء في بيعة الرجال في الحديث الشريف أو في بيعة النساء في هذه السورة الكريمة، والوحي منزه عن العبث واللغو. والدليل الواضح على ذلك أن حرمة قتل الأولاد والنهي عنها نهي وتحريم آخر من الله عز وجل يختلف ويغاير حرمة قتل النفس وذلك حين اجتمعت الحرمات في الآية الكريمة من سورة الأنعام قال الله عز وجل ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾(آية ١٥١) .

يضاف إلى ذلك أن الله عز وجل قد حرم على النساء كتم ما في أرحامهن وإخفاءه ، ويدخل تحريم قتل الولد في عموم هذا التحريم ، وذلك أن المرأة المعتدة وغير المعتدة حين تقتل ما في رحمها من الحمل بإفساده تكون قد كتمت ما خلق الله عز وجل في رحمها ووقعت في المحرم الذي نهى عنه الله عز وجل في قوله تعالى .. ﴿ولايحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن

كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾(سورة البقرة-آية ٢٢٨) · فقد جعل الله عز وجل إظهار ما في الرحم من الخلق - ويدخل في مفهوم هذا الخلق الحيض والطهر والحمل والنفاس - شرطا للإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر، ولاتقدم ولاتجرؤ على اقتحام هذا التحريم إلا امرأة لاتؤمن بالله ولا باليوم الآخر، والمؤمنة حقاً لاتتجاوز حدود ما حرم الله عز وجل ·

وقد مضت سنة رسول الله ﷺ في تأخير الحد(١) عمن أقرت بالزنى حتى تضع ما في بطنها، وإن في ذلك لدلالة كبرى على حرمة قتل الولد في أي مرحلة من مراحل تكونه · وهل ثمة أعظم من أن يؤخر تنفيذ وأداء حق الله عز وجل في حد من حدوده سبحانه من أجل حرمة قتل ما في بطن الحامل، بل يأمر رسول الله ﷺ ولي المرأة الحامل من الزنى أن يحسن إليها كما في الحديث · قال له رسول الله ﷺ ··«أحسن إليها · فإذا وضعت فائتني بها»(٢) ففعل، ثم أمر ﷺ بها فرجمت بعد وضع حملها»(٣) ·

وأخيراً لابد أن يذكر ما تشير إليه الآيات الكريمة التي نصت على حرمة قتل الأولاد وما توحي به، وفي أن قتل الأولاد والزنى قرينان وأن قتل النفس والزنى قرينان أيضا· ففي سورة الأنعام في الآية ١١٥ تلي ذكر حرمة قتل الأولاد، بالنهي عن الاقتراب من الفواحش﴿ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾

وفي سورة الممتحنة في الآية ١٢ تلى النهي عن الزنى النهي عن قتل الأولاد وكذلك في بنود بيعة العقبة في حديث عبادة رضي الله عنه في بيعة الرجال(٤) وفي سورة الفرقان في الآية ٣٦٦ اقترنت

---

(١) انظر : مسلم ، الصحيح ، ج٣ ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ص ١٣٢١ ، ح(١٦٩٥) و (١٦٩٦) ·

(٢)،(٣) المرجع السابق ، ج(١٦٩٦) ·

(٤) انظر الحديث ص ٨٥٨ من هذا البحث ·

حرمة قتل النفس بتحريم الزنى · وسبقت كلها بحرمة الإشراك بالله عز وجل ·

إن سياق هذه النصوص الكريمة ومناسباتها ليشعر بأن قتل الأولاد لايوجد إلا حيث ينتفي الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، فتصير الحاكمية في الأمور الدنيوية إلى غير شرع الله سبحانه وتعالى ، فتنتشر الفاحشة، وانتشار الفاحشة في المجتمعات يوجد حين لايحكمها شرع إلهي فيعم الظلم والفساد وتطغى الشهوات المادية بكل أنواعها ، لأن الظلم والفساد وطغيان المادة في الحياة هي من أكبر البواعث على ارتكاب المحرمات ومنها قتل الأولاد وخصوصاً جريمة الزنى التي ينتج عنها قتل الأولاد أيضاً في الغالب، كما هو مشاهد في عالم اليوم ·

وقد اعتبر الإسلام الإجهاض جريمة يعاقب المتسبب فيه حتى ولو كان ذلك خطأ فقد فرض رسول الله ﷺ على المتسبب بإسقاط الحمل خطأ العقوبة بالغرامة المادية فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : (اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها فاختصموا إلى رسول الله ﷺ «فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها غرة* عبد أو وليدة»(١) ·

والرسول ﷺ لم يحدد في هذا الحديث دية الجنين قبل نفخ الروح أو بعده · عمداً أو خطأ ، لكن ورود الحديث الشريف يدل على أن القتل كان خطأ ·

وقد اختلف(٢) الفقهاء رحمهم الله في كفارة قتل الجنين ، قبل نفخ الروح أو بعده والكفارة: عتق رقبة أو صيام شهريـــــن

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٣ ، كتاب القسامة ، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ، ص ١٣٠٩ ، ح (١٦٨١) ؛ البخاري ، الصحيح ، م٤ ، ج ٨ ، كتاب الديات، باب دية جنين المرأة ، ص٧ ، ح (٦٩٠٤) ·

(٢) انظر : ابن قدامة، المغني ، ج٩ ، ص ٥٥٦ ·

متتابعين قال الله عز وجل ﴿وماكان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطئاً ومن قتل مؤمناً خطئاً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً﴾ (سورة النساء - آية ٩٢) ٠

وعملاً بنص الآية الكريمة مع حديث رسول الله ﷺ يكون في قتل الجنين خطأ قبل نفخ الروح الدية (وهي الغرة ومقدارها خمس من الإبل)(١)، مع الكفارة وهي عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين ٠

واليوم ٠٠٠ وقد أمكن معرفة حياة الجنين فالحامل التي ضرب بطنها أو ضربته، خطأ فسقط جنينها، وكانت قد علمت حياته قبل الجناية، هل يأخذ حكم من سقط ميتاً فيكون فيه الغرة؟!

ذهب الإمام ابن حزم - ولعله قد أصاب رحمه الله - إلى أن من أسقط جنيناً - الأم أو غيرها - خطأ بعد نفخ الروح ففيه الدية كاملة ، وإن كان قتل الجنين عمداً ففيه القصاص(٢) ٠

وقد علق الدكتور محمد علي البار على رأي الإمام ابن حزم في هذا فقال فضيلته : «ورأي الظاهرية يبدو ههنا وجيهاً لأن القتل عمد ٠٠ والروح قد نفخت»(٣) «فإذ أمكن بالوسائل الطبية الحديثة إثبات حياة الجنين في بطن الأم وذلك بتسجيل نبضات قلبه ٠٠٠ ثم قام الطبيب بقتل ذلك الجنين الحي بدون مبرر طبي

---

(١) انظر : المرجع السابق ،ص ٥٣٥ ٠

(٢) انظر : المحلى ، م٨ ، ج١١ ، ص ٣٠ - ٣١ ٠

(٣) الإجهاض ، ص ٥٦ ٠

ولا وجود لخطر على حياة الأم ، فإنه يكون مباشرة لجريمة قتل عمد ٠٠ والحكم في جريمة القتل العمد القصاص شرعاً»(١) حيث يصبح قتل الجنين بعد نفخ الروح قتل نفس يستوجب القود من الجاني ٠

ولابد هنا من الإشارة إلى ما يستخدم اليوم لمنع الحمل وهو ما يدعى باللولب Intra uterine Devic IUD (Loop) وهو ما تستعمله حوالي ستين مليون امرأة في العالم حسب إحصائية عام ١٩٨٢م منهن أربعون مليوناً في الصين والباقي موزعات على القارات الست(٢) ونصيب العالم الثالث منها (٨٠-٨٥٪)(٣) ٠

إن هذا الجهاز (اللولب) لايمنع خروج البييضة ولا يمنع التلقيح ، ولكنه يمنع العلوق والانغراز والنمو داخل الرحم ، وهو يعمل من جهة أخرى على قتل الحيوانات المنوية ويعيق حركتها(٤) فهذه الأجهزة في الغالب تعمل على منع علوق النطفة الأمشاج فتطرد من الرحم قبل أن تنغرز(٥) ٠ أليس هذا نوعاً من القتل المبكر جداً للأجنة قبل انغرازها!!.

لماذا يأبى الإنسان المعاصر (المسلم) إلا الوقوف في وجه السن الكونية ومصادمة الفطرة ومخالفة أوامر الله عز وجل ٠

هذا مع العلم إنـــه تبلغ حالات الإجهاض التلقائي ٧٨٪ من

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٧ ٠

=* الغرة : العبد نفسه أو الأمة ٠ وهو ما يكون ثمنه عشر الدية ٠ (انظر : ابن الأثير، ج٣ ، (غرر) ، ص ٣٥٣) ٠

(٢) د٠ محمد علي البار ، سياسة ووسائل تحديد النسل ، ص ٢٦١ نقلاً عن:
Potts M and Diggory : Text Book of Contraceptive Practice, cambridge university Press Campridge . 1983 : 216 - 244 (218) .

(٣) د٠ محمد على البار ، سياسة ووسائل تحديد النسل ، ص ٢٦١.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٢٦٣-٢٦٤ ٠

(٥) انظر : د٠ محمد علي البار ، مشكلة الإجهاض ، هامش ص١٣.

حالات الحمل(١) وأن ما يقرب من خمسين بالمائة من حالات الحمل تجهض قبل أن تعلم المرأة أنها حامل أي بعد انغراز الكرة الجرثومية في الرحم (النطفة الامشاج وما بعدها) وفي بعض الأحيان لايحصل انغراز أصلاً(٢) ٠

وأخيرا فإنه مما ينبغي أن يذكر هنا أن البداية للجهاز العصبي للجنين تبدأ في الظهور بعد تكون (الشريط الأولي البدائي) Primitiv Streak الذي يظهر في اليوم الخامس عشر منذ التلقيح(٣)٠ (وهو ما يوافق موعد الحيض المنتظر) ٠ أي قبل أن تعلم المرأة أنها حامل ٠ وقد منعت لجنة وارنك البريطانية (المختصة بالتلقيح الإنساني والأجنة) إجراء التجارب على الأجنة المبكرة الناتجة عن فائض التلقيح الصناعي في الأنابيب ٠ ومنعت هذه اللجنة منعاً باتاً إجراء هذه التجارب بعد ظهور الشريط الأولي لأنه يعقبه البدايات الأولى للجهاز العصبي(٤) ٠

أليس الأولى بالمسلم اليوم أن يسمع أمر الله عزوجل فينتهي عن المخالفة، مع أن الكافرين قد احترموا حياة هذا المخلوق الجنين.

يضاف إلى ذلك أن هذا الشريط الأولي الذي يخطط لهذا المخلوق من خلاله تنتهي مهمته في الأسبوع الرابع من التلقيح ليندثر في منطقة العصعص في هذا الجنين(٥). الذي سماه الوحي على لسان رسول الله ﷺ عجب الذنب (٦) والذي ينبت منه الإنسان يوم النشور قال ﷺ : «كل ابن آدم يأكله التـــــراب إلا

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٢ نقلاً عن مجلة :
Medicin Digest, Jau 1981 , P 47 .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ١٢ - ١٣ ٠

(٣) انظر : د. محمد علي البار ، الجنين المشوه ، ص ٤٠١ .

(٤) انظر : المرجع السابق ،

(٥) انظر المرجع السابق ، ص ٤٠٣.

(٦) هذا ما نص عليه فضيلة الدكتور محمد علي البار ، انظر المرجع السابق .

عجب الذنب منه خلق وفيه يركب» (١) .

٤- تحديد النسل

كان من نتائج الحضارة المادية المعاصرة ، ودخول المرأة عالم الرجال افتراءة علمانية وهي تحديد النسل، أي العمل على وقف إنجاب الذرية أو التقليل منها ، بأساليب وطرق شتى · ساهمت النهضة العلمية الحديثة فيها إلى حد كبير · ولم تقتصر هذه الدعوة على العالم الغربي بل انتقلت إلى الشرق لتنتشر في المجتمع على نطاق واسع ولتأخذ بها معظم النساء المسلمات ، بل والمجتمعات الإسلامية على صعيدها العام ، بشكل دعوات وإعلانات وجمعيات تشجع وتساعد وتمد بالعون على تحديد النسل.

وبالرغم من أن الدين الإسلامي الحنيف قد دعا إلى الزواج لتكثير النسل ، وإنجاب الذرية الصالحة التي تعبد الله عز وجل ، فإن المسلمين اليوم قد أعرضوا عن هذه الأوامر ليتبعوا الدعوات المضلة والهدامة للدين والأخلاق والأوطان ·

إن النصوص الشرعية التي تدعو إلى الإكثار من النسل وتحض عليه تزخر بها آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة · فقد اعتبر القرآن الكريم الولد آية كبرى من آيات الله عز وجل ، وهي واحدة من النعم الربانية التي تستدعى الشكر لله سبحانه وتعالى على ما امتن بها على الوالدين ·· قال الله عز وجل ·· ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبٰت أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون﴾ (سورة النمل - آية ٧٢) ·

بل توعد الله عز وجل من لا يشكره على نعمه بالعذاب ومن هذه النعم نعمة الولد ·· قال الله سبحانه وتعالى في سورة المدثر : ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً · وجعلت له مالاً ممدوداً ·

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٦٥ من هذا البحث ·

وبنين شهوداً. ومهدت له تمهيداً · ثم يطمع أن أزيد · كلا إنه كان لأيٰتنا عنيداً · سأرهقه صعوداً﴾(آية ١١-١٧) ·

وفي دعوة نوح لقومه عليه السلام دلالة اخرى في أن الولد دليل رضى الله عز وجل على العبد ·· ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا · يرسل السماء عليكم مدراراً · ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنٰت ويجعل لكم أنهٰراً﴾(آية ١٠-١٢) ·

وحين يئس إبراهيم عليه السلام من دعوة قومه فالتجأ إلى الله سبحانه وتعالى ولاذ بركن الإيمان العظيم ، ونصره الله عز وجل كان من عناصر هذا النصر أن رزقه الله عز وجل باسحق ويعقوب عليهما السلام ·· ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم · ووهبنا له إسٰحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتٰب وءاتينٰه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصٰلحين﴾(سورة العنكبوت- آية ٢٦-٢٧) وفي سورة الحجر اعتبر الولد بشارة من الله سبحانه وتعالى : ﴿قالوا لاتوجل إنا نبشرك بغلام عليم · قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون · قالوا بشرنٰك بالحق فلا تكن من القنطين · قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾(سورة الحجر - آية ٥٣-٥٦) · وتكررت البشارة بالولد في القرآن الكريم في عدة سور كريمة بل إن الأبناء زينة الحياة الدنيا، قال الله عز وجل ﴿المال والبنون زينة الحيٰوة الدنيا﴾(سورة الكهف - آية ٤٦) ·

وفي الحديث ·· ورد ذكر الولد وأنه من العدة التي يبتغيها المؤمن للجهاد في سبيل الله ·· فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل · فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله ، فطاف عليهن جميعاً فلم يحمل

منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وأيم الذي نفس محمد بيده لوقال إن شاء الله:لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»(١) ·

وقد رغب رسول الله ﷺ في الولد كما في حديث جابر - رضي الله عنه - حين قدم مع رسول ﷺ من غزاة فقال له رسول الله ﷺ « إذا قدمت فالكيس ! الكيس!»(٢) يعني الولد(٣) · فهذا أمر من الرسول ﷺ إلى جابر بأن يقصد الولد في رجوعه إلى زوجه ·

وفي الصحيح عند الإمام مسلم - رحمه الله - أن رسول الله ﷺ رخص للصحابة في وطء المرضع حين تحرجوا من ذلك مخافة الضرر بالولد من الحمل ·

فعن عائشة - رضي الله عنها - عن جدامة بنت وهب الأسدية رضي الله عنها* أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم»(٤) ·

و«جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني أعزل عن امرأتي فقال له رسول الله ﷺ :« لماذا تفعل ذلك» فقال الرجل : أشفق على ولدها ، أو على أولادها · فقال رسول الله ﷺ : «لو كان ذلك ضاراً ، ضر فارس والروم»(٥) ·

---

(١) البخاري، الصحيح، م٤، ج٧ ، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي ﷺ ، ص ٢٧٩ ، ج(٦٦٣٩) ·

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٢ ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر ، ص١٠٨٨ ، ح(١٤٦٦) ؛

(٣) انظر : البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج ٦ ، كتاب النكاح ، باب طلب الولد، ص١٩٧، ح(٥٢٤٥).

(*) جدامة بضم الجيم بنت وهب الأسدية ، ويقال بالخاء المعجمة ، أسلمت بمكة ، وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهاجرت مع قومها إلى المدينة (الإصابة ٤/٢٥٩) ؛ الاستيعاب ٤/٢٦٢ ؛ تبصير ١/٢٤٦) ·

(٤) مسلم ، الصحيح ج٢ ، كتاب النكاح ، باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل ، ص١٠٦٦، ح(١٤٤٢) ·

(٥) المرجع السابق ، ص ١٠٦٧ ، ح(١٤٤٣) ·

- فهذا الصحابي - رضي الله عنه - جاء يستفتي رسول الله ﷺ في السماح له بالعزل - وهو أن يعزل ماءه ويصرفه عن امرأته حذر الحمل(١) -. فلم يرخص له الرسول ﷺ في ذلك ·

وفي الحديثين السابقين لأكبر دلالة على أمر الرسول ﷺ أمته بالإكثار من الذرية ، وعدم التصدي والحيلولة دون إخراجها للحياة ·

وفي الحديث الآخر زجر رسول الله ﷺ الفاعلين للعزل · فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : (ذكر العزل عند النبي ﷺ فقال «وما ذاكم» قالوا: الرجل تكون له المرأة ترضع فيصيب منها · ويكره أن تحمل منه · والرجل تكون له الأمة فيصيب منها ويكره أن تحمل منه قال ﷺ «فلا عليكم أن لا تفعلوا ذاكم · فإنما هو القدر»(٢) ·

قال ابن عون* : فحدثت به الحسن رحمه الله(٣) فقال : والله ! لكأن هذا زجر)(٤) ·

قال القرطبي - رحمه الله - ··«كأن هؤلاء فهموا من «لا» النهي عما سألوه عنه فكأن عندهم بعد «لا» حذفاً تقديره لاتعزلوا وعليكم ألا تفعلوا ، ويكون قوله «وعليكم الخ» تأكيداً للنهي»(٥)· قال الحافظ ابن حجر : وتعقب قول الإمام القرطبي بأن الأصل في النص عدم هذا التقدير(٦) «وإنما معناه : ليس

(١) انظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٣ ، (عزل) ، ص٢٣٠ ·
(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٢ ، كتاب النكاح ، باب حكم العزل ، ص ١٠٦٣، ح(١٤٣٨)·
(*) ابن عون هو عبدالله بن عون بن أرطبان المزني مولاهم أبو عون الخزار البصري كان من سادات أهل زمانه عبادة وفضلاً وورعاً ولد سنة ٦٦ قال سفيان الثوري : مارأيت أربعة اجتمعوا في مصر مثل هؤلاء : أيوب ويونس والتيمي وابن عون توفي سنة إحدى وخمسين ومائة (تهذيب ٣٤٦/٥) ·
(٣) هو الحسن البصري (ابن القيم زاد المعاد ، ج٥ ، ص ١٤٢) ·
(٤) مسلم ، المرجع السابق ·
(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٩ ، ص ٣٠٧
(٦) المرجع السابق

عليكم أن تتركوا ، وهو الذي يساوي أن لاتفعلوا ، وقال غيره : قوله «لا عليكم أن لاتفعلوا» أي لاحرج عليكم ألا تفعلوا ، ففيه نفي الحرج من عدم الفعل فأفهم ثبوت الحرج في فعل العزل، ولو كان المراد نفي الحرج عن الفعل لقال : لاعليكم أن تفعلوا(١) ٠

ومرة أخرى يروي أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - حديث رسول الله ﷺ في هذا الأمر حين سأله أحد الصحابة - رضي الله عنهم - : (يا أبا سعيد ! هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر العزل ؟ فقال : نعم ٠ غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بلمصطلق* ٠ فسبينا كرائم العرب ٠ فطالت علينا العزبة ورغبنا في الفداء ٠ فأردنا أن نستمتع ونعزل ٠ فقلنا : نفعل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا لا نسأله ! فسألنا رسول الله ﷺ فقال ﷺ « لا عليكم أن لاتفعلوا ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة ، إلا ستكون»(٢) ٠

فالصحابة رضوان الله عليهم أرادوا بيع هؤلاء السبايا ، وخافوا من حملهن فتصير الموطوءة -إن حملت- أم ولد فيمتنع بيعها، وأخذ المال فيها، (٣) فاستأذنوا رسول الله ﷺ في العزل ٠

ورد الرسول ﷺ هذا على سؤال الصحابة فيه دلالة واضحة وصريحة إلى ندبهم وحملهم على ترك العزل لأنه يتعارض مع الإيمان بالقدر ٠ لأن الخلق بيد الله سبحانه وتعالى ٠ قال الإمام النووي رحمه الله : «معناه ما عليكم ضرر في ترك العزل لأن كل نفس قدر الله تعالى خلقها لابد أن يخلقها سواء عزلتم أم لا ومـــــا لم

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مسلم ، الصحيح ، ج٢ ، كتاب النكاح ، باب حكم العزل ، ص ١٠٦١ ، ح(١٤٣٨) ؛ البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٣ ، كتاب العتق ، باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع ، ص ١٦٦ ، ح(٢٥٤٢) ٠

* بلمصطلق : بني المصطلق (النووي، شرح صحيح مسلم، م٥ ، ج١٠ ، ص ١٠)

(٣) انظر : النووي ، شرح صحيح مسلم ، م٥ ، ج١٠ ، ص ١٠ ٠

يقدر خلقها لايقع سواء عزلتم أم لا فلا فائدة في عزلكم فإنه إن كان الله تعالى قدر خلقها سبقكم الماء فلا ينفع حرصكم في منع الخلق»(١) .

وفي رواية أخرى لأبي سعيد - رضي الله عنه - قال : (أصنبا سبايا فكنا نعزل . ثم سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك . فقال ﷺ لنا : « وإنكم لتفعلون ؟ وإنكم لتفعلون ؟ وإنكم لتفعلون؟ ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة»(٢). لاشك أن هذا الاستفهام من رسول الله ﷺ استفهام استنكاري لهذا الفعل .

ومن طريق أخرى عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن العزل ؟ فقال : «ما من كل الماء يكون الولد. وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء»(٣).

وعن جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : إن لي جارية هي خادمنا وسانيتنا* وأنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل : فقال ﷺ : «اعزل عنها إن شئت ، فإنه سيأتيها ما قدر لها » فلبث الرجل ثم أتاه فقال : إن الجارية قد حبلت . فقال «قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها»(٤) .

وفي رواية أخرى عن جابر رضي الله عنه قال . سأل رجل النبي ﷺ فقال : إن عندي جارية لي وأنا أعزل عنها . فقال رسول الله ﷺ :«إن ذلك لن يمنع شيئاً أراده الله » قال :فجاء الرجل فقال : يارسول الله ! إن الجارية التي كنت ذكرتها لـــك

---

(١) شرح صحيح مسلم ، م٥ ، ج١٠ ، ص ١٠

(٢) مسلم، الصحيح، ج٢، كتاب النكاح، باب حكم العزل، ص ١٠٦٢، البخاري، ح(١٤٣٨).

(٣) مسلم ، المرجع السابق ، ص ١٠٦٤، ح (١٤٣٨) .

(٤) المرجع السابق ، ح(١٤٣٩) .

* سانيتنا: كانت تسقي لهم نخلهم بدل البعير،(ابن الأثير، ج٢ ،(سنا، ٤١٥).

قد حملت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا عبد الله ورسوله»(١).

أما الحديث الذي صرح فيه رسول الله ﷺ في النهي عن العزل فهو حديث جدامة بنت وهب رضي الله عنها من طريق أخرى قالت رضي الله عنها : «حضرت رسول الله ﷺ في أناس ، وهو يقول : «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة . فنظرت في الروم وفارس. فإذا هم يغيلون أولادهم ، فلا يضر أولادهم ذلك شيئاً » ثم سألوه عن العزل ؟ فقال رسول الله ﷺ « ذلك الوأد الخفي »(٢) .

قال العلماء في معنى الوأد الخفي : بأنه (ورد على طريق التشبيه لأنه قطع طريق الولادة قبل مجيئه فأشبه قتل الولد بعد مجيئه)(٣) .

إن الأحاديث الشريفة الصحيحة السابقة لتدل دلالة صريحة على ما يلي :

١- استنكر الرسول ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم هذا الفعل في كل مرة سئل فيها ﷺعن العزل .

٢- استفسر الرسول ﷺ من السائلين رضي الله عنهم عن السبب الذي دعا إلى العزل، وفي ذلك دلالة على أن إباحة العزل لاتكون إلا لسبب يوافق عليه الوحي .

٣- في قوله ﷺ للسائل رضي الله عنه :« اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها » منع ضمني للعزل وذلك بالاعتقاد بأن قدر الله عز وجل لايرد . .

---

(١) مسلم ، المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٦٧، ؛ (١٤٤٣).
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٩ ، ص ٣٠٩ .

فإن شاء فليعزل وليعلم أن هذا بيد الله عز وجل حتى ولو منع السبب ، وكان ما أخبر عنه ﷺ . وهذا يعني أن الذي يترك فعل العزل ويستسلم إلى قدر الله عز وجل فإنه الأسلم والأتقى له في الاعتقاد والإيمان، ورد الرسول ﷺ في الرواية الثانية يوحي بذلك .

٤- إن الأحاديث التي وردت في العزل بل وكل هذه الأحاديث، استدعى ورودها سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن إباحة العزل في أمرين اثنين فقط :

١- العزل عن المرأة المرضع مخافة إلحاق الضرر بالولد .

٢- عن الإماء، وعن السبي الذي يراد بيعه .

ولم يرد حديث أو استفسار في العزل في غيرهاتين الصورتين .

أما ما ورد في الحديث عن عمر رضي الله عنه أنه قال : «نهى رسول الله ﷺ أن يعزل عن الحرة إلا بإذنها»(١) .

فهو حديث ضعيف لاينهض للاحتجاج به (٢) .

٥- لم يرد في كل روايات أحاديث العزل إذن صريح في إباحته فلم يأذن رسول الله ﷺ فيه حتى عن المرأة المرضع . ولا عن الجواري.

٦- أما حديث جدامة في قوله ﷺ:«ذلك الوأد الخفي » فهو نص في المنع عن العزل يعضده ما ورد في ألفاظ وتعابير أحاديث الباب عند الإمام مسلم كقرائن شاهدة على المنع .

وما يستعمل اليوم من الوسائل المباحة لمنع الحمل المؤقت والتي لا تلحق ضرراً بالإنسان . يقاس في الحكم بالجواز وعدمه على منع الحمل بالعزل، الذي ذكر في أحاديث رسول الله ﷺ .

---

(١) ابن ماجه ، السنن ، ج١، كتاب النكاح ، باب العزل ، ص٦٢٠، ح(١٩٢٨) .

(٢) قال البوصيري : هذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة (الزاوند ٢/٩٩) ؛ قال الألباني : ضعيف ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الطبعة الأولى، بيروت المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م) ، ج٧ ، ص ٧٠ .

وذلك بعد أن توصف من طبيب مسلم ثقة .

إن الحيلولة دون إنجاب الذرية وتكاثرها . تتعارض مع الإيمان الصحيح في أن الأقدار بيد الله عزوجل وكذلك الأرزاق ، وإذا خالط اعتقاد المؤمن عكس ذلك من تعاطي الأسباب ونسب الأفعال إليها - لاسيما في الرزق - كان في ذلك نقص لإيمانه بل خروج عنه إن اتكل على الأسباب وحدها . وجعلها هي التي تصرف حياته وتحددها.

وقد وردت الإباحة في حديث جابر رضي الله عنه حيث قال كما في الصحيح : «كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا»(١).

وكذلك في حديث جابر رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال صلى الله عليه وسلم «اعزل عنها إن شئت فسيأتيها ما قدر لها»(٢).

وما طلع على المسلمين اليوم من دعاوى تحديد النسل أو تنظيم النسل ، هي صيحات مغرضة مضللة هدامة للقضاء على أسباب القوة في البلاد الإسلامية . ومن أين تكون العدة والقوة إذا لم يوجد الإنسان . ؟!

وقد تصدى علماء المسلمين في هذا الزمان إلى هذه المستحدثات من الأمور على المجتمع المسلم وأصدروا فيها الفتاوى والقرارات ... فقد نظر مجلس الفقه الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي المنعقده في الفترة من ٢٣ إلى ٣٠ من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٠٠هـ في موضوع تحديد النسل أو ما يسمى تضليلاً بتنظيم النسل . وبعد المناقشة قرر ما يلي ..

---

(١) مسلم، الصحيح، ج ٢، كتاب النكاح باب حكم العزل، ص ١٠٦٥، ح (١٤٤٠).

(٢) انظر الحديث بكامله في الصفحة السابقة.

«نظراً إلى أن الشريعة الإسلامية تحض على تكثير نسل المسلمين وانتشاره وتعتبر النسل نعمة كبرى ومنة عظيمة من الله بها على عباده ، وقد تضافرت بذلك النصوص الشرعية من كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ ، ودلت على أن القول بتحديد النسل أو منع الحمل مخالف للفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها ، وللشريعة الإسلامية التي ارتضاها الله لعبادة ونظراً إلى أن دعاة القول بتحديد النسل أو منع الحمل فئة تهدف بدعوتها إلى الكيد للمسلمين لتقليل عددهم بصفة عامة ، وللأمة العربية المسلمة والشعوب المستضعفة بصفة خاصة ، حتى يكون لهم القدرة على استعمار البلاد واستعباد أهلها والتمتع بثروات البلاد الإسلامية ، وحيث إن الأخذ بذلك ضرباً من أعمال الجاهلية وسوء ظن بالله تعالى ، وإضعافاً للكيان الإسلامي المتكون من كثرة اللبنات البشرية وترابطها »(١) .

«لذلك كله فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي يقرر بالإجماع أنه لايجوز تحديد النسل مطلقاً ، ولايجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق لأن الله تعالى ﴿هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ (سورة الذاريات - آية ٥٨) ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ (سورة هود - آية ٦) ، أو كان ذلك لأسباب أخرى غير معتبرة شرعاً .

أما تعاطي أسباب منع الحمل أو تأخيره في حالات فردية لضرر محقق ككون المرأة لاتلد ولادة عادية وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الجنين فإنه لامانع من ذلك شرعاً ، وهكذا إذا كان تأخيره لأسباب أخرى شرعية أو صحية يقرها طبيب مسلم

---

(١) قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي ، من دورته الأولى لعام ١٣٩٨ حتى الدورة الثامنة لعام ١٤٠٥، الطبعة الثالثة ، (مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٠) ، ص ٦٢.

ثقة، بل يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرر المحقق على أمه إذا كان يخشى على حياتها منه بتقرير من يوثق به من الأطباء المسلمين.

أما الدعوة إلى تحديد النسل أو منع الحمل بصفة عامة فلا تجوز شرعاً للأسباب المتقدم ذكرها ، وأشد من ذلك في الإثم والمنع إلزام الشعوب بذلك وفرضه عليها في الوقت الذي تنفق فيه الأموال الضخمة على سباق التسلح العالمي للسيطرة والتدمير بدلاً من إنفاقه في التنمية الاقتصادية والتعمير وحاجات الشعوب» (١) .

وفي مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة المؤتمر الخامس بالكويت من ١إلى ٦ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ / ١٠ إلى ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ، ١٩٨٨م فيما تناولته البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع «تنظيم النسل» قرر ما يلي:

١- لايجوز إصدار قانون عام يحد من حرية الزوجين في الإنجاب .

٢- يحرم استئصال القدرة على الإنجاب في الرجل أو المرأة ، وهو ما يعرف بالإعقام أو التعقيم ، مالم تدعُ إلى ذلك الضرورة بمعاييرها الشرعية .

٣- يجوز التحكم المؤقت في الإنجاب بقصد المباعدة بين فترات الحمل ، أو إيقافه لمدة معينة من الزمان إذا دعت إليه حاجة معتبرة شرعاً ، بحسب تقدير الزوجين عن تشاور بينهما وتراض بشرط أن لايترتب على ذلك ضرر ، وأن تكون الوسيلة مشروعة ، وألا يكون فيها عدوان على حمل قائم (٢) .

إن ما ذكر في قرارات المؤتمر من حرمة ما يعرف بالإعقام أو «التعقيم» وهو منع الحمل الدائم ، فقد نص على منعه وحرمته

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٢-٦٣.

(٢) انظر : مجلة مجمع الفقه الإسلامي ، الدورة الخامسة لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي ، العدد الخامس ، (جدة : منظمة المؤتمر الإسلامي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، ج١ ، ص٧٤٨ .

حديث رسول الله ﷺ . عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : «كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس لنا نساء ، فقلنا يا رسول الله ألا نستخصي فنهانا عن ذلك»(١) .

وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : (رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا»(٢) .

إن جميع الأحاديث التي صحت عن رسول الله ﷺ تدعو إلى كثرة الذرية ، وتحض على الإكثار من النسل ، وإن كل ماروي مخالفاً لذلك، هي أحاديث غير مقبولة ومردودة على قائليها(٣) . قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتاب «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» : «أحاديث ذم الأولاد كلها كذب من أولها إلى آخرها»(٤) .

إنه مما سبق من عرض للأدلة الشرعية من الكتاب والسنة يبدو لكل ذي بصيرة أن قانون الإسلام في النسل يقوم على القاعدة الكلية التالية :

إن الإسلام يأمر المسلمين بالإكثار من النسل القوي الصالح لقيام الخلافة في الأرض بما أنزل الله عز وجل . وإن الأخذ بأسباب منع الحمل يتعارض مع هذه القاعـــدة

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٣ ، ج٦ ، كتاب النكاح ، باب تزويج المعسر ، ص ١٤٤ ، ح(٥٠٧١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٥ ، ح(٥٠٧٣) .

(٣) انظر ذلك في : الشوكاني ، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٨٠هـ) ص١٣٨ ؛ الفتني ، تذكرة الموضوعات ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار التراث العربي ، ١٣٩٩هـ) ، ص ٨ ، ١٣٢ ؛ ابن الجوزي ، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، ص ١٤٦ ؛ العجلوني ، كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، القاهرة : دار التراث) جـ٢، ص١٤٨، ٤٧٠؛ الملا علي القاري ، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ص٤٨٣ .

(٤) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ص ١٦٣ .

الكلية ، ولا يباح ذلك إلا عند الضرورة الشرعية والصحية التي يحددها العالم الشرعي والطبيب المسلم الثقة · وإن أي نظام يسير على غير هذه القاعدة هو خروج على حكم الله عز وجل في هذا الكون ، وهو يحمل الهلاك والدمار للأمة جملة كما هي سنن الله عز وجل في عذاب الأمم السابقة وفنائها ، حين أعرضت عن حكم الله سبحانه وتعالى وتولت عن تطبيقه في حياتها لتجعل الحاكمية فيها للطاغوت والهوى والشهوة·

إن الإسلام دين القوة التي تهيمن على الأرض كلها بحكم رباني ، ولا يكون ذلك إلا بالإعداد المنظم لهذه القوة، وأولى هذه القوى الواجب إعدادها الأجيال القوية الكثيرة ، التي بدونها لا تقوم أية قوة أخرى ·· قال الله عز وجل في سورة الأنفال : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ (آية ٦٠) ·

يقول الأستاذ المودودي ·· « مما لايخفى على طالب العلم أن تعدد السكان له أهمية سياسية جذرية ، ولذا فإن كل حضارة أو قوة عالمية قد أولت جل اهتمامها إلى زيادة أفرادها في عصرها الإنشائي والتعميري ، ولذا فإن المؤرخ المعروف الأستاذ ويل ديورانت (Wil Durant) يعد كثرة السكان من أهم أسباب التقدم المدني ، وأيضاً يعدها الأستاذ آرنولد تويتبي من تلك التحديات(Chalenges) الأساسية التي رداً عليها يخرج إلى عالم الوجود تقدم أي حضارة إنسانية ، ومن الحقيقة كذلك أن الدنيا ما خلت فيها أمة قامت بعمل جليل يذكر إلا وبذلت أقصى جهودها للزيادة من نسلها وإنه على العكس من ذلك - لاتنشأ مشكلة قلة السكان إلا في أمم متردية إلى الزوال والفناء والانقراض»(١) ·

---

(١) أبو الأعلى المودودي ؛ حركة تحديد النسل ، جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ص١٩٦ ·

إن الأدلة الشرعية والأدلة العقلية وكذلك التاريخية، تقول -بما لايدع مجالاً للشك- إن أساس كل نهضة في التمدن الإنساني هي الكثرة في السكان · ومع ذلك فإن حضارة الجاهلية المعاصرة تجعل من التزايد السكاني سبباً للتأخر والتخلف الحضاري في شتى مجالات الحياة ··

فكيف طلع هؤلاء المدعون بأكذوبة تحديد النسل؟

أو تنظيم النسل! إنهم يدعون أن موارد الأرض لا تكفي لتمويل هذه الأعدد المتزايدة من البشر ، وأنه لابد من ضبط هذا التزايد المتوالي· ولقد بدأت هذه الدعوة تنبه الرأي العام ، وتثير ضجة في المجتمع مع المقال الذي نشره ثوماس روبرت مالثوس بعنوان «تزايد السكان وأثره في تقدم المجتمع في المستقبل» عام ١٧٩٨(١) ·

ولكنه كان معارضاً لاستخدام وسائل منع الحمل على عكس ما تدعو إليه المالثوسية الجديدة(٢) التي ظهرت في القرن التاسع عشر وهي تطوي في ثناياها الدعوة إلى الإباحية الجنسية وحرية المرأة باستخدام وسائل منع الحمل(٣) وهكذا ولدت مع هذه الدعوة وفي أحضانها الفواحش والمفاسد التي يأباها كل عرف إنساني · إلى أن ظهرت الثورة الصناعية التي فرضت على المرأة استعمال حبوب منع الحمل مع خروج المرأة من بيتها وابتذالها في عالم الرجال ! وشيئاً فشيئاً غدا نظام منع الحمل محمياً من قبل الحكومات ففي· عام ١٩٤٢ تكون في الولايات المتحدة الأمريكية «اتحاد تنظيم الوالدية في أمريكا» ثم تحول اسمه إلى الاتحاد العالمي

---

(١) انظر : د· محمد علي البار ، سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر ، ص٣٣، نقلاً عن : دائرة المعارف البريطانية ، ج ٦ ، ص٥٤٢ ·

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٤ ·

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٧ - ٤٢ ·

لتنظيم الوالدية ليضم فروعاً في مختلف دول العالم(١) ولتنتقل عدواه إلى العالم الإسلامي بأسره ، وليغدو أمراً عادياً وكأنه أصل في المجتمع المسلم ٠

ذلك كما يدعي أنصار تحديد النسل ومؤيدوه أن الأرض ضاقت بأهلها فليس ثمة متسع لأعداد جديدة، قبل أن يموت جيل الأجداد ٠ فهل ضاقت الأرض فعلاً بأهلها ٠٠ والله عز وجل يقول سبحانه في سورة الملك ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾(آية ١٥) وأنه سبحانه وتعالى بيده الخيرات وبيده الهلاك للعصاة ولو ملكوا مفاتيح خزائنها قال سبحانه وتعالى في نفس السورة الكريمة ٠٠ ﴿ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ٠ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾(آية ١٦-١٧) ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور﴾(آية ٢١)﴿قل أرءيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾(آية ٣٠) ٠إن الله عز وجل هو الرازق ذو القوة المتين قال الله عز وجل٠٠ ﴿وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾(سورة العنكبوت- آية ٦٠) والله سبحانه وتعالى هو الذي نظم هذه الأرض وقدر فيها ماشاء بعلمه وحكمته ٠٠ قال الله عز وجل في سورة فصلت : ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ٠ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾(آية ٩-١٠) ٠

والله سبحانه وتعالى جعل قانون الرزق وتقدير الأقـــوات في

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٨ - ٥٢.

الأرض والمجتمع هو التقوى كما في قوله عز وجل : ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾(سورة الأعراف-آية٩٦)

واليوم وقد هيمن على الأرض الكفر ، فكان حتماً لازماً أن تضيق موارد الأرض كما يزعم الذين لايؤمنون بالقوانين الربانية التي تحكم هذا الكون ، إن عدم التوازن في حياة المجتمعات هو الذي جعل الموارد لاتكفي الزيادات المضطردة لبني الإنسان فالتفاوت الطبقي بين المجتمعات ، والتفاوت الطبقي في المجتمعات ، والتي تحكمها شريعة الغابة · وإهدار الأموال والثروات في التسليح والدمار، والإعلام الهابط والكماليات إلى غير ذلك من طرق الإنفاق غير المشروع هي التي تشكل عوامل الهدم في أموال الأرض كلها.

والحقيقة··أن الأزمة تظهر في العالم الثالث · ذلك أن الطفيلي الغربي ينمو ويتغذى من هذا العالم الذي أصابه الهزال من ذلك التطفل عليه، والعالم الثالث ليس معذوراً في ذلك ، فهو يأبى إلا أن يعيش مريضاً لبعده عن حاكمية الله عز وجل -

وقد حدد كتاب «سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر» أسباب الأزمة الغذائية في العالم الثالث والعالم الإسلامي فأرجعها إلى : «سوء التخطيط ، وسوء الإدارة ، وعدم استخدام التقنيات الحديثة ، وعدم استغلال االموارد المتاحة استغلالاً جيداً ، وإضاعة الأموال الضخمة في ترسانات الأسلحة، وفي أجهزة المخابرات، وفي الحروب الطاحنة ، وفي الإنفاق على أجهزة الإعلام الهابطة التي ليس ليها وظيفة سوى مغالطة الشعوب والكذب عليها ، وفي الإنفاق على الفنون الداعية للرذيلة ، وفي إلهاء شباب تلك الشعوب بمعارك وهمية دون كيشوتية ، سواء كانت في ميادين الكرة أو غيرها من الميادين»(١) ·

---

(١) د · محمد على البار ، ص ٦٣ ·

وهكذا تربع الغول العلماني في العالم ليدمر النسل بطرق شتى ·· منع الحمل - تحديد النسل - تنظيم النسل - نشر الإباحية الجنسية يضاف إلى ذلك في العالم الإسلامي خاصة ·· الجوع - المرض - الحرب - التنصير والتهويد - ··· الخ · فأنى للأمم المستضعفة أن تنهض وتسترجع ذاتها المطموسة إذا استمرت في إهلاك النسل وتدميره على هذا الطريق ؟

وهل استطاعت الدول الكبرى الآن السيطرة على العالم إلا من خلال زيادة عدد سكانها فقد قدر الدكتور R.R. Kurzynski سكان أوربا بمائة مليون سنة ١٦٠٠، و ٥و١٥٢سنة ١٧٠٠، و١٧٣ مليوناً سنة ١٧٨٩، و٥٢٥ مليوناً سنة ١٩٣٤م(١) يقول فشر في كتابه عن تاريخ أوربا في العصر الحديث: (شهد العصر الذي سيكون موضع دراستنا في هذا المؤلف زيادة هائلة في نطاق الأحداث وسرعتها وشدة تنوعها ، ففي أقل من مئة وخمسين عاماً زاد عدد سكان أوربا ثلاثمائة وخمسين مليوناً ، وسكان الولايات المتحدة أكثر من مائة وثلاثين مليوناً ، وصارت المدن أكبر ، والحكومات أقوى ، وزادت الجيوش والأساطيل والميزانيات ، والأعمال ، ودخل الحكومات والثروات الخاصة ، إلى مدى لم يخطر قط ببال ، فقد مكن ابتداع طرق جديدة للنقل من إرسال جيوش جرارة مئات من الأميال بعيداً عن أوطانها ، وتموينها بانتظام أعواماً عدة ، ومحا الأبعاد ابتكار وسائل جديدة للمواصلات واستخدمت طرق جديدة للدعاية لتنظيم الرأي العام وضبطه ····· وترجع الزيادة الضخمة في عدد سكان أوربا إلى ازدياد سيطرة الإنسان على قوة الطبيعة ، أكثر من رجوعها إلى أي تقدم عجيب في فن الحكم»(٢)·

(١) هربرت أ ، ل ، تاريخ أوربا في العصر الحديث ، ١٧٨٩-١٩٥٠م ، هامش ص ١ ·

(٢) المرجع السابق ، ص ١ ·

إنه يتكلم من خلال تجربة حية عاشتها أوربا وأمريكا في العصر الحديث ، حين زادت من عدد سكانها أضعافاً كثيرة فسيطر الإنسان على موارد الطبيعة، فازداد عدد السكان مرة ثانية ، تلك الزيادة التي أهلت هذه الدول للسيطرة على الأرض ، وجعل العالم كله في قبضتها ، فتقاسمته في الحربين العالميتين ·

ومما يبعث على الأسى والحيرة والخزي أن يشاهد العالم الإسلامي فريسة في يد هذه الدول تتقاسم أشلاءه الممزقة كتهالك الأكلة إلى قصعتها ، في حين أن الإسلام لا يعرف التقسيمات السياسية بل الأراضي كلها ، هي الوطن الإسلامي العام يقول الإمام حسن البنا «إن الإسلام لا يتقيد بهذا التقسيم السياسي في الوطن الإسلامي العام فهو : عقيدة ووطن وجنسية ، وأرض المسلمين في نظره وطن واحد ، فالزيادة في جزء منه قد تسد نقصاً في جزء آخر»(١) ·

ويقول الإمام البنا معللاً أسباب الأضرار في المستوى المعيشي في العالم الإسلامي: (إن أسباب الأضرار المشكو منها اقتصادياً، صحياً، واجتماعياً لاترجع إلى كثرة النسل بل إلى ارتفاع مستوى المعيشة من جهة وجهل الأمهات من جهة أخرى ، والمزاحمة من جهة ثالثة وأسباب أخرى نعجز عن حصرها ، وسردها»(٢) ·

يضاف إلى ذلك عدم المساواة بين أفراد المجتمع الواحد ولعلها من أسباب الدمار الأولى للأمم والأفراد ·· قال الله عز وجل ·· ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾ (سورة الإسراء-آية١٦) ·

وحدد رسول الله ﷺ نموذج الحياة الدنيا في أحـــوال

---

(١)،(٢) تحديد النسل ، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار الاعتصام) ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، ص٥٠ ·

المعاش. فعن جابر -رضي لله عنه- (أن رسول الله ﷺ قال : «فراش للرجل. وفراش لامرأته. والثالث للضيف. والرابع للشيطان»(١) .

وأثنى رسول الله ﷺ على الأشعريين لما تميزوا به من الشعور بالواجب الأخوي والتكافل الاجتماعي نحو المسلمين ، حتى استحقوا رضي الله عنهم حيازة أعظم وسام بالانتماء إلى رسول الله ﷺ ، شهادة من رسول الله ﷺ في الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة.

فعن أبي موسي الأشعري - رضي الله عنه - قال : (قال النبي ﷺ : «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم»(٢)

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى المسلمين في العراق مخاطبا ولي الأمر كما جاء في صحيح الإمام مسلم - رحمه الله - : «ياعتبة بن فرقد * ! إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك . فأشبع المسلمين في رحالهم ،

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٣ ، كتاب اللباس والزينة ، باب كراهة مازاد على الحاجة من الفراش واللباس ، ص ١٦٥١ ، ح (٢٠٨٤) .

(١) البخاري ، الصحيح ، م٢ ، ج٣ ، كتاب الشركة ، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض ، ص١٥٠، ح (٢٤٨٦) ؛ مسلم ، الصحيح ، ج٤، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل الأشعريين - رضي الله عنهم - ص ١٩٤٤ ، ح(٢٥٠٠)

* عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن رفاعة السلمي . شهد خيبر ، وقالت زوجته غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوتين . وعن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد أن عتبة قال : أخذني السرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني فتجردت فوضع يده صلى الله عليه وسلم على بطني وظهري فعبق بي الطيب من يؤمئذ . ولاه عمر رضى الله عنه الفتوح ففتح الموصل سنة ثمان عشرة ، مات رضي الله عنه بالكوفة (الإصابة ٢/٤٥٥).

مما تشبع منه في رحلك ، وإياكم والتنعم ، وزي أهل الشرك ، ولبوس الحرير ! فإن رسول ﷺ نهى عن لبوس الحرير · قال إلا هكذا · ورفع لنا رسول الله ﷺ إصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما(١) ·

وقد عم الترف والبطر والإسراف في حياة الأغنياء في المجتمع، لتوجد الغالبية فيه من الفقراء أو المعدمين · لاشك أن هذا الاختلال في التوازن الاقتصادي الاجتماعي يعرض الأمة للفناء بالمرض والجهل والمفاسد الاجتماعية والأخلاقية، ومن ثم تنفيذ سنن وقوانين الله عز وجل في المجتمعات التي تحكمها وتسيطر فيها الفئة المترفة بالتدمير والهلاك· وأولياء الأمور في المجتمعات يتحملون المسؤولية الأولى في تلك الزلازل الاجتماعية الربانية، التي هي من نصيب الأمة عامة بل والأعظم من ذلك ألا يتنبه المسؤولون إلى الحل الناجح للأزمة الاقتصادية فلا يرون الحل إلا في الحد من النسل ووقف الإنجاب بنشر وتعميم الدعوات والوسائل التي تحقق ذلك ! ·

والحقيقة : أن الأمر أبعد من ذلك فالحل في هذه الأزمة لا يكون إلا بالعودة إلى النظام الاقتصادي في المجتمع وفق آيات الكتاب الكريم والسنة المعظمة · وذلك بالسيطرة على موارد الرزق من قبل المسلمين ، ثم تسخيرها في المجتمع عامة بالعدل والإحسان ··

جاء في كتاب «الأمة المسلمة مفهومها - إخراجها - مقوماتها» دراسة للمجتمع المسلم ، وطرح للحلول التي نص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، لما يعانيه هذا المجتمع من الأزمات، ومنها الأزمة الاقتصادية التي تعيشها المجتمعات

---

(١) مسلم ، الصحيح ، ج٣، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم إناء الذهب والفضة ·· ، ص ١٦٤٢ ، ح (٢٠٦٩) ·

الإسلامية في هذا الزمان، وذلك بإحياء وبعث مفهوم الإيواء الذي دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية وهو الحل الرئيس لهذه المشكلة في قول الله عز وجل ·· ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾(سورة الأنفال - آية ٧٢)·

وقد تجلى معنى الإيواء نموذجاً عملياً في مجتمع الرسول ﷺ في المدنية المنورة من خلال أمرين اثنين : الأول : ما قدمه الأنصار للمهاجرين من استقبال كريم ، وإقامة آمنة ، ومؤاخاة عملية قامت على المشاركة الكاملة في الحياة والعمل والمؤونة والمصير· والثاني : ما قام به الرسول ﷺ من تنظيم للعلاقات الاجتماعية بتجسيد الإيواء في واقع عملي ينعم الجميع فيه بمقومات العيش الكريم ، ليكون مثلاً أعلى تقتدي به أجيال الأمة المسلمة حتى قيام الساعة(١) ·

وقد حدد الدكتور المؤلف في هذا الكتاب النمط الذي ينتفع فيه بخيرات الأرض وذلك من خلال منهجين اثنين : «وللانتفاع بخيرات الأرض منهجان لا ثالث لهما فإما منهج الله في « الحلال الطيب » الذي يفرز مفاهيم في الاقتصاد تهيء لجميع الناس الانتفاع الجسدي والنفسي والعقلي ، وتشيع التعاون والتكافل بينهم ، وتوفر للجميع التمتع بـ «الطيب» من الغذاء المؤدي إلى العافية والرخاء · وإما منهج الشيطان في «الحرام الخبيث» الذي يفرز نظريات في - الإنتاج والاستهلاك - تصيب البشر كلهم بالضنك النفسي والجسدي والعقلي ، وتشيع الاستغلال والاحتكار والابتزاز ونهب مقدرات الأفراد والشعوب لصالح أقليات مترفة تاركة للأكثرية الرديء أو الخبيث من الغذاء الجالب للأسقام ومضاعفات

(١) انظر : د· ماجد عرسان الكيلاني ، (عمان : المكتبة الوطنية ، ١٩٩١م) ص ٨٧ ·

المجاعات والفتن في الأرض والفساد الكبير»(١) ·

وهو ما يشاهد اليوم على سطح الكرة الأرضية · فلا يرى هؤلاء المترفون والمسيطرون الحل إلا في دمار هذه الأكثرية بالحروب والفتن وقطع السبيل وتحديد النسل ·

ثم يقول فضيلة المؤلف محدداً فلسفة المترفين في الأمة في الدين ·· «والمترفون عادة يجزئون مفهوم الدين - من خلال علمائهم أو سحرتهم - فيفصلون بين المظهر الديني للعبادة وبين المظهر الاجتماعي ثم يملؤونها بمعان غيبية لا علاقة لها بالواقع ، ويصرفون الأفهام عن «الأعمال» إلى «الأشكال» ويجعلون الزهد رضى بالفقر والفاقة، وانتظاراً لنعيم الآخرة وعدلها ·

والمخدوعون لا يفطنون إلى أن سد حاجات الدنيا جسر يعبر عليه الإنسان إلى جنة الآخرة ، وأن أي نقص في سد هذه الحاجات الدنيوية يهدم هذا الجسر فيسقط في جهنم الدنيا والآخرة سواء · ولذلك كان دعاء إبراهيم عليه السلام أن يرزق الله ذريته التي أسكنها بواد غير ذي زرع من الثمرات لعلهم يشكرون ويصلون ويسبحون»(٢) ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾(سور إبراهيم-آية ٣٧) ·

ثم تناول كتاب «الأمة المسلمة» أهمية الإيواء في الأمة التي يوجهها روح هذا الإيواء وذلك بما يلي ··

١- الأمة التي يوجه الحياة فيها عنصر - الإيواء - أمة مفتوحة الأبواب لجميع الأجناس · وجنسية المسلم فيها عقيدته ·

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٣ ·

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٧ ·

٢- حين يوجه - الإيواء - ممارسات الأمة يرتاح الناس من أسباب الصراع الطبقي والعنصري ، ويتوفر لكل إنسان فرص الاستقرار الاجتماعي والفكري والنفسي ، ويتوفر له الزواج وتكوين الأسرة والمأوى ٠

٣- والأمة التي يوجه علاقاتها - الإيواء - تتمحور قيمها الاجتماعية حول المظهر الاجتماعي للعبادة الذي حدده القرآن الكريم في الربط بين العبادة ومعونة العباد بما يسهل حاجاتهم ويحققها، في التحذير من عدم ذلك في قوله تعالى : ﴿فويل للمصلين ٠ الذين هم عن صلاتهم ساهون ٠ الذين هم يراءون٠ ويمنعون الماعون﴾(سورة الماعون-آية٤-٧) ٠ إن ذلك المظهر الاجتماعي للعبادة هو مايوفر لجميع الأمة الضمانات والخدمات العامة كالتعليم والصحة وفرص العمل وغير ذلك مما يحمي الإنسان من الجهل والمرض والفقر وآثار الحوادث والشيخوخة والنوازل المختلفة ويخص بالذكر هنا رعاية المواليد ليكونوا أفراداً أقوياء صالحين للبناء في هذه الأمة ٠ كما كان عليه العهد الإسلامي الزاهر وما طبقه الخلفاء الراشدون في ضمان المواليد بالفرض لهم من بيت المال حتى يبلغوا الحلم ويستغنوا ٠ ولذا لم تقم عندهم - رضي الله عنهم - مشكلة إسكان ! ! ٠

٤- حين تسود قيم - الإيواء - في الأمة تتمحور قيمها الإدارية حول «الإعداد والتخطيط» بدل «الارتجال والتفريط» ، مما يحفظ المجتمع من الانهيارات والأزمات ٠

٥- حين يشكل - الإيواء - بعض مكونات الأمة لاتسمح بارتفاع الأسعار ارتفاعاً ينسف مفهوم الإيواء فيها ، تحت ضغط الحاجة بزيادة النفقات على الدخول ٠ الذي يحمل المرء على أن يفر من ذويه ويقتل بنيه بشتى الأساليب ٠

٦- حين يشكل - الإيواء - بعض مكونات الأمة يجري حشد الطاقات البشرية والمادية وتنظيمها ، فيدب الجد والنشاط في حياة الأمة ، بالعلم والمعرفة وتطبيق ذلك في أعمال ومشروعات استعمار الأرض واستثمارها في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة الشريفة في مفاهيم « الإيواء » ومحاور تطبيقاته الواسعة(١).

فهل يبقى العالم بعد محتاجاً إلى تنظيم النسل وتحديده للسيطرة على الأرض ؟ أم أنه محتاجٌ لأعداد أكثر لاستثمار الأرض على الوجه الصحيح ! ٠

إن مايشاهد اليوم من تداع على الأمم المستضعفة نتيجة حتمية للإعراض عن الحكم بما أنزل الله سبحانه قال الله عز وجل ٠٠ ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد﴾(سورة البقرة -٢٠٥).

وهكذا كانت الدعوة إلى تحديد النسل ، بدل العودة إلى منهج الله سبحانه وتعالى في الحياة ٠ والأدهى من ذلك أن يستجيب المسلمون أفراداً ومجتمعات إلى مايراد بهم وما يدبر لهم من وراء هذه الاستراتيجيات العدوانية الكافرة للإجهاد على المسلمين وقوتهم ، في الوقت الذي تسعى فيه هذه الدول المسيطرة لزيادة سكانها واعتبار ذلك أول أسباب القوى ، كما يروج له في العالم الغربي وإسرائيل بالحوافز المادية والمعونات والضمانات وتخفيف الضرائب عن الأسر التي تنجب عدداً أكثر من الأطفال ٠

وعلى سبيل المثال والاستهزاء بالمتناقضات أن يعلن وزير الصحة في مصر عام ١٩٨٠م بأنهم في حاجة إلى مليون سيدة جديدة تستخدم وسائل منع الحمل كل عام حتى يمكن حل المشكلة

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١١٠ - ١١١ ٠

السكانية في الأعوام القادمة(١)، وتثور مشاعر الإنسانية والرحمة عند أمريكا لتساند هذا المشروع بمبلغ مليون دولار وهو عبارة عن وسائل منع الحمل(٢) ٠

وتقول الإحصائيات الصادرة عن السكان في فلسطين إن نسبة المواليد عند النساء المسلمات قد انخفضت بين عامي ١٩٧٠ - ١٩٨٠م عنها عند اليهوديات حيث بلغت نسبة الإخصاب عند اليهوديات عام ١٩٧٠ ٣,٤ أولاد وانخفضت إلى ٢,٨ في عام ١٩٨٠م .

بينما سجل انخفاض كبير على نسبة الإخصاب عند المسلمات فمن ٨,٩ أولاد للمرأة في عام ١٩٧٠ إلى ٧,٧ في عام ١٩٧٥ وإلى ٦ أولاد في عام ١٩٨٠م(٣) ٠

وفي مؤتمر السكان العالمي الذي عقد في القاهرة في ربيع الآخر لعام ١٤١٥هـ ٠ تقدمت جميع الدول في العالم بتقارير حول تحديد النسل في بلادها ما عدا إسرائيل حيث كانوا هم الجانب الوحيد في المؤتمر على الإطلاق الذي لم يعرض تجربته في تحديد النسل أو برامجه في تنظيم النسل لعدم وجود ذلك في قوانينهم وأعلن أحد أعضاء الوفد الصهيوني بكل جرأة وتحد عن ذلك، بصريح العبارة قائلاً «ليس لدينا برامج لتحديد أو لتنظيم النسل ، وإنما لدينا برامج لزيادة السكان ، ونحن نسعى ليصبح تعدادنا مثل رمال الأرض حتى نسود العالم»(٤) ٠

---

(١) صحيفة أخبار اليوم ، ٢١/١/١٩٨٠م ٠

(٢) صحيفة أخبار اليوم ، ١٢/١/١٩٨٠م ، انظر الصفحة التالية ٨٩٠ من هذا البحث .

(٣) انظر : الكتاب السنوي توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة لعام ١٩٨١م، هيئة التحرير والرصد : غازي السعدي ، نواف الزور ، غسان كمال ، الطبعة الأولى (بيروت : المؤسسة العربية ، ١٩٨٢م) ، ص١٦٢ ٠

(٤) انظر : مجلة المجتمع ، «ملف العدد ١١١٧» ، إعداد : شعبان عبدالرحمن، بدر محمد بدر ، ربيع الآخر ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، ص٢٥ ٠

انظر حولك ..

الشارع

في الغذاء



عندنا مشكلة زيادة السكان!

٣	مولود جديد كل دقيقة
٤٣٢٠	مولود جديد كل يوم
٣٠٢٤٠	مولود جديد كل أسبوع

هذه حقيقة وليست خيالاً

إنها زيادة مخيفة .. تجرف معها أى إمكانيات متاحة .. للنمو والتقدم . إن كان فى الغذاء أو الإسكان .. أو التعليم .. أو المواصلات .. أو العلاج

إن لم تنظم هذه الزيادة .. لن يكون هناك مستقبل مشرق لأولادك ...

والحل فى يدك أنت .



ابدأ اليوم فى حل المشكلة

مركز استعلامات تنظيم الأسرة موجودة فى كل مكان

الهيئة العامة للإستعلامات وحدة الإعلام والتعليم والإتصال

---

(١) صحيفة أخبار اليوم (١٩٨٠/٢/٢٣) ص ٥ .

وصرح خطيب المسجد الأقصى لمجلة المجتمع بأن الصهانية يرصدون جوائز مالية لمن تنجب من اليهود ، وصاحبة العدد الأكبر من الأطفال تعطى دائماً جائزة الأم المثالية ·· أما فيما يتعلق بالمجتمعات الأخرى غير اليهود ، فإن هؤلاء اليهود يقدمون الفتاوى الجاهزة باستمرار عن أهمية تحديد النسل والإجهاض(١) ·

فهل يتنبه النائمون من خدرهم··قبل فوات الأوان··فيعيدوا الأمور إلى أصولها الشرعية في العقيدة والإيمان والاستجابة لأمر الله عز وجل بالأخذ بأسباب القوة لتكون الحاكمية لله عز وجل، والتي لا يوجد هذا الدين ولا يقوم إلا بها ، وقضية الأولاد والذرية أساس في هذا الدين وهذه العقيدة، لأن النسل عبادة من العبادات التي ينبغي أن يكون المرجع والأمر فيها خالصاً لله عز وجل ولا يتحاكم فيها إلى تشريع بشري أو حكم وضعي أوتكتيك صهيوني·

وحددت هذه القضية في التشريع والحاكمية في الذرية سورة الأنعام في قول الله عز وجل ·· ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعٰم نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون · وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولٰدهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعٰم وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعٰم حرمت ظهورها وأنعٰم لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾(آية ١٣٦-١٣٨) ·

إلى قوله سبحانه وتعالى ·· ﴿قد خسر الذين قتلوا أولٰدهم سفهاً بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراءً على الله قد ضلوا وماكانوا مهتدين﴾ ، (آية١٤٠) ·

---

(١) انظر : المرجع السابق ·

ليتلو الحديث عن قتل الأولاد -جهالة وظلماً وكذباً على الله عز وجل- الحديثُ عن الجنات المعروشات والنخل والزرع والزيتون والرمان ثم تزكية ذلك بأداء الحق فيه للسائل والمحروم ·· قال الله عز وجل في الآية التالية للآية الكريمة السابقة ﴿وهو الذي أنشأ جنت معروشت وغير معروشت والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشبهاً وغير متشبه كلوا من ثمره إذا أثمر وءاتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ومن الأنعٰم حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطٰن إنه لكم عدو مبين﴾(آية ١٤١-١٤٢) · ثم لتختم الآيات بعد ذكر أصناف الأنعام وذكر التشريعات الجاهلية في تحريم الحلال بقول الله عز وجل مندداً سبحانه بهذه الافتراءات على الله عز وجل والتي لا تهدف إلا إلى الضلال والضياع للناس ·· ﴿أم كنتم شهداء إذ وصّٰكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظٰلمين﴾(آية ١٤٤) ·

ثم عقبت الآيات الكريمة بعد ذكر أنواع المحرمات على التفصيل بذكر مجمل لهذه المحرمات ·· ليكون من أحدها تحريم قتل الأولاد قال الله عز وجل ·· ﴿ولا تقتلوا أولٰدكم من إملٰق نحن نرزقكم وإياهم﴾(آية ١٥١) ، وختمت هذه الآيات الكريمات بقوله سبحانه وتعالى ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّٰكم به لعلكم تتقون ﴾ (آية ١٥٣).

يقول الأستاذ سيد قطب في الظلال بعد وقوفه عند هذه الآيات الكريمات من سورة الأنعام «نقول : هذا الشوط الطويل كله في سورة مكية ؛ يتناول قضية التشريع والحاكمية · فيدل على طبيعة هذه القضية - إنها قضية عقيدية- ·· ويدل على جدية هذه

القضية في هذا الدين ·· إنها القضية الرئيسة»(١) ·

إن هذه الآيات الكريمات تزرع الطمأنينة الإيمانية في قلب المؤمن إلى جنب الله عز وجل في قضية الرزق، وربط هذه القضية بالأولاد والتكاثر وما يستدعيه ذلك من زيادة في الرزق، فلم القلق والله عز وجل هو الذي أوجد هذا الكون بما فيه من النعم من الجنات والأنعام وجميع الخيرات، فالأمر في هذا يرجع إليه وحده عز وجل والمطلوب من الإنسان فقط تنفيذ حكم الله في هذا الكون بالطاعة والاستثمار وفق شرع الله سبحانه وتعالى ·· وأي خروج عن هذه القوانين الإلهية إلى حاكمية الجاهلية سيعرض هذه النعم إلى الزوال والعقوبة التي جرت على الأمم السابقة · «جاء في ظلال القرآن» حول معاني الآيات الكريمات السابقة مايلي : «إن وجود هذا الدين هو وجود حاكمية الله · فإذا انتفى هذا الأصل انتفى وجود هذا الدين ·· وإن مشكلة هذا الدين في الأرض اليوم ، لهي قيام الطواغيت التي تعتدي على ألوهية الله ، وتغتصب سلطانه ، وتجعل لأنفسها حق التشريع بالإباحة والمنع في الأنفس والأموال والأولاد، ··· ويربطها بقضية الألوهية والعبودية ، ويجعلها مناط الإيمان أو الكفر ، وميزان الجاهلية أو الإسلام»(٢).

قد يقول قائل ما المناسبة بين ما كانت تفعله الجاهلية من جعل جزء من الحرث والأنعام لله سبحانه ، وجزء لشركائهم ، وبين قضية تحديد النسل اليوم ·· إن الجاهلية هي الجاهلية وإن اختلفت أشكالها وقوالبها لأن «الجاهلية هي كل وضع يتصرف في شؤون الناس بغير شريعة من الله · ولا عبرة بعد ذلك باختلاف

---

(١) في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٢١٣ - ١٢١٤ ·
(٢) سيد قطب ، ج٣ ، ص ١٢١٧ ·

الأشكال التي يتمثل فيها هذا التصرف فإن هي إلا أشكال»(١) ·

والمسلم اليوم مأمور بألا يسبغ على هذه الجاهلية لباس الدين ، كما يريد الكفر ويمارسه في عالم المسلمين اليوم بتخطيط الصليبية العالمية والصهيونية العالمية بعد أن علمت - بالتجربة الكمالية التركية السافرة في إسقاط الخلافة - أن ذلك لا يوصلها إلى الهدف الأكبر في الاستيلاء على المناطق الإسلامية لتمكن العاطفة الدينية في النفوس · فما كان منهاإلا أن تلبس الجاهلية ثوب الإسلام وتقيم لهذا الدين الأجهزة الدينية وتروج لها باسم الدين بالدعاية المباشرة، وباستنكار جزئيات هزيلة، على هامش الحقيقة الإسلامية، يوهم استنكارها أن ماعداها سليم ، ليخسر المتحمسون لهذا الدين عن قصد وغير قصد ، لارتجال الخطب والمواعظ فيها · وليسبغ على هذه الأوضاع الجاهلية المشركة طابع الإسلام ، ويشهدون لها شهادة ضمنية خطيرة بأنها تقوم على أصل من الدين حقاً، ولكنها تخالف عنه في هذه الجزئيات الهزيلة(٢) لتفرغ الساحة ويتسع الميدان للصليبية والصهيونية تصول وتجول في حمى الإسلام كما تشاء · الأمر الذي لم تستطع تطبيقه قبل اتباع هذا «الأسلوب» المزور الخادع خلال ألف وثلاثمائة عام مضت إلا في العصر الحديث ·

ليخسر المسلمون اليوم كل شيء الأموال والأولاد ·· ﴿قد خسر الذين قتلوا أولدهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ ·

«خسروا الخسارة المطلقة · خسروا في الدنيا والآخرة ، خسروا أنفسهم وخسروا أولادهم · خسروا عقولهم · وخسروا أرواحهم · خسروا الكرامة التي جعلها الله لهم بإطلاقهم من العبودية لغيره ؛

(١) المرجع السابق ، ص ١٢١٨ ·
(٢) انظر : المرجع السابق ١٢١٩-١٢٢١ .

وأسلموا أنفسهم لربوبية العبيد ؛ حين أسلموها لحاكمية العبيـــد ! وقبل ذلك كله خسروا الهدى بخسارة العقيدة ، خسروا الخسارة المؤكدة ، وضلوا الضلال الذي لاهداية فيه»(١) «قد ضلوا وماكانوا مهتدين» ·

﴿فهل من مدكر﴾ (سورة القمر - آية ٢٢) ·

أما آن للأم المسلمة أن تؤدي دورها في الوجود ·· أماً مسؤولة عن إمداد هذه الأمة بالأولاد الصالحين أمهات ورجال الغد، بتربيتهم بالإيمان والقوة التي يحبها الله عز وجل في عبده المؤمن وأي إعراض للأم المسلمة عن تأدية هذا الدور - دون مبرر - هو نقص في ميزان الإيمان والقرب من الله عز وجل ،وقد يصيبها في إيمانها كله إذا كانت النية المصاحبة التدخل في المشيئة الإلهية في الإنجاب والرزق - أسأل الله سبحانه العفو والعافية إنه سميع مجيب ·

ولكن لا عليك أيتها الأم إن أرهقك الحمل وتكراره فإن الرضاعة الطبيعية بالاستجابة لأمر الله عز وجل فيها ؛ هي أفضل و أسلم وأجدى طريقة لتأخير الحمل ·· يقول الدكتور جلبود : «يبدو أن الرضاعة تقوم بمنع الحمل عند ملايين النساء في العالم· ويمكن القول بأن المحصلة النهائية لمنع الحمل الناتجة عن الرضاعة أكثر بكثير من جميع وسائل منع الحمل مجتمعة ! ! وفي أي مجتمع لو قامت النساء بإرضاع أطفالهن إرضاعاً تاماً فإن الخصوبة في ذلك المجتمع تقل · وربما أدت إلى نتائج في هذا الصدد تفوق استعمال وسائل منع الحمل»(٢)·

ونشرت مجلة اللانست الطبية الشهيرة في ١٩ تشرين الثاني ١٩٨٨م مقالاً بعنوان : «الإرضاع الطبيعي كوسيلة لتنظيم النسل».

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٢٢ ·

(٢) د· محمد علي البار ، سياسة ووسائل تحديد النسل ، ٢٠٠-٢٠١ نقـلاً عن : Cuillebaud J: the Pill, Oxford University Press, Oxford, 3rd Edition 1987: P15.

وذلك تعليقاً على المؤتمر العالمي لصحة الأسرة الذي عقد في آب ١٩٨٨م في إيطاليا وحضره علماء متخصصون من مختلف أنحاء العالم ، وخبراء من منظمة الصحة العالمية ومن منظمة صحة الأسرة ، ومما قرروا ما يلي ..

١- الإجماع على أن انقطاع الطمث الذي يحدث أثناء الإرضاع يمكن اعتباره وسيلة ملائمة لتنظيم النسل للعديد من النساء.

٢- يمكن استخدام الإرضاع الطبيعي كوسيلة لإبعاد مابين الحمول.

٣- إن الحصول على أفضل النتائج في منع الحمل وإبعاد فترة ما بين الحمول يأتي حينما ترضع الأم وليدها من ثديها بشكل كلي أو شبه كلي(١) .

فهل تستجيب الأمهات لأمر الله عز وجل .. فتكسب الدنيا والآخرة وتفوز برضوان الرحمن سبحانه وتعالى .. أم تأبى إلا الخسران .. في الدارين .. خسران الأولاد والأموال وخسران البدن والعافية، بما تجره وسائل منع الحمل من الأمراض والأوبئة على الجسم والنفس(٢) ، وخسران الأجر والثواب عند المليك المقتدر سبحانه .. إن لم يكن عذاب نار جهنم .

وذوو النعم والكفاءات والقدرات الجسمية والمالية والعقلية والفكرية عليهم - قبل غيرهم - لا كما هو حاصل اليوم - تقع مسؤولية مد الأمة المسلمة بالأعداد الكثيرة من الأبناء الأقوياء الصالحين، وهذا ما يطالب به أيضاً من هم أقل حظاً في هذا لأن الدولة المسلمة تتكفل بالضمان والرعاية للأجيال بما يعود على بيت المال فيها من مصارف الزكاة الواجبة وغير الواجبة .

---

(١) انظر : د.. حسان شمي باشا ، الرضاعة من لبن الأم ، ص ١١٥-١١٦، نقلا عن : مجلة اللانست الطبية ، ١٩ تشرين الثاني ، ١٩٨٨ .

(٢) انظر : د. محمد علي البار ، سياسة ووسائل تحديد النسل ، ص ٢٧١-٢٨٥ ، ٣١٩-٣٣٩ ، ٣٥٢-٣٥٥، وينظر ما فيها من أهوال تدابير منع الحمل .

٥- انحراف الأطفال :

قال الله عز وجل في سورة الأنعام ..

﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾(آية ١٣٧) .

إن قتل الأطفال .. له أساليب وطرق عديدة ، وليس القتل الحسي فقط هو المقصود في الآية الكريمة .. وإنما هو أي قضاء على حياة الإنسان الكريمة .. وقتل الولد يكون في إغوائه وزجه في طريق الانحراف والرذيلة والسقوط والضياع .. وتضييع الأمانة والمسؤولية في تربيته وتعهده وحفظه .

إن المتتبع للأخبار اليومية وما تصدره الصحف ليهوله ويروعه ما ينشر وينقل عن حال الطفل الإنساني في العالم ، فثمة أنواع من القتل تتعرض لها الأجيال في العالم بأسره اليوم . وإن ما طلعت به التكنولوجية الحديثة من نظم وأساليب في الحياة لاتقوم على منهج رباني ، بل على هوى البشر وأطماعهم ، قد أدى إلى انحراف الطفولة وزجها في أودية الفساد والرذيلة والهلاك والضياع .

في ٣١ ديسمبر ١٩٧٩ نشرت - صحيفة الواشنطون بوست - مقالاً للكاتب وليم راسبري الذي نقل عن البرفسور - اداورد أ. واين - أستاذ التربية في جامعة اللينوي ما توصل إليه في بحوثه الإحصائية ومما قاله : هناك زيادة مستمرة في سلوك المراهقين الذي يمكن وصفه تدمير النفس إذ يكشف البروفسور - واين - على أن جرائم القتل بين الناشئة البيض الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥-١٩ سنة قد زادت من ٢,٧ لكل مائة ألف عام ١٩٥٩م لتصبح ٧,٥ لكل مائة ألف عام ١٩٧٦م أي بنسبة ١٧٧٪ كما أن جرائم الانتحار زادت بنسبة ٢٦٠٪ . هذا بالإضافة إلى زيادة تناول المخدرات والمسكرات والانحرافات الأخلاقية والأمراض الجنسية .

ويعتقد البرفسور - واين - أن الفشل الأخلاقي والاجتماعي قد تفشى في العشرين سنة الأخيرة بين الناشئة وأن جيلا ينمو يتصف بالأنانية ، والسلبية وبرود العواطف وعدم التدين وعدم الشعور بالصالح العام ، وفقدان الشخصية ... ويعتقد البروفسور - واين - أن السبب في ذلك هو أن مؤسسات التربية بما فيها الأسرة أصبحت لاتعي شيئاً في شخصية الطفل إلا كيفية الحصول على الدولار وأن اللوم يجب أن يقع على المدارس. ويعلق - جيري فولول - بالقول إن اللوم يجب أن يوجه للوالدين اللذين يربيان الطفل في بيت لادين له ، ومجتمع لادين له . إلا ما كان من المسلسلات التلفزيونية وأفلام السينما ، والراديو ، والصحافة الداعرة، والعنف ، والجريمة ، والجنس وعدم الإحساس بقبح الأفعال السيئة وتبرير كل انحراف(١) .

لقد تفشى الداء واستشرى في أرجاء العالم ولا سيما في الغرب وأمريكا .. وقد ذعر المسؤولون ، وأصيبوا بالرعب من الأرقام الإحصائية التي توصلت إليها الدراسات.

وفي تقرير أعده - روبين لويد - مراسل الشركة التلفزيونية NBC أعده في كتاب، وكتب مقدمة الكتاب السيناتور - بيرتش باي - عضو اللجنة الفرعية في الكونغرس لدراسة انحراف الأحداث. ومما جاء في الكتاب ..

1- تنفق الولايات المتحدة سنوياً ٥٩٠ مليون دولار لإصلاح الخراب الذي يحدثه الطلبة في المدارس .

٢- تنفق المدارس رواتب للحرس ما يعادل ثمن الكتب المدرسية سنويا .

---

(١) Listen, America, Jerry Falwll PP . 114-122

٣- في المدارس ضباط أمن لمنع الاعتداء على الأرواح والأعراض . وقد ذكر السيناتور -بيرتش باي - في مقدمته للكتاب : « أن عدد الطلبة الأمريكان الذين قتلوا خلال الخصومات في ساحات المدارس ما بين عام ١٩٧٠-١٩٧٤ يفوق عدد القتلى من الجنود الأمريكان في فيتنام خلال الفترة المذكورة .

ويقول مؤلف الكتاب إنه في عام ١٩٧٣ تبين في دراسة لمنطقة مدرسية واحدة أن مائة طالب قد قتلوا في ذلك العام .

ويتكرر الاعتداء على المعلمين ، وتغتصب المعلمات والطالبات يومياً .

٤- يباع في مدينة نيويورك من المخدرات بين طلاب المدارس يومياً ما قيمته ٦٠٠ ست مائة دولار .

ولقد علق أحد مدراء المدارس على الأرقام المرعبة لتعاطي المخدرات بين الطلبة فقال : « إن أي مدير تربية يدعي أنه ليس لديه مشكلة المخدرات في المدارس العامة هو إما أن يكون مذنباً بإخفاء الحقائق أو جاهلاً بما يجري » .

بل إن الوالدين مازالوا يفرقون بين الخمور والمخدرات والولد الذي يكتفي بالخمور يعتبر طفلاً مفضلاً مرضياً أكثر من الذي يتعاطى الماريجوانا .

٥- في عام ١٩٧٤ أصدرت لجنة خاصة في ولاية نيويورك تقريراً - بعنوان :« الجريمة في المدارس » - عن وجود شبكات بغاء تجند الطلاب والطالبات في المدارس(١) .

---

(١) انظر : د. ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية ، ص١٠٤-١٠٧ نقلاً عن :

Robin lioyd. for moneyor love: Boy prostitution in America.

New york: Randomhouse Inc: Ballantine Books, .

وحول قضية تعاطي المخدرات بين الشباب في بيت الأبوين (الأسرة) كتب الطبيب النفسي اليوغسلافي « د. فلاينا يروتيتش » فقال: « إن الأسرة المضطربة أو المحطمة التي تسبب تطورات عصابية في الشخص الصغير السن تجعله يبحث عن ميكانيزمات دفاعية خاطئة ضد الاضطراب العصابي .. إن اختفاء المجتمع الأبوي واختفاء الأسرة الذي شاع الآن في العالم يخلق جواً من التعاسة الداخلية معبراً عن نفسه بإحدى طريقتين في العالم الخارجي : الغضب والتمرد ، أو حالة من اللامبالاة والسلبية والاستسلام ينتج عنها تعاطي المخدرات »(١) .

يضاف إلى ذلك انتشار ظاهرة الطفل المضروب، التي لا تخلو الصحف اليومية عن خبر عنها أو أكثر في كل عدد ، حيث قدر عدد الأطفال الذين يواجهون اعتداءات بدنيه وجنسية في الولايات المتحدة بـ ١,٦٠٠,٠٠٠ طفل سنوياً . وترفع بعض الدوائر هذا التقرير إلى أربعة أو خمسة ملايين طفل !!(٢) ، ومن بين كل عشرة أطفال يدخلون المستشفى هناك طفل واحد منهم دخلها بسبب اعتداء أسرته عليه . بل إن الاعتداء على الأطفال يأتي كسبب ثان للوفيات مابين ستة أشهر وعام ، وتأتي الاعتداءات الجسدية في الغالب من الأم وذلك بسبب التوترات والضغوط التي تعاني منها المرأة في الغرب(٣) فهي على الغالب عاملة .

---

(١) د. علي عزت بيغوفيتش ، الإسلام بين الشرق والغرب ، الطبعة الأولى ، (الكويت : مجلة النور الكويتية ، بالاشتراك مع مؤسسة بافاريا بألمانيا ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ص ١٢٤ .

(٢) انظر : د. محمد علي البار ، الأمراض الجنسية ، ص ٥٧، نقلاً عن كتاب الطفل المعتدى عليه ، إصدار شركة سيبا ، مجلد ٢٩، العدد الخامس ١٩٧٧.

(٣) انظر : د. محمد علي البار ، الأمراض الجنسية ، ص ٥٧-٥٩ .

وبالتالي فإن ظاهرة حمل المراهقات تهدد المجتمع في الغرب ، ففي إحصائية صدرت عن الحكومة البريطانية: ذكر أن هذه الظاهرة في ازدياد وتشير الإحصائية إلى أن ٣٪ من الفتيات المراهقات يصبحن أمهات في سن المراهقة(١) ، وتصل نسبة الأمهات المراهقات غير المتزوجات ٥٠٪ في أمريكا(٢) .

٦- انتهاك حرمة الطفولة : بيع الأطفال - استغلالهم أخلاقياً .

لقد نتج عن التصدع الأسري وانحراف الأحداث نتيجة انهيار نظام الأسرة، بالإضافة إلى أسباب اجتماعية واقتصادية أخرى، أن انتهكت حرمة الأطفال الأبرياء وذلك بتحويل الطفولة إلى سوق استهلاكية للبيع والشراء، والمتاجرة بهم في سوق البغاء والفواحش ، في منظمات ضخمة يشتغل فيها آلاف الموظفين والمحترفين من الأطباء والفنانين ورجال العصابات وتجار المخدرات(٣) .

وفي العالم ١٠٠ مليون طفل هم أطفال شوارع ، و٢٠٪ منهم في الدول المتقدمة و٤٠٪ في أمريكا اللاتينية و٢٥-٣٠٪ في آسيا و١٠٪ في إفريقيا. وهم عرضة لتعاطي المخدرات والقيام بالأعمال اللاأخلاقية(٤)، وما ينشر في الصحف والمجلات يومياً يغني عن الذكر .

وإن ما يجري للطفولة اليوم ما هو إلا نتائج حتمية للمجتمع الراهن في نظمه غير الشرعية والوضعية ، في السياسة

---

(١) «البعد الأخلاقي مفقود»، مجلة النور ، العدد ٩٤-٩٥، ١٩٩٣م، ص ٢٣.

(٢) «أسرار ومفاجآت أخطر مؤتمر عن الإسكان والتنمية» ، مجلة المجتمع ، العدد ١١١٧، ربيع الآخر ١٤١٥- سبتمبر ١٩٩٤، ص ٢٣.

(٣) انظر : د. محمد علي البار ، الأمراض الجنسية ، ص ٤١٤ .

(٤) «أطفال الشوارع .. قنبلة موقوتة تهدد العالم»، مجلة الإغاثة، العدد السابع، ١٤١٤هـ، ص ٦٠.

والاجتماع والاقتصاد والتربية، ولا عجب وحال الأسرة اليوم كما هو مشاهد، ولا عجب وحال الأمومة هكذا أيضاً أن يباع الأطفال وأن يستثمر طفل الإنسان البريء ! في أبشع صورة عرفتها البشرية على مر الأزمان والدهور.

يقول فشر زعيم التربية في أوربا في العصر الحديث مصوراً واقع الطفولة في المجتمع الصناعي ومحذراً من مغبة الأمر إذا ترك بلا ضبط وتوجيه وإعداد : « إن قارة أوربا لما اضطرت هي إلى أن تجابه حقائق الانقلاب الصناعي التي كانت انجلترا تجابهها، لم تقل لنفسها يومئذ : إن الأمور الجديدة الغريبة التي تجري الآن في انكلترا ستحدث لي أنا أيضاً، عندما يحين الأوان، فستقام هنا أيضاً المدن الصناعية التي سيملأ دخانها الجو، وسيستمر هنا أيضاً استغلال عمل الأطفال الصغار للربح والكسب، ولكن سيولد رغم ذلك في هذه الدنيا - أطفال أكثر وأكثر - أطفال يجب أن يبيتوا ويطعموا ويتعلموا ويحكموا » .

« وقبل أن تمضي عقود عدة ، ستتكرر في كل صقع وناد نفس هذه الأمور، وستغير الآلات الميكانيكية ورؤوس الأموال معالم المجتمع ، وستجبر الحكومات في مشارق الأرض ومغاربها- إذا كانت تروم البقاء - على أن تعد العدة لجيل جديد لا يملك رأس مال : جيل اجتث من الأحوال الاقتصادية الثابتة الوطيدة، ومظاهر العبادة والتقوى التي تحفل بها الحياة القروية، جيل لا تقاليد ولا ولاء ولا مستوى أخلاقياً له، جيل هائم يعيش في مهب ريح المزاحمة الاقتصادية العنيفة - ونحن الأوربيين - نبدأ في الواقع عصراً صناعياً جديداً، فينبغي لنا أن نرقب أخطاره، وندرك من قبل حوائجه، ونهدي خطواته الصراط المستقيم »(١) .

---

(٣) فشر ، هربرت، توفي سنة ١٩٤١م، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠، ص٤ .

الفصل الرابع

بدائل الأمومة في المجتمعات المعاصرة

إن ضرر الآلة والتقنية في المجتمع الصناعي ، في بعده عن لمنهج الإلهي ، لم يقتصر على نشأة الطفل وما يلحقه من سلبيات تيجة ما يعاني من الخواء الروحي والفقر العاطفي والسكن الأسري ي البيوت ، بل استفحل الداء واشتد البلاء حين غدت الأمومة فيه مجرد عملية بيولوجية ، ليسلم الطفل بعد ولادته إلى من يقوم رعايته وتربيته ، وذلك حين نضب نبع الحنان عند الأمهات ، غدت الأمومة بالنسبة لهن عبأ ثقيلاً يتذمرن منه ويضقن به . مما أدى إلى ظهور البدائل عن الأمومة ، ومن يدري ما سيكون عليه حال الأمومة بعد سنوات إذا استمر التيار في نفس الاتجاه وهذه بعض لمحاته ..

مما عند ألفن توفلر في كتابه صدمة المستقبل ، حسب تصوراته للمسقبل حيث يطرح بدائل لما يسميه - الأمومة التقليدية - فيذكر أن الأسرة الكبيرة كانت من مستلزمات العصر الزراعي ، وحينما جاء العصر الصناعي حلت محلها الأسرة الصغيرة التي تقتصر على الوالدين والأبناء دون الأحفاد والأخوة والأجداد · وفي المستقبل ستختفي الأسرة الصغيرة لتقتصر على الزوج والزوجة فقط· لذلك فإن الزوجة لن تقوم بوظيفة الأمومة ، وإنما ستحل أشكال جديدة للأمومة منها : الشكل الأول ؛ أن تلد المرأة الطفل ثم تلقيه إلى أسر متفرغة للأمومة وحدها ·

والشكل الثاني ؛ أن تؤخر الزوجة الحمل حتى سن التقاعد ثم تشتري جنيناً - تزرعه في رحمها وتنجب طفلاً ·

الشكل الثالث ؛ أن تتكون شركات أمومة تشتري الأطفال وتربيهم تربية جماعية ثم تبيعهم بعد أن يكبروا لمن يريد أبناء وبنات ·

ويضيف: إنه في هذه الفترة سوف يظهر في الصحف إعلانات كالتالي : « لماذا تدع الأمومة والأبوة تقيد مستقبلك وتقعدك عن النشاط»(١) ٠

«دعنا نربي رضيعك ليصبح كبيراً ناجحاً مسؤولاً» ٠ «عائلة مهنتها الأمومة والأبوة مكونة من رجل عمره ٣٩ وأم عمرها ٣٦، وجدة عمرها ٦٧ ، وعمة وعم عمر كل منهم ٣٠ ، أربع وحدات تربية أطفال من عمر - ٦-٨ ، غذاء يفوق المستويات الحكومية ، موظفون يحملون شهادة أمومة وأبوة ، يسمح بالزيارة للوالدين الدمويين ، والاتصال التلفوني مسموح ، دروس في الدين والموسيقى والفن تقدم ، عقد لمدة خمس سنوات على الأقل ٠ اكتب لنا عن تفاصيل أوسع »(٢) .

والشكل الرابع هو أسر الشاذين جنسياً والشاذات ؛ حيث سيظهر عائلات من جنس واحد تشتري أطفالاً من شركات الإنجاب وتقوم بمهمة الأمومة والأبوة (٣) .

تشير التطبيقات الجارية في أمريكا والغرب أن كثيراً من هذه الأشكال الشاذة للأمومة قد بدأت تأخذ طريقها إلى واقع المجتمع وجميع هذه التطبيقات تقدم معجزات وشواهد عن المدى الذي يمكن أن يسقط إليه الإنسان المنفصل عن الله سبحانه وتعالى؛ وإن الحضارة المادية مهما ارتقت صناعياً وتكنولوجياً إذا لم تسترشد بهدي الله سبحانه فسوف تدمر الإنسان وتسحقه ، وتقدم هذه التطبيقات تحذيراً قوياً إلى المجتمعات الإسلامية لمراجعة وسائلها في التفاعل مع الحضارة الغربية فلا تستودرد منها نظم التربية ، وعلوم الاجتماع ، والفنون وإنما تقيم لها نظماً تربويـــة يبلورهـــا

---

(١) Alvin Toffler , Future Shock . 88 edition, New York Banatam Book PP . 241 - 249 .

(٢)،(٣) المرجع السابق .

مختصون بأصول التربية وتخطيط المناهج مع الرسوخ في علمية أسلمة التربية) التي أصبحت أهم ضرورات المجتمعات الإسلامية تي تقاسي من استيراد النظم التربوية ·

وبالأمس القريب وفي شهر ربيع الآخر من عام ١٤١٥هـ عقد ؤتمر العالمي للسكان والتنمية في القاهرة المسلمة يتزعمه رؤساء غرب. وكان الهدف الرئيس في هذا المؤتمر هو إلغاء نظام الأسرة نحل البدائل عن هذه الأسرة بجميع صورها المنحرفة وأشكالها الشاذة ·· فلا يستغربن القارئ من ذكر مثل هذه البدائل مادام بلاء قد غرست جراثيمه وفيروساته في أرض العالم الإسلامي ، ومن درى متى ستبعث هذه البذور إذا لم تتصد لها اليد المصلحة التي عمل على اقتلاعها ثم تدوسها بالأقدام لتضع مكانها بذوراً سليمة ستمدة من منهج الله سبحانه ورسوله ﷺ ·

أما بدائل الأمومة التي تبدو اليوم عالمية ومنتشرة ومطبقة ي بقاع المعمورة فهي ··

- المحاضن وأثرها على النمو النفسي والاجتماعي للطفل

إن الطفل أمانه ومسؤولية في عنق الأبوين الأم والأب ، وهما طالبان برعايته وتربيته على على أحسن وجه حتى يشب صحيح جسم سليم العقل سوي الشخصية ، والمرحلة المبكرة من عمر طفل خاصة السنوات الأولى من حياته لها كل الأثر في مستقبله ، باقي عمره ، وقد أوصىٰ الدين الاسلامي برعاية الطفولة وحفظها الاهتمام بأصول تربيتها بشكل دقيق ونظام حكيم · قال ﷺ : ليس - من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»(١) · فالطفل محتاج ى الرحمة والحنان والمحبة والعدل في المعاملة ولايتحقق ذلـــــــك

---

١) الترمذي ، السنن ، ج٤ ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء في رحمة الصبيان ، ص ٣٢٢ ، ح(١٩٢١) ، ح(٥٩٩٨).

إلا في ظل رعاية الأم والأب وحضانتهما ، وقد أرشد رسول الله ﷺ أصحابه إلى الأساليب والطرق السليمة في رعاية الأطفال.

عن أنس رضي الله عنه قال: «أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبله وشمه»(١) . وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تقبلون الصبيان فما نقبلهم ، فقال النبي ﷺ : «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»(٢) .

وقد أمر رسول الله ﷺ بالعدل بين الأولاد واعتبر ﷺ ذلك من التقوى. قال ﷺ للصحابي الذي اقتطع أرضا لأحد أبنائه دون الآخرين «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»(٣) .

وكذلك فقد أمر رسول الله ﷺ بالرفق بالرعية ، وكل من كان تحت يده أحد من خلق الله فهو مأمور بالرفق والرأفة بهم والعطف عليهم ، فكيف إذا كانوا أطفالاً صغاراً ضعفاء . قال ﷺ : «إن شر الرعاء الحطمة* ، فإياك أن تكون منهم»(٤) . ،

وإن ما ابتلي به العالم اليوم من وضع الأبناء في الطفولـــــه

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م ٤ ، ج٧ ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، ص ٩٨.

(٢) البخاري، المرجع السابق ، ص ٩٩، ح (٥٩٩٨) .

(٣) مسلم ، الصحيح ، ج٣ ، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ص ١٢٤٣، ح (١٦٢٣) .

(*) شر الرعاء الحطمة : هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار، ويلقي بعضها على بعض، ويعسفها ضربه صلى الله عليه وسلم مثلاً لوالي السوء، وهو العسوف العنيف، والحطم من أبنية المبالغة، وهو الذي كثر منه الحطم، ومنه سميت النار الحطمة لأنها تحطم كل شيء؛(ابن الأثير١/٤٠٢-٤٠٣(حطم)).

(٤) مسلم ، الصيحيح ، ج٣ ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق ، ص ١٤٦١ ، ح (١٨٣٠) .

المبكرة في دور الحضانة وتسليمهم إليها كقطعان الماشية ، ماهو ظامة كبرى سوف تتكشف مضاعفاتها في البلاد الإسلامية ، كما ناهد اليوم في عالم الغرب ، ذلك أن هذه المحاضن تحرم الطفل من عاية أبويه، الذي هو بأمس الحاجة للعيش في كنفهما وتحت لهما · لتتوفر له الجرعات الضرورية من المحبة والرحمة والحنان لرعاية والعدالة تلك المعاني العظيمة التي أمر رسول الله ﷺ بها باء نحو أولادهم ·

والفرد الإنساني لكي يبلغ قوته الكاملة ، فإنه محتاج إلى زلة نسبية واهتمام جماعة اجتماعية محددة ممثلة بالأسرة(١) ، حاكيها ويقلدها ، ويجد في أفرادها من الكبار القدوة التي يحذو حذوها ويعيش في رعايتها ، وينتظم ضمنها آخذاً وجوده ومكانه بها ·

وفي عالم الحيوان ، لايكون النمو سليماً وصحيحاً إذا لم يوجد ضمن المجموعة ماهو أكبر سناً من صغارها ، فالجراء الصغيرة تي تنشأ مع جراء من نفس عمرها في حظيرة واحدة لاتنمو نمواً كتملاً ، كالكلاب الحرة التي تعيش مع والديها ، تمضي معها تتحرك بحركتها ، والحال كذلك بالنسبة للأطفال الذين يعيشون سط جمهرة من الأطفال الآخرين ، والذين يعيشون وسط الكبار لاسيما الأبوان- لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجي والعقلي العاطفي طبقاً للقوالب الموجودة حوله(٢) ·

يصف الكسيس كاريل حال الأمهات اللواتي يسلمن أولادهن لمحاضن ، ويحملهن مسؤولية ضياع الأسرة حيث قال ··

« يجب ألا يكون التعليم مانعاً من التوجيه الصائب ، مثل هذا التوجيه يعود إلى الوالدين ، فهما وحدهما ، وبصفة

١) انظر الكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، ص ٣٠٦ ·
٢) انظر : المرجع السابق ·

أخص الأم ، قد لاحظا منذ شبا الصفات الفسيولوجية والعقلية التي يهدف التعليم إلى تنظيمها وتوجيهها ، لقد ارتكب المجتمع العصري غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأسرة بالمدرسة ، استبدالا تاماً ، ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى يستطعن الانصراف إلى أعمالهن أو مطامعهن الاجتماعية أو مباذلهن أو هوايتهن الأدبية أو الفنية أو اللعب .... وهكذا يضيعن أوقاتهن في الكسل ، إنهن مسؤولات عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التي يتصل فيها الطفل بالكبار فيتعلم منهم أموراً كثيرة»(١) .

إن الطفل الذي يعيش وسط أعداد كبيرة من الأطفال في مثل عمره ، لايستطيع أن يكون مستقل الشخصية ، يحس بفرديته وتميزه ، ذلك أن أفعاله ونشاطاته قد ضاعت وذابت وسط ذلك القطيع، الذي وجد فيه في مرحلة الطفولة، فطغى على شخصيته.

يصور الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله حال التربية الجماعية للأجيال وما ينجم عنها من سلبيات حيث قال : «فهذا النظام الذي سينشأ فيه ألوف مؤلفة من الأطفال على غرار واحد وطريقة واحدة ، لايمكن أن تبرز فيه شخصيتهم الفردية ، بل هو أحرى بأن يحدث فيهم أكثر ما يكون من المشابهة والسوية المتصنعة فيخرج الأولاد من هذا المركز التربوي متماثلين كالسبانك الحديدية تخرج من مصنع ... إنهم يريدون أن يخرجوا الأجيال الإنسانية القادمة كتخريج أحذية (باتا) ، ولايعلمون أن إعداد شخصية الطفل من ألطف الفنون وأدقها، ولايمكن أن يعالج إلا في مجال عملي صغير يكون فيه كل رسام منصرفاً بعنايته إلى صورة واحدة ، وأما المعمل الذي يصور فيه العمال الأجراء ملايين من الصور المتشابهة المتماثلة، فلاشك أن يضيع فيه هذا الفن، بدل أن يرتقي ويتحسن»(٢).

(١) المرجع السابق ، ص٣٠٥ - ٣٠٦ .
(٢) الحجاب ، ص ١٨٥ .

إنه يستحيل للمحاضن أن تقوم بدور الأسرة وترعى الطفل كما ترعاه الأم، فتلك المربية التي تشرف على أعداد كبيرة من الأطفال هل في وسعها أن تعطي الجميع الحب والرعاية والاهتمام، وهي أمام العشرات من الأطفال، ثم هل يمكن لعواطفها أن تتوزع بالعدل نحو الجميع كما هي حال الأم نحو صغارها، لاشك أن هذه الأم الصناعية سوف تؤثر بعضهم، بل سيكون لهؤلاء المفضلين، الحب كله ٠

ومن الثابت أن الطفل في العامين الأولين من حياته يحب أن يستأثر بأمه ولايشاركه فيها أحد ، كما أنه يحتاج إلى سلطة ثابتة، ليتحقق له ثبات الشخصية ، وهذا لايكون في المحاضن ، وقد أثبتت التجارب التي أجريت على أطفال الحروب أن تناوب الحاضنات على الطفل وتغيرهن ، أدى إلى اختلال الشخصية عند هؤلاء الأطفال وانحلالها وتفككها(١) ٠

والجدير بالذكر ٠٠ أن الإسلام قد كفل حق اليتيم ، وأمر الجماعة المسلمة برعايته ، وحض الأفراد على كفالته ، ليعيش في كنف الأسرة ، يستظل بسياج حبها ، ومحضن حنانها ورحمتها ، فكيف بالإنسان اليوم حين يضع أولاده في المحاضن ، ليجعلهم في حال هي أسوأ من اليتامى ٠

وكذلك فان الملاجئ التي تنشأ اليوم لرعاية اليتامى ، بعيدة كل البعد عن منهج الإسلام الصحيح ، ونظامه في كفاله اليتيم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقرن صلى الله عليه وسلم «بإصبعيه السبابة والوسطى»(٢) وإن الكفالة لليتيم لاتكون بدفع المال إليه لرعايته مادياً ، بل هو

(١) انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٦ ، ٣٢٦١ ؛ العدالة الاجتماعية في الإسلام ، دار الشروق ، ص ٥٥ ٠

(٢) البخاري، الصحيح، م ٤، ج ٧، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً، ص ١٠١، ح (٦٠٠٥).

أحوج إلى الرعاية الروحية التي تطيب نفسه ، فتمنحه الحب والأمن، لينشأ سوياً ومستقيماً

والأسرة فقط هي المحضن الطبيعي والوحيد لنشأة الأطفال - اليتامى وغيرهم - نشأة سليمة صحيحة ومن هنا فقد شدد القرآن الكريم في أمر رعاية الأيتام حتى إنه اعتبر المعرض عن هذا الواجب مع الاستطاعة خارجاً عن الدين ولو كان من المصلين، قال الله عز وجل ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ولايحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون﴾(سورة الماعون) ٠

٢- المربيات وأثرهن السلبي :

إن الأمومة فطرية في النفس البشرية السوية من الأم نحو أولادها ، وإنه من المستحيل مهما تمتعت به المرأة غير الأم من غزارة العواطف وغنى المشاعر أن تحس نحو الطفل بالحنان والحب الذي يملأ قلب الأم الوالدة ٠ حتى لو كانت أماً بالرضاع أو بالتربية ، فإن الفرق في شعور الأمومة ورهافة إحساسها ولهفتها نحو الطفل يبقى شاسعاً جداً بينها وبين الأم التي حملت هذا الطفل في رحمها مستقر الرحمة ومصنع الإنسانية ، تغذيه بدمها وتعطيه إكسير حياتها ، ثم لتضعه باذلة في عملية ولادته الروح والدم والجسم والنفس ، حتى الأب لايمكن أن يصل في حبه وحنانه نحو الطفل ولو قريباً من مشاعر الأمومة ، فكيف بالمرأة الأجنبية التي لاتربطها بالطفل .

إلا روابط المال والحصول على العمل مقابل أجر مادي فشتان بين نبع الأمومة الفياض الذى لاينضب تدفقه مدى العمر ، وبين تلك الأمومة المأجورة بالمال ٠٠

إن شر البلية أن تتحول الأمومة إلى نوع من الخدمات التي يمكن لأية امرأة أن تقوم بها مقابل الدخل المادي ٠

إن القرآن الكريم قد خص الأمومة وميزها عن كل العلاقات الإنسانية بل رفعها إلى أعلى الدرجات من الطاعة والبر بعد طاعة الله عز وجل ، ذلك أن الأمومة ، تقوم على العطاء الذي لاينتظر المكافأة إنها البحر الفياض الذي يعطي ويعطي بلا توقف وبلا حدود، وقد حدثنا رسول الله ﷺ عن أصالة الأمومة وقوتها في جبلة الأم الوالدة في حكم سليمان عليه السلام ٠ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت هذه لصاحبتها إنما ذهب بابنك أنت وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك أنت ، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام فأخبرتاه الخبر ٠ فقال : ائتوني بالسكين أشقه بينكما ٠ فقالت الصغرى لا ، يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى»(١) ٠

إنها الأم ٠٠ نبع الحنان وبحر المحبة وسر وجود الإنسان الذي أودعه الله عز وجل في استمرار الحياة في هذا الكون ٠ لكن الحضارة الحديثة مسخت طبيعة الإنسان وفطرته ، وبدلاً من أن تكون التكنولوجية خادماً للإنسان ومسخرة لتحقيق سعادته وهدوئه وطمأنينته٠ انتزعت منه إنسانيته لتحل مكانها الماديات بكل أشكالها التي غدا الإنسان عبداً لها وحارساً لمستوياتها ، ولو كان ذلك على حساب نفسه وروحه وفلذات كبده ٠ والأم -هنا- موضوع البحث - قد وقعت تحت تأثير عصر الآلة ورأس المال ، لتعيش في صراع وازدواجية بين شخصية الأم والهوى الذي مسخ هذه الأمومة وأفسدها ٠٠٠ على النحو التالي :

(١) سبق تخريجة ص ٨٥ من هذا البحث ٠

الأم والعاملة ·

الأم وسيدة المجتمع ·

الأم والطاهية الفنانة ·

الأم وعاملة النظافة الموسوسة ·

الأم والطالبة المنتظمة ·

الأم والمتيمة بالتلفاز والفيديو ·

الأم والمتجولة في الأسواق ·

الأم وسنترال الهاتف ·

الأم وعارضة الأزياء والزينة ·

ولذا كان لابد من وجود المربية (الأم المستأجرة بالمال) مكان الأم البيولوجية لتسد ذلك الفراغ الذي احتلته الازدواجية في الأمومة المعاصرة · مع مايزال موجوداً وبنسبة تستدعي الذكر من الأمومة التقليدية التي تجهل الكثير عن الدين والدنيا معاً· ويصف الدكتور يوسف العظم وضع الأمومة في البلاد الإسلامية فيقول ·· «يقف الجيل في بلادنا حائراً بين أمهات يشغلن أنفسهن بكتابة الحجب والتردد على المشعوذين ، والحديث عن أثر ذلك في الحمل والمحبة ·· أو التلهف لسماع ما تقول البصارة وفاتحة الفنجان ، وبين أم ترى أن الأمومة في ترك الصغار للخدم يوجهونهم نحو المعوج من القول ، والمعقد من السلوك ، لأن العمل السياسي ، وحديث الصالونات ، والمطالبة بالمساواة ، والمشاركة في كل نشاط إلا نشاط الأمومة وفطرتها ، ألهاها عن أقدس واجب وأسمى رسالة ····· والطفل يرجو الأم الواعية المتفرغة التي تجمع بين التدين والتفتح ، والحشمة والروح الاجتماعية ، الأم المثال التي تصنع الأبطال ، وفي مثل هذا الموقف يتقدم المبشرون في صمت وبلا ضجة يفتحون دار حضانة إثر أخرى وروضة بعد روضة ومدرسة

تتلوها مدرسة وجامعة تفوق غيرها من الجامعات ، ويضعون النير ويسيطرون على الجيل من المهد إلى اللحد»(١) .

بل الأشد من ذلك أن توظف الماسونية والنصرانية نساءهن خادمات ومربيات في بيوت الأسر المسلمة في العالم الإسلامي للنيل من المجتمع المسلم والحيلولة دون قيامه بتخريب الأجيال .

إن مرحلة الطفولة الأولى - الست سنوات - بصفة خاصة ثم الطفولة المتوسطة، ثم المتقدمة حتى سن ١٢ سنة، لهي المرحلة الهامة والحيوية من عمر الطفل ، فهي تشكل بالنسبة لكل إنسان رصيده الديني واللغوي والنفسي والاجتماعي ولذا فهو محتاج إلى اليد الأمينة والصالحة والمناسبة التي تعد شخصيته وتهيئه ليكون رجل أو أم المستقبل ، وفق القيم الإسلامية التي تستمد أصولها من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ .

إن قضية ترك الطفل للمربية مسألة في غاية الخطورة والأهمية بما لها من أثر بالغ في شخصية هذا الطفل ومستقبله .

لقد تبين بالدراسة الميدانية أن التوازن العقلي للطفل يرتبط بضرورة تمتعه بعلاقة حميمة ومستقرة مع أمه أو مع المرأة التي تحل محلها بشكل دائم، وأنه من أسباب ظهور الاضطراب في الشخصية والعصاب؛ الحرمان من عناية الأم ، أو العلاقة المتقطعة وغير الدائمة بين الطفل والأم(٢) .

وإن الأهم من ذلك كله .... والمقطوع بصحته أن المربي يؤثر في الطفل من حيث الإيمان والكفر - خاصة المراحل المبكرة من العمر - والدليل الصريح في ذلك قول الرسول ﷺ : «مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه»(٣) .

---

(١) أين محاضن الجيل المسلم ، ص ١٨ - ١٩ .
(٢) انظر : د. فايز قتطار ، الأمومة نمو العلاقة بين الطفل والأم ، ص ٢٠٤.
(٣) سبق تخريجه ص ٥٤ من هذا البحث .

فالمحاكاة والتقليد من الصغير للكبير ، هي العامل الحاسم والأكبر في العملية التربوية · فكيف يسلم الطفل إلى المربية غير المسلمة أو الجاهلة بمبادئ الإسلام · هذا إذا لم تكن خنجراً موجهاً لضرب الإسلام في قلوب الصغار المفطورة عليه·

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - في ذلك ··· «إن الحاضن حريص على تربية الطفل على دينه ، وأن ينشأ عليه ، ويتربى عليه ، فيصعب بعد كبره وعقله انتقاله عنه وقد يغيره عن فطرة الله التي فطر عليها عباده ، فلا يراجعها أبداً ، كما قال النبي ﷺ «كل مولد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه» فلا يؤمن تهويد الحاضن وتنصيره للطفل المسلم»(١) ·

وقضية المربيات في الأسرة المسلمة ترافق ظهورها مع مظاهر الترف والبذخ التي أصابت الأمة المسلمة في العهد الأموي ومابعده ، حتى إن سقوط الدول كان يتم على أيدي هؤلاء المستقدمين من الخدم والجواري والمربين.

والمسلم اليوم ·· يسلم أبناءه للأيدي الغريبة عن الأسرة ، وهو لايعبأ بتنشئة هؤلاء الأبناء ولا بالوجهة التي يتخذونها · ودول الخليج العربي تعطي الصورة الواقعية التي تمثل هذه الظاهرة(٢)· وقد نشطت الدراسات في هذه المنطقة من العالم الإسلامي حول وجود الخدم والمربيات في الأسرة فيها ·

ففي دراسة أجرتها وزارة العمل والشئون الاجتماعية بالبحرين حول المربيات الأجنبيات اتضحت مجموعة من النتائج :

١- بلغ عدد المربيات الأجنبيات أكثر من خمسة آلاف مربيـــة في البحرين · يضاف إلى ذلك أن رخص العمل لهن زادت بيـــن

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج٥ ، ص ٤٥٩ ·

(٢) انظر : د. إبراهيم خليفة، المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي، عرض وتحليل لبعض الدراسات الميدانية، (الرياض مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)، ومزيداً من التفاصيل والنتائج ·

عامي ١٩٨١ - ١٩٨٢م (١٤٥٣) رخصة ٠

٢- المربيات غير العربيات نلن المقام الأول في الدراسة ولاسيما السيلانيات حيث بلغت نسبتهن ٨٨٪ مما له الأثر الأكبر على لغة الطفل ٠

٣- كانت الديانة الإسلامية في آخر قائمة المعتقدات الدينية للمربيات مرتبة كالتالي : المسيحية ثم البوذية فالهندوسية وأخيراً الديانة الإسلامية ٠

٤- تبين أن متوسط عمر المربية (٢٨) عاماً ، وأن (٦٨,٢٪) من عدد المربيات تقل أعمارهن عن (٣٠) عاماً بينهن مراهقات أعمارهن أقل من (٢٠) عاماً ٠ كما أنه ليس لديهن خبرات عن تربية الأطفال ٠

٥- الفترة التي تقضيها المربية في الأسرة في حدود سنة ونصف ، وهي كفيلة بزلزلة تنشئة الطفل حيث ينتقل بعدها إلى مربية أخرى ٠

٦- تبين أن مجتمعات المربيات اللاتي قدمن منها تحبذ ممارسة العلاقات العاطفية والجنسية قبل الزواج ٠

٧- تبين من الدراسة أن سبب العلاقة الطيبة والقوية بين الطفل والمربية يعود الى تلبية المربية لاستجابات الطفل ، وعدم اتباعها التربية والتنشئة الصحيحة ٠

٨- كشفت الدراسة أن الصلة الحميمة بين الطفل والمربية قللت من إيجابيات الطفل نحو أبويه ، حيث إن ذلك يضعف من صلاته وتفاعله معهما ٠

٩- تسببت المربيات لـ (٦,٩٪) من الأسر بمشكلات أخلاقية ٠

وإن نتائج هذه الدراسة في البحرين يمكن تعميمها على المجتمعات الخليجية من حيث الآثار السلبية وقوة التحدي

الاجتماعي(١) .

والخلاصة ·· إن للمربية في الأسرة دورها الذي لايمكن إنكاره - إذا لم يفق دور الأم - ولذا فهي ستطبع الطفل بمذهبها الديني ولغتها الأصيلة أو الهجينة ، وستغذيه بثقافتها الاجتماعية ، وقد تقتل فيه روح الكرامة والأنفة إن آذته أو اعتدت عليه بالضرب وغيره · وقد تنقل إليه ماتحمله من أمراض ، أو تنفس فيه الظلم الدفين في أعماقها. وحين تثور إنسانيتها وحنينها في بعدها عن الأهل والزوج والولد· يأتي منها مالا تحمد عقباه ·

والمربية قبل هذا وذاك ، ومهما بلغت من الصلاح والفضيلة والإنسانية والإخلاص تبقى مربية بالأجرة وليست أماً خلقة وفطرة ورحماً وولادة ورضاعاً ·· فأين يذهب بهذا كله ويتناسى ·

والحقيقة التي لابد من ذكرها أن المربيات مظلومات بوضعهن بهذه الصورة المزرية يستقدمن للخدمة وتربية الأطفال في الأسر الأجنبية عنهن ليتركن وراءهن بعيداً أهليهن وأزواجهن وأطفالهن. أية مفارقات هذه ، وأية متناقضات يعيشها المسلمون اليوم !!؟ وأين الجسد الواحد الذي إذا اشتكىٰ منه عضو تداعى له الجميع بالسهر والحمى ·· هذا في حال المربيات المؤمنات الصالحات ·· والنتيجة تبقى قضية المربية مغالطة تعيشها المرأة ولاصوابية مع المتناقضات ··

---

(١) ندوة التحديات الحضارية لدول الخليج ، ص ٣٤٨ - ٣٥٠٠ ، نقلاً عن جريدة الاتحاد العدد (٣٨٩١) ، ابريل ١٩٨٤ ، أبو ظبي ، ص ١٠؛ إبراهيم خليفة، المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي ، ص ٥٩-٦٦

٣- التبني :

لقد حرم الإسلام التبني بكل صورة وأشكاله ·والدليل قول الله عز وجل في كتابه الكريم وسنة رسوله قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل · ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم· وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً﴾ «سورة الأحزاب - آية ٤ - ٥)·

إن الله عز وجل يرغب المسلمين في كفالة اليتامى ويدعوهم سبحانه وتعالى إلى ذلك، ولكن بصفة وصورة محددة وهي ألا يسمى هذا اليتيم باسم الولي أو ينسب إليه· فهذا الادعاء الكاذب لايتعدى الأفواه، أما الحقيقة البيولوجية من الوراثة والنسب والصفات فهي تبقى ثابتة لايمكن اقتلاعها أو تغييرها ، ومثل هذا التبني أو الادعاء لغير الأب أو تسمية الطفل بغير اسم أبيه تزوير للحقائق ذلك التزوير والكذب الذي يفضي إلى تداخل الأنساب واختلاطها ، حين لايعرف النسب الحقيقي لهذا المتبنى وهذا بدوره يوصل إلى انتهاك حرمات الله عز وجل وارتكاب المحرمات في النكاح وغيره. وقد حدد القرآن الكريم ما يسمى به هؤلاء فهم إخوة أو موال أي بمعنى أن هذا الولد أخو فلان أو مولاه من الولاية والرعاية ·

وقد حذر رسول الله الكريم وتوعد من ينتسب لغير أبيه فقال ﷺ: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام»(١) ·

---

(١) البخاري ، الصحيح ، م٤ ، ج٨ ، كتاب الفرائض ، باب من ادعى إلى غير أبيه ، ص١٥ ، ح (٦٧٦٦) · مسلم الصحيح، ج١، كتاب الإيمان، باب حال إيمان من رغب عن أبيه، ص٧٩ ، ح(٦٣)·

وفي رواية أخرى قال ﷺ : «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر»(١) ٠

ويقاس عليه من ادعى ابناً، ونسبه إليه وسماه باسمه .

إن أمر التبني في غاية الخطورة من الدين ، وهو يصل بصاحبه إلى الكفر والحرمان من الجنة . وبالرغم من فداحة هذا الأمر من الناحية الشرعية فإن المسلمين درجوا على التبني في كثير من المناطق ، لما تسمح به الأنظمة والقوانين الوضعية الموجودة فيها ٠٠ علماً بأن مشاكل التبني وسلبياته تظهر في المجتمع بشكل كوارث وبراكين تتفجر حين يفيق المتبنى على حقيقة الأمر التي لايمكن كتمانها من المتبني نفسه في موقف من مواقف الغضب البشري ٠٠ فماذا يحدث ؟! يتحول ذلك الابن المدلل إلى عدو متربص حاقد فيهيم على وجهه يدمر نفسه ومن تبنوه والمجتمع الذي حوله ٠

واليوم ٠٠ وقد غدا العالم قرية واحدة ، صار للتبني صور وأشكال كثيرة ٠٠ بما تذخر به بنوك المني من النطف المجهولة النسب والمصنفة حسب المواصفات التي ترغب فيها الأسرة ، أو الأم، دون التفات أو اكتراث بماعدا ذلك ٠ وبما تقوم به النساء من عمليات شتل الأجنة التي تتم في الرحم لبييضة امرأة أخرى بعد أن تلقح بنطفة الزوج أو غيره ، لتصبح صاحبة الرحم أماً له ٠ وقد تكون البييضة والنطفة لمجهولين ثم يتم زرعها بعد التلقيح في رحم امرأة مستأجرة ٠٠٠

وأخيراً فما مصير هؤلاء المواليد الذين لايلبثون أن يكبروا قليلاً ليعوا حقيقة أصلهم ووجودهم ٠٠ أي استهزاء بالإنسان ؟! وأي استهتار وعبث وتلاعب بمصير الإنسان ٠٠ والعلم يسير قدماً

---

(١) مسلم ، المرجع السابق ، ص ٠٧٩، ح(٦١) .

إلى الدمار إذا لم تقيده الأيدي الإسلامية بالهيمنة على الأرض ليكون الحكم والمرجع في كل مستحدث كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ .. لا العقل البشري القاصر الذي انتكس بالإنسانية إلى أضل من عالم البهائم بل وأحط منه باسم العلم والتقدم والتكنولوجية .

ولاشك أن ما سبق من صور التبني كلها تدخل تحت الوعيد والتهديد الذي يخرج صاحبه عن الإيمان ويحرمه من دخول الجنة إلى الأبد ، بنص كتاب الله عز وجل وسنة الرسول ﷺ .

والله عزوجل يبتلي عبده ليختبره، ومن حرم الولد في الدنيا فليؤمل بما عند الله سبحانه وتعالى: ﴿ المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والبقيٰت الصّلحٰت خير عند ربك ثوباً وخير أملاً﴾ (سورة الكهف -آية ٤٦).

٤- أمهات الأولاد غير المتزوجات :

قال الله عز وجل .. ﴿ولاتقربوا الزنى إنه كان فٰحشة وساء سبيلاً﴾(سورة الإسراء - آية ٣٢) .

لقد نهى الله عز وجل عن كل مايسبب الوقوع في الزنى وحصن الأسر بما فرضه الله عز وجل على النساء من الحجاب والستر وعدم إظهار الزينة ، والإقرار في البيت ، وغض البصر لحفظ الفرج ، وتيسير الزواج والأمر به لكلا الجنسين ، وعدم الخضوع بالقول في مخاطبة الرجال من وراء الحجاب كما هو حال الهاتف اليوم فهو شبه خلوة إن لم يكن خلوة ، والخطاب بين الرجل والمرأة بالهاتف لايدخل في مسمى من وراء الحجاب. إلا أن تتخذ المرأة الأسلوب الذي يجعل الحوار فعلاً من وراء حجاب والقرآن الكريم وجه الخطاب للمرأة بعدم الخضوع ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً﴾(سورة الأحزاب - آية ٣٢) فالخضوع بالقول من جانب المرأة يترتب عليه الطمع من الرجل .. وأي الرجال ليس في قلبه مرض ! إن لم يذكر الله عز

وجل ويخشاه · وهل الحديث لغير ذي المرض جائز ؟ فالأمر إذن أولاً وأخيراً يعود إلى المرأة وفي يد المرأة زمام الأمور ، حتى لو واجهت أطغى رجل في الأرض فإنها لن تسقط إذا لم تذعن وهي راغبة · وحديث القرآن الكريم في هذه الآية لأكبر دلالة على ذلك·· إن أي تفلت من جانب المرأة يمكن أن يؤدي بها إلى الوقوع في الفاحشة بدرجاتها المتصلة والتي لن تنتهي إلا بالكبيرة! ولذا فقد نهى القرآن الكريم عن القرب من هذه الهوة المغناطيسية التي لاتحوي إلا الدمار والهلاك في الدنيا والآخرة ·· « إنه كان فاحشة وساء سبيلاً» إنه أمر مستهجن تأباه النفوس السليمة وتشمئز منه، إنه الفاحشة بعينها وفوق ذلك فهو طريق سيئ وخط دنس وحياة ملطخة بالفضيحة والهوان والعار لتلك التي فعلت، ولما قد يخلفه ذلك الفحش من عواقب الزنىٰ بالحمل فماذا تفعل ! بالبلاء الذي حل في أحشائها حتى لو استعملت لإسقاطه كل السبل ·· فإنها في كثير من الأحيان لن تفلح ، وإن أفلحت فأين تذهب من العذاب ·· حين تستيقظ لما فعلت ·· أين تذهب من نفسها ومن المجتمع ثم من عذاب الله عز وجل ·· إن لم تتدارك ذلك بالتوبة النصوح .

إنها بفعلتها تلك جنت على أمومتها التي أراد الله عز وجل لها أن تكون أمومة نظيفة طاهرة يباركها اسم الله عز وجل بميثاق الزواج ، وتعيش في أسرتها سيدة وملكة يصونها الزوج ويقوم برعايتها وحفظها وحمايتها في كل الأحوال ·· فهي مرعية ومصونة زوجة وحاملاً ووالدة ومرضعة، ومن ثم تعيش في مملكتها الكبيرة أماً كريمة معظمة مبجلة من الأولاد والأحفاد ·

شتان بين الصورتين ·· تلك التي حملت خفية وأنجبت خفية ثم ظهر المولود فهي إما أن تلقي به بعيداً عنها ·· أو أن تعيش معه وتتحمل مسؤولياته ·· والواقع المؤلم اليوم يتحدث عن انتشار هذه الظاهرة في العالم نتيجة البعد عن الله عز وجل والحكم بغيرما أنزل الله سبحانه ، وسد أبواب الزواج مع فتح أبواب الفتن على مصراعيها ، والعالم الإسلامي اليوم مبتلى بهذه الظاهرة ·· وإذا

تجاوز البحث إلى الدول الغربية · فإنه في أمريكا وحدها أكثر من ٥٠٪ من الأمهات المراهقات يلدن بغير علاقة زوجية(١) ، وقد نشرت مجلة طب الأطفال عام ١٩٨٥م الإحصائيات التالية عن حمل المراهقات من سن ١٢ إلى ١٧ عاماً :

- تحمل كل عام١,٢مليون فتاة سفاحاً.
- تتم ولادة ٤٩ بالمئة منهن ويدعين الأمهات العذارى .
- يتم إجهاض ٤٠٠,٠٠٠ أربعمائة ألف فتاة مراهقة(٢) .

وفي عام ١٩٨٢ تم حمل ١٠٧٧,١٢٣، فتاة فيما بين ١٥-١٩ سنة انتهت حالة ٥١٣,٧٥٨ بالولادة وأجهض الباقي(٣)·

وقد كلفت رعاية حمل المراهقات وإجهاضهن أوولادتهن ثم رعاية هؤلاء المواليد في عام ١٩٨٤م مبلغ (٨٦٠٠) مليون دولار في الولايات المتحدة بأكملها(٤).

وفي بريطانيا توضح الإحصائيات أن ٧٠٪ من جميع حالات الحمل للفتيات أقل من عشرين عاماً كانت حمل سفاح عام ١٩٧٢ وبحلول عام ١٩٨٢ ارتفعت النسبة إلى ٨٠٪ (٥) . أو هذا الذي يريده الغرب من مؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة الآن في ربيع الثاني لعام ١٤١٥هـ في الدعوة إلى الإباحية الجنسية بنشر ذلك كثقافة عامة في المؤسسات التربوية ، وتحطيم نظام الأسرة الشرعي ليحل مكانه أي عبث وقذر فيما يسمونه أشكال الأسرة المعاصرة !.

---

(١) بيانات ونشرات في مؤتمر السكان تفضح مخطط الإجهاض لإبادة الجنس البشري ، مجلة المجتمع ، العدد ١١١٧ ، ربيع الآخر ١٤١٥هـ ، ص٢٣ ·

(٢) د. محمد علي البار ، سياسة ووسائل تحديد النسل ، ص ١٣٦ نقلاً عن
Strabrer V: sex,Drugs, Rok Roll. understanding Teenagers Behavior Paediatric (supplement) 76(4) oct 1 659-663.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤١ نقلاً عن :
Mcanrney E, Hendee W: the prevention of adolescent pregnancy jama 1989,262 (11:78)

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٢.

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٦ نقلاً عن :
Tindall VR: jeffcoata principles of Gynecology . Butterworths, london, 5th Edition, 1987:557.

والواقع الإسلامي في الأرض اليوم يعج بمثل هذه الصور المدمرة للأمومة ·

إن الإسلام حين حدد العلاقة بين الجنسين في إطار ومحور الزوجية لاغير ، أراد من ذلك أن يضمن لهذه العلاقة التسامي والطهر والترفع إلى عالم الحياة الإنسانية التي يحكمها شرع الله سبحانه في هذا الوجود في الأسرة المنظمة ، تلك المؤسسة التي ترعى الطفولة والناشئة ليمدا الكون بحياة جديدة مستمرة تسهم بعد حين في عملية البناء والخلافة ·

ومن الجدير ذكره هنا أن عالم الحيوان في علاقته الجنسية يترفع إلى مستويات أكثر رقياً ونظافة وطهراً من علاقة البشر التائه عن شرع الله سبحانه وأحكامه قال الله عز وجل ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغفلون﴾(سورة الأعراف - آية ١٧٩) ·

إن مايشاهد اليوم من الأمراض والأوبئة نتيجة الاتصالات المحرمة ، وما تنتجه تلك العلاقات من دمار على الفرد وعلى المجتمع ما هو إلا صفارات إنذار للوعيد الأخروي إن لم ترجع البشرية عن غوايتها ·· عدا عما تخلفه من أولاد (النغول) كما يسميهم الأستاذ أبو الأعلى المودودي - رحمه الله - حين تحدث عن الضرر الحاصل لهؤلاء الأبرياء من علاقات الزنى فقال : «وليس من الصحيح مايظنه بعض السفهاء من أن مراعاة الحلة والحرمة في الأنساب إنما تصدر عن مجرد العاطفة بل الحق إن توليد ولد عن زناً عدوان عظيم على الولد نفسه وعلى التمدن الإنساني بأسره من وجوه عدة ، أولها أن ينعقد حمل هذا الولد في رحم أمه ساعة يكون أبواه كلاهما تحت غلبة العواطف البهيمية الخالصة، وإن العواطف الإنسانية الطاهرة التي تغمر الزوجين

المتناكحين وقت اتصالهما الجنسي ، لايمكن أن تخالط أبداً هذين الفاجرين المتسافحين لأنهما لا يصل أحدهما بالآخر إلا هيجان البهيمية المحضة من نفوسهما ، وتكون جميع الخصال الإنسانية معطلة فيهما وقتئذ»(١) ثم يتابع رحمه الله ليذكر ما يسببه ذلك من أضرار على المتولد منهما فيقول : « ومن هذا لايرث ولد الزنى عن أبويه إلا خصائص الطبع البهيمي · ثم إن الولد الذي لايأتي أبويه كشيء مطلوب محبوب ، بل ينزل بينهما نزول النكبة المفاجئة، والذي يفقد في أغلب الأحوال عطف الأبوة ووسائلها ، ولاتتيسر له إلا تربية الأم الناقصة التي لاتكملها تربية الأب، وهذه التربية أيضاً ربما يخالطها الضجر والإعراض ؛ والذي لايتمتع برعاية الأجداد والجدات والأخوال والأعمام ومن يليهم من ذوي القربى لاجرم أن ينشأ إنساناً ناقصاً غير تام الإنسانية ، فلا تتكون له سيرة صحيحة ، ولاتتجلى فيه كفاءات موهوبة ، ولاتتوفر له وسائل التقدم والإجادة العملية ، فيكون في حد ذاته ناقص الإنسانية، عادم الوسيلة ، فاقد الحامي والنصير ، مظلوماً مدحوراً؛ ويكون للإنسانية نكداً عظيماً ، لاينفعه النفع الذي كان ينفعه إياه لو ولد حلالاً»(٢) .

ونظراً لعظم وفداحة النتائج المترتبة على كبيرة الزنى ، فقد اعتبره الإسلام جريمة تستلزم العقوبة، لأن الفاعل لها قد برهن على نفسه أنه لايصلح لأن يعيش في المجتمع كعضو صالح من أعضائه · فجريمته هذه كبيرة لأنها تقوض التمدن الإنساني من قواعده لتقضي عليه (٣) ·

---

(١) الحجاب ، ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٤ · لمزيد من التفاصيل يراجع مبحث «سد باب الإباحية الجنسية» من هذا المرجع ، ص ١٧٣ وما بعدها ·

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ·

وقد قرر القرآن الكريم عقوبة الزانية والزاني في قوله تعالى : ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾(سورة النور - آية ٢) ٠

وإنها عقوبة الجلد مع الخزي أمام المؤمنين للعبرة والعظة والغريب أن يبدأ القرآن الكريم العقوبة بالمرأة قبل الرجل على خلاف المعهود في خطاب القرآن الكريم وأحكامه ٠ ودلالة ذلك والله سبحانه أعلم - أن المرأة بيدها مفتاح الرذيلة والفجور فإن حفظت نفسها من الوقوع في الفاحشة بعدم الاقتراب منها حفظت بذلك نفسها أولاً من العقوبة، وحفظت الرجل من غوايتها أيضاً، وحفظت المجتمع من الدمار ٠

إن المائة جلدة مع شهود عذابهما طائفة من المؤمنين تكون للزانية وللزاني غير المتزوج أي غير المحصن ٠ أما الزانية والزاني المحصنان أي المرأة ذات الزوج والرجل ذو الزوجة فإن عقوبتهما أكبر وهي الرجم حتى الموت كما نصت سنة رسول الله ﷺ الفعلية في رجم الزاني المحصن وثبت ذلك بالنقل المتواتر كما شهده صحابة رسول الله ﷺ ونقلوه رضي الله عنهم في رجم ماعز ورجم المرأة الغامدية وغيرهما(١) ٠

٥- البرامج التلفزيونية والإذاعية وفيديو الأطفال :

لقد احتلت وسائل الإعلام اليوم حيزاً كبيراً في عملية التنشئة التربوية خلقياً ونفسياً واجتماعياً وعلمياً ، وليس من المبالغة أن يقال بأن وسائل الإعلام : التلفاز والفيديو والإذاعة حلت مكان دور الأم في التربية على نطاق كبير في المجتمع، نتيجة انصراف الأمومة

(١) انظر : مسلم ، الصحيح ، ج٣، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى ص ١٣١٨، وما بعدها الأحاديث من ١٦٩١إلى ١٦٩٧.

عن وظيفتها أو جهلها بالمسؤولية والأمانة التي تحملها في هذه الحياة أو جهلها بالكيفية التي تؤدي بها هذه الأمانة على وجهها المطلوب · وأجهزة الإعلام بجاذبيتها الأخاذة للصغار والكبار على السواء وخاصة الصورة المرئية لابد وأن تؤثر في المشاهد مساهمة في تكون شخصيته وأنماط سلوكه ·· فكيف هي إذاً في سيطرتها على الناشئة وتوجيههم !

ودرجت كثير من الأمهات اليوم وبصورة منتشرة في المجتمع على وضع الأبناء أمام الرائي ساعات وساعات غير مباليات بما يمتصه الطفل من هذه البرامج والمشاهد، في حين تنصرف هي إلى عملها داخل البيت أو خارجه أو إلى مساهماتها الاجتماعية وتسلياتها ·

إن أجهزة الإعلام - لاسيما الرائي - أسلحة ذات حدين وللأسف!·· إنها اليوم سلاح قاتل فتاك بالإنسان فهي كلها تقع تحت سيطرة اليهود ، الذين يعملون على إفساد العالم كله وتسخيره لخدمتهم ، فهل يوجد لدى المسلمين إعلام إسلامي للصغار والكبار يحكمه شرع الله بالدراسات النفسية والاجتماعية التي تهدف إلى مايحقق صلاح الإنسان ويعود عليه بالفائدة الدينية والدنيوية ·

ففي دراسة لمنظمة اليونسكو عام ١٩٨٣ تبين أن الغرب يصدر المواد التلفزيونية وأن الدول العربية تستورد ما بين ٣١٪-٥٧٪ مما تعرضه محطات التلفزيون بها وأول المصدرين هي الولايات المتحدة الأمريكية(١) .

أما بقية المواد التلفزيونية فهي من إنتاج ممن ربوا في الغرب أو انبهروا به فقلدوه ونقلوه إلى الشرق ·· والإعلام الإسلامي لاوجود له في البرامج التلفزيونية ·

---

(١) انظر ندوة التحديات الحضارية لدول الخليج لعام ١٤٠٥هـ ، مكتب التربية ، ص٣٤١، نقلا عن د · أسامة عبدالرحمن ، الترف النفطي والثقافة ، مقال في مجلة العربي ، العدد ٣٠٧ ، يونيو ١٩٨٤م ، ص٧٧ ·

ويسير التلفزيون في عملية التغريب والتقليد كجميع مظاهر الحياة التي تعيشها المجتمعات الإسلامية أو مجتمعات العالم الثالث على طريقة تقليد المغلوب للغالب وتتحقق نبوءة رسول الله ﷺ في اتباع اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة ·

ومن هنا فإن التلفاز لايعمل بمعزل عن الحياة الاجتماعية والأسرية بل هو عامل مساعد وعنصر دعم وتقوية لما هو موجود في المجتمع أو في الاستعدادت التكوينية للشخصية التي اكتسبتها(١) بالوراثة والتربية والذي لايمكن إنكاره أن جهاز التلفزيون يمكن أن يقوم بوظيفة الخلق والإنشاء في شخصية الطفل ، ويمكن أن يكون عنصر دعم وتقوية لاستعداداته في آن واحد · لأن الطفل يمكن أن يستوعب بعض القيم والاتجاهات الجديدة والأنماط المستحدثة التي يفتقر إليها، ويقوم التلفزيون أيضاً بدعم وتقوية ماعنده من قيم وميول واتجاهات(٢) ·

ومهما يكن أمر التلفاز فإن سلبياته شاهد صدق على ضرره وخطره على الناشئة بصورة لايمكن تجاهلها ·

وقد قامت «لجنة بلكنجتون (Pilkigton) وهي إحدى اللجان التحقيقية بدراسة آثار التلفزيون السلبية على الأطفال جاء في تقريرها بأن الأطفال الصغار يتأثرون ببعض المشاهد المرعبة والمخيفة وقد تقود مثل هذه المشاهد إلى أن يتعلم الطفل بعض الخبرات السيئة أو أن يتعرض سلوكه إلى الخطر في المستقبل ، وإن عرض مثل هذه المشاهد التلفزيونية العنيفة يشجع على ظهور وشيوع السلوك المنحرف(٣) ·

---

(١) انظر : د · عدنان الدوري ، جناح الأحداث المشكلة والسبب ، ص ٢٧٧ ·

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ ، نقلاً عن د · عدنان الدوري ، أثر برامج العنف والجريمة على الناشئة - دراسة نظرية تحليلية - ١٩٧٧م - وزارة الإعلام - دولة الكويت ص ١٩ - ٢٣ ·

(٣) انظر د · عدنان الدوري ، جناح الأحداث ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، نقلاً عن :
Otton N . Larsen , Editor , Voilence and Mass Media
Harber and Row , 1968 , P P 139 - 151 .

وقد أظهرت بعض الدراسات الميدانية التي أجريت على مجموعة من الأطفال أن الأطفال الصغار يخافون من مشاهد الرعب والعنف التي يقدمها التلفزيون وأن هذه المشاهد يترجمها الأطفال إلى خبرات واقعية خطرة في مستقبل حياتهم ، مما يدعم ظهور الاتجاهات اللاجتماعية أو الإجرامية اللاحقة عن طريق النماذج السيئة التي يقلدها الأطفال ، ويثير لديهم البواعث العدوانية الكامنة ، وهذا جميعه يسهم إلى حد كبير في تكوين السلوك الجانح(١) ٠

هذا أيضاً ما ورد في «نتائج العديد من اللجان التحقيقية البرلمانية وغير البرلمانية الأوروبية والأميركية والتي تتضمن تسليط بعض الضوء على أضرار التلفزيون على الأطفال بوجه عام»(٢) ٠

هذا عدا عما يدس في هذه البرامج من إلحاد وكفر وطمس لتوحيد الخالق سبحانه في صفات الألوهية والربوبية له سبحانه وتعالى في هذا الكون ٠٠

أما الأضرار الأخرى للتلفزيون فهي تتجلى في مخاطبة الغرائز والشهوات حتى في أفلام الصغار والمسلسلات المترجمة والمدبلجة والمتابع لها يلاحظ سريعاً مثل هذه الأفكار الموجهة من خلال الكلمات والمشاهد والمواقف بين الفتى والفتاة أو بين الحيوانات ٠

أما الموسيقا والرقص وما إلى ذلك من فنون الخلاعة والاستهتار بالمثل والقيم فحدث عنها ولاحرج، والإعلانات التجارية تغني عن التفاصيل ٠ تلك التي قضت على التقاليد السليمة و المثل العليا والذوق الاجتماعي الرفيع، لتهبط بالإنسان إلى عالم المتع والشهوات على الدوام.

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ، نقلا عن المرجع نفسه .
Otton N . Larsen , Ibid, P P . 140 - 143 .

(٢) د ٠ عدنان الدوري ، جناح الأحداث ، ص ٢٨٤ ٠

وإن الطفل يتفاعل مع مايشاهده حتى يبدو كأنه يعيش التجربة التي يراها أمامه · ونظرة واحدة إلى الطفل وهو يتابع التلفاز تدلك على ذلك: ما لاتستطيع الكلمات أن تصف حاله التي يكون عليها أثناء متابعته لبرامج التلفزيون للصغار خاصة أو الإعلانات التجارية ، ومع ذلك فإن الطفل يبقى مستسلماً للتلقي السلبي الكامل الذي يفرضه المعروض من المشاهد دون أن يساهم الطفل بتفكيره وعقله في إخراجها وصياغتها · فهو إن تفاعل معها فهو المتلقي والآخذ والمنفعل على الدوام · مثل هذا النمط في التربية مهد وحضن للمواقف السلبية لهذا الطفل في حياته كلها ·

أما المحاكاة والتقليد للشخصيات التي تتزعم البطولة في الأفلام والمسلسلات فهي ظاهرة في واقعنا وفي حياة أطفالنا بما يغني عن الذكر ! وأي شخصيات تلك ·· إنها شخصيات خرافية وهمية خارقة تعتمد القوة والعنف والخوارق في الوصول الى تحقيق ذاتها مما يولد لدى الطفل الصراع والمنافسة وإبراز الشخصية بهذا الأسلوب المدمر للفرد وللمجتمع · دون اعتماد على العقل والتفكير والعمل الصالح النافع الذي يجعل منه إنساناً صالحاً كريماً له كيانه الخاص في المجتمع ، وقد يقلد الطفل الفنانين والفنانات وكفى بذلك شراً ودناءة وسقوطاً وتبذلاً وتبرجاً وسفوراً واختلاطاً ! مما يبعد الطفل عن قيم الإسلام ومثله وآدابه الاجتماعية التي تحفظه وتحصنه وتحفظ من شره مدى الحياة ، فيشب إنساناً لامبالياً بالقيم السامية يسير مع هواه، تتقاذفه شياطين الإنس والجن فيغدو مرتعاً خصباً للرذيلة والسقوط ·

أما الأضرار الجسمية على الطفل فتظهر في حرمانه من الحركة واللعب وجموده في مكانه أمام الراني والأثر السيء للأشعة عليه جملة وعلى العينين خاصة، مما يظهر جلياً في استعمال النظارة بشكل واسع بين أطفال اليوم ، وكذلك تأخير نوم الطفل ،

ومن ثم تأخر استيقاظه في الصباح مما يؤثر على مردوده الدراسي بالكلية ٠

وأخيراً فقد صدق باني Banay الباحث في الصحة النفسية في جامعة كولومبيا حين علق على دراسة مجلس الشيوخ الأمريكي لبرامج المحطات التلفزيونية بعد أن حكم عليها أنها مادة شحن للجريمة والجنس وأعمال العنف فقد قال هذا الباحث ٠٠ «إذا صدق المثل القائل إن السجن مدرسة للجريمة ، فإنني أعتقد أن التلفزيون بالنسبة للشباب المضطربين نفسياً ليس إلا مدرسة إعدادية للجناح»(١) ٠

والتلفاز إن استخدم في الخير كان خير وسيلة للتربية التي تعين الأسرة وخاصة الأم في عملية التنشئة فالأثر السلبي القائم الآن، يكون أثراً إيجابياً بناءً إذا ملكت الأمة المسلمة المحطات التلفزيونية وحكمتها بما أنزل الله عز وجل ٠٠ فمتى يكون ذلك؟!.

وما يقال عن الرائي يقال عن الإذاعة والفيديو والمجلة والصحيفة والكتاب ٠٠ وإن كان الرائي هو أكثر هذه الوسائل أثراً وأكبرها تأثيراً وأخطرها في التوجيه لما يتميز به من جاذبية وتأثير في السامع عن طريق المشاهدة والسماع والحركة والصوت والألوان٠٠

٦- التنصير والتهويد :

في الوقت الذي يتجه فيه المجتمع المسلم إلى النهوض بأعباء الحضارة المادية محاولاً مجاراة الأمم المتقدمة ٠٠ يشمر النصارى واليهودى عن سواعد الجد والنشاط لسرقة أطفال هؤلاء المسلمين الغارقين في الشهوات والمتع وتحقيق أكبر قدر من الرفاهية ، أو

---

(١) انظر : د٠ حسن شحاته سعفان ، التلفزيون والمجتمع ، الآثار الاجتماعية والنفسية لانتشار التلفزيون ، الطبعة الأولى ، (القاهرة : دار التأليف ، ١٩٦٢م) ٠

المعدمين المخدرين من الجوع والبرد والفقر والبؤس ·· ومن بين هؤلاء وهؤلاء يقتنصون الأطفال ضحايا الثراء والفقر والحرب ·· والحقيقة المؤلمة أن هؤلاء الأعداء قد وصلوا إلى شيء من الآمال التي خططوا لها ·· في أفغانستان، في كردستان، وفي لبنان ، وفي وسط إفريقيا وشرقها ، وفي البوسنة والهرسك . . . . . .

إن المتابع للأخبار اليومية في الصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز لابد وأن يسمع عن أخبار هؤلاء الأطفال ونقلهم من بلاد المسلمين إلى اليهود والنصارى باسم رعاية الطفولة وحقوق الإنسان ·· فعلى سبيل المثال ·· قدم إلى اليهود في فلسطين ستة آلاف طفل مسلم من البوسنة والهرسك في الحرب الجارية، والتقرير حتى شهر ربيع الأول من عام ١٤١٤هـ(١) ·

وتم نقل (٣٥٠) طفلاً صومالياً إلى اليهود في فلسطين في طائرات خاصة وتحت ستار الإغاثة الدولية (٢).

وتزدحم كردستان بالمنصرين الذين يجوبون البلاد لاصطياد الأطفال(٣) في الجو المعكر بالحرب والجوع والفقر ·

ويوجد في أفغانستان ١٠٣ منظمة صليبية تنصيرية، تعمل تحت ستار الإغاثة والإعمار، ومآربها الأخرى والحقيقة هي الطفل المسلم والأم المسلمة والأسرة المسلمة(٤) .

---

(١) انظر : مجلة الرابطة، عدد خاص عن البوسنة والهرسك، محرم - صفر - ربيع الأول ، ١٤١٤هـ ·

(٢) المسلمون ، العدد (٣٩٣) ، ٦ صفر ١٤١٣هـ · ١٤ أغسطس ١٩٩٢م ، ·

(٣) المرجع السابق ·

(٤) انظر: د. سوسن سليم اسماعيل، «هجمة صليبية تستهدف المرأة الأفغانية المسلمة»، مجلة الخيرية، الكويت، الهيئة الخيرية العالمية، شعبان ١٤١٠هـ مارس ١٩٩٠م، العدد (١٢)، ص ١٨-٢١.

وقامت الحكومة الألبانية ببيع (٢٠٠٠) ألفي طفل مسلم لإحدى الهيئات التنصيرية في أمريكا ، وانخفض سعر الطفل الواحد منهم من ٥٠ الى ٣٠ دولاراً في بورصة المأساة الإسلامية التي تناقلتها وكالات الأنباء وأذاعها القسم الألماني بهيئة التلفزيون السويسري(١) .

يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - .. « إن المسيحيين زادوا ١٣٪ هذه السنة (١٤١١هـ) ويوشك أن تتحقق الأحلام في السنين القادمة، وأنا أعلم أن ملاجىء الأطفال استقبلت الألوف من يتامى الحروب والفتن التي نشبت هنا وهناك .

ومع أنهم أولاد مسلمون بالنسب والوراثة ، فقد مهدت لهم حياة جديدة لاصلة لها بما كان ! والمسؤولية تقع على رأس الأمة الإسلامية التي لاتدري مايصنع بها ولا مايبيت لها»(٢)* .

---

(١) «انخفاض سعر الطفل الألباني المسلم إلى ٣٠ دولاراً» جنيف (هاتفياً) المسلمون، العدد (٤٠٧) ، ص٢٦١ جمادى الأولى ١٤١٣هـ - ٢٠ نوفمبر ١٩٩٢م .

(٢) «الحق المر» المسلمون ، العدد (٢٩٦) ، ٢٢ ربيع الثاني ١٤١١هـ - ٥ أكتوبر ١٩٩٠م.

(*) طلبت الباحثة إحصائيات كاملة عن أطفال المسلمين ومآسيهم من هيئة الإغاثة في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ، فتعذر الحصول عليها .

الخاتمـــة

ملاحظات وتوصيات

الملاحظات

بعد الجولة في عالم الأمومة والوقوف على مفهومه ومقوماته وتطبيقاته يمكن الخروج ببعض الملاحظات المتعلقة بهذا الموضوع · وأهمهما مايلي :-

١- ازدياد أهمية الأمومة في العالم المعاصر (١)

بعد سلسلة من التجارب الاجتماعية والتنظيمات الأسرية التي أفرزتها المجتمعات الصناعية للحضارة الحديثة برز عدد من المشكلات التي نجمت عن خروج المرأة للعمل في مؤسسات الصناعة والتجاره، وانعكست الآثار السلبية لذلك على الأسرة والناشئة والمجتمع، ونتيجة لذلك تتالت الدراسات الاجتماعية لمعالجة هذه المشكلات والآثار، من ذلك ماحدث في الولايات المتحدة فى شهر كانون الأول من عام ١٩٧١م حيث كونت دائرة الصحة والتربية والرعاية الاجتماعية فى الولايات المتحدة الأمريكية - لجنة - من الخبراء والمختصين برئاسة البروفسور جيمس أوتولي James O,toole ·

ولقد قامت اللجنة برئاسة شؤون العاملين فى ميادين العمل المختلفة ومنها عمل المرأة الأمريكية، وانعكاسات ذلك على أسرتها وأطفالها·

وبعد أن أمضت اللجنة مدة سنتين فى البحث والدراسة نشرت تقريرها بعنوان «العمل فى أمريكا» وبلغت أهمية التقرير درجة أن دوائر التربية والخدمة الاجتماعية وشؤون العمل فى الجامعات المختلفة عمدت إلى تدريس هذا التقرير ومناقشته ومما ورد فى التقرير :

---

(١) ينظر كتاب «المرأة بين الفقه والقانون» للدكتور مصطفى السباعي، ص٣٥٢-٦١٣، وماذكره رحمه الله حول هذا الحديث ·

«حين ننظر فى عمل المرأة فى بيتها نجد أنه من السخافة أن يقتصر تعريف العمل على الذى يتقاضى صاحبه عنه أجراً، فالمرأة في بيتها لاتعتبر عاملة طبقاً للتعريف المشار اليه، ولكن عملها فى تربية أطفال الآخرين يعتبر عملاً، وأن أجورهن تسهم في زيادة الدخل القومي بآلاف الدولارات»(١)·

إذن ·· فالمشكلة في القيم الخاطئة التى تفرز مفهوماً للعمل يستثنى منه عمل المرأة في بيتها ورعايتها لأطفالها، وهكذا يبدو أن قيم الحضارة الصناعية المدنية - وليس العلم - هى التي قرنت عمل المرأة بالنتائج الاقتصادية والمدفوعات المادية، وهو مفهوم تسبب في كثير من الأزمات الإجتماعية والمشكلات النفسية بين الأفراد والجماعات ·

٢ - الحاجة إلى إعادة تعريف العمل ورده إلى أصالته الإسلامية :

فالعمل - حسب الأصول الإسلامية في القرآن والسنة - هو الذى يهدف إلى الارتقاء بالإنسان إلى منزلة «أحسن تقويم» التي تؤهله لأداء دوره الذى أراده الله سبحانه له في الأرض؛ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله عز وجل ·

وحين يتركز مفهوم العمل حول هذا الهدف الإنساني النبيل تحتل الأمومة مكانتها اللائقة بها وتستمد مقوماتها الحقيقية، وتسهم فى تطوير الأفراد والجماعات بالشكل الذي يؤدي إلى رقي الإنسان · وهذا ماقرره تقرير اللجنة الأمريكية المذكورة في الفقرات السابقة، حيث دعا التقرير المذكور إلى إعادة تعريف العمل وتقويمه

---

(١) Jemcs O,Toole Commuittee. Work In America: Rebort Of A Special Task Force To The Secretary of Health, Education, and Welfare Upjohn Institutc For Employmcnt Research. ١٩٧٣ P.X.

بحيث يتضمن عمل المرأة في بيتها ورعايتها لأطفالها، ومما ذكره التقرير المذكور في هذا الشأن :

«والحقيقة الواضحة أن رعاية الأطفال هي - عمل - بكل مايفيده مفهوم العمل، لأن هذه الرعاية مهمة صعبة وذات أثر خطير على المجتمع الكبير أكثر من أي عمل آخر تدفع له الأجور. إن المشكلة ليست في قبول الناس - فى مجتمعنا الأمريكي - بهذه الحقيقة أو عدم قبولهم ، وإنما المشكلة هى في معتقداتنا وثقافتنا الخاصة . فنحن كمجتمع لم ندرك بعد هذه الحقيقة عن قيمنا وتقديراتنا عن النافع وغير النافع، وسوف يتحقق هذا الإدراك حين نبدأ النظر إلى اللاتي يكرسن أنفسهن للأمومة ورعاية البيت باعتبارهن عاملات منتجات ، وندفع لهن أجوراً ورواتب مقابل هذه الرعاية، وحين نعتبر عملهن في البيت إسهاماً جليلاً في زيادة الدخل القومي»(١).

والمشكلة هنا : إذا اعتبرت الأم عاملة؟ وتؤدي عملاً جليلاً، فمن هو ياترى صاحب العمل المكلف بأن يدفع لها الأجر؟ ربما تكون بعض الأجوبة : إن الزوج هو المكلف بالدفع لأن عمل زوجته في البيت يسهم فى راحته وزيادة إنتاجه خارج البيت، وإذا لم يكن لربة البيت زوج، فكانت أماً لأيتام مثلاً فمن الذي يدفع لها لقاء رعايتها أطفالها وبيتها؟ الجواب طالما أن عملهن يفيد المجتمع عامة فمن الواجب أن يدفع لهن من دخل الأمة»(٢).

٢- حاجة المسلمين الى الاستفادة من التجارب السلبية عند الغربيين :

والغريب أن يعود الأمريكان والغربيون من حيث بدأ المسلمون،

---

(١) المرجع السابق ص ٢ - ٣ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧٩-١٨٠ .

فالصيحات تتوالى لإخراج المرأة إلى العمل إلى جانب المؤسسات التربوية التى تعدها لذلك وتهيئها خارج بيتها· والأغرب من ذلك أن يكون إكرام الأم بالأجر ليس إكراماً فقط بل عملاً تستحق عليه أجراً، وهذا مافعله المسلمون فى عصر الخلفاء الراشدين·

ومهما يكن من أمر ·· فإنه يمكن تقسيم الأبحاث التى تناولت الأمومة والعمل فى أمريكا والغرب عامة إلى قسمين : قسم أجراه باحثون يعملون لحساب المؤسسات الاقتصادية الكبرى والشركات وقسم أجراه باحثون يعملون لمؤسسات اجتماعية إنسانية تحاول التصدي لمشكلات الأسرة ومضاعفاتها، كالجنوح الإجرامي والانحرافات الأخلاقية عند الأطفال والناشئة، وبالتالي الإسهام في علاج الأزمات الاجتماعية هناك·

وكل قسم من قسمي البحث توجهه أهداف معينة، فالباحثون العاملون لحساب المؤسسات الاقتصادية ومصانع العمل يستهدفون بالدرجة الأولى - تخفيف حدة هذه التوترات الناجمة عن عمل الأم، وتوفير فرص أفضل للإنتاج، ولذلك فالمتوقع من هؤلاء الباحثين أن لايعطوا الاعتبارات الأخلاقية والمقاييس الاجتماعية أهمية كبيرة ، أما الباحثون الذين يعملون بدوافع أخلاقية وتوجيهات إصلاحية فهؤلاء يعطون الاعتبارات الأخلاقية والقيم الاجتماعية الإيجابية انتباهاً أكثر· فالبحث العلمي ليس موضوعياً - كما يظن ويشاع خاصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية - وإنما هو محكوم بأهداف الباحث التي يستمدها من أهداف المؤسسة التي يعمل فيها ·

إن البحث قد أشار إلى المؤسسات التربوية وماتسعى اليه من أهداف تبثها فى نفوس وعقول مريديها، ولكن ظهرت أيضاً من خلال البحث الآثار المدمرة التي انعكست على الأسرة من جراء ضرورة المرأة إلى العمل ، والمقتطفات والتقارير التي مضت ، وخاصة الأمريكية منها تعطي شواهد واضحة على الآثار السلبية لعمل الأم

المشكلات التي يعاني منها الطفل الأمريكي، وتنمو معه كما ينمو، وتتفاعل مضاعفاتها وتأثيراتها.

والسؤال هنا : هل ينطبق هذا الحكم على العمل في كل أمة وثقافة وزمان؟ لايمكن أن تكون هناك إجابة واحدة على هذا السؤال لأن العمل لاينفصل عن مكونات البيئة المحيطة والقيم التي يجري في إطارها ، والمرأة لم تنقطع عن العمل في وقت من تاريخها لكنها في البيئات والثقافات التي توجهها قيم دينية صافية، واتجاهات أخلاقية، وحياة تدور محاورها حول الإنسان -بدل الدوران في فلك الأشياء - كان العمل يتم في إطار الأسرة نفسها سواء أكان هذا العمل داخل البيت أو خارجه كالحقل، فكان عملها يصب في مجرى خبرات الأسرة ويسهم في تعميق صلاتها وتوثيق روابطها وتبادل البذل والعطاء بين أعضائها.

أما الحضارة الحديثة فقد أخرجت المرأة لتعمل فى مصنع أو دائرة لاتجد فيها زوجاً ولا ولداً ولا أخاً ولا أباً ، وتحت إدارة وإشراف غريب عنها، وبين أناس ليسوا أعضاء في أسرتها، وفي ظل تنظيمات وقوانين هي أقرب لعلاقات السادة والخدم فيه بين الجنسين، والعاملون والعاملات المزودون بثقافة دينية صحيحة وثقافة أخلاقية متينة غير العاملين أو العاملات الذين لاثقافة لهم إلا مهارات العمل وبرامج الترفيه التلفزيونية والموسيقى وروايات القصص والثقافة الشعبية .

كذلك العمل الذي يتم بدافع الضرورة وخلال زمن الضرورة فقط يختلف عن العمل الذي يتم بدوافع الترف وثقافة الاستهلاك والإنتاج؟!.

٤ - الحاجة إلى تطوير مفهوم إسلامي للعمل :

إن العمل الذي يقوم على التخصص كل من الرجال والنساء

والتوجه لغاية الحفاظ على النوع البشرى ورقيه كما تقرر فلسفة التربية الإسلامية(١)، يختلف عن العمل القائم على حشد الرجال والنساء بغية تكديس الأشياء لصالح مجموعة معينة تهيمن على مقدرات الثروة وتدفع للعائلات والعاملات مبالغ محددة لتسترجعها منهم بعد ذلك مقابل ثوب أو أجرة شقة أو قطعة أثاث ٠

والخلاصة من هذا إنه في - المجتمعات الإسلامية - لابد من تطوير مفهوم للعمل وقواعد وأنظمة للعمل نابعة من الأصول الإسلامية، ومن الخطورة أن نستورد العمل وبرامجه وأنظمته وقيمه وأخلاقه مع مهاراته وأدواته من الخارج، فإذا أحسنت الأمة الإسلامية تأصيل العمل أي تجعله أصيلاً يستمد مفهومه وتعريفه ونظمه ومظاهره من المصادر الإسلامية، فسوف نجد الأمومة - في رأس قائمة - العمل - الذي يستهدف إلى بقاء النوع البشري ورقيه وسعادته٠

(١) انظر: د٠ ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية ص٣٨٣-٣٩١ ٠

التوصيات

في ضوء ماورد فى فصول هذا البحث، والملاحظات الواردة في البند رقم(٢) من هذا الفصل تخلص الباحثة إلى عدد من التوصيات هي :

١- تنظيم برامج تربوية خاصة بالأمومة بما يحقق الأصالة الإنسانية والمعاصرة الحضارية · وهذا يعني أن يعاد النظر فى مناهج المؤسسات التربوية والدعوية وأهدافها وأساليبها، والقيام بهذه المهمة سوف يكون له مردوده الإيجابي ليس على الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، وإنما سيقدم نموذجاً لمجتمعات العالم الحاضرة في هذا المجال · وهو ماأشار اليه الدكتور الكسيس كاريل حين قال : «ينبغى أن تتلقى النساء تعليماً أعلى لا لكي يصبحن طبيبات أو محاميات أو أستاذات ولكن لكي يربين أولادهن حتى يكونوا قوماً نافعين»(١)·

ولقد أدركت بعض الأقطار الأوربية أهمية ذلك، من ذلك مايجري في السويد حيث تعود الأمومة شيئاً فشيئاً إلى الفطرة ، وهو ماتحدثت عنه القاضية السويدية - ايجيت أوف هاجر - التي كلفتها الأمم المتحدة بزيارة البلاد العربية للتعرف على المرأة العربية ودراسة أوضاعها الاجتماعية والقانونية، ومما قالته في هذا المجال :

«إن المرأة السويدية اكتشفت فجأة أنها اشترت وهماً هائلاً -تقصد الحرية التي أعطيت لها بثمن مفزع هو سعادتها الحقيقية - ثم قالت من لي بحياة الاستقرار العائلية المتوازنة جنسياً وعاطفياً ونفسياً ، فهى تريد أن تتنازل عن معظم

---

(١) الكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، ص ٣٣٩ ·

حريتها فى سبيل سعادتها»(١)·

وهكذا تبدو النداءات الفردية والدراسات الاجتماعية في الغرب وكأنها تتوجه بالأمومة للعودة إلى أصالتها الفطرية والطبيعية المحصنة في البيوت المعززة المكرمة في الدنيا والآخرة، وكل ذلك مصداق قول الله عز وجل في مخاطبة النساء

﴿وقرن في بيوتكن﴾ حيث السكن والوقار والهدوء والراحة والطمأنينة·

٢- وضع استراتيجية تربوية معتمدة على الأصول الإسلامية من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي بينت أسس التربية كما في سورة لقمان والأحزاب وغيرها وكتب السلوك والأدب في الصحاح، ومن سيرة النماذج الإسلامية الفذة ، مع الاستفادة من العلوم التجريبية ومنجزاتها وتسخيرها في ميدان الأمومة، بعد عرضها على أسس الشريعة، بحيث تربى الفتاة على ربطها بالعالم الآخر وإلى ماينتهي إليه مصيرها ومآلها بعد هذه الحياة الدنيا ، ولايخفى دور الولي في الإسلام في تربية الفتاة وتلقينها العلم الشرعي ·

وكذلك تنظيم هذه المؤسسات التربوية والإعلامية الإسلامية، بحيث يكون توجهها بالنسبة للنساء حول تأكيد دورهن في الحياة (الأمومة) وهو رعاية النشء وحفظ البيت ، ورعاية من فيه بإيجاد الطمأنينة والراحة لهم، والحقيقة أن الزوج يأتي في الدرجة الأولى من هؤلاء لأن بناء المجتمع هو الأسرة والأسرة ركناها الزوج والزوجة بما يثمرانه من الأولاد للإنسانية·

---

(١) د· سليمان الأشقر ، المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم ، ص٢٧-٢٨، بتصرف ·

إن المؤسسات التربوية حين ترشد المرأة المسلمة إلى ضرورة دورها في الحياة ومسؤوليتها عن ذلك في الدنيا والآخرة، سوف تغرس فى نفسها الثقة وتحبب إليها الحياة التي تعيشها من خلال الفطرة والتعلم، بما يتناسق مع قوانين الكون والحياة والمصير وبذلك تتحقق السعادة لها ولمن حولها.

٣- ضرورة التطابق بين توجيهات الكتاب والسنة وتوجيهات التربية والإعلام المتعلقة بالأمومة ، وهذا يعنى أن نخضع جميع هذه المؤسسات لرقابة العلماء المسلمين الذين هم أولو الأمر، بحيث تقتبس جميع العلوم على أساس من الأصلين القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وبذلك تكون الدنيا محكومة بميزان الدين فلايحدث الانشقاق الموجود الآن بين الدين والدنيا، فتعيش النساء حياتهن وفق هذه الأسس، لاكما هو الحال الآن : فالمدارس تعلم فى اتجاه، والإعلام في اتجاه آخر، والبيوت في اتجاه ثالث، وعلى هذا تعيش المرأة وفق ثلاثة محاور متناقضات ، ولاتكاد تلتقي أبداً ، مما يخلق عندها الصراع والاكتئاب والمشاكل والأزمات ، ويؤدي إلى نوع من الضياع في وجودها وذاتها.

وممن الممكن أن يكون تعليمها من خلال إنشاء شبكات تلفزيونية داخلية على مستوى الدولة أو المدينة ، لتلقين العلم في بيوتهن، وتنسيق ذلك بحيث تحصل المرأة على ماتريد من الشهادات . بدلاً من تعويدها وتربيتها على الخروج من بيتها منذ نعومة أظفارها حتى غدت تضيق ذرعاً بجدران المنزل، ولتفتعل الأسباب والمبررات من ثم للخروج .

يضاف إلى ذلك أنه من الواجب أن تتخرج الطالبة المسلمة من المرحلة الثانوية، وقد ألمت بالعلوم الكثيرة من علم النفس والتغذية والطب والإدارة والمهارات الفنية اليومية ، لأن هذا

مما تحتاجه كل أنثى على السواء أماً وبنتاً وأختاً وزوجة، وينبغي أن تنال هذه العلوم الدرجة الثانية بعد العلم الشرعي الضروري الذي به قيام الدين، والمرأة الأم(الأم والزوجة والبنت والأخت) محتاجة لهذه العلوم كلها لأداء دور الأمومة على الصورة الصحيحة والناجحة في مملكتها العظيمة «البيت»·

وهذا مستمد من أصل الإسلام، فالطب ورد ذكره فى السيرة عن النساء أكثر من الرجال كعائشة وفاطمة ورفيدة وغيرهن رضي الله عنهن ، والمؤسسات التربوية والمؤسسات التوجيهية مسؤولتان معاً عن إعداد نموذج المرأة المسلمة والأم المتخصصة الواعية لدورها في الحياة ·

٤- تنظيم برامج ودورات للإعداد الأسري قبل الزواج وذلك لتبنى الأسر على أسس علمية متينة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومعطيات علم النفس والتربية، وغيرها من العلوم الضرورية ، وذلك بتنظيم دورات دورية في التربية الأخلاقية للشباب الذين ينوون الزواج لتبصيرهم إسلامياً واجتماعياً وعلمياً - بمسؤوليات الأسرة الحديثة والتحديات التي تواجهها في العصر الحديث(١)·

٥- ضرورة التنسيق على مستوى المجتمع بوضع استراتيجية لعمل المرأة وتحديد الكفاية من التخصصات اللازمة ، مع مراعاة سن المرأة العاملة ، ووضعها الاجتماعي ، وتفريغ العاملات الأمهات ماأمكن لأمومتهن ، مع توفير الرعاية الكاملة للنساء العاملات بمايعود على أسرهن وسد غيبتهن ·

---

(١) انظر : د· ماجد عرسان الكيلاني ، اتجاهات معاصرة فى التربية الأخلاقية ، (جامعة أم القرى ، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، ١٤١٢هـ) ص ١٦١-١٦٢ ·

٦- دفع المرأة المسلمة للمشاركة والإسهام في حياة المجتمع ، لاسيما في ميدان النساء ممن عرفن بالصلاح والعلم ورجاحة العقل، وعائشة رضى الله عنها ، وحملها العلم وتبليغها لأكبر دليل ونموذج لذلك ·

٧- الاهتمام من قبل المسؤولين والأولياء برعاية الأمهات والمواليد مادياً، وصحياً ونفسياً وثقافياً، مع فرض المال للمتزوجين، وسد الحاجة إلى عمل المرأة ، وكذلك الفرض للمواليد، حتى يستغنوا ·

٨- ضرورة العودة في أحكام النساء والأمومة إلى الأصول الإسلامية من القرآن الكريم والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح مع الاستفادة من العلوم فى حقلها التجريبي، مما لايتنافى مع ديننا الحنيف، أو ماتركه الشارع على أصل قول الرسول ﷺ «أنتم أعلم بأمور دنياكم»·

مع ضرورة التخطيط والإعداد للكليات النسائية فى أمراض النساء والولادة، وإعداد الطبيبات الأخصائيات الثقات، مع تأهيلهن الشرعي في هذا المجال ·

٩- العودة فى سلوك الأمومة إلى المنبع الشرعي الصافي ، مع الاستفادة من معطيات العصر، والرجوع بالكلية إلى الرضاع الطبيعي - ماأمكن ذلك - مع تدوين السجلات في أمومة الرضاع نظراً لعصر الانتقال والسفر والشتات ·

وأخيراً ·· إن المرأة هي أم وملكة فى بيتها وراعية لأسرتها، وهى أم بفطرتها ·· بكل ماتحمله هذه الكلمة من معان لغوية، واصطلاحية ، وإنسانية ·

وبإمكان كل امرأة أن تكون أماً في أسرتها لمن حولها ··

وأياً كان موقع المرأة أماً·· أختاً، بنتاً، زوجاً ، فهي المعين الروحى

، والزاد العاطفي ، ومحطة الطاقة الإنسانية، التى يحتاجها جميع بنى البشر صغيرهم وكبيرهم ، لمتابعة مسيرة الحياة ٠٠بحماس، وقوة، وثقة، وطمأنينة، وراحة بال، وأمان٠

فهل يكون من الخير أن تصبح النساء رجالاً؟!٠

وفي الختام ٠٠

أسأل الله سبحانه وتعالى العليم المنان التوفيق والهداية والرشاد، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكون حجة لي لا علي يوم الدين، وأن يغفر زلتي ، ويهدي ضالتي، ويلهمني الخير والسداد وقول الحق في الأمر كله ، إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير ٠

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهـــارس

الفهارس

١ - فهرس الآيـــات
٢ - فهرس الأحاديث
٣ - فهرس الأشـــعار
٤ - فهرس الأعلام المترجم لهم
٥ - فهرس الأعلام المترجم لهن

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة البقرة)	
٢٨	﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم﴾	٤١٤
٣٧	﴿فتلقى ءادم من ربه كلمٰت فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾	١٤٣
٣٨	﴿قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هدٰى﴾	١٤٣
١٢٠	﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصٰرى حتى تتبع ملتهم﴾	٧١٢
١٢٧	﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمٰعيل﴾	١٤٣
١٢٨	﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾	١٤٣
١٢٩	﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ﴾	١٥٢
١٣٠	﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾	١٥٢
١٣٢	﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يٰبني إن الله اصطفى لكم الدين﴾	١٤٣
١٣٣	﴿أم كنتم شهدآء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى﴾	١٤٣
١٤٣	﴿وكذلك جعلنٰكم أمة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس﴾	٥٤٢
١٨٤	﴿فمن كان منكم مريضاأو على سفر فعدة من أيام أخر﴾	٢٤٠
١٩٦	﴿أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صـــدقة أو نسك﴾	٢٣١
٢٠٤	﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا﴾	٧٦٢
٢٠٥	﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها﴾	٦٤٣، ٧٨١، ٨٤٠، ٨٨٨
٢٢١	﴿ولا تنكحوا المشركت حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة﴾	٥٧٤
٢٢٢	﴿ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾	٢٣١
٢٢٣	﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾	١٢٧، ١٢٨، ٢٣١، ٥١٧
٢٢٨	﴿والمطلقت يتربصن بأنفسهن ثلٰثة قروء﴾	١٤٦، ٢١١، ٢٨٧، ٤٢٤، ٤٦٥، ٥٥٥، ٨٢١، ٨٥٩
٢٢٩	﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما ءاتيتموهن شيئا﴾	١٦٣، ٥٩٥

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة البقرة)	
٢٣١	﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف﴾.	١٦٣، ١٦٤
٢٣٣	﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾	٤١،٤٠، ٤٧٨، ٧٩١
٢٣٤	﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا﴾	٤٢٥
٢٣٨	﴿حفظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قنتين﴾	١٥٨
٢٦٠	﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى﴾	٤١٤
	(سورة آل عمران)	
٣١	﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾	٦٥٤
٣٣	﴿إن الله اصطفى ءادم ونوحا وءال إبراهيم وءال عمران على العالمين﴾	٤٩٥، ٦٤٣
٣٥	﴿إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك مافي بطني محررا﴾	٤٦٨
٣٦	﴿رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت﴾	٥٥،١٠٧،٢٠٠،٢١٦
٣٧	﴿فتقبلها ربهابقبول حسن وأنبتهانباتاحسنا﴾	٥٩،١٠٧،١٣٤،٢٤١،٦٥٧
٤٢	﴿يامريم إن الله اصطفك وطهرك واصطفك على نساءالعلمين﴾	١٠٧، ٤٦٨
١٠٤	﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف﴾	٧١٤
١١٠	﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف﴾	٦٦٦
١٥٩	﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظاغليظ القلب لانفضوا﴾	٦٨، ١٥٥
١٦١	﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾	١٩٤
١٩٣	﴿ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمن﴾	٢٠٠
١٩٥	﴿فاستجاب لهم ربهم أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾	٢٨٣،١٤٥،٢٠٠،٥٥٤
	(سورة النساء)	
١	﴿ياأيهاالناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾	٤٥،١٢٠،١٥٦، ١٩٩
٣	﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتمى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾	١٧٨
٦	﴿وابتلوا اليتمى حتى إذا بلغوا النكاح فإن ءانستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾	١٧٨،٢٣٢

(سورة النساء)

١١	﴿يوصيكم الله في أولٰدكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾	٢٨٥
١٩	﴿يأيها الذين ءامنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾	١٦١، ١٧١، ٥٢٨، ٥٩٦
٢١	﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾	١٦٢
٢٢	﴿ولاتنكحوا مانكح ءاباؤكم من النساء إلا ماقد سلف﴾	٣٣٥
٢٣	﴿حرمت عليكم أمهٰتكم وبنٰاتكم وأخوٰتكم وعمّٰتكم وخٰلٰتكم﴾	٤٢، ٤٣، ٤٣٢، ٤٨٦
٢٤	﴿وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين﴾	١٢٥
٢٥	﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾	٦٠١
٣٢	﴿ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا﴾	٥٥٤، ٨٢١
٣٤	﴿الرجال قوٰمون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموٰلهم فالصٰلحٰت قٰنتٰت حٰفظٰت للغيب بما حفظ الله﴾	١٣٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٩، ٢٢٥، ٢٨٧، ٨١٦
٣٥	﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها﴾	١٦٢، ١٧١
٧٥	﴿ومالكم لاتقٰتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء﴾	٢٢٦
٩٢	﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطئا﴾	٨٦٢
١٢٤	﴿ومن يعمل من الصٰلحٰت من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾	٢٠٠، ٥٥٤
١٢٨	﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا﴾	٧٤، ٧٥، ١٦١، ٥٨٨
١٢٩	﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾	٥٨٩
١٣٥	﴿كونوا قوٰمين بالقسط شهداء لله﴾	٥٦٤
١٤٠	﴿وقد نزل عليكم في الكتٰب أن إذا سمعتم ءايٰت الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم﴾	٧٧٩
١٤٨	﴿لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما﴾	٥٦٤
١٧٦	﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلٰلة إن امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾	٢٩١

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة المائدة)	
٤٥	﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾	٢٨٥
٧٥	﴿وأمه صديقة﴾	٥٩
٨٧	﴿يأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبٰت ماأحل الله لكم﴾	٢٧٨
٩٠	﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلم رجس﴾	٤٥٩
١١٠	﴿إذ قال الله يٰعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك﴾	٤١٤
	(سورة الأنعام)	
٣٨	﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾	٤١٤
٤٤	﴿فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾	٧٣٩
٦٨	﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في ءايٰتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾	٧٧٩
٩٢	﴿ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾	٣٨
١٢١	﴿وإن الشيٰطين ليوحون إلى أوليائهم ليجٰدلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾	٦٣٥
١٣٦	﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعٰم نصيبا﴾	٨٩١،٧٣٠
١٣٧	﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولٰدهم شركاؤهم﴾	٨٩١
١٤٠	﴿قد خسر الذين قتلوا أولٰدهم سفها بغير علم﴾	٨٩١
١٤١	﴿وهو الذي أنشأ جنٰت معروشت وغير معروشت والنخل والزرع مختلفا أكله﴾	٨٩٢
١٥١	﴿قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألاتشركوا به شيئا﴾	٨٩٢،٨٥٩،٨٥٦
١٥٣	﴿وأن هذا صرٰطي مستقيما فاتبعوه﴾	٨٩٢
	(سورة الأعراف)	
٢٦	﴿يٰبني ءادم قد أنزلناعليكم لباسا يوٰري سوءٰتكم وريشا﴾	٧٢٠
٢٧	﴿يٰبني ءادم لايفتننكم الشيطٰن كماأخرج أبويكم من الجنة﴾	٧١٩
٣١	﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾	٦٦٩
٥٨	﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لايخرج إلا نكدا﴾	٦٥٩
٩٦	﴿ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركٰت من السماء والأرض﴾	
١٥٠	﴿قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا ان يقتلونني﴾	٤٩

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة الأعراف)	
١٧٢	﴿وإذ أخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذريتهم﴾	٥٤
١٧٩	﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها﴾	٩٢٢
١٨٩	﴿هو الذي خلقكم من نفس وحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها﴾	٥٧٠
	(سورة الأنفال)	
٢٤	﴿يأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرســـول إذا دعاكم لما يحييكم﴾	٧٦٣،٦٨٤،٦٨٣
٢٥	﴿واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾	٧٦٣
٦٠	﴿وأعدوا لهم ما ستطعتم من قوة﴾	٨٧٧
٧٢	﴿إن الذين ءامنوا وهاجروا وجٰهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾	٨٨٥
٧٣	﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾	٧١٤
٧٤	﴿والذين ءامنوا وهاجروا وجٰهدوا في سبيل الله﴾	٦٦٦
	(سورة التوبة)	
٢٣	﴿يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا ءاباءكم وإخوٰنكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمٰن﴾	٦٩٠
٢٤	﴿قل إن كان ءاباؤكم وأبناؤكم وإجوٰنكم وأزوٰجكم وعشيرتكم﴾.	٦٨٨
٧١	﴿والمؤمنون والمؤمنٰت بعضهم أولياء بعض﴾	٤٧٤،٢٨٤، ٦٦٦
	(سورة يونس)	
٢٤	﴿إنما مثل الحيٰوة الدنيا كماء أنزلنٰه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعٰم﴾	٧٤٠
	(سورة هود)	
٦	﴿ومامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾	٨٧٤
٤٢	﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يٰبني اركب معنا ولاتكن مع الكٰفرين﴾	٤٩٦
٤٥	﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق﴾	٤٩٦

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة هود)	
٨٠	﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد﴾	٤٩٧
	(سورة يوسف)	
٢١	﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى﴾	٦٥٧
٢٨	﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾	٥٦٦
٣٣	﴿قال رب السجن أحب إلي ممايدعونني إليه﴾	٧١٩
٩٣-٩٦	﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي﴾	٨٠٥
	(سورة الرعد)	
٨	﴿الله يعلم ماتحمل كل أنثى وماتغيض الأرحام وماتزداد﴾	٢٣٤
١١	﴿إن الله لايغير بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم﴾	٦٧١
٣٩	﴿يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتب﴾	٣٨
	(سورة ابراهيم)	
١	﴿الر كتب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور﴾	٥٠٦
٣٧	﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾	١٤٤، ٨٨٦
	(سورة الحجر)	
٢٨	﴿وإذ قال ربك للملئكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون﴾	٣٥٧
٥٣-٥٦	﴿قالوا لاتوجل إنا نبشرك بغلام عليم﴾	٨٦٦
٩٢-٩٣	﴿فوربك لنسئلنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون﴾	٤٧٠
	(سورة النحل)	
٥٨	﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهوكظيم﴾	٢٨٢، ٥٢٨
٦٦	﴿وإن لكم في الأنعم لعبرة﴾	٢٦٣، ٤٤٣
٧٢	﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾	١٢٦
٧٨	﴿والله أخرجكم من بطون أمهتكم لا تعلمون شيئا﴾	٦٧٥
٩٣	﴿ولتسئلن عما كنتم تعملون﴾	٤٧٠
٩٩	﴿إنه ليس له سلطن على الذين ءامنو وعلى ربهم يتوكلون﴾	٧٢١، ٧٢٩
	(سورة الإسراء)	
١٦	﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنامترفيهاففسقوافيهافحق عليهاالقول﴾	٧٦٣

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة الإسراء)	
١٧	﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾	٧٦٣
٢٣	﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾	٧٨٩ ،٧٨٥،١٦٩،٤١،٧
٣١	﴿ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾	٨٥٦
٣٢	﴿ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾	٩١٩،٧٤٦،١٢٣
٣٤	﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلاً﴾	٦١٤
٦٢	﴿قال أرءيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته﴾	٦٣٨
٦٣	﴿قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾	٦٣٨
٨٥	﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾	٣٦٨
	(سورة الكهف)	
٤٦	﴿المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك﴾	٩١٩،٨٦٦
٨٠	﴿وأما الغلم فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفرا﴾	٦٢٠
	(سورة مريم)	
١٦	﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾	٥٩
١٩	﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾	٢٤١
٢١	﴿ولنجعله ءاية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾	٤٦٦
٢٢	﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً﴾	٤٦٦
٢٣	﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا﴾	٢٤٧
٢٦	﴿فكلي واشربي وقري عيناً﴾	٢٦٦،٢٥٠
٢٧	﴿فأتت به قومها تحمله﴾	٩٩
٢٨	﴿ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغياً﴾	٦١٥،١٠٧ ،٦٦،٥٩
	(سورة طه)	
٣٧-٣٩	﴿وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾	٦٨٦،٦٥٧،٨٠
٤٠	﴿فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولاتحزن﴾	٤٧٩،١٠٣،٨٠،٧
٩٢-٩٣	﴿قال يهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا ألاتتبعن أفعصيت أمري﴾	٨٦

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة طـه)	
١١٥	﴿ولقد عهدنا إلى ءادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾	١٤٣
١١٧	﴿فقلنا يٰأدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلايخرجنكما من الجنة فتشقى﴾	٨٢١
١٢١	﴿وعصى ءادم ربه فغوى﴾	١٤٣
١٢٣	﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾	٥٣١
	(سورة الأنبياء)	
٩١	﴿وجعلنٰها وابنها ءاية للعٰلمين﴾	٢٠١،١٠٨
	(سورة الحج)	
٢	﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها﴾	٨٦
٥	﴿يٰأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقنٰكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة﴾	٤٤، ٣٨٨
	(سورة المؤمنون)	
١-٥	﴿قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خٰشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكوٰة فٰعلون، والذين هم لفروجهم حٰفظون﴾	١٢٥
١٢	﴿ولقد خلقنا الإنسٰن من سلٰلة من طين﴾	٣٥٦
١٤	﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظٰماً فكسونا العظٰم لحماً ثم أنشأنٰه خلقاً ءاخر﴾	٣٦٧، ٣٧٥ ، ٣٨٩
	(سورة النور)	
٢	﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾	٩٢٤
٣	﴿الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك﴾	٦٠٦، ٦٠٧
٦	﴿والذين يرمون أزوٰجهم ولم يكن لهم شهداء إلاأنفسهم فشهٰدة أحدهم أربع﴾	٧٤٥
١٩	﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا﴾	٦٦٨، ٧٤٥
٢١	﴿يٰأيها الذين ءامنوا لاتتبعوا خطوٰت الشيطٰن﴾	٦٠٨،٦٠٥
٢٦	﴿الخبيثٰت للخبيثين والخبيثون للخبيثٰت والطيبٰت للطيبين﴾	٧٠٣
٣١	﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن﴾	

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة النور)	
٣٢	﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾	١٢٢، ١٢٤، ١٨٨، ١٩١، ٨٤٢
٣٣	﴿ولاتكرهو فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا﴾	٨٤٣
	(سورة الفرقان)	
٦٨	﴿والذين لا دعون مع الله إلهاً ءاخر ولايقتلون النفس التي حرم الله﴾	٨٥٧
٧٤	﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين﴾	١٥١
	(سورة الشعراء)	
١٩٥	﴿بلسان عربي مبين﴾	٢٠٣
	(سورة القصص)	
٧	﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم﴾	٧، ٤٠، ٤٨، ٢٥٨، ٢٦٦، ٦٨٥
٩-١٠	﴿قرت عين لي ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أونتخذه ولداً﴾	٧، ٥٦٦
١٢-١٣	﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيتٍ يكفلونه لكم وهم له نٰصحون﴾	٧، ٥٦٥
٢٣	﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾	١٣٦، ٧٠٧، ٨٢٥
٢٥	﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾	١٣٦، ٧٠٧
٢٦	﴿قالت إحداهما يأبت استئجره إن خير من استئجرت القوي الأمين﴾	١٣٦
٢٧	﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هٰتين﴾	١٣٦
	(سورة العنكبوت)	
٢٦	﴿وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم﴾	٨٦٦
٤٣	﴿وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العٰلمون﴾	٦٠٩
٦٠	﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾	٨٧٩
	(سورة الروم)	
٢١	﴿ومن ءايٰته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾	١٢٥، ١٣٣، ١٤٧، ٥٨١
٣٠	﴿فأقم وجهك للدين حنيفافطرت الله التي فطرالناس عليها﴾	٥٤، ١٩٨

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة لقمان)	
١١	﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾	
١٤	﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن﴾ ٤٢، ١٦٩، ٢٣٧، ٤١٨، ٤٧٥، ٧٨٥، ٨٠٠	
	(سورة السجدة)	
٧-٨	﴿وبدأ خلق الإنسن من طين، ثم جعل نسله من سللة من ماء مهين﴾	٣٥٧
	(سورة الأحزاب)	
٤-	﴿وماجعل أزواجكم الئي تظهرون منهن أمهتكم﴾	٣٢٣
٦	﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهتهم﴾ ٣٨، ٤٣، ٥٠٦	
٣٢	﴿ينساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ ٥٠٥، ٧٠٥، ٩١٩	
٣٣	﴿وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجهلية الأولى﴾ ٥٠٢، ٥٠٥، ٨٢٣	
٣٤	﴿واذكرن مايتلى في بيوتكن من ءايت اللـــــه والحكمة﴾ ١٤٥، ٨٣، ٥٠٥، ٦٧٢	
٣٥	﴿إن المسلمين والمسلمت والمؤمنين والمؤمنت﴾ ٢٠٠، ٥٠٥، ٥١٦	
٤٠	﴿ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾	٣٢٧
٥٣	﴿وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحـــوا أزواجه من بعده﴾	٣٢٦
٥٩	﴿ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنـــين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾	٧٠٢
٧٢	﴿إنا عرضنا الأمانة على السموت والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾	١٤١
	(سورة سبأ)	
٣٣	﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر اليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله﴾	٦٣٦
	(سورة يس)	
٣٦	﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون﴾	١٢٠
	(سورة الصافات)	
٢٢	﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون﴾ ١٣١، ٤٧٠، ٥٧٢، ٦٠٦	

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة الصافات)	
١٠٢	﴿فلما بلغ معه السعي قال يٰبني إنى أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾	٦٨٥
	(سورة الزمر)	
٦	﴿يخلقكم في بطون أمهٰتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمت ثلٰث﴾	٤٥٠
١٥	﴿قل إن الخٰسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيٰمة﴾	١٤٢
٤٢	﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾	٣٧٧
	(سورة فصلت)	
٩	﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا﴾	٨٧٩
	(سورة الشورى)	
٤٥	﴿وقال الذين ءامنوا إن الخٰسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾	١٠٩
٤٩-٥٠	﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾	٢٠٩
	(سورة الزخرف)	
١-٣	﴿حم* والكتب المبين* إنا جعلٰنه قرءانا عربياًلعلكم تعقلون﴾	٢٠٣
٤	﴿وإنه في أم الكتٰب لدينا لعلي حكيم﴾	٣٨
١٨	﴿أو من ينشئوا في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾	٢٢٧
	(سورة الأحقاف)	
١٥	﴿ووصـينا الإنسـٰن بوٰلديه إحسـانا حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾	٤١، ٤٨، ١٥٣، ٢٣٧، ٢٤٢، ٤١٨، ٧٨٥، ٨٠٠
	(سورة محمد)	
٢٢	﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾	٤٦، ١٨٨، ٦٤٣، ٧٦٤، ٧٩٠
	(سورة الحجرات)	
١٣	﴿يٰأيها الناس إنا خلقنٰكم من ذكر وأنثى وجعلنٰكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾	٦٦٦
١٤	﴿قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾	٥٢٢
	(سورة الذاريات)	
٢٠-٢١	﴿وفي الارض ءايٰت للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾	٢٧٨، ٤٤٩، ٥٧٨
٤٩	﴿ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾	١٢٠

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة الذاريات)	
٥٦	﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾	١٥٩، ٦٦٥، ٧٤٠
٥٧	﴿ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾	٦٦٤
٥٨	﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾	٨٧٤
	(سورة الطور)	
٢١	﴿والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمٰن ألحقنا بهم ذريتهم﴾	١٤٢، ١٥٢
٢٦	﴿قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾	١٥٢
	(سورة النجم)	
٤٥	﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾	١٢٠، ٢٠٤، ٢٠٦
٤٦	﴿من نطفة إذا تمنى﴾	٢٠٦
	(سورة القمر)	
٢٢	﴿فهل من مدكر﴾	٨٩٥
	(سورة الواقعة)	
٧٩	﴿لايمسه إلا المطهرون﴾	٣٤٧
	(سورة الحديد)	
١٠	﴿لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقٰتل أولٰئك أعظم درجة﴾	٥٢٤
	(سورة المجادلة)	
١	﴿قد سمع الله قول التي تجٰدلك في زوجها وتشتكي إلى الله﴾	٤٩، ٥١٥
٢	﴿إن أمهٰتهم إلا الٰئى ولدنهم﴾	٤٠
٢٢	﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾	٥٧١
	(سورة الممتحنة)	
١٠	﴿يأيها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنٰت مهٰجرٰت فامتحنوهن الله أعلم بإيمٰنهن﴾	٥٧٤، ٥٧٧، ٥٦٥
١٢	﴿يأيها النبي إذا جاءك المؤمنٰت يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا﴾	٨٥٩
	(سورة الجمعة)	
٢	﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم ءايٰته ويزكيهم﴾	٥٠٦، ٦٦٧، ٦٧٠

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة التغابن)	
١٤	﴿يأيها الذين ءامنوا إن من أزوٰجكم وأولٰدكم عدواً لكم فاحذروهم﴾	٦٨٩
	(سورة الطلاق)	
١	﴿يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾	١٧١
٤	﴿والئي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلٰثة أشهر﴾	١٧٥، ٤٢٥
٦	﴿فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف﴾	٧٩٣، ٧٩٨
٧	﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما ءاتٰه الله﴾	٣٤١
	(سورة التحريم)	
٥	﴿عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزوٰجا خيراً منكن﴾	١٣٠
٦	﴿يأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾	١٠٩، ١٤٢، ٦٢١
١٠	﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط﴾	٤٩٦، ٥٠٣، ٦٠٨، ٦٠٩
١١	﴿ضرب الله مثلاً للذين ءامنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾	٢٨٣، ٥٠٣، ٦٠٨
١٢	﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها﴾	١٠٨، ٥٠٣
	(سورة الملك)	
١٤	﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾	٢١٦
١٥	﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها﴾	٦٦٦، ٨٧٩
١٦	﴿ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾	٨٧٩
٢١	﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾	٨٧٩
٣٠	﴿قل أرءيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾	٨٧٩
	(سورة نوح)	
١٠	﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾	٨٦٦
٢٦	﴿وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكٰفرين ديارا﴾	٦١٥، ٦١٩
	(سورة المدثر)	
١١-١٢	﴿ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالاً ممدوداً﴾	٨٦٦

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة القيامة)	
٣٦	﴿أيحسب الإنسٰن أن يترك سدىً﴾	٢٠٤ ، ٣٦٠
٣٧	﴿ألم يك نطفة من مني يمنى﴾	٢٠٤
٣٩	﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾	٢٠٤
	(سورة الإنسان)	
٢	﴿إنا خلقنا الإنسٰن من نطفة أمشاج نبتليه فجعلنٰه سميعا بصيراً﴾	٢٠٤، ٣٦٠
	(سورة المرسلات)	
٢٠	﴿ألم نخلقكم من مآءٍ مهين* فجعلنٰه في قرار مكين* إلى قدر معلوم﴾	
	(سورة النازعات)	
٢٤	﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾	٥٦٥
	(سورة عبس)	
١٧-١٩	﴿قتل الإنسٰن ماأكفره* من أي شيء خلقه* من نطفة خلقه فقدره﴾	٢٠٤، ٢٤٢، ٢٤٦
	(سورة التكوير)	
٧	﴿وإذا النفوس زوجت﴾	٥٧٢
٨-٩	﴿وإذا الموءدة سئلت * بأي ذنب قتلت﴾	٢٨٢، ٥٢٨
	(سورة الانفطار)	
٦-٧	﴿يٰأيها الإنسٰن ما غرك بربك الكريم* الذي خلقك فسوك فعدلك﴾	٣٥٧
٨	﴿في أي صورة ماشاء ركبك﴾	٣٥٧
	(سورة الانشقاق)	
٦	﴿يٰأيها الإنسٰن إنك كادح إلى ربك كدحا فملٰقيه﴾	١٤٧
	(سورة الأعلى)	
٣	﴿والذي قدر فهدى﴾	١٩٨
١٤-١٦	﴿قد أفلح من تزكى* وذكر اسم ربه فصلى* بل تؤثرون الحيوٰة الدنيا﴾	٦٦٥

رقم الآية	الآيـــــة	رقم الصفحة
	(سورة الشمس)	
٩	﴿قد أفلح من زكّاها﴾	٦٦٨
	(سورة الليل)	
١-٤	﴿والليل إذا يغشى* والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى* إن سعيكم لشتى﴾	١٩٨
	(سورة العلق)	
١-٣	﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسٰن من علق* اقرأ وربك الأكرم ﴾	٣٠، ٦٥٤، ٦٦٣، ٦٧١، ٦٧٢
	(سورة البينة)	
١	﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتٰب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾	٥٧٥
	(سورة الزلزلة)	
٧-٨	﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾	٤٧٠
	(سورة القارعة)	
٩	﴿فأمه هاوية﴾	٣٨
	(سورة الماعون)	٩١٠
١	﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾	
٤-٥	﴿فويل للمصلين* الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾	٨٨٧

فهرس الأحاديث والآثار

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
أنتم الذين قلتم كذا، وكذا ...	أنس	١٢٢
أتى علي رسول الله ﷺ ...	أنس	٥٧
أترون هذه المرأة طارحة ولدها ...		٥١
اتقوا الله واعدلوا في أولادكم ...		٩٠٦
اتقي الله وأحسني إلى صبيك ...	عمر (موقوف)	٨٧
اجعلوه في خيمة رفيدة التي في ...		٨٢٤
أحسن إليها فإذا وضعت فأتني ...	ابن عباس	٨٦٠
الأخوات الأربع مؤمنات أم الفضل ...		١١١
إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى ...		٧٠٦
إذا أطال أحدكم فلا يطرق أهله ليلاً ...		١٦٢
إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة ...		٣٤٨
إذا رأت الماء ...	أم سلمة	٦٧٨
إذا سرك أن تعلم جهل العرب ...	ابن عباس(موقوف)	٨٥٥
إذا شهدت إحداكن العشاء فلا ...		٧٠٣
إذا شهدت أحداكن المسجد فلا ...		٧٠٤
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا ...		١٢٨
إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ...	حذيفة	٢١٠، ٣٥٩
اذهب فالزمها فإن الجنة عند ...		٣٠١
أرأيت لو كان على أمك دين ...		٣٠٢
ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ...	مالك	١٤٤
أرسل ابن عباس إلى زيد بن ثابت ...	عكرمة(موقوف)	٣١٧
ارموا بني إسماعيل فإن أباكم ...		٦٤٨
الأرواح جنود مجندة ماتعارف ...		٥٧١، ٥٧٨
استأذنت ربي أن أستغفر لأمي...		٣٠٣
استوصوا بالنساء فإن المرأة ...	أبوهريرة	٢٨٩، ٥٥٦
أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا ...	عائشة	٨٢٥
الإشراك بالله وعقوق الوالدين ...	أنس	٢٩٨
أصبنا سبايا فكنا ...		٨٧٠

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
اصنعوا كل شيء إلا النكاح ...		٣٤٧
اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها	جابر	٨٧٠، ٨٧٣
أعلى أم سلمة ؟ لو لم أنكح ...	زينب	٣٣٤
افعلي ما يفعل الحاج غير أن ...	عائشة	٣٤٧
اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت ...	أبوهريرة	٨٦١
اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين...		٤٦٩
ألا أدلكما على خير مما سألتما...	علي	٨٢٩
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ...		٢٩٨
ألا تعلمين هذه رقية النملة ...	الشفاء	٦٧٣
ألا نغزو ونجاهد ...	عائشة	٢٢٦
ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي ...		٣١٦
ألم تري أن مجززا نظر آنفا إلى ...	عائشة	٦٤٥
أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ...		٢٣٣
اللهم ارحمهما إنى أرحمهما ...	أسامة	١٠٤
اللهم إني أحبه فأحبه ...	البراء	١٠١
اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب ...	أبو هريرة	١٠٢
اللهم إنه كان لي والدان شيخان...		٣٠٠
اللهم اهد أم أبي هريرة ...	أبوهريرة	٣٠٧
اللهم حبب عبيدك هذا ...		٣٠٧
اللهم علمه الكتاب ...		٣١٧
اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا...		١٥٤
اللهم هذا فعلي فيما أملك ...		٥٩٢
اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي ...		
أما إنك قادم ، فإذا قدمت ...	جابر	٨٦٧
أما نقصان العقل فشهادة امرأتين...		٢٢٨
أن امرأة ماتت في بطن فصلى عليها...		٢٥٧
أن تدعو لله ندا وهو خلقك ...		٨٥٧
أن تلد الأمة ربتها ...		٧٩٠
أن رسول الله كان يصلي ﷺ		
وهو حامل أمامه...		١٠٢

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث...	ابن عباس	٥٨٥
أن عمر بن الخطاب قسم مروطاً بين...	(موقوف)	٦٩٧
أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت سبع	عائشة (موقوف)	١٧٦
أن يهودياً رض رأس جارية...	أنس	٢٨٥
إن أباهازوجهاوهي ثيب فكرهت ذلك...	خنساء	٥١٥
إن ابراهيم ابني وإنه مات في الثدي...		٢٦٩
إن أبر البر صلة الولد أهل ود ...	ابن عمر	٢٩٩
إن إبليس يضع عرشه على الماء...		١٦١
إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه...	عبدالله بن مسعود	٣٥٨، ٣٩٩
إن الأشعريين إذا أرملوا أوقل طعام...	أبو موسى	٨٨٣
إن أصحاب هذه الصور يعذبون ...	عائشة	٤١٥
إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات..		٢٩٨
إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم...	أبوهريرة	٤٥
إن الله قد وضع عن المسافر الصيام...		٢٤٠
إن الله وكل بالرحم ملكاً ...		٣٨٣
إن أمي افتلتت نفسها ولم توص ...		٣٠٢
إن أناساً اختلفوا عندها يوم عرفة ...		١١٤
إن حمزة أخي في الرضاعة ...		٤٣٣
إن الحياء من الإيمان ...		٧٠٧
إن خلق أحدكم يجمع ...		٣٨١، ٣٨٥
إن الرضاعة تحرم ماتحرم الولادة ...		٣٣٠
إن شر الرعاء الحطمة فإياك أن تكون...		٩٠٦
إن كان الشؤم في شئ ففي الدار...	ابن عمر	٥٨٧
إن له لظئرين تكملان رضاعة في الجنة...		٢٦٩، ٧٩٣
إن المرأة خلقت من ضلع ...		١٦٠، ٢٢٦
إن ملكاً موكلاً بالرحم ، إذا أراد...		٣٦٠
إن مما أدرك الناس من كلام ...		٧٠٦
إن من أكبرالكبائر أن يلعن الرجل والديه...		٢٩٨
إن من البيان سحرا ...		٦٣٨
إن النطفة تقع في الرحم أربعين ...	حذيفة	٣٥٩

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
إن هذا أمر كتبه الله على بنات ...		٢٣٣
إن اليهود كانوا إذا حاضت...	أنس	٣٤٧
أنا وكافل اليتيم في الجنة		٩٠٩
أنتم أعلم بأمور دنياكم...		
انطلق رسول الله ﷺ الى أم أيمن...	أنس	٣٠٤
انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق...	عمر(موقوف)	٦٥١
انظرن إخوتكن من الرضاعة، فإنما...	عائشة	٤٣٩
انظروا إلى حب الأنصار التمر ...		٢٥٣
أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ ...		٦٤٦
إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من ...	سعد	٢٩٢
إنكم ستفتحون مصر ...		٣٠٣
إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا...	عائشة	٥٦٧
إنماذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك...		٦٧٣
إنما الرضاعة من المجاعة ...		٤٣٩
أنه أتى رسول الله ﷺ ... رجل		
رجل فقال يارسول الله أذنبت ...	ابن عمر	٣٠١
إنه أبو ولدك ...		٥٨٦
إنه يحرم من الرضاعة مايحرم ...		٤٣٢
إني حرمت الظلم على نفسي ...	(قدسي)	٥٦٤
إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها...		٥١
إني لأستحي من أسماء بنت عميس ...	أم كلثوم(موقوف)	٥١٩
إنى لا أعتب على ثابت في دين ...		٥١٨ ، ٥٨٣
أني لفي الصف يوم بدر ...	عبدالرحمن	٦٩٢
أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة...	أنس	٩٠٦
إياكم والدخول على النساء...		٧٠٩
أي بني أسلمتم طائعين وهاجرتم...	الخنساء	٦٩٢
الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر...		
أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد ...		٧٠٤
أيها الناس أقيموا على أرقائكم ...	علي	٢٥٦
بايعوني على أن لا تشركوا بالله ...	عبادة	٨٥٨

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
بلى فجدي نخلك، فإنك عسى أن ...	جابر	٨٢٤
بينما امرأتان معهما ابناهما جاء...	أبوهريرة	٥٨ ، ٩١١
بينما نحن جلوس عند رسول الله...	عمر	٥٢٢
تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر...	عائشة	٣٤٩
تبارك الذي وسع سمعه كل شيء...	عائشة	٤٩
تحته ثم تقرصه بالماء ثم تنضحه ...		٦٧٧
تحدثت أنا والقاسم عند ...	ابن أبى عتيق	٧١
تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء...		١٣٨
تزوجني رسول الله ﷺ ...	عائشة	١٧٥
تزوجني الزبير وماله في الأرض من ...	أسماء(موقوف)	٨٢٣
تلد فاطمة غلاما وترضعيه بلبن ...	أم الفضل	١١٤
تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبهاولجمالهاولدينها...		١٣٠ ، ٢٩٠
توضع الرحم يوم القيامة له حجنة كحجنة المغزل...		٤٧
ثلاثة لهم أجران ...		٦٧٦
الثلث والثلث كثير ...		٢٩٢
ثم انطلق بي فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات...		٧٩٣
جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها...	أنس	١٣٧
جاءت امرأة ومعها صبي لها...		٨٤
جاءتني مسكينة تحمل ابنتين ...	عائشة	١٠٤
جاء حبر من أحبار اليهود...	ثوبان	٢٠٧
جاءت بي أمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ ...	أنس	٦٣
جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد...		٢٩٩
جاءني رجل فقال يا أم عبدالله إني رجل فقير...	أسماء(موقوف)	٥٦٨
حجي عنها ...		٣٠٢
حلفت أم سعد أن لاتكلمه أبدا حتى يكفر بدينه...	مصعب(موقوف)	٣٠٨
الحمدلله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن...	الخنساء(موقوف)	٩٧
الخالة بمنزلة الأم ...		٤٣، ٤٨١
خذي من ماله بالمعروف مايكفيك ويكفي بنيك...	عائشة	٣٤٣
خرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته...	أسماء(موقوف)	٦٠

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
خرجت يوم أحد ومعي سقاء وفيه ماء...	نسيبة(موقوف)	٩٦
خلقت عبادي حنفاء كلهم،وإنهم أتتهم الشياطين...	قدسي	٦٣٥
خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ...		٧٠٨
خير نساء ركبن الإبل صالحو نساء قريش ...		٥٠ ، ٤٩٠
دخل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة ...		٦٧٣
دخل النبي علينا وماهو إلا أنا وأمي وأم حرام ...	أنس	٥٩
الدنيامتاع وخير متاع الدنياالمرأة الصالحة ...		١٣١
ذلك الوأد الخفي ...	جذامة	٨٧١
رأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة ...	أنس	٢٨٩
رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر الى الحبشة...	عائشة	٢٨٩
الرجل تكون عنده المرأة ليس	عائشة(موقوف)	٧٥
الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله...		٤٥
رد رسول الله ﷺ التبتل على عثمان بن مظعون...		٢٧٧ ، ٨٧٦
الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة ...		٤٣٤
رغم أنف، رغم أنف ، رغم أنف قيل من ...	أبوهريرة	٢٩٨
الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في ...	أبوهريرة	٨٢٨
سألت النبي ﷺ أي العمل أحب الى الله...	ابن عمر	٣٠٠
سأل رجل النبي أتحرم المصة ؟، قال لا ...	أم الفضل	٤٣٥
سئل ابن عباس أتريد أن تقاتل	ابن عباس(موقوف)	٢٩٤
سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن ...	أم سلمة	٥٦٣، ٧٢٠
سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ...	أبوبردة	٥١١
سنه .. سنه ...	أم خالد	٢٩٣
الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله		٢٥٦
صبرا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ...		٩٣
الصلاة على وقتها، قال ثم أي؟ قال برالوالدين ...	ابن عمر	٣٠٠
صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم ...		٧٣٨
عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال ...	ابن عمر	١٨٨
علامة تدغرن أولادكن بهذه الإعلاق ...		٦٨١
طلب العلم فريضة على كل مسلم ...		١٤٩
غارت أمكم ...		٤٣

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
غزوت مع رسول اللهﷺ سبع غزوات...	أم عطية(موقوف)	٦٩٧
فاتقو الله في النساء...		١٦٠ ، ٦١٢
فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة...		٣٤٧
فإذا ركع وضعها...		١٠٠، ٢٩٢
فاظفر بذات الدين تربت يداك ...		٢٩٠ ، ٦١١
فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي...	عائشة(موقوف)	٦٩٨
فاقضة عنها...		٣٠٢
فأين الرعاية وأين التذمم وهل تبنى البيوت...	عمر(موقوف)	٥٨٧
فتردين عليه حديقته...		٥٨٣
فدين الله أحق بالقضاء ...	ابن عباس	٣٠٢
فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف...	جابر	٨٨٣
فقال هل لك من إبل ...	أبوهريرة	٦٤٤
فلاعليكم أن لاتفعلوا ذاكم فإنماهوالقدر...	أبوسعيد	٨٦٨ ، ٨٦٩
فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها مايبكيك...	أنس(موقوف)	٥١٤
فهلا بكرا تلاعبها ...	جابر	٢٩٠
قال أصبت ...		٢٩١
قال أمك ...	أبوهريرة ٧، ٤٠، ٣٠٠،	٣٢٢
قال سليمان بن داوودعليهماالسلام لأطوفن...	أبوهريرة	٨٦٧
قتل الله قاتل أمك ...		٩٣
قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ...	أم هانئ	٥١٣
قد أذن لكن أن تخرجن لحوائجكن...	عائشة	٧٠٦، ٨٢٣
قد عجب الله من صنيعكمابضيفكماالليلة...		٦٧
قدم رسول اللهﷺ من سفر وقد سترت...	عائشة	٤١٦
قوموا فانحروا ثم احلقوا ..	أم سلمة	٥١٤
قوموا فلأصلي بكم...	أنس	٥٩
قيل لابن عباس رضي الله عنه		
أشهدت العيد مع رسول الله ﷺ...	ابن عباس(موقوف)	٧٠٨
كانت إحدانا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله ﷺ...		٣٤٧
كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم ...		٦٨٠

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
كان رجل من بني إسرائيل يقال له جريح يصلي...	أبوهريرة	٣٠١
كان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة...	أنس	٢٥٢
كان رسول الله ﷺ يباشر...		٣٤٨
كان رسول الله ﷺ يضجع معي ...	ميمونة	٣٤٨
كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع...		٢٩٢
كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة...	أنس	٦٩٦
كان فيما أنزل من القرآن عشررضعات معلومات...	عائشة(موقوف)	٤٣٦
كان فيمن كان قبلكم رجل...	أبوسعيد	٦٤٣
كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم...	عائشة	٦٧٧
كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت...		١٦٤
كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب...		٣٦٥، ٨٦٥
كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته...		١٤٢ ، ٤٧٣
كل مصور في النار...	ابن عباس	٤١٥
كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر...		٨٢٨
كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نسائنا...	ابن عمر(موقوف)	٥٥٦
كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم ونخدمهم...	الربيع(موقوف)	٦٩٦
كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس لنا شيء...		٢٧٨
كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس لنا نساء...		٨٧٦
كيف وقد زعمت أنها قد زعمت أنها قد أرضعتكما...	عقبة	٤٣٥
لتتبعن سنن من قبلكم شبرا شبرا...		٥٤٣، ٧١٢
لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة...	أبوهريرة	٤١٦
لعل ابنك هذا نزعه عرق ...		٦٤٤
لعل الله يبارك لكما في ليلتكما...		٦٧٩
لعن الله من لعن والديه ...		٢٩٨
لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال...		٢٧٧
لعن النبي صلى الله عليه وسلم المخنثين...		٢٧٧
لقد خشيت أن ألقى الله وأنا أعزب...	على(موقوف)	١٢٤
لقد قدت بنبي الله ﷺ والحسن والحسين		١٠٢
لقد هممت أن أنهى عن الغيلة...		٧٩٢ ، ٨٦٧
لما حضر أحد دعاني أبي من الليل...	جابر(موقوف)	٢٨٩

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
لما كان بين إبراهيم وبين أهله ماكان...	ابن عباس(موقوف)	٧٦
لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ماحلت لي...	أم حبيبة	٣٣٣، ٤٣٣
لو كان ذلك ضاراً ضر فارس ...		٨٦٧
لولا حواء لم تخن أنثى زوجها...	أبوهريرة	٥٦٦، ٦٤٧
ليس بأحق بي منكم ...		٥١٢
ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول ...	أم كلثوم	٦١٢
ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب...		٥٥٨ ، ٦٧٩
ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا...		٩٠٥
ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر...		٩١٨
ماتركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء...		٧١٩
ماتقولون في هذا ...		١٤٠
مارأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله...	أنس	٢٦٩
ما رأيت شاباً خيراً من جعفر ...	أسماء	١١٦
مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب...	ابن عمر ٢٢٧، ٢٢٨،	٥٥٧
ماغرت على امرأة للنبي ﷺ ماغرت على خديجة...	عائشة(موقوف) ١٣٥ ،	٢٨١
ماالمسؤول عنها بأعلم من السائل ...	عمر	٧٨٩
ما من أمير يلي أمر المسلمين ...		١٥٤
ما من عبد يسترعيه الله رعية ...		١٥٤، ٤٧٣
مامن كل الماء يكون الولد ...	أبوسعيد	٢٠٧، ٨٧٠
ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدهاثلاثة...	أبوسعيد ١٢٨، ٦٧٤،	٧٠١
مامن مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل...	أبوهريرة	٥٤ ، ٥٥
ما من مولود إلا يولد على الفطرة...	أبوهريرة ٥٤، ٥٧٣،	٩١٣، ٦١٨،
ماهذا الخنجر؟ ...	أنس	٥٢٠
المرأة من حملها الى فصالها كالمرابط في سبيل الله...		٢٥٦
مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر...	ابن عمر	١٦٤
من ابتلي من البنات بشئ فأحسن إليهن كن له...		٥٥٥
من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه...		٩١٧
من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهرالجهل		١٨٥
من الأمانة أن اؤتمنت المرأة...	أبي بن كعب(موقوف)	١٤١

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
من ترون نكسو هذه٠٠؟ فسكت القوم٠٠٠		٢٩٣
من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في٠٠٠		٤٦
من صور صورة في الدنيا ٠٠٠	ابن عباس	٤١٥
من عال جاريتين حتى تبلغا٠٠٠		٥٥٥
من فجع هذه بولدها٠٠٠		٥٢
من فرق بين الوالدة وولدها٠٠٠		٣١٠ ، ٤٧٦
من كان أصبح صائما فليتم ٠٠٠	الربيع	٦٤
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل...	أبوهريرة	١٦٠
من لا يرحم لا يرحم٠٠٠		١٥٥
من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً...	المستورد	١٩٤
من ينظر ماصنع أبوجهل٠٠٠	أنس	٦٩٢
الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ٠٠٠		٥٧٨
نزلت في المرأة تكون عند الرجل فلعله لايستكثر...	عائشة(موقوف)	١٦١، ٥٨٨
نساء قريش خير نساء ركبن الإبل٠٠٠		١٣٩
نعم تربت يمينك فبم يشببها ولدها٠٠٠		٦٧٨
نعم صلي أمك ٠٠٠	أسماء	٣٠٢
نعم النساء نساء الأنصار٠٠٠		٣٥٠، ٥١٧
هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا٠٠٠		١٤٠، ٦١١
هل تحرم الرضعة الواحدة؟ قال لا٠٠٠	أم الفضل	٤٣٦
هل نظرت إليها٠٠٠	أبوهريرة	٥٨٠
هو لك ياعبد، الولد للفراش٠٠٠	عائشة	٦٤٦
وابدأ بمن تعول، يقول الولد أطعمني٠٠٠		١٤٨
وإذا أدبرت فاغتسلي وصلي٠٠٠		٣٤٩
وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة...		٦٤٩
وفي بضع أحدكم صدقة٠٠٠		١٢٣
وفي النفساء يقتلها ولدها جمعاء ٠٠٠		٢٥٧
وكل الله بالرحم ملكاً فيقول: أي رب نطفة...	أنس	٣٥٨
ولست تنفق نفقة ٠٠٠		١٤٨
ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم...	أنس(موقوف)	٥٢٠، ٦٩٩
وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه...	عائشة(موقوف)	٥٦٨

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
ومايمنعك أن تسلمي وقد أسلم أخوك حمزة...	طليب(موقوف)	٩٤
ونضع لهم اللعبة من العهن...	الربيع	٦٥
وهل قامت النساء على مثل خالد...	عمر	١١٧
ويحك يا أنجشة رويداً سوقك بالقوارير...		٢٢٧
ويعتزل الحيض المصلى...		٣٤٧
لا إن ذلك عرق، ولكن دعي الصلاة...	فاطمة	٣٥١
لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها...		٧٠٩
لاتحرم الإملاجة والإملاجتان...	أم الفضل	٤٣٥، ٤٣٦
لا تحرم المصة والمصتان...	عائشة	٤٣٥ ، ٤٣٦
لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم...		٨٢٦
لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء...		٤٣٩
لا ضرر ولا ضرار...		٤٦٤
لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب...		٨٦٩
لايدخل الجنة ديوث...		٦٠٦
لا يدخل الجنة قاطع رحم ...		٤٦
لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا...		٥٨٧
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه...		٦٨٥
يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن عمر...		٣٠٩
يا أم حارثة إنها جنان في الجنة...		٦٩١
يا أمه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي...	عبدالله(موقوف)	٦٩٥
يابني السائب قد أضويتم فانكحوا...	عمر(موقوف)	٦٥٤
ياجابر تزوجت قلت نعم قال...		٢٩٠
ياجابر لا أراك ميتا من وجعك هذا...	جابر	٢٩١
يارسول الله إن ابني عبدالله بن سلمة...	أنيسة(موقوف)	٨٧
يارسول الله تذكرالرجال في الهجرة ولاتذكر...	أم سلمة(موقوف)	٢٨٣
ياعائشة بيت لاتمر فيه جياع أهله...		٦٧٩
ياعباس ألاتعجب من حب مغيث ...		٥٨٥
ياعتبة بن فرقد إنه ليس من كدك ...	عمر(موقوف)	٨٨٤
يامعشرالشباب من استطاع منكم الباءة...		١٢٢

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
يامعشر النساء تصدقن ...		٦٧٩
يحرم من الرضاعة مايحرم من الرحم...		٤٣٢
يحرم من الرضاعة مايحرم من النسب...		٤٣٣، ٤٤١
يحرم من الرضاعة مايحرم من الولادة...		٤٣٢
يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم...	حذيفة	٣٥٨

فهرس الأشعار

فهرس الأشعار

صدر البيت	الشاعر	القافية	الصفحة
هي الأم ركن قدس الله شأوه	الأميري، عمربهاءالدين	حقاً	٣٢٢
لك الفضل ياأمي لك الحب والثنا	محمد راجع الأبرش	الدنا	٤٩١
عناكب الجهل كم ألقت بأدمغة	معروف الرصافي	خرافات	
وليس ربيب عالية المزايا	معروف الرصافي	الصفات	٧٣
فكيف نظن بالأبناء خيراً	معروف الرصافي	الجاهلات	٨١٥
هي الأخلاق تنبت كالنبات	معروف الرصافي	المكرمات	
إني إذا أعرف يوماً أصبر	عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	ينكر	٦٩٤
ولك البيان الجزل في	أحمد شوقي	الغزير	٨٢٧
إذا النخلة العيطاء أصبح طلعها	معروف الرصافي	الطلع	٥٤٨
الأم مدرسة إذا أعددتها	حافظ ابراهيم	الأعراق	
إن طليباً نصرابن خاله أروى بنت عبدالمطلب رضي الله عنها ماله			٩٥
أرى أم صخر لا تمل عيادتي	صخر	مكاني	٨٤
إن أخطاءنا وذنوبنا لشتى	جبرائيلامسترال		٦٣١

فهرس تراجم الأعلام

فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	القرن	الصفحة
أبي بن كعب الأنصاري	صحابي	١٤١
أحمد بن حنبل	الثالث	١٩٤
آدم بن أبي إياس	الثالث	٣٩٩
أسامة بن زيد	صحابي	١٠٤
أسير بن جابر	الأول له رؤية	٣٠٩
الأقرع بن حابس	صحابي	١٥٥
البراء بن عازب	صحابي	١٠١
أنجشة الحبشي	صحابي	٢٢٧
أنس بن مالك	صحابي	٥٧
أويس بن عامر	سيد التابعين	٣٠٩
إياس ين البكير	صحابي	١١٠
الإمام البخاري	الثالث	٧٦
أبوبكر الصديق	خليفة رسول الله ﷺ	٩٣
أبوبكر بن محمد	الثاني	٥٣
ابن تيمية	الثامن	٤٠
ثابت بن قيس	صحابي	٥١٨
ثوبان مولى الرسول ﷺ	صحابي	٢٠٧
جابر بن عبدالله	صحابي	٢٩١
جعفر بن أبي طالب	صحابي	١١٥
الجويني إمام الحرمين	الخامس	٣٤٦
حارثة بن سراقة	صحابي	٦٩١
حبيب بن زيد	صحابي	٩٦
حذيفة بن أسيد	صحابي	٣٥٨
حسان بن ثابت	صحابي	٩٥
الحسن بن علي	صحابي سبط رسول الله ﷺ	١٠٠
الحسين بن علي	صحابي سبط رسول الله ﷺ	١٠١
الحسن البصري	الأول	٧١
حمزة بن عبدالمطلب	صحابي	٩٤
خالد بن البكير	صحابي	١١١

العلم	القرن	الصفحة
خالد بن الوليد	صحابي	٩٦
الخطابي أبو سليمان	الرابع	٥٧٩
ربيعة الرأي بن أبي عبدالرحمن	الثاني	٧٠
ابن رجب الحنبلي	الثامن	٣٨٦
الزبير بن العوام	صحابي	٦١
زهير بن معاوية	الثاني	٣٥٩
زيد بن ثابت	صحابي	٣١٧
زيد بن حارثة	صحابي	٦٠٣
سعد بن أبي وقاص	صحابي	٢٩٢
أبوسعيد الخدري	صحابي	١٢٨
أبوسفيان صخر بن حرب	صحابي	٣٤٣
سفيان بن سعيد بن مسروق	الثاني	٧٠
أبوسلمة الأسدي	صحابي	٥٣
سلمة بن عمرو بن الأكوع	صحابي	٨١٥
سليمان بن مهران	الثاني	٣٩٨
الإمام الشافعي	الثالث	٦٩
شريح بن الحارث	الأول	٣٥٤
شعبة بن الحجاج	الثاني	٣٩٩
ابن شهاب الزهري	الثاني	٦١٢
صخر بن عمرو	قبل البعثة	٨٤
صلاح الدين الأيوبي	السادس	٩٠
الإمام الطبري	الرابع	١٣٢
أبوطلحة الأنصاري	صحابي	٢٥٢
طليب بن عمير	صحابي	٩٤
أبو العاص بن الربيع	صحابي	١٠٢
عاصم بن عمر بن الخطاب	ولد في حياة النبي ﷺ	١٢٤
عاقل بن البكير	صحابي	١١٠
عامر بن البكير	صحابي	١١١
عامر بن شراحيل	الثاني	٦٠٧
عبادة بن الصامت	صحابي	٨٥٨

العلم	القرن	الصفحة
العباس بن عبدالمطلب	صحابي	١١٢
عبدالرحمن بن العباس	ولد في حياة النبي ﷺ	١١٤
عبدالرحمن بن عوف	صحابي	٦٩١
عبدالرحمن بن معاوية	الدولة الأموية بالأندلس	١٠٧
عبدالله بن جحش	صحابي	١١٢
عبدالله بن جعفر	صحابي	٦٢
عبدالله بن دينار	الثاني	٢٩٩
عبدالله بن الزبير	صحابي	٥٧
عبدالله بن زمعة	صحابي	٦٤٦
عبدالله بن زيد	صحابي	٩٧
عبدالله بن سلمة	صحابي	٨٧
عبدالله بن شداد	ولد في حياة النبي ﷺ	٦٢
عبدالله بن عباس	صحابي	٦٢
عبدالله بن عمر	صحابي	٣٠١
عبدالله بن عمرو بن حرام	صحابي	٢٩٠
عبدالله بن قيس	صحابي	٥١٢
عبيد الله بن العباس	صحابي	١١٣
عتبة بن فرقد	صحابي	٨٨٣
ابن أبي عتيق	الثاني	٧١
عثمان بن عفان	صحابي ثالث الخلفاءالراشدين	٥١٠
عثمان بن مظعون	صحابي	٢٧٧
عقبة بن الحارث	صحابي	٤٣٤
عكرمة البربري	الثاني	٣١٧
عكرمة بن أبي جهل	صحابي	٥١٣
علي بن أبي طالب	صحابي رابع الخلفاء الراشدين	١١٥، ١٧٧
علي بن أحمد (بن حزم)	الخامس	٣٥٤
عمار بن ياسر	صحابي	٩٣
عمر بن الخطاب	صحابي أميرالمؤمنين ثاني الخلفاءالراشدين	٥٢
عمر بن أبي سلمة	صحابي	٥٢
عمر بن عبدالعزيز	الدولة الأموية	١٠٧

العلم	القرن	الصفحة
أبو عمرو الأوزاعي	الثاني	٧٠
عمرو بن هند	الأول قبل البعثة	٨٤
عوف بن الحارث	صحابي	١١٠
القاضي عياض بن موسى	السادس	٣٨٥
الفضل بن العباس	صحابي	١١٣
القاسم بن محمد	الثاني	٦٢ ، ٧١
قثم بن العباس	صحابي	١١٣
ابن قدامة المقدسي	السابع	٣٤٦
ابن كثير	الثامن	٦٦
مالك بن أنس	الثاني	٦٨ ، ٤٢٠
مالك بن الحويرث	صحابي	١٤٤ ، ٤٠٢
المجذر بن زياد	صحابي	٨٧
مجزز المدلجي	في صحبته نظر	٦٤٥
محمد بن أبي بكر	ولد في طريق حجة الوداع	١١٥
محمد بن جعفر	صحابي	١١٦
محمد بن علي الشوكاني	الثالث عشر	١٢١
مخرمة بن نوفل	صحابي	٥١٠
المستورد بن شداد	صحابي	١٩٤
الإمام مسلم	الثالث	٨٤
مصطفى السباعي	الرابع عشر	٨٩
مصعب بن سعد	الثاني	٣٠٨
معاذ بن جبل	صحابي	٣١٥
معاذ بن الحارث	صحابي	١١٠
معبد بن العباس	ولد في حياة النبي ﷺ	١١٢
معوذ بن الحارث	صحابي	١١٠
مغيث	صحابي	٥٨٥
نافع مولى بن عمر	الثاني	١٨٨
الإمام النووي	السابع	٨٥
أبو هريرة	صحابي	١٠١
هشام بن عبدالملك	الثالث	٤٠٠

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
ومايمنعك أن تسلمي وقد أسلم أخوك حمزة...	طليب(موقوف)	٩٤
ونضع لهم اللعبة من العهن...	الربيع	٦٥
وهل قامت النساء على مثل خالد...	عمر	١١٧
ويحك يا أنجشة رويدا سوقك بالقوارير...		٢٢٧
ويعتزل الحيض المصلى...		٣٤٧
لا إن ذلك عرق، ولكن دعي الصلاة...	فاطمة	٣٥١
لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها...		٧٠٩
لاتحرم الإملاجة والإملاجتان...	أم الفضل	٤٣٥، ٤٣٦
لا تحرم المصة والمصتان...	عائشة	٤٣٥ ، ٤٣٦
لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم...		٨٢٦
لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء...		٤٣٩
لا ضرر ولا ضرار...		٤٦٤
لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب...		٨٦٩
لايدخل الجنة ديوث...		٦٠٦
لا يدخل الجنة قاطع رحم ...		٤٦
لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منهاخلقا...		٥٨٧
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه...		٦٨٥
يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن عمر...		٣٠٩
يا أم حارثة إنها جنان في الجنة...		٦٩١
يا أمه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي...	عبدالله(موقوف)	٦٩٥
يابني السائب قد أضويتم فانكحوا...	عمر(موقوف)	٦٥٤
ياجابر تزوجت قلت نعم قال...		٢٩٠
ياجابر لا أراك ميتا من وجعك هذا...	جابر	٢٩١
يارسول الله إن ابني عبدالله بن سلمة...	أنيسة(موقوف)	٨٧
يارسول الله تذكرالرجال في الهجرة ولاتذكر...	أم سلمة(موقوف)	٢٨٣
ياعائشة بيت لاتمر فيه جياع أهله...		٦٧٩
ياعباس ألاتعجب من حب مغيث ...		٥٨٥
ياعتبة بن فرقد إنه ليس من كدك ...	عمر(موقوف)	٨٨٤
يامعشرالشباب من استطاع منكم الباءة...		١٢٢

طرف من الحديث	الراوي	رقم الصفحة
يامعشر النساء تصدقن ...		٦٧٩
يحرم من الرضاعة مايحرم من الرحم...		٤٣٢
يحرم من الرضاعة مايحرم من النسب...		٤٣٣، ٤٤١
يحرم من الرضاعة مايحرم من الولادة...		٤٣٢
يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم...	حذيفة	٣٥٨

فهرس الأشعار

فهرس الأشعار

صدر البيت	الشاعر	القافية	الصفحة
هي الأم ركن قدس الله شأوه	الأميري، عمربهاءالدين	حقاً	٣٢٢
لك الفضل ياأمي لك الحب والثنا	محمد راجح الأبرش	الدنا	٤٩١
عناكب الجهل كم ألقت بأدمغة	معروف الرصافي	خرافات	
وليس ربيب عالية المزايا	معروف الرصافي	الصفات	٧٣
فكيف نظن بالأبناء خيراً	معروف الرصافي	الجاهلات	٨١٥
هي الأخلاق تنبت كالنبات	معروف الرصافي	المكرمات	
إني إذا أعرف يوماً أصبر	عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	ينكر	٦٩٤
ولك البيان الجزل في	أحمد شوقي	الغزير	٨٢٧
إذا النخلة العيطاء أصبح طلعها	معروف الرصافي	الطلع	٥٤٨
الأم مدرسة إذا أعددتها	حافظ ابراهيم	الأعراق	
إن طليباً نصرابن خاله أروى بنت عبدالمطلب رضي الله عنها ماله			٩٥
أرى أم صخر لا تمل عيادتي	صخر	مكاني	٨٤
إن أخطاءنا وذنوبنا لشتى	جبرانيلامسترال		٦٣١

فهرس تراجم الأعلام

فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	القرن	الصفحة
أبي بن كعب الأنصاري	صحابي	١٤١
أحمد بن حنبل	الثالث	١٩٤
آدم بن أبي إياس	الثالث	٣٩٩
أسامة بن زيد	صحابي	١٠٤
أسير بن جابر	الأول له رؤية	٣٠٩
الأقرع بن حابس	صحابي	١٥٥
البراء بن عازب	صحابي	١٠١
أنجشة الحبشي	صحابي	٢٢٧
أنس بن مالك	صحابي	٥٧
أويس بن عامر	سيد التابعين	٣٠٩
إياس ين البكير	صحابي	١١٠
الإمام البخاري	الثالث	٧٦
أبوبكر الصديق	خليفة رسول الله ﷺ	٩٣
أبوبكر بن محمد	الثاني	٥٣
ابن تيمية	الثامن	٤٠
ثابت بن قيس	صحابي	٥١٨
ثوبان مولى الرسول ﷺ	صحابي	٢٠٧
جابر بن عبدالله	صحابي	٢٩١
جعفر بن أبي طالب	صحابي	١١٥
الجويني إمام الحرمين	الخامس	٣٤٦
حارثة بن سراقة	صحابي	٦٩١
حبيب بن زيد	صحابي	٩٦
حذيفة بن أسيد	صحابي	٣٥٨
حسان بن ثابت	صحابي	٩٥
الحسن بن علي	صحابي سبط رسول الله ﷺ	١٠٠
الحسين بن علي	صحابي سبط رسول الله ﷺ	١٠١
الحسن البصري	الأول	٧١
حمزة بن عبدالمطلب	صحابي	٩٤
خالد بن البكير	صحابي	١١١

العلم	القرن	الصفحة
خالد بن الوليد	صحابي	٩٦
الخطابي أبو سليمان	الرابع	٥٧٩
ربيعة الرأي بن أبي عبدالرحمن	الثاني	٧٠
ابن رجب الحنبلي	الثامن	٣٨٦
الزبير بن العوام	صحابي	٦١
زهير بن معاوية	الثاني	٣٥٩
زيد بن ثابت	صحابي	٣١٧
زيد بن حارثة	صحابي	٦٠٣
سعد بن أبي وقاص	صحابي	٢٩٢
أبوسعيد الخدري	صحابي	١٢٨
أبوسفيان صخر بن حرب	صحابي	٣٤٣
سفيان بن سعيد بن مسروق	الثاني	٧٠
أبوسلمة الأسدي	صحابي	٥٣
سلمة بن عمرو بن الأكوع	صحابي	٨١٥
سليمان بن مهران	الثاني	٣٩٨
الإمام الشافعي	الثالث	٦٩
شريح بن الحارث	الأول	٣٥٤
شعبة بن الحجاج	الثاني	٣٩٩
ابن شهاب الزهري	الثاني	٦١٢
صخر بن عمرو	قبل البعثة	٨٤
صلاح الدين الأيوبي	السادس	٩٠
الإمام الطبري	الرابع	١٣٢
أبوطلحة الأنصاري	صحابي	٢٥٢
طليب بن عمير	صحابي	٩٤
أبو العاص بن الربيع	صحابي	١٠٢
عاصم بن عمر بن الخطاب	ولد في حياة النبي ﷺ	١٢٤
عاقل بن البكير	صحابي	١١٠
عامر بن البكير	صحابي	١١١
عامر بن شراحيل	الثاني	٦٠٧
عبادة بن الصامت	صحابي	٨٥٨

العلم	القرن	الصفحة
العباس بن عبدالمطلب	صحابي	١١٢
عبدالرحمن بن العباس	ولد في حياة النبي ﷺ	١١٤
عبدالرحمن بن عوف	صحابي	٦٩١
عبدالرحمن بن معاوية	الدولة الأموية بالأندلس	١٠٧
عبدالله بن جحش	صحابي	١١٢
عبدالله بن جعفر	صحابي	٦٢
عبدالله بن دينار	الثاني	٢٩٩
عبدالله بن الزبير	صحابي	٥٧
عبدالله بن زمعة	صحابي	٦٤٦
عبدالله بن زيد	صحابي	٩٧
عبدالله بن سلمة	صحابي	٨٧
عبدالله بن شداد	ولد في حياة النبي ﷺ	٦٢
عبدالله بن عباس	صحابي	٦٢
عبدالله بن عمر	صحابي	٣٠١
عبدالله بن عمرو بن حرام	صحابي	٢٩٠
عبدالله بن قيس	صحابي	٥١٢
عبيد الله بن العباس	صحابي	١١٣
عتبة بن فرقد	صحابي	٨٨٣
ابن أبي عتيق	الثاني	٧١
عثمان بن عفان	صحابي ثالث الخلفاءالراشدين	٥١٠
عثمان بن مظعون	صحابي	٢٧٧
عقبة بن الحارث	صحابي	٤٣٤
عكرمة البربري	الثاني	٣١٧
عكرمة بن أبي جهل	صحابي	٥١٣
علي بن أبي طالب	صحابي رابع الخلفاء الراشدين	١١٥، ١٧٧
علي بن أحمد (بن حزم)	الخامس	٣٥٤
عمار بن ياسر	صحابي	٩٣
عمر بن الخطاب	صحابي أميرالمؤمنين ثاني الخلفاءالراشدين	٥٢
عمر بن أبي سلمة	صحابي	٥٢
عمر بن عبدالعزيز	الدولة الأموية	١٠٧

العلم	القرن	الصفحة
أبو عمرو الأوزاعي	الثاني	٧٠
عمرو بن هند	الأول قبل البعثة	٨٤
عوف بن الحارث	صحابي	١١٠
القاضي عياض بن موسى	السادس	٣٨٥
الفضل بن العباس	صحابي	١١٣
القاسم بن محمد	الثاني	٦٢ ، ٧١
قثم بن العباس	صحابي	١١٣
ابن قدامة المقدسي	السابع	٣٤٦
ابن كثير	الثامن	٦٦
مالك بن أنس	الثاني	٦٨ ، ٤٢٠
مالك بن الحويرث	صحابي	١٤٤ ، ٤٠٢
المجذر بن زياد	صحابي	٨٧
مجزز المدلجي	في صحبته نظر	٦٤٥
محمد بن أبي بكر	ولد في طريق حجة الوداع	١١٥
محمد بن جعفر	صحابي	١١٦
محمد بن علي الشوكاني	الثالث عشر	١٢١
مخرمة بن نوفل	صحابي	٥١٠
المستورد بن شداد	صحابي	١٩٤
الإمام مسلم	الثالث	٨٤
مصطفى السباعي	الرابع عشر	٨٩
مصعب بن سعد	الثاني	٣٠٨
معاذ بن جبل	صحابي	٣١٥
معاذ بن الحارث	صحابي	١١٠
معبد بن العباس	ولد في حياة النبي ﷺ	١١٣
معوذ بن الحارث	صحابي	١١٠
مغيث	صحابي	٥٨٥
نافع مولى بن عمر	الثاني	١٨٨
الإمام النووي	السابع	٨٥
أبو هريرة	صحابي	١٠١
هشام بن عبدالملك	الثالث	٤٠٠

فهرس أعلام النساء المترجم لهن

فهرس أعلام النساء المترجم لهن

العلم	القرن	الصفحة
أروى بنت عبدالمطلب	صحابية	٩٤
أسماء بنت أبي بكر	صحابية	٥٧
أسماء بنت عميس	صحابية	٦٢
أمامة بنت حمزة	صحابية	٤٨٠
أمامة بنت أبي العاص	صحابية	١٠٠
أمة الفارسية	صحابية	٥٠٩
أم أنس بنت ملحان	صحابية	٥٦
أنيسة بنت عدي	صحابية	٨٧
أم أيمن	صحابية	٥٣
بريرة مولاة عائشة	صحابية	٥٨٥
ثويبة مولاة أبي لهب	صحابية	٣٠٤
أم حبيبة رملة	أم المؤمنين	٣٣٤
أم حبيبة بنت العباس	صحابية	١١٤
أم حرام بنت ملحان	صحابية	٥٩
حفصة بن عمر	أم المؤمنين	١٣٧
أم حكيم بنت الحارث	صحابية	٥١٣
حليمة السعدية	صحابية	٣٠٣
أم خالد بنت خالد	صحابية	٢٩٣
خديجة بنت خويلد	أم المؤمنين	١١٢
الخنساء	صحابية	٦١
خنساء بنت خدام	صحابية	٥١٥
خولة بنت مالك بن ثعلبة	صحابية	٤٩
أم الخير بنت صخر	صحابية	٣٠٦
درة بنت أبي سلمة	صحابية	٣٣٤
الربيع بنت معوذ	صحابية	٦٤
رقيقة بنت أبي صيفي	صحابية	٥١٠
رقية	بنت رسول الله ﷺ	١٧٧
أم رومان بنت عامر	صحابية	٩٣
زينب	بنت رسول الله ﷺ	١٠٢

العلم	القرن	الصفحة
زينب بنت خزيمد	أم المؤمنين	١١٢
زينب بنت أبي سلمة	صحابية	٦٣
زينب بنت علي	صحابية	٥٢١
سبيعه بنت الحارث	صحابية	٥١١
سعدى بنت كريز	صحابية	٥١٠
سلمى بنت عميس	صحابية	١١١
أم سليط	صحابية	٦٩٧
سمية بنت خباط	صحابية	٩٢
سودة بنت زمعة	أم المؤمنين	٦٤٧
أم شريك القرشية	صحابية	٥٠٩
الشفاء بنت عبدالله	صحابية	٦٧٣
الشيماء بنت الحارث	صحابية	٣٠٥
صفية بنت حيي	أم المؤمنين	٢٨٩
صفية بنت عبدالمطلب	صحابية	٩٥
عائشة بنت أبي بكر الصديق	أم المؤمنين	٤٩
أم عطية	صحابية	٦٩٧
عفراء بنت عبيدة	صحابية	١٠٣
عمرة بنت عبدالرحمن	بعد المائة وقيل قبلها	٤٣٣
أم عون	بعد المائة	٦٢
فاطمة الزهراء	بنت رسول الله ﷺ	١٠١
فاطمة بنت أبي حبيش	صحابية	٣٥١
فاطمة بنت الخطاب	صحابية	٥٠٩
فاطمة بنت قيس	صحابية	٦٠٣
أم الفضل لبابة	صحابية	١١١
أم قيس بنت محصن	صحابية	٦٨٠
أم كلثوم	بنت رسول الله ﷺ	١٧٧
أم كلثوم بنت علي	صحابية	٨٨
لبابة بنت الحارث (لبابة الصغرى)	الأول، في صحبتها نظر	١١٦
ميمونة بنت الحارث	أم المؤمنين	١١١
نسيبة بنت كعب	صحابية	٩٦
أم هانىء بنت أبي طالب	صحابية	٥١٢
هند بنت عتبة	صحابية	٣٤٣
هند بنت أبي أمية	أم المؤمنين	٥٣

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

* البخاري، أبوعبدالله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي .
صحيح البخاري .
بيروت : دار الفكر ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

* مسلم ، أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .
صحيح مسلم .
بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ / ١٩٩٣م .

* أحمد بن حنبل ، المسند .
شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر .
دار المعارف ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .

* البيّهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين .
السنن الكبرى .
بيروت : دار صادر ، ١٣٥٤ هـ

* الترمذي ، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة .
السنن
القاهرة : دار الحديث .

* الحاكم، أبوعبدالله النيسابوري .
المستدرك على الصحيحين .
بيروت : دار الكتاب .

* ابن حبان .
الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان .
الطبعة الأولى .
ترتيب علاء الدين الفارسي .
بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

* ابن خزيمة، أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (٢٢٣هـ - ٣١١هـ) .
صحيح ابن خزيمة .
الطبعة الأولى .
تحقيق محمد مصطفى الأعظمي
المكتب الإسلامي بيروت : ١٣٩٥ / ١٩٧٥م .

* الدارمي، أبومحمد عبدالله بن عبدالرحمن بن بهرام .
السنن .
بيروت : دار الكتب العلمية .
* أبو داوود، سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدي .
السنن .
بيروت : دار الفكر .
* الطبراني ، أبوقاسم سليمان بن أحمد .
المعجم الكبير .
مطبعة الوفد .
* ابن ماجه ، أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني .
السنن .
بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٦٨م .
* مالك بن أنس .
موطأ الإمام مالك . رواية يحيى بن يحيى .
الطبعة الثامنة .
بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
* الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر .
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .
بيروت : دار الكتب العلمية .
* أبو يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى .
مسند أبي يعلى .
الطبعة الأولى ، تحقيق إرشاد الحق الأثري .
بيروت: مؤسسة علوم القرآن، جده دارالقبلة، ١٤١٨هـ/١٩٨٨م.
* الأبرش ، محمد راجح .
ديوان دموع على القدس .
عمان : دار عمار ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
* ابن الأثير، أبوالحسن علي بن محمد الجزري الملقب بعزالدين .
أسد الغابة في معرفة الصحابة .
مصر : دار الشعب .
الكامل في التاريخ .
بيروت : دار الكتاب العربي .

* ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات ، المبارك بن محمد الجزري .
النهاية في غريب الحديث .
بيروت : دار الفكر .
* أحمد، د . أنيس .
النساء المسلمات والتعليم العالي .
ترجمه للعربية مكتب التربية العربي لدول الخليج .
الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
* ارمان، لي ب ، بيترابارسونز .
وراثة وتطور السلوك .
الطبعة العربية .
ترجمة د. أحمد حسن، ورمزي العدوي، مراجعة د.حسن حسنين.
الرياض : دار المريخ ، ١٩٨٣م .
* الأشقر، د. عمر سليمان .
المرأة بين دعاة الإسلام وأدعيا التقدم.
الكويت، مكتبة الفلاح . الطبعة الثالثة . ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
* الألباني، محمد ناصر الدين .
إراء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل .
الطبعة الأولى، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة .
الطبعة الأولى ، الرياض مكتبة المعارف ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .
صحيح سنن أبي داود باختصار السند .
الطبعة الأولى ، بيروت : المكتب الإسلامي ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
صحيح سنن ابن ماجه .
الطبعة الأولى، الرياض مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨هـ .
ضعيف سنن ابن ماجه .
الطبعة الأولى، الرياض مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨هـ .
* الألوسي، شهاب الدين محمود البغدادي .
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .
بيروت : دار الفكر .

* آمري، د. آلان .
أساسيات علم الوراثة .
تعريب أ . د أحمد الكباريتي .
الكويت : مركز الاستشارات الوراثية ، جامعة الكويت .
* الأميري، عمر بهاء الدين .
ديوان أمي ، بيروت : دار الفتح .
* البار، د. محمد علي .
الأضرار الصحية للمسكرات والمخدرات والمنبهات .
الطبعة الأولى، جدة : الدار السعودية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
الأمراض الجنسية : أسبابها وعلاجها .
جدة : دار المنارة . الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٣م .
الإيدز وباء العصر ، و د . محمد أيمن صافي .
الطبعة الأولى، جدة : دار المنارة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
تيه العرب وتيه بني إسرائيل .
الطبعة الأولى، جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .
الجنين المشوه والأمراض الوراثية .
الطبعة الأولى . جدة : دار المنارة ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
خلق الانسان بين الطب والقرآن .
الطبعة السابعة، جدة : الدار السعودية ١٤٠٩هـ .
دورة الأرحام .
الطبعة الرابعة، جدة الدار السعودية ، ١٤٠٤هـ.
سياسة ووسائل تحديد النسل بين الماضي والحاضر .
الطبعة الأولى، بيروت: مكتبة العصرالحديث،١٤١٣هـ/١٩٩١م.
طفل الأنبوب والتلقيح الصناعي .
الطبعة الأولى، السعودية : دار العلم ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
عمل المرأة في الميزان .
الطبعة الثالثة، جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
هل هناك طب نبوي .
الطبعة الأولى، جدة : الدار السعودية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
* الباقلاني، أبوبكر .
إعجاز القرآن ، في هامش الإتقان في علوم القرآن السيوطي .
بيروت : المكتبة الثقافية .

* عبدالباقي، فؤاد .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
الطبعة الثانية، بيروت : دار المعرفة ، ١٤١١هـ .
* ابن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله القرطبي ، أبو عمر .
الاستيعاب في معرفة الأصحاب مع كتاب الإصابة لابن حجر .
الطبعة الأولى، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٢٨هـ .
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد .
جدة : مكتبة الوادي .
* البعلبكي، منير .
المورد .
الطبعة الخامسة والعشرون، بيروت: دارالعلم للملايين،١٩٩١م.
* البنا، حسن .
تحديد النسل .
الطبعة الثانية، القاهرة : دارالاعتصام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
* البوصيري، الشهاب أحمد بن أبي بكر .
مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه .
تحقيق وتعليق موسى علي ، د . عزت علي عطية .
القاهرة . دار الكتب الإسلامية .
* بيغوفيتش، علي عزت .
الإسلام بين الشرق والغرب .
الطبعة الأولى، الكويت : مجلة النور الكويتية بالاشتراك مع مؤسسة بافاريا بألمانيا ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م .
* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن .
مناقب الشافعي .
الطبعة الأولى ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، القاهرة : دار التراث .
* ابن تغري بردي، جمال الدين أبوالمحاسن يوسف الأتابكي .
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
مصورة عن طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي .
* ابن تيمية .
مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .

جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد العاصمي .
الرياض : دار عالم الكتب ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
مجموعة الرسائل الكبرى .
القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح .
* الجرجاني، عبدالقادر عبدالرحمن بن محمد النحوي .
دلائل الإعجاز .
الطبعة الثانية .
تعليق محمود محمد شاكر .
القاهرة : مكتبة الخاني ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
* جريشة، د . علي .
الاتجاهات الفكرية المعاصرة .
الطبعة الثانية، المنصورة : دار الوفاء ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
الجصاص، أبو بكر أحمد الرازي .
أحكام القرآن
بيروت . دار الفكر .
* الجلال، فوزية محمد .
دور الجامعات في إعداد القوى البشرية العاملة في المملكة العربية السعودية.
رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى . كلية التربية ١٤٠٤هـ .
* جلبي، د. خالص .
الطب محراب الإيمان .
الطبعة السادسة، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٩م .
* ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي .
تاريخ عمر بن الخطاب .
قدم له وعلق عليه أسامة عبدالكريم الرفاعي .
* الجويني، إمام الحرمين ، أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله .
غياث الأمم في التياث الظلم .
الطبعة الأولى .
تحقيق عبدالعظيم الديب .
قطر : مكتبة إمام الحرمين ، ١٤٠٠هـ .

* ابن أبي حاتم، عبدالرحمن الرازي .
تفسيرالسورة التي يذكر فيها القصص من تفسير القرآن العظيم .
تحقيق ودراسة إبراهيم بكر علي .
جامعة أم القرى . كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
الجرح والتعديل .
بيروت : دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى .
مناقب الإمام الشافعي . تحقيق عبدالغني عبدالخالق .
بيروت : دار الكتب العلمية .
* ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني .
الإصابة في تمييز الصحابة .
الطبعة الأولى ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٢٨هـ .
تبصير المنتبه بتحرير المشتبه .
القاهرة : الدار المصرية .
فتح الباري في شرح صحيح البخاري .
تعليق فؤاد عبدالباقي . تصحيح عبدالعزيز بن باز .
لبنان : دار الفكر .
تقريب التهذيب .
الطبعة الرابعة ، دمشق : دار القلم ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير .
عني بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه السيد عبدالله هاشم اليماني .
المدينة المنورة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
تهذيب التهذيب .
القاهرة : دار الكتاب الإسلامي .
لسان الميزان .
الطبعة الثانية ، بيروت : دار العلمي ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
* ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي .
جمهرة أنساب العرب .
الطبعة الرابعة .
تحقيق عبدالسلام هارون .
القاهرة : دار المعارف .

المحـلى .
بيروت : دار الفكر .
* الحسن، البصري .
تفسير الحسن البصري . جمع ودراسة د . محمد عبدالرحيم .
القاهرة : دار الحديث .
* حسين، د. محمد محمد .
الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، الجزء الأول من الثورة العرابية إلى قيام الحرب العالمية الثانية .
الطبعة الثانية ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، مصر ، ١٣٨٢هـ .
حصوننا مهددة من داخلها .
الطبعة الخامسة، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
* ابن عبدالحكم ، عبدالله .
سيرة عمر بن عبدالعزيز .
الطبعة السادسة، بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
* الحمد ، رشيد .
البيئة ومشكلاتها، ومحمد سعيد صباريتي، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .
* الحملاوي، أحمد :
شذا العرف في فن الصرف .
الطبعة الرابعة، مكة المكرمة : إحياء التراث الإسلامي .
* الحميدي ، د. عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي .
تفسير ابن عباس .
جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.
* أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي .
البحر المحيط في التفسير .
مكة المكرمة : المكتبة التجارية .
* الخالدي، د. صلاح عبدالفتاح .
أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب .
الطبعة الرابعة ، جدة : دار المنار .
* خان ، صديق
قضية البعث الإسلامي .

ترجمة السيد محسن الندوي .
دار الصحوة ، ١٤٠٥هـ .
* خضر، د. عبدالعليم عبدالرحمن محمد
الإنسان والبيئة.
القصيم : مكتبة العليقي الحديثة.
* خفاجي، عبد الحليم
كواكب حول الرسول
الطبعة الرابعة
الكويت : مكتبة السندي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
* ابن خلدون، عبد الرحمن
تاريخ ابن خلدون المسمى العبر. وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر.
بيروت : مؤسسة جمال ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
مقدمة ابن خلدون .
القاهرة ، المكتبة التجارية .
* ابن خلكان ، أبوالعباس أحمد بن أبي بكر .
وفيات الأعيان .
تحقيق إحسان عباس .
بيروت : دار صادر .
* الخنساء
ديوان الخنساء
بيروت : المكتبة الثقافية.
* الخولي ، البهي.
الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة.
الطبعة الخامسة، الكويت : دار القلم ، ١٤٠٤/١٩٨٤م
* الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد
طبقات المفسرين.
القاهرة : مطبعة الاستقلال ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
* ابن دريد
جمهرة اللغة
* الدسوقي، محمد عرفة.

حاشية الدسوقي على الشرح الكبير.
القاهرة : مطبعة البابي الحلبي.
* دوبراي ، ايف.
الحمل والولادة. وايلين مونتيني.
الطبعة الأولى. ترجمة محمد مرعشلي.
بيروت : المؤسسة الجامعية للنشر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
* الدوري. د. عدنان.
جناح الأحداث المشكلة والسبب.
* الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد،
الذرية الطاهرة،
الطبعة الأولى.
الكويت: الدار السلفية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
* دياب ، د. عبد الحميد.
مع الطب في القرآن الكريم، ود. أحمد قرقوز.
الطبعة الثانية.
دمشق : مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
* ديورانت ، ول .
قصة الحضارة في العالم.
ترجمة محمد بدران.
القاهرة : جامعة الدول العربية.
* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.
سير أعلام النبلاء.
الطبعة السابعة.
إشراف شعيب الأرناؤوط. وعلي أبوزيد.
بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
ميزان الاعتدال في نقد الرجال.
تحقيق محمد علي البجاوي.
بيروت : دار المعرفة.
* الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر خطيب الري .
التفسير الكبير ومفاتيح الغيب.
بيروت : دار الفكر ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

* الرصافي ، معروف.
ديوان الرصافي.
بيروت : دار مكتبة الحياة.
* رضا، محمد رشيد.
تفسير المنار.
الطبعة الثانية.
بيروت : دار الفكر.
* الزبيدي، محمد مرتضى.
تاج العروس من جواهر القاموس.
بيروت : دار مكتبة الحياة.
* الزبير، بن بكار
الأخبار الموفقيات.
الطبعة السابعة.
تحقيق د. سامي مكي العاني.
العراق : دار التراث الإسلامي.
* الزمخشري، محمود بن عمر .
أساس البلاغة.
الطبعة الثالثة.
القاهرة : مركز تحقيق التراث.
الكشاف.
الطبعة الأولى.
بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
* أبو زهرة.
أحكام الزكاة والمواريث.
دار الفكر العربي.
تنظيم الإسلام للمجتمع.
دار الفكر العربي.
مالك حياته وعصره وآراؤه الفقهية.
الطبعة الثانية، دار الفكر العربي ١٩٥٢م.
* الزيات، إبراهيم مصطفى حسن
المعجم الوسيط. بيروت : دار مكتبة الحياة .

* الزيلعي، جمال الدين أبومحمد عبد الله يوسف الحنفي.
نصب الراية، مع حاشية بغية الألمعي في تخريج الزيلعي.
الطبعة الثانية.
المجلس العلمي ، باكستان كراتشي.
* السباعي، د. محمد سيف الدين.
الإجهاض بين الفقه والطب والقانون.
الطبعة الأولى .
بيروت : دار الكتب العربية ، ١٣٩٨هـ.
* السباعي، مصطفى.
المرأة بين الفقه والقانون.
الطبعة السادسة.
دمشق : المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
من روائع حضارتنا. دمشق : المكتب الإسلامي. الطبعة الرابعة.
١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
* السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي.
طبقات الشافعية الكبرى.
تحقيق عبد الفتاح الحلو. ومحمود محمد الطناحي.
القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي .
* السبيعي ، عدنان.
سيكولوجية الأمومة ومسؤولية الحمل.
الطبعة الأولى ، دمشق : الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٤٠٥هـ.
* ستوكلي، كورين.
معجم البيولوجيا المصور.
ترجمة محمد أحمد شومان.
بيروت : دار الكتاب العربي .
أكاديميا أنترناشيونال ١٩٩٢م.
* السديس ، محمد بن عبد العزيز.
أثر العلمانية في التربية والتعليم في العالم الإسلامي.
بحث ماجستير . كلية التربية. جامعة أم القرى، ١٤٠١هـ.
* ابن سعد، أبوعبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري.
الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر.

* سعيد، جودت.
العمل قدرة وإرادة.
دمشق : دار الثقافة. ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
* سعيد ، محمد.
رحلة إلى اليابان.
القاهرة: مكتبة ابن سينا.
* السعدي، غازي.
الكتاب السنوي لتوثيق أبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة لعام ١٩٨١م. بالاشتراك مع نوال الزور وعماد كمال.
الطبعة الأولى ، بيروت : المؤسسة العربية ، ١٩٨٢م.
* سعفان، د. حسن شحاته.
التلفزيون والمجتمع.
الطبعة الأولى ، القاهرة : دار التأليف، ١٩٦٢م.
* السعيد، عبد الله عبد الرزاق.
الرطب والنخلة.
الطبعة الأولى ، جدة : الدار السعودية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
* ابن سلام، أبو عبيد القاسم.
كتاب الأموال.
تعليق محمد خليل هراس، القاهرة: دارالفكر ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
* ابن سيده، على بن إسماعيل النحوي.
المخصص. تحقيق لجنة إحياء التراث.
بيروت : دار الآفاق الجديدة.
* السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن.
الإتقان في علوم القرآن.
بيروت : المكتبة الثقافية.
طبقات الحفاظ.
الطبعة الأولى.
بيروت : دار الكتب، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
معترك الأقران في إعجاز القرآن.
بيروت : دار الفكر.
* ابن سينا.

القانون في الطب،كتاب الأدوية المفردة والنباتات، ترتيب جبران جبور
بيروت مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
* شاتليه، ال .
الغارة على العالم الإسلامي.
ترجمة محب الدين الخطيب . ومساعد اليافي.
بيروت : مكتبة أسامة بن زيد.
* شاكر ، أحمد.
نظام الطلاق في الإسلام.
القاهرة: مكتبة السنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
* شطي ، د. شوكت.
تارخ الطب.
دمشق: جامعة دمشق.
* شقفة ، مأمون.
القرار المكين.
الطبعة الثانية ، الرياض : دار حسان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
* شلتوت ، محمود.
الإسلام عقيدة وشريعة.
الطبعة الثالثة عشرة ، لبنان: دار الشروق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٥م.
* شمسي باشا، د. حسان .
الرضاعة من لبن الأم.
الطبعة الأولى.
جدة : مكتبة السوادي ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
قبسات من الطب النبوي.
الطبعة الأولى ، جدة : مكتبة السوادي، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
* الشنقيطي، محمد الأمين.
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . بيروت : عالم الكتب.
* الشوكاني ، محمد بن علي.
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع.
بيروت : دار الفكر.
السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار.
فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.

بيروت : دار الفكر.
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.
الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٣٨٠هـ
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار.
مصر : مطبعة البابي الحلبي.
* طاهر ، د. ميسرة كايد.
أساليب المعاملة الوالدية: الاتساق والاختلاف فيها كما يراها الأبناء.
رسالة ماجستير.
مكة المكرمة: جامعة الملك عبد العزيز. كلية التربية ١٣٩٩هـ.
* الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير.
تاريخ الأمم والملوك.
الطبعة الثالثة.
بيروت : مؤسسة عز الدين القسام ١٤١٣هـ.
جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
* الطنطاوي ، علي .
مع الناس.
الطبعة الثانية ، جدة : دار المنارة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
يابني ويابني .
الطبعة الثانية ، جده ، دار المنارة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
* عاشور ، د. محمد أحمد.
خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه.
القاهرة : دار الاعتصام.
* عاقل، فاخر.
علم النفس التربوي.
الطبعة الحادية عشرة ، لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م.

* عبد العال ، د. محمد عبد المنعم .
نظرات إسلامية على الأمراض الجلدية والتناسلية.
الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار السلام ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
* العامر، محمد عبد الله.
الرجل الذي ترجم الأقوال إلى أفعال.
الطبعة الأولى ، الكويت : دار البيان ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
* عثمان ، محمد عثمان.
اختلاط الجنسين في مدارسنا.
الطبعة الثانية ، القاهرة: دار الاعتصام.
* أبوالعز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين بن محمد، الصالحي الدمشقي.
شرح العقيدة الطحاوية.
دار الفكر العربي، منشورات ، الكويت : دار الكتاب الحديث.
* العظم، يوسف.
أين محاضن الجيل المسلم.
الطبعة الخامسة ، جدة : الدار السعودية.
* غباري، د. محمد سلامة محمد.
أسباب جنوح الأحداث.
ترجمة بدون مؤلف ، الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث.
الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين.
مصر الاسكندرية المكتب الجامعى الحديث ١٩٨٩م.
* الغزالي ، زينب.
مسيرة جهاد وحديث زكريات.
إعداد ابن الهاشمي.
* الغزالي، محمد بن أحمد، أبو حامد.
إحياء علوم الدين.
بيروت دار المعرفة.
* الغزالي ، محمد.
الحق المر.
القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي.
* الغضبان، محمد منير.

حكم تعليم النساء، (بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الأول للتعليم ١٣٩٧).
الطبعة الثانية ، بيروت : دار الجيل ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
* فشر، هربرت.
أوربا في العصر الحديث.
الطبعة الرابعة، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع.
القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤م.
* الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب.
القاموس المحيط.
الطبعة السادسة.
بيروت : دار الجيل.
* القاري ، نور الدين الملا علي بن محمد بن سلطان.
الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى.
حققه وعلق عليه محمد الصباغ.
بيروت : دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
* ابن فرحون، المالكي.
الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب.
تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور.
القاهرة : دار التراث.
* ابن قدامة ، موفق الدين أبو محمد أحمد.
المغني.
بيروت : دار الكتب العلمية.
* القرضاوي، د. يوسف.
الوقت في حياة المسلم.
الطبعة الثانية.
القاهرة: دار الصحوة.
* القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري.
الجامع لأحكام القرآن .
الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.
* قطب ، سيد.

الإسلام ومشكلات الحضارة.
الطبعة التاسعة.
القاهرة : دار الشروق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
في ظلال القرآن.
الطبعة الحادية والعشرون ، بيروت : دار الشروق، ١٤١٤هـ.
* قطب ، محمد.
الإنسان بين المادية والإسلام.
الطبعة الثامنة ، بيروت : دار الشروق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
دراسات في النفس الإنسانية.
الطبعة السادسة ، القاهرة : دار الشروق، ١٤٠٣/١٩٨٣م.
مذاهب فكرية معاصرة ٠
الطبعة السادسة ، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م٠
منهج التربية الإسلامية.
الطبعة السابعة ، بيروت : دار الشروق، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
واقعنا المعاصر.
الطبعة الثانية،جدة: مؤسسة المدينة للصحافة،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م٠
* قنطار، د. فايز.
الأمومة، نمو العلاقة بين الأم والطفل.
الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٤١٣ عالم المعرفة.
* ابن القيم ، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية.
التبيان في أقسام القرآن.
صححه وعلق عليه طه يوسف شاهين.
بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.
تحقيق عبد اللطيف آل محمد الفواعير.
عمان : دار الفكر ١٩٨٦م.
زاد المعاد في هدي خير العباد.
الطبعة السادسة.
تحقيق محمد شعيب الأرناؤوط. ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
طريق الهجرتين وباب السعادتين.

الطبعة الأولى ، الدمام : دار ابن القيم ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
مفتاح دار السعادة.
الرياض : مكتبة الرياض الحديثة.
* كاريل ، الكسيس.
الإنسان ذلك المجهول.
تعريب شفيق أسعد فريد.
بيروت : مكتبة المعارف ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
تأملات في سلوك الإنسان.
ترجمة محمد القصاص.
القاهرة: مكتبة مصر.
* الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود.
كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع.
بيروت : المكتبة العلمية.
* الكتاب المقدس.
العهد القديم والعهد الجديد٠
القاهرة ، دار الكتاب المقدس ٠
* ابن كثير ، إسماعيل القرشي الدمشقي.
تفسير القرآن العظيم.
بيروت : دار المعرفة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
* الكردي، د. ابراهيم سلمان.
طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول.
الطبعة الأولى ، الكويت: مؤسسة المحيط الإعلامية، ١٤٠٣هـ.
* كريم ، د. صالح عبد العزيز.
المدخل إلى علم الأجنة الوصفي.
الطبعة الأولى ، جدة : دار المجتمع ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
* الكيلاني، د. ماجد عرسان.
اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية.
جامعة أم القرى مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٢هـ.
إخراج الأمة الإسلامية وعوامل صحتها ومرضها.
الطبعة الأولى ، قطر، ١٤١٤هـ.

الأمة المسلمة مفهومها ، إخراجها، مقوماتها.
عمان : المكتبة الوطنية.
أهداف التربية الإسلامية.
الطبعة الثانية، المدينة المنورة: دارالتراث ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية.
الطبعة الثانية، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية،١٩٨٣م.
فلسفة التربية الإسلامية، دراسة مقارنة.
الطبعة الثانية، مكة المكرمة، مكتبة هادي، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس.
واشنطن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٤هـ.

* لوبون ، غوستاف.
حضارة العرب.
الطبعة الرابعة. ترجمة عادل زعيتر، ١٩٦٤م.

* ماكو ، جورج .
التربية الوجدانية للطفل.
ترجمة د. منير العصرة ود. نظمى لوقا.
القاهرة، نيويورك : دار المعرفة، ١٩٧٨م.

* مالك بن نبي.
في مهب المعركة.
الطبعة الأولى.
القاهرة: مكتبة دار العروبة.

* المباركفوري، صفي الرحمن.
الرحيق المختوم.
الطبعة الاولى ، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

* المدني، د. خالد علي، ود. رفيدة حسين خاشقجي،
الرضاعة الطبيعية.
الطبعة الأولى ، جدة : دار المدني، ١٤١٠هـ.

* المصري، أمين.
لمحات من وسائل التربية الإسلامية وغاياتها.
الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

* مضوي، الزبير فضل.
يانساء الدعاة لستن ككل النساء.
مكتبة الخدمات الحديثة.
* مطر ، مصطفى رزق.
تنظيم وإدارة مؤسسات الرعاية والتنمية الاجتماعية من الناحيتين النظرية والتطبيقية.
القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧م.
* ابن معين، يحيى بن عون بن زياد الغطفاني مولاهم.
التاريخ.
الطبعة الأولى ، دراسة وترتيب وتحقيق د. أحمد نور سيف.
مكة المكرمة جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
* عبد الملك، شفيق.
تشريح الحوض للذكر والأنثى.
الطبعة الثالثة.
القاهرة : المطبعة التجارية ١٣٩١م.
* ابن المنذر ، أبوبكر بن إبراهيم النيسابوري ·
الإجماع.
الطبعة الثالثة ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد.
الإسكندرية : دار الدعوة ١٤٠٢هـ.
* ابن المنير : أحمد بن محمد الاسكندري.
الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال. مع تفسير الكشاف للزمخشري.
* ابن منظور.
لسان العرب.
الطبعة الثانية.
بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
* المودودي، أبو الأعلى.
الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة.
تعريب خليل أحمد الغامدي.
تفسير سورة النور.

جدة : الدار السعودية ،١٤٠٤هـ- ١٩٨٥م.
الحجاب.
الطبعة السادسة ، جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
حركة تحديد النسل.
جدة: الدار السعودية١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
دور الطلبة في بناء المستقبل.
باكستان : الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية. دار القرآن، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
نحن والحضارة الغربية.
بيروت : دار الفكر.
نظام الحياة في الإسلام.
الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية. دارالقرآن الكريم ١٣٩٧ - ١٩٧٧م

* نازك الملائكة.
مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية.
الطبعة الثالثة.
إعداد ، العباسي، محمد عيد.
الدمام : دار ابن القيم ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

* نخبة من العلماء الأمريكيين.
الله يتجلى في عصر العلم.
ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان.
بيروت : دار القلم.

* الندوي. أبو الحسن.
التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والدول الإسلامية.
الطبعة الثانية.
مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧م.

* النووي.
شرح صحيح مسلم.
بيروت : دار الفكر ١٤٠١هـ/١٩٨١م

* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب.
نهاية الأرب في فنون العرب.

القاهرة، دار الكتب.
* الهاشمي د. عبد الحميد.
الإعدادالنفسي والتربوي لمدرسي التربية الإسلامية وعلومهاالدينية.
١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
علم النفس التكويني.
الطبعة الرابعة.
جدة دار المجمع العلمي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
* هاورز ، جايلورد.
الغذاء يصنع المعجزات.
الطبعة العاشرة، ترجمة أحمد قدامة.
بيروت : دار النفائس ، ١٤١٢هـ/١٩٩٠م.
* وجدي، محمد فريد.
دائرة المعارف.
بيروت : دار المعرفة، الطبعة الثالثة. ١٩٧١م.
* أبو يوسف.
الخراج .
تحقيق محمد إبراهيم البنا.
القاهرة . مؤسسة الإصلاح للنشر.

المصادر الأجنبية

١- Fromm, Erich, The Nature of Love in The contemporary Scene, Edited By Paul B. Weisz, New York: McGraw-Hill book Co., ١٩٧٠.

٢- Harris, Marvin, America Now, New York: Simon and Schuster, inc. ١٩٨٢ .

٣- Jemes O,Toole & Committee, Work in America, Report Of Aspecial Task force To The Secretary of Health, Education and Welfare, Upjohn Institute For Employment Research, ١٩٧٣ .

٤- Jerry Falwell, Listen, America, New York: Bantam Book, ١٩٨١.

٥- Toffer Alvin, Future Shok, ٨٨ editions, New York: Bantam Books, ١٩٨١.

الدوريات

١ - أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.
٢ - أخبار اليوم، مصر ، ٢١/١/٨٠، ١٢/١/٨٠.
٣ - الإغاثة ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
٤ - بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي الرابع المعني بالمرأة في بكين خلال شهر ربيع الآخر ١٤١٦هـ - سبتمبر ١٩٩٥م، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، مطابع رابطة العالم الإسلامي.
٥ - تقارير وآراء صادرة عن الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي، حول الوثيقة الخطيرة الصادرة من الأمم المتحدة كبرنامج عمل إلى مؤتمر السكان والتنمية المنعقد في القاهرة سبتمبر ١٩٩٤م، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، مطابع رابطة العالم الإسلامي.
٦ - التقارير الطبية ، منظمة الصحة العالمية، جنيف، المنظمة العالمية للوقاية، ١٩٨٣م.
٧ - الجيل، بيروت ، المجلد ١٣، العدد ٣ (١٩٩٢م).
٨ - الخيرية، الكويت ، الهيئة الخيرية العالمية شعبان ، ١٤١٠هـ.
٩ - الدكتور ، لندن ، دار الشرق، العدد ٤١، ١٩٩٠م.
١٠ - الرابطة، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، عدد خاص عن البوسنة والهرسك، محرم - صفر - ربيع الأول، ١٤١٤هـ.
١١ - الشرق الأوسط ، لندن.
١٢ - العربي، الكويت ، العدد ٣٠٧، يونيو ١٩٨٤م.
١٣ - عفاف ، الكويت، العدد ٣٣، ذو الحجة ١٤١٠هـ.
١٤ - مجلة الفيصل الطبية ، الدمام جامعة لملك فيصل كلية الطب والعلوم الطبية، الأعداد ١٢،٦، ١٣.
١٥ - قرارات المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
١٦ - قرارات مجمع الفقه الإسلامي في جدة.
١٧ - مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرياض، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب.
١٨ - المجتمع ، الكويت ، العدد ١١١٧، ربيع ثاني ١٤١٥هـ
١٩ - المسلمون ، الأعداد : ٢٩٦، ٣٩٣، ٤٠٧.
٢٠ - مجلة مجمع الفقه الإسلامي - نصف سنوية - يصدرها المجمع الفقهي

برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
٢١ - ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج، ١ - ٣ شعبان ١٤٠٥هـ، مسقط ، مكتب التربية العربي.
٢٢ - النور ، الكويت، بيت التمويل الكويتي، العدد ٩٤ - ٩٥، ذو الحجة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٢٣ - الهدف، الكويت العدد ٢٥١، السنة الثانية ، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٢٤ - وثائق خاصة بالمؤتمر العالمي الرابع للمرأة المزمع عقده في بكين بالصين في سبتمبر ١٩٩٥م، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة.

مطابع جامعة أم القرى

ردمك ٥ ـ ١٢٢ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠